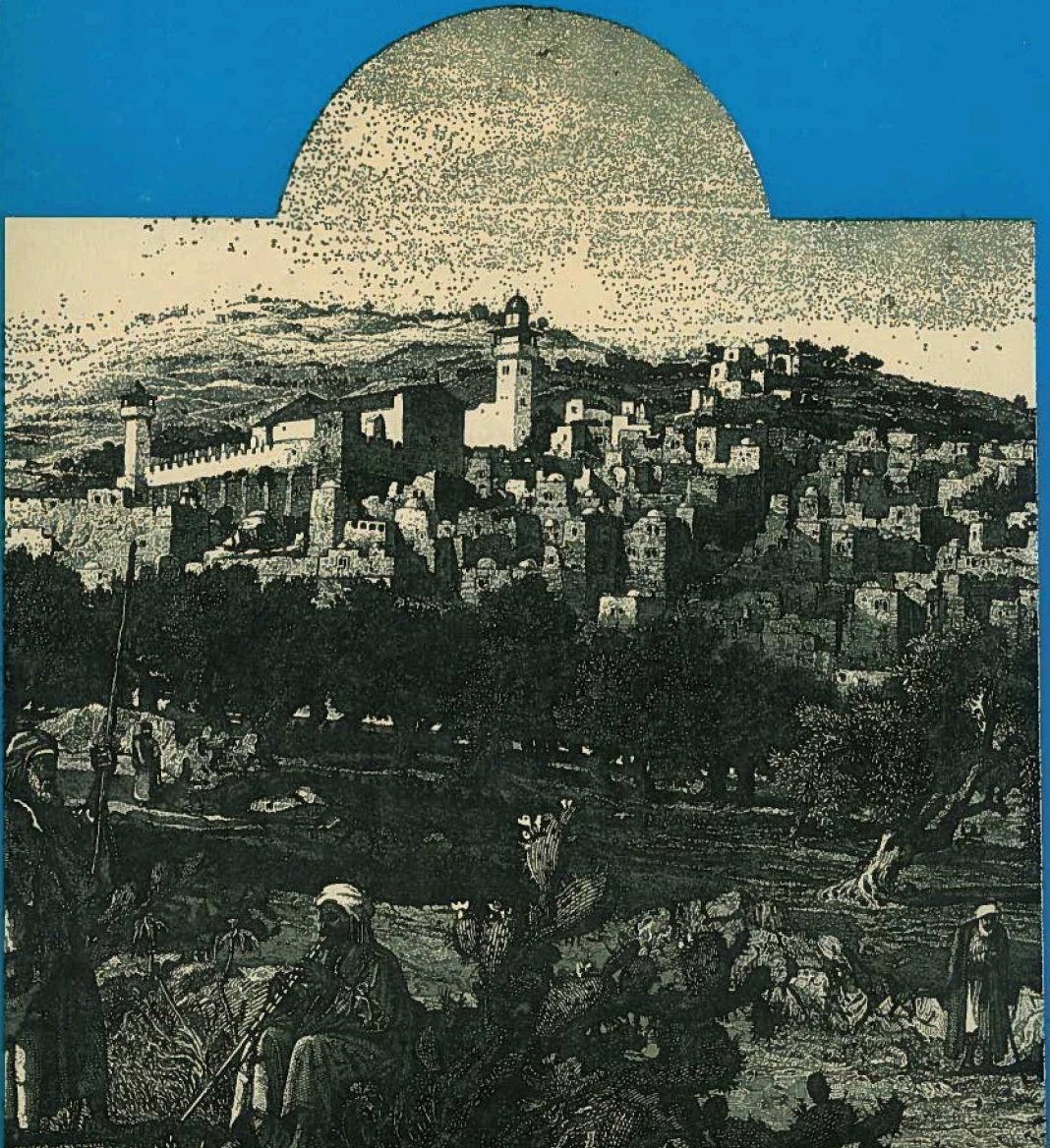


# لشؤون فلسطينية

تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٢

١٥



# لشؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٢

رقم ١٥

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة  
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية :

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد مدير التوزيع : غازي خورشيد

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ، د.

سعيد حمّود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش

د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم

ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب

عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي

( جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء  
منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين )

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني

( متفرع من السادات ) ، رأس بيروت ، بيروت - لبنان

ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٣٢٦٥٨٥

برقيا مرابحات ، بيروت

نمن المسدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسيا وافريقية  
واوربية ، ٦ ل.ل. في الامريكين واوسترالية

الاشتراف السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا امريكيا)

في آسيا وافريقية واوربية، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا امريكيا) في الامريكين

واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا امريكيا) في سائر

الدول الاجنبية

يمطى حجم ٥٠٪ ( عدا البريد ) على الاشتراكات للمغتربين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال المنظمات  
او النقابات او الاتحادات

صورة الغلاف : الخليل ، القرن التاسع عشر



## المحتويات

- صفحة ٤  
شؤون فلسطينية ، الدكتور انيس صايغ [ مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية ] .
- ٥  
ملاحظات على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، الدكتور فايز صايغ [ الفكر الفلسطيني ومؤسس مركز الابحاث ] .
- ١٩  
تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية ، عصام سخيني [ رئيس تحرير اليوميات الفلسطينية ] .
- ٣٧  
الهوة الاجتماعية في اسرائيل ، عبد الحفيظ محارب [ باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. ا. ] .
- ٥٨  
حوار مع مدينة ، محمود درويش [ الشاعر الفلسطيني ، مستشار م. ا. ] .
- ٦٧  
عقدة ثيودور هرتزل بين العم توم ودون كيشوت ، ا. ن. سعد [ باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. ا. ] .
- ٧٩  
سلاح الطيران الاسرائيلي ، هشام عبدالله [ باحث في الشؤون العسكرية ] .
- ٩٧  
سياسة استثمار رؤوس الاموال في القطاع الصناعي في اسرائيل ، انطوان منصور [ باحث اقتصادي فلسطيني في الجزائر ] .
- ١١٣  
سياسة النظام والازمة الاقتصادية الراهنة في الاردن ، حسن الجمعة [ باحث في الشؤون الاقتصادية ] .
- ١٢٧  
لانسكي ولييسكي واستغلال قانون العودة ، د. اسعد رزوق [ باحث في الشؤون الاسرائيلية - مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ] .
- ١٥٨  
القرارات الامريكية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين ، مايكل جانسن [ الكاتبة الامريكية المختصة في الشؤون العربية ] .
- ١٣٧  
عصبة مكافحة الصهيونية في العراق ، عبدالقادر ياسين [ كاتب فلسطيني ومحرر في مجلة الطليعة القاهرية ] .

١٦٧ الطبقة العاملة الفلسطينية واليهودية وتنظيماتها (١٩١٨ - ١٩٣٩) ، عمار الطالبي [ كاتب مغربي ] .

١٧٨ الادب العبري المعاصر وتكريس التوسع الصهيوني ، رشاد الشامي [ معيد بقسم الدراسات العبرية بجامعة عين شمس ] .

١٩١ مراجعات : تباينات في السياسة والاجتماع ، د. صادق جلال العظم [ مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. ا. ] ، اسرائيل : تاريخ شخص ، جودفري ه. جانسن [ الكاتب الهندي المختص بشؤون الشرق الاوسط ] . شاهد من هذا العصر : يوميات شهيد قتل في مجزرة الاردن - ايلول ١٩٧٠ ، هاني حوراني [ كاتب اردني ] . حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ ، مصطفى كركوتي [ كاتب سوري ] . السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية ، قاسم حول [ كاتب سينمائي ] .

٢٠٦ رسالتان : ( ١ ) راي آخر في المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، عبد الرحمن غنيم [ الكاتب الفلسطيني ] . ( ٢ ) وداعا يا فلسطين ، ايرين بيسون [ الصحفية البريطانية ] .

٢١٦ شهريات : ( ١ ) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن [ رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. ا. ] . ملحق : تقرير عن معركة القطاع الاوسط ، منير شفيق [ الكاتب الفلسطيني ] . ( ٢ ) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [ الكاتب الفلسطيني ] . ( ٣ ) القضية الفلسطينية دوليا ، داود تلحمي [ رئيس مشروع الدراسات الثورية في م. ا. ] . ( ٤ ) المناطق المحتلة ، ع. م. ( ٥ ) الاقتصاد الاسرائيلي في النصف الاول من العام ١٩٧٢ ، الدكتور يوسف شبل [ استاذ الاقتصاد في الجامعة الامريكية في بيروت ] . جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني واخبر بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٣/٩ - ٢/١٠/١٩٧٢ ، غازي خورشيد [ مدير التوزيع في م. ا. ] . تقرير خاص حول انتخابات مجلس الاتحاد الوطني الاردني ، ا. م.

٢٤٤ اسرائيليات : محمود درويش .

٢٥١ وائل زعيتر : قديس آخر يموت في روما ، داود تلحمي .

٢٥٢ وائل زعيتر : مناضلا وانسانا ، منير شفيق .



## شؤون فلسطينية

الدكتور ايس صايغ

كان عمله من أجل فلسطين متعدد الجوانب ومتشعب المجالات ، وسأترك لزميلين لي ، من رفاته ، الكلام عنه ، فلسطينيا مناضلا بشجاعة وايمان وهدوء ومكر . ويكفي أن أذكر ، في أسطر ، تجارب مركز الأبحاث وشؤون فلسطينية مع هذا المناضل في فترة قصيرة نسبيا لا تتعدى السنتين الاخيرتين . فقد أمّن بالمركز ورسالته في خدمة قضية فلسطين ، وبشؤون فلسطينية كمنبر للفكر الحر من أجل فلسطين . وعمل للمركز وللمجلة مراسلا ومدوبا في ايطاليا وبخلاص وبدون أي أجر : آمن بأهمية الدراسات العلمية التي تصدر عن المركز فترجم عددا منها الى الإيطالية ونشرها في كتاب قيم جيد المادة وأنيق المظهر مما ضمن له سعة الانتشار . وآمن بأهمية الوثائق فأعد مشروعا لتزويد مكتبة المركز بجموعة من الاوراق الأساسية في القضية ، على أن تصور هذه المجموعة الوثائقية ويحفظ بنسخة عنها في مكتبته بروما لتكون في خدمة الباحثين هناك أيضا : وآمن بلقاء الثورة الفلسطينية مع حركات التحرر ومع أصحاب الفكر التقدمي في العالم . فبدأ باعداد مقابلة واسعة لشؤون فلسطينية مع الكاتب الإيطالي البرتو مورافيا ، صديقه . وزود المركز بعدة تقارير عن النشاطات السياسية في ايطاليا ، المتعلقة بقضية فلسطين ، الصديقة والمعادية ( آخرها معلومات واسعة عن مؤتمر بولونيا العتيد ) . وكان على صلة مباشرة مع قسم الاعلام الإسرائيلي في المركز . ولا شك أن بين أوراقه رسالة من المركز أرسلت منذ أيام فقط تطلب رأيه ببعض المنظمات اليسارية في أوروبا الغربية . لكنه لم يقرأ الرسالة لأنه سقط قبل أن تصله . فقد استغنا إليه رصاصات الغدر الصهيوني .

وائل زعيتر : مناضلا عاش ومناضلا مات . طاقة أخرى من الايمان والجهاد تحولها الازهاق الإسرائيلي الى شعلة تنير للثورة الفلسطينية دروبها . ومثل أجهزة الثورة الفلسطينية الأخرى التي تطلب جراحها وهي تفقد الشهداء ، تستنير شؤون فلسطينية بهذه الشعلة وتهتدي بسيرة صاحبها وأمثولته الحية أبدا وافرقة العيز . حين قيل أن يصدر العدد الأول من مجلتنا بأسابيع سقط في عمان أول شهيد من أسرة تحريرها ، عيسى ابو القنول مراسلها في المانية الغربية . وفي هذا الصيف سقط أحد كبار كتابها ، غسان كفتاني . وبعد أيام أصيب زميل آخر ، بسام أبو شريف ، رفيقنا الجريح الشجاع الثابت في نضاله وتحديه الآلام . ودخل البريد المنجور مركز الأبحاث وخرب فيه الكثير وأصاب مديره رئيس تحرير شؤون فلسطينية بعاهات وجروح . وها هو وائل زعيتر ينضم الى القافلة ويضحي بحياته حافلة بالعطاء السياسي والفكري والثقافي والإنساني .

من بعد ؟ أم محرر ، أم كاتب ، أم مستشار ، أم مراسل ، أم اداري ، أم طابع ، أم من من هذه المجموعة من المناضلين لفلسطين من خلال الكتابة لها ؟ يد الغدر طويلة . قد تصيب واحدا من هؤلاء وقد تصيب بعضا منهم وقد تصيبهم كلهم ، اليوم أو غدا أو بعد غد . ولكن هذه اليد ، مهما بلغت سطوتها ، أقصر من أن تتال من ايمان واحد من هؤلاء أو من غيرهم من أبناء الثورة . بل هي أعجز من أن تتال من الثورة بمجرد سقوط شهيد أو شهداء . وذلك لأن الثورة مصممة على أن تستنير بشعل شهدائها ، مظلما كانت تستفيد منهم وهم أحياء . وعلى هذا الأساس فان وائل زعيتر ، الغائب عنا جسديا ، معنا في المعركة ، وسيبقى معنا ، حتى يوم النصر .

## ملاحظات على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ \*

الدكتور فايز صايغ

١ - نوفمبر - شهر التجني :

تقترن ، في خاطر الغربي ، ذكرى شهر نوفمبر (تشرين الثاني) بعمليات التجني الدولي على حقوق الشعب الفلسطيني والعدوان على وجوده وكرامته . ففي ذلك الشهر ، وعلى مدى خمسين عاما ، صدر اخطر ما اتصل بالقضية الفلسطينية من تعهدات وقرارات دولية .

في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ولدت القضية الفلسطينية رسميا بصدور وعد بلفور عن الحكومة البريطانية - وعدا قطعه بريطانيا على نفسها وتعهدت فيه بان تفعل ما بوسعها من اجل انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين .

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، اقرت الجمعية العامة التابعة للامم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين واصدرت توصية بتنفيذه .

وبعد انقضاء نصف قرن على ميلاد القضية ، اي في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، اصدر مجلس الامن التابع للامم المتحدة القرار رقم ٢٤٢ ، والذي رعى الى تصفية القضية تصفية كاملة ونهائية ، في مجال ازالة اثار احدث عدوان اسرائيلي .

في اعتقادي ، ان ثلثة هذه الاعتداءات الدولية على فلسطين وشعبها كانت اخطرها واولقها . اي ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فاق - في تطاوله على الحقوق القومية والانسانية للشعب الفلسطيني - كلا من توصية الجمعية العامة بتقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية على الجزء الاكبر من ترابها ، وكذلك الوعد البريطاني بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، ذلك الوعد الذي ما لبث ان تسرب الى ضك الانتداب الصادر عن عصبة الامم واصبح جزءا منه . اقول ذلك استنادا الى واقع ان قرار مجلس الامن - وحده ، وخلافا للوثيقتين الاوليين - قضى بما يلي :

اولا : ان قرار مجلس الامن القى على الدول العربية « واجب » القبول باسرائيل كدولة قائمة ذات سيادة كاملة وذات حقوق في الوجود والسلامة الارضية والاستقلال السياسي والامن تساوي حقوق الدول العربية نفسها ، كما انه ربط اداء الدول العربية لهذا الواجب المزعوم بوفائها بالتزاماتها الدولية المنبثقة عن عضويتها في الاسرة الدولية وابرامها ميثاق الامم المتحدة ، وبحقتها في المطالبة بانسحاب اسرائيل من اراضيها . ففي حين كان وعد بلفور تمهدا من جانب واحد ، قطعه على نفسها دولة اجنبية ، بانشاء جسم غريب في فلسطين ، وفي حين كان قرار الجمعية العامة توصية ، موجهة الى

\* ان جميع الآراء والاجكام التي يحتوي عليها هذا المقال لا تعبر سوى عن رأي كاتبه ، وليست معبرة عن رأي او موقف أية هيئة او منظمة او مرجع آخر على الاطلاق .



الفرقاء المعنيين بالامر ، باقتسام فلسطين فيما بينهم واقامة دولة يهودية الى جانب دولة عربية توأم لها ومدينة دولية بينهما — فان قرار مجلس الامن طالب الدول العربية نفسها بان نقر « بشرعية » الدولة الدخيلة وبأن تتعامل واياها على اساس ذلك الاقرار . فكأنني به والحالة هذه يطالب الدول العربية بأن تجعل نفسها شريكا للحركة الصهيونية وللأسرة الدولية في جريمة السطو والاستيلاء والاعتصاب والتشريد — تلك الجريمة التي نجسها اسرائيل بالنسبة الى الارض الفلسطينية والشعب الفلسطيني .

**ثانيا :** ان قرار مجلس الامن قضى بقبول العرب قبولاً نهائياً باسرائيل كما هي ( اي كما كانت عليه عشية شنها الحرب العدوانية الثالثة عام ١٩٤٧ ) ، وبالتالي التنازل عن اي مطلب عربي سابق ، بما في ذلك جميع المطالب التي ايدتها الامم المتحدة نفسها، ومجلس الامن نفسه ، في عشرات القرارات ، من مطالب تتعلق بحقوق الفلسطينيين في العودة الى وطنهم وديارهم ، وحقوقهم في التعويض عن ممتلكاتهم المسلوقة او المدمرة ، وبما في ذلك ايضا جميع المطالب المتعلقة باحترام اسرائيل لحقوق العرب المقيمين في الاراضي التي اغتصبتها . اي ان قرار مجلس الامن لم يتجاهل فقط الحقوق القومية والانسانية الثابتة التي يتمتع بها الشعب الفلسطيني بالطبيعة ، بل انه تجاهل ايضا الشروط التي نص عليها كل من وعد بلفور ومشروع التقسيم والتي كانت تقيد اسرائيل وتلزمها أمام الأسرة الدولية بالتزامات قانونية معينة ، وتجاهل كذلك قرارات الامم المتحدة المتعاقبة التي اكدت وجوب تقيد اسرائيل بتلك الشروط وطالبتها بالعودة عن انتهاكها لها في الماضي والتوقف عن انتهاكها في المستقبل . فاسرائيل التي طولبت الدول العربية — في قرار مجلس الامن — بالاعتراف بها ككيان كامل الشرعية إنما هي دولة طليقة من كل قيد ، مغفورة لها جميع ذنوبها السابقة ، حتى تلك الذنوب التي ما تزال آثارها قائمة ونتائجها مستمرة . ان قرار مجلس الامن شبيه بعفو عام تصدره السلطات في بلد ما لصالح مغتصب ، دون ان تطالبه بارجاع ما اغتصبه الى اصحابه — ثم تطالب ذوي الضحية بالمشاركة في التوقيع عليه !

**ثالثا :** ولعل اخطر ما في قرار مجلس الامن ليس ما نص عليه بل ما أهمله وصمت عنه . لقد صمت القرار عن الشعب الفلسطيني ومصيره وحقوقه ، بل انه تجاهل وجوده ( كما سنرى بعد قليل ) ، في حين ان كلا من وعد بلفور ومشروع التقسيم اعترف للشعب الفلسطيني ببعض حقوقه حتى عندما تجنى على البعض الآخر .

لهذه الاسباب كلها ، ولسواها مما يتصل بها او ينبثق عنها ، قلنا ان قرار مجلس الامن كان اوقع من وعد بلفور واشد اذى من مشروع التقسيم . الا انه من المذهل حقا ان الأمة العربية ، التي استقبلت كلا من وعد بلفور ومشروع التقسيم بالسخط والمقاومة الغورية والاحماعيين ، وقفت امام قرار مجلس الامن ، وهو الاشد خطرا وخطورة ، موقف التردد الحائر ، ثم اعلنت غالبية الحكومات العربية قبولها به ، ان لم نقل تلغفها على تنفيذه وسعيها وراء ذلك كأنه البلمس لجراحها . فاصبح قبول الحكومات العربية بالقرار اخطر ما في القرار ! ؟

## ٢ — مقارنة الجرائم الثلاث :

**اولا :** ان الخلفية التاريخية لكل من جرائم نوفمبر الثلاث تفسر الى حد بعيد اسباب تفوق قرار مجلس الامن على سلفيه في مدى تطاوله على حقوق الشعب الفلسطيني . وعد بلفور صدر قبل ان يجري اي امتحان فعلي لقوة اي من الفريقين وقدترته على فرض ارادته في فلسطين . لذلك فانه انطوى على غموض مقصود في ما وهبه للحركة الصهيونية ، كما انطوى ايضا على محاولة غائرة لاحداث شيء من التوازن بين تلك الهبة ( غير المحددة في طبيعتها وفي مداها الاقليمي ) وبين ما احتفظ به للشعب الفلسطيني

واشقرط احترامه .

ومشروع التقسيم حظي بموافقة الجمعية العامة كمخرج - او حل وسط - انعكست فيه حقيقة واضحة ، وهي ان كلا من الفريقين كان قد عجز ، خلال مجابهة دامت ثلاثين عاما ، عن التظلم على الفريق الاخر بصورة حاسمة والنهوض بتحقيق كامل اهدافه . فلا الشعب الفلسطيني ، ومن ورائه العالم العربي ، نجح في الحؤول دون دخول ثلاثين المستوطنين الصهيونيين الى فلسطين او في منع بريطانيا من حمايتهم ونقل ملكية بعض الاراضي الفلسطينية اليهم - ولا الصهيونيون ، ومن ورائهم اليهودية العالمية وبريطانيا ، افلحوا في القضاء على المقاومة الفلسطينية او في الاستيلاء على مساحات وافية من الاراضي التي كان يملكها الفلسطينيون ويستطيعون التحكم بمصرها . وكما انعكس عجز كل من الفريقين في « الحل الوسط » الذي جسده مشروع التقسيم ، فقد انعكس فيه ايضا واقع حياة كل من الفريقين على قوة خاصة به . فكان الشعب الفلسطيني قد اثبت صموده وعناده وقدرته على البذل واستعداده للفساد دفاعا عن وجوده وارضه وكرامته ، فيما كان الجانب الصهيوني قد اثبت بدوره قدرته على التنظيم ونفوذه الواسع خارج ميدان المعركة في الاوساط الدولية الفاعلة آنئذ .

اما قرار مجلس الامن فقد صدر في ظرف يختلف اختلافا جذريا عن الطرف السابق لصدور وعد بلفور او الظروف السابقة لصدور مشروع التقسيم . كان الامتحان قد تم . وانتهى الامتحان بانهيار عربي بدا آنذاك وكأنه انهيار كاسح ليس بعده صمود ، او قدرة على الصمود ، او ارادة للصمود . فجاء قرار مجلس الامن يسجل واقع ميزان القوى بين الفريقين . ولا ننسى انه صدر قبل ان تستوعب الاسرة الدولية - بل قبل ان يستوعب العالم العربي نفسه - المعنى الكامل لظهور المقاومة الفلسطينية وامكاناتها البعيدة ، وبزوغ ارادة الفلسطينيين بعد كسوف طويل ، وانبعاث الامل الجماهيري العربي .

اذا ذكرنا ان قرار مجلس الامن كان يسجل واقع الميزان الانبي الراهن لقوى الفريقين في المنطقة - وليس امكانات المستقبل القريب او البعيد ، ولا ميزان الحقوق في ما يملكه كل منهما او درجة الشرعية في ما يدعيه لنفسه - سهل علينا ان نفكر انحياز القرار وما انطوى عليه من تجن . ولكن ذلك كله لا يكفي لتقديم تفسير كامل للتجني والانحياز . بل يجب ان نأخذ بعين الاعتبار الابعاد الدولية لميزان القوى . ومهما كان شأن القوة العسكرية التي كان يتمتع بها كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة عام ١٩٤٧ ، مما كان لا بد للاسرة الدولية من ان تحسب حسابه في أعقاب حرب حزيران وفي مجال معالجة آثار تلك الحرب ، فلا مشاحة في ان درجة التزام كل من العملاقين الدوليين بقضية هذا الفريق او ذاك كانت في حد ذاتها عنصرا اساسيا من عناصر المعادلة العادلة للقوى الدولية ذات الصلة بما اصطلح على تسميته منذ ذلك الحين « ازمة الشرق الاوسط » .

ان للقوة بمعناها الدولي الفعلي حدين . الحد الاول موضوعي ، مقياسه قدرتها عند المجابهة مع قوة اخرى معادية على التغلب عليها ، او ابقائها عند حدود ، او التأثير فيها . واما الحد الثاني فارادي ذاتي ، مقياسه مدى الرغبة في استعمالها والمطلب الذي في سبيلها يصر الى استعمالها ، كليا او جزئيا . ولا تكون نظرتنا الى معادلة القوى صائبة صادقة اذا هي اخذت واحدا من هذين العاملين دون الاخر بعين الاعتبار .

امريكا كانت ، وما تزال ، ملتزمة التزاما كاملا بوجود اسرائيل وبقائها ، في حين ان الاتحاد السوفياتي لم يكن ملتزما آنذاك ، وليس هو بملتزم اليوم ، بالمطلب العربي بتحرير فلسطين وبما يستتبعه ذلك من ازالة الكيان الاسرائيلي ، وانما كان التزامه ،



ولا يزال ، محصورا في تحرير الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، اي في ابطال التوسع الاسرائيلي الذي تم نتيجة لتسك الحرب . واما الدول الاخرى الاعضاء في مجلس الامن عام ١٩٦٧ ، ولا سيما الدول ذات المقاعد الثابتة آنذاك ( اي بريطانيا وفرنسا وحكومة فورموزا ) فقد كان موقف كل منها في موقع ما بين الموقف السوفياتي والموقف الامريكى . لذلك فان قرار مجلس الامن ، اذ انعكس فيه من الجهة الواحدة الميزان الانى الراهن لقوى الفريقين ، والذي رجحت فيه كفة اسرائيل بشكل حاسم ، انعكس فيه ايضا ، وفي الوقت نفسه ، ميزان اخر ، هو « ميزان الارادة والقوة » بين الدولتين الكبيرتين ، فجاء « حلا توفيقيا » لازمة المجابهة بينهما ، وحدد الارض المشتركة بين موقفيهما من النزاع . اي ان قرار مجلس الامن كان في وقت واحد بمثابة حل « لا غالب ولا مغلوب » بالنسبة للاتحاد السوفياتي وامريكا ، وحل « غالب ومغلوب » بالنسبة لاسرائيل والعرب !

فاذا نظرنا الى قرار مجلس الامن من منظار النزاع العربي الاسرائيلي رأيناه فوزا كبيرا لاسرائيل — التي تحصل بموجبها على تصفية كاملة للقضية الفلسطينية ، واعتراف كامل من الدول العربية ، وانتهاء لحالة الحرب والتطويق والمقاطعة ، وانتهاء للرفض العربي ، وانعتاق من اي واجب مترتب عليها بنتيجة ما اغتصبت قبل ١٩٦٧ ، كل ذلك لقاء انسحابها من الاراضي التي احتلتها نتيجة لحرب حزيران ، وهي الاراضي التي لم تكن دولة واحدة في العالم آنذاك تعترف لاسرائيل بحق الاحتفاظ بها .

اما اذا نظرنا الى القرار من منظار المجابهة الامريكى السوفياتية ، فاننا نرى فيه توفيقا بين مطالب الفريقين . فالمطلب الامريكى الاساسي كان وما زال تأمين سلامة اسرائيل واستمرار بقائها ، الامر الذي لا يمكن تأمينه بصورة نهائية وقاطعة الا بالحصول على رضى العرب عن وجود اسرائيل وقبولهم بها كدولة شرعية الوجود ، وبقيام حالة من السلام والعلاقات الطبيعية بينها وبين الدول العربية نتيج لاسرائيل — بفضل الدعم الامريكى والديناميكية الصهيونية — بسط سطوتها الاقتصادية والسياسية وخدمة المآرب والمصالح الامريكى في المنطقة العربية . واما المطلب السوفياتي الاساسي عام ١٩٦٧ فقد كان درجة قوات اسرائيل الى الوراء حتى تصل الى الخطوط التي كانت تراط عليها عشية الحرب . وهذان المطلبان يلتقيان معا على ارض مشتركة في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

**ثانيا :** لننتقل الآن الى مقارنة الوثائق الثلاث من زاوية اخرى . فمن حيث درجة الزام كل منها للدول العربية في نظر القانون والعرف الدوليين ، تتباين الوثائق الثلاث تباينا شاسعا .

فوعد بلفور كان في الاصل وعدا من طرف واحد ، صادرا عن دولة اجنبية وموجها الى الحركة الصهيونية . ولم يكن للعرب عموما ، او للشعب الفلسطيني بصورة خاصة ، اي دور في مرحلة المشاورات والمفاوضات السرية التي سبقت الاعلان عنه . وقد اعلن العرب والفلسطينيون رفضهم له فور ان بلغهم نبأ صدوره . لذلك فانه لم يكن له ، في نظر القانون الدولي ، اية صفة الزامية بالنسبة للجانب العربي . ثم ان تبني هذا الوعد من قبل بضع دول اخرى ، من الدول الكبرى في عالم ما بعد الحرب العالمية الاولى ، لم يصف عليه اية شرعية دولية ، اذ ظل تعهدا فرديا ولئن كان صادرا عن دول متفرقة . ورغم انه تسرب فيما بعد الى صك الانتداب الصادر عن عصبة الامم ، فانه لم يظفر من جراء ذلك بشرعية تجعله ملزما للعرب والفلسطينيين ، اولا لانهم لم يكونوا ممثلين في عصبة الامم ، وثانيا لان صك الانتداب نفسه كان يكتسب شرعيته من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم ، وهي المادة التي اعترفت ميدنيا باستقلال الشعوب المتحررة حديثا من

الحكم العثماني ( وبينها الشعب الفلسطيني ) ، ولأن أي تعارض بين تلك الاتفاقيات وهو الفرع ، والمادة ٢٢ من الميثاق ، وهي الاصل ، ينسخ الاول وينطبقه في نظر القانون وكما ان وعد بلفور كان عاريا عن الالزام التابع من الشرعية ، فذلك كانت توصية الجمعية العامة بتنفيذ مشروع التقسيم : فالتوصية بطبيعة الحال لا تحمل معنى الالزام . ثم ان مناشدة الجمعية العامة لمجلس الامن بأن يتولى تنفيذ مشروع التقسيم بموجب السلطة التي يخولها اياها ميثاق الامم المتحدة لاصدار قرارات نافذة ملزمة لجميع الاعضاء لم تلق اذنا صاغية من مجلس الامن نفسه . واخيرا لا آخرا ، فان الجمعية العامة نفسها عادت فتراجعت ، في قرارها الصادر في ١٤ مايو ( ايار ) ١٩٤٨ ، عن قرارها بالتوصية بمشروع التقسيم ، الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

اما القرار الذي نحن في صده - قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ - فان له صفة اخرى . وقد يذهب البعض الى القول بان جميع قرارات مجلس الامن ملزمة لجميع الدول الاعضاء ، خلافا لقرارات الجمعية العامة التي هي محض توصيات . وقد يكون في هذا القول بعض الصحة ، نظرا للاختلاف بين السلطات التي يخولها الميثاق للجمعية العامة في المواد ١٠ - ١٧ والصلاحيات التي يمنحها لمجلس الامن في المادتين ٢٤ و ٢٥ . الا ان المراجعة الدقيقة لهاتين المادتين ، في ضوء احكام الفصلين السادس والسابع من الميثاق ، لتدل على ان الالزام محصور بالقرارات الصادرة عن مجلس الامن بموجب الفصل السابع ، في حين ان القرار رقم ٢٤٢ لا يشير الى الفصل السابع في ديباجته او في نصه ، فضلا عن انه اقرب في مضمونه الى اطار الفصل السادس منه الى اطار الفصل السابع . ولكن ، اذا كان باب الاجتهاد في تعيين درجة الالزام ، التي يتمتع بها القرار رقم ٢٤٢ ، ما زال مفتوحا ، واذا كان الجزم بأنه حقا قرار ملزم ليس قاطعا ، فانه لا بد من ذكر حقيقتين اخريين متصلتين بهذه المسألة :

**الحقيقة الاولى :** ان الدول العربية التي وقعت اراضيها تحت الاحتلال الاسرائيلي في حرب حزيران ١٩٦٧ ، والتي أعلنت قبولها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ثم اشتركت بمبادرات سياسية غرضها تنفيذ ذلك القرار ، لا تستطيع - عمليا او نظريا - ان تتحلل من التزامها الارادي بتنفيذ ما تص عليه ذلك القرار من « انتهاء لحالة الحرب » و « اقرار بما دعاه « حق » اسرائيل في « السيادة والاستقلال السياسي والسلامة الارضية » ، وفي العيش في مأمن من اللجوء الى القوة او التهديد بذلك » ، لا سيما حين تسعى هي جادة الى الحصول على تأييد الاسرة الدولية لحمل اسرائيل على تنفيذ ما يختص بها في القرار ، اي الانسحاب من الاراضي المحتلة .

**والحقيقة الثانية :** هي ان الدول العربية الاخرى التي أعلنت قبولها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، حتى وان لم تكن اراضيها محتلة ، قد ألزمت نفسها مبدئيا بالموافقة على ما نص عليه القرار بشأن الاعتراف باسرائيل ، مما اوردناه في الفقرة السابقة ، وليس فقط بالموافقة على الدعوة الواردة في القرار الى الانسحاب الاسرائيلي . ذلك ان القرار ربط بين المبدئين - مبدأ الانسحاب ومبدأ الاعتراف - ربطا عضويا محكما ، بحيث لا يمكن التنصل من الالتزام بالموافقة على أحد المبدئين بحجة ان الموافقة كانت محصورة في المبدأ الآخر .

ولعله من اللازم ان نقول في هذا الصدد ان الدول العربية التي لم تقع اراضيها تحت الاحتلال الاسرائيلي قد استدرجت الى الموافقة على قرار مجلس الامن رغم انها لم تكن من اعضاء ذلك المجلس عندما اقترح على القرار وكان في وسعها ان تتجنب اعلان الموافقة عليه لو شاءت . ولعل استدراج غالبية الدول العربية الى الاقتراع في الجمعية العامة على قراراتين يؤكدان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كان من اكبر الاخطاء



الاستراتيجية التي ارتكبتها الدبلوماسية العربية منذ قيام الأمم المتحدة ! ولقد جرى ذلك في دورتين متعاقبتين من دورات الجمعية العامة هما الدورة الخامسة والعشرون ( ١٩٧٠ ) والسادسة والعشرون ( ١٩٧١ ) ، حين سعت الدبلوماسية المصرية لتحريك ضغط دولي على إسرائيل للانسحاب ، وذلك عن طريق استصدار قرار من الجمعية العامة يؤكد قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . ولقد أدت أولى هاتين المحاولتين ، في الدورة الخامسة والعشرين ، الى تصدع في جبهة الوفود العربية لدى الأمم المتحدة ، فاقترعت سبعة وفود لصالح قرار الجمعية العامة الذي يؤكد قرار مجلس الأمن ، واصبحت حكوماتها بالتالي ملزمة ، ادبيا وقانونيا ، باحكامه ، فيها رفضت سبعة وفود أخرى الاشتراك في الاقتراع اطلاقا ، معلنة بلسان مندوب واحد تحدث نيابة عنها جميعا بان رفضها الاقتراع يرجع الى ان حكوماتها ترفض قرار مجلس الأمن . اما في الدورة السادسة والعشرين ( وكان عدد الدول العربية الاعضاء قد ارتفع الى ثماني عشرة دولة ) فقد تكررت المحاولة ولكن بنتائج مختلفة . فقد اعلن وفد عربي واحد فقط رفضه الاشتراك في الاقتراع ، وامتنعت وفود خمس دول ، بينما اقترعت وفود اثنتي عشرة دولة عربية لصالح القرار . واذا حسبنا الدول العربية التي اقترعت ، اما في الدورة الخامسة والعشرين او في الدورة السادسة والعشرين او في كليهما معا ، لصالح قرار من الجمعية العامة يزكي ويؤكد قرار مجلس الأمن ، وجدنا مجموعها اربع عشرة دولة . أي ان اكثر من ثلاثة ارباع الدول العربية قد سجلت رسميا موافقتها على قرار مجلس الأمن ، رغم انه كان بالامكان تجنب الوقوع في هذا الاشكال لو ان تأكيد قرار مجلس الأمن لم يطرح على اعضاء الجمعية العامة في قرار رسمي للتصويت عليه .

وتقضي الامانة بان نسجل بان مندوبي ثلاث دول عربية قررت حكوماتها الاقتراع لصالح احد قراري الجمعية العامة المشار اليهما ، او لصالحهما معا ، قد اعلنوا في بياناتهم التفسيرية ، اما قبل الاقتراع او بعده ، انهم يوافقون على قرار الجمعية العامة ككل دون ان يوافقوا على قرار مجلس الأمن او يؤيدوا تلك الفقرات في قرار الجمعية العامة التي تؤكد قرار مجلس الأمن . ولكن الاثر القانوني لهذه التحفظات والتفسيرات ليس معروفا : اذ انه ليس في قمة الأمم المتحدة ما يحدد بصورة قاطعة ما اذا كان التحفظ او التوصل الذي يرد في البيان التفسيري ، بالنسبة لفقرة معينة من قرار ما ، كافيا لابطال الالتزام الذي ينطوي عليه الاقتراع لصالح ذلك القرار ككل .

**ثالثا :** بمقارنة قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بوعد بلفور ومشروع التقسيم ، من زاوية ثالثة ، يتضح مجددا ما اتضح لنا من المقارنة من الزاويتين الاوليتين : ان قرار مجلس الأمن قطع في تجنيه على الشعب الفلسطيني اشواطا ابعد مما قطعته اية من الوثيقتين السابقتين .

صحيح ان التجني كان حاصلا في كل من الوثائق الدولية الثلاث ، الا انه في الاولين كان مشروطا وملطفا بضمائم معينة غرضها تقييد الكيان الصهيوني العتيق في سلوكه تجاه الشعب الفلسطيني ، من جهة ، وصيانة بعض حقوق ذلك الشعب ، من الجهة الأخرى . لكن التجني في قرار مجلس الأمن كان مطلقا وغير مشروط .

فوعد بلفور ، الذي تطلع الى اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، اشترط ان لا يكون في ذلك مساس او اجحاف ببعض الحقوق - ولا سيما الدينية والدينية - التي يملكها ابناء فلسطين من غير اليهود . ولو طبق هذا الشرط تطبيقا صادقا ، لانتهى الغرض الأصلي من الوعد ! ثم ان صك الانتداب لم يكف بتكرير التحفظ الوارد في صلب وعد بلفور ، بل انه اضاف شرطا آخر ، هو الاشتراط بان لا يسيء انشاء الوطن القومي اليهودي الى « وضع » ابناء فلسطين من غير اليهود ، وهو ايضا شرط ينفي اقامة

الوطن القومي اليهودي اطلاقاً .

وذهب مشروع التقسيم الى ابعاد من ذلك ، فقد نص على وجوب اعلان « الدولة اليهودية » فور قيامها احترامها للحقوق المدنية والثقافية والدينية والسياسية للعرب المقيمين فيها ، على ان يكون اصدار هذا الاعلان شرطاً لقبول الامم المتحدة بها ، وعلى ان يكون الاعلان جزءاً من قانون الدولة الاساسي ، او دستورها ، وعلى ان لا يصر الى تعديله الا بموافقة الجمعية العامة . واستناداً الى هذه الضمانات ، كان قرار الجمعية العامة بقبول اسرائيل في عضوية الامم المتحدة قبولاً مشروطاً ، وكانت القرارات المتعاقبة التي دعت الى عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم والتعويض عن ممتلكاتهم مريحة واضحة .

اما قرار مجلس الامن فلم يكن فيه اي قيد او شرط ، فيما عدا الدعوة الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ . فكان في هذا القرار تحرير لاسرائيل من كافة القيود والالتزامات في المستقبل ، وصفح عن كافة أعمال الاغتصاب التي ارتكبتها اسرائيل في الماضي والتي كانت نتائجها ما تزال قائمة . وطالب القرار الدول العربية بالاعتراف باسرائيل كدولة شرعية الوجود كاملة السيادة دون ان يشترط قيام اسرائيل بواجباتها والتزاماتها الماضية وتصحيح ما ارتكبته في الماضي من جرائم والامتناع عن الاستمرار في التمتع بشمارها .

وعد بلفور خالق القضية الفلسطينية بخلق كيان صهيوني محفوف بالقيود . ومشروع التقسيم سعى لان يكون تسوية ، او حلاً وسطاً ، للقضية التي خلقها وعد بلفور . اما قرار مجلس الامن فقد كان تحريراً لاسرائيل من القيود السابقة ، ونسخاً للضمانات والشروط التي اعطيت للشعب الفلسطيني ، فكان بالتالي تصفية نهائية للقضية الفلسطينية .

رابعاً : يتوَدنا هذا الى مقارنة الوثائق الثلاث من زاوية رابعة .

كان الشعب الفلسطيني ماثلاً في ذهن الذين صاغوا نص وعد بلفور ، ولئن كان ذلك بصورة جانبية . فعلى الرغم من اشارة الوعد الى « الطوائف غير اليهودية » بدلا من تعيين الهوية الفلسطينية للشعب المعني بصراحة ، وعلى الرغم من جسر الضمانات في اطار الحقوق الدينية والمدنية ، فان الشعب الفلسطيني لم يكن غائباً عن البال كليا . وكان الشعب الفلسطيني ماثلاً في الاذهان ايضا عند صدور توصية الجمعية العامة بتنفيذ مشروع التقسيم - فخصص المشروع له جزءاً من ارض فلسطين ليقم عليها دولة خاصة به ، وقيد الدولة اليهودية بقيود واضحة فيما يتعلق بمعاملتها للعرب الفلسطينيين المقيمين في الارض التي ستصبح دولة يهودية .

اما قرار مجلس الامن فلقد تجاهل الشعب الفلسطيني تجاهلاً تاماً . فالقضية التي عالجها دعيت « الحالة في الشرق الاوسط » ، والنزاع الذي تعرض له كان نزاعاً بين اسرائيل - كدولة قائمة ، بل ظافرة - والدول العربية . حتى الاراضي الفلسطينية التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧ ، بالاضافة الى سيناء والجولان ، ( اي الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، والحمه ) اعتبرها القرار ضمناً من اراضي الدول العربية المتاخمة لاسرائيل ، اي الاردن ومصر وسوريا ، وليس من الوطن الفلسطيني ، كما انه اعتبر اهالي تلك الاراضي الفلسطينية المحتلة جزءاً من شعوب تلك الدول العربية . ان كلمة فلسطين لم ترد في قرار مجلس الامن اطلاقاً ، لا كصفة لارض ولا كصفة للشعب ولا كصفة لافراد . وان ما حل بالشعب الفلسطيني وبوطنه قبل عام ١٩٦٧ اعتبر امراً واقعاً ، وطولبت الدول العربية بالاعتراف باسرائيل على الرغم منه كله .

رب قائل يقول : ان قرار مجلس الامن طالب باجراء « تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين »

وبالتالي فهو لم يغفل قضية فلسطين وأبنائها اغفالا كاملا ، الا ان هذا القول مردود لاسباب عديدة ، أهمها ما يلي :

( ١ ) ان التركيز في القرار ، سواء في ديباجته او في الفقرة التنفيذية الاولى منه ، قد انصب على موضوعي الانسحاب الاسرائيلي والاعتراف العربي الكامل بإسرائيل ، اللذين ربطهما القرار معا ودعاها مبدأي السلام في الشرق الاوسط . اما الإشارة الى اللاجئين فقد وردت في اطار « الاجراءات الاضافية » التي رأى مجلس الامن ان من الضروري اتخاذها كخطوات لاحقة من اجل تركيز السلام . والواقع ، ان قضية اللاجئين لم تتمتع بالاولوية في جدول « الاجراءات الاضافية » تلك ، بل سبقتها الى المقام الاول قضية حرية الملاحة في الممرات المائية في المنطقة !

( ٢ ) لم يتحدث قرار مجلس الامن — في الجملة الوحيدة التي اشار فيها الى « مشكلة اللاجئين » — عن « اللاجئين الفلسطينيين » ، بل عن « اللاجئين » بصورة عامة . ولقد اشار أكثر من مسؤول اسرائيلي ، في أكثر من مناسبة ، الى ان اسرائيل تنظر الى عبارة « مشكلة اللاجئين » كعبارة تضم اللاجئين الفلسطينيين و « اللاجئين اليهود » الذين جاؤوا الى اسرائيل من البلدان العربية ، وان « التسوية العادلة » المنشودة هي تسوية لمشكلة الفريقتين معا وليست تسوية لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين فقط .

( ٣ ) وعبارة « التسوية العادلة » لمشكلة اللاجئين وردت هكذا — مطاطة ودون تحديد . ففي حين ان كافة القرارات السابقة التي صدرت عن الجمعية العامة وعن مجلس الامن نفسه كانت تشير بوضوح تام الى عودة اللاجئين الذين يختارون العودة ، والى التعويض عن ممتلكات اللاجئين الذين لا يختارون العودة وعن الخسائر في ممتلكات اللاجئين العائدين — فان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تجنّب الإشارة الى العودة واكتفى بعبارة « التسوية العادلة » . ولا يحتاج المرء الى كثير من سوء الظن ليتكهن بأن التفسير الذي سيقدم في المستقبل لتلك العبارة — اذا ما قدر للقرار ان يسير في طريق التنفيذ — سوف يتجه نحو اجراء « التسوية العادلة » عن طريق التعويض المالي على الممتلكات وليس عن طريق العودة .

( ٤ ) وأخيرا ، فان تقليص قضية الشعب الفلسطيني الى مستوى قضية لاجئين هو في حد ذاته تنكّر لحقوق الشعب الفلسطيني ولوجوده كشعب . فاللاجئون — اي لاجئين — ليسوا شعبا بل مجموعة افراد ، وتسوية « مشكلتهم » — حتى اذا كانت « تسوية عادلة » ، بل حتى اذا كانت بالعودة — ليست حلا لقضية الشعب في حد ذاتها ولا هي علاج لقضية اغتصاب وطنه وزرع المستوطنين فيه واقامة دولة دخيلة لاولئك المستوطنين على ترابه .

### ٣ — المواقف العربية من قرار مجلس الامن :

في هذه المقارنة السريعة بين وثائق — او جرائم — نوفمبر الثلاث ، من عدة زوايا ، تبين لنا ان أحدثها كان أوثقها ، وأكثرها تجنبا ، وأشدّها خطرا . الا ان المقارنة لا تكون كاملة ان لم تتم من زاوية أخرى — هي زاوية رد الفعل العربي .

فلقد أثار وعد بلفور موجة من السخط العربي الاجماعي في كافة ارجاء العالم العربي . واستثار مشروع التقسيم اجماعا عربيا على رفضه ومقاومته . اما القرار الاخطر والأكثر وقاحة وتجنبا فلقد استقبله العالم العربي — بشعوبه وحكوماته — بانقسام في الصفوف واختلاف على التقويم ، حتى بلغ الامر ببعضهم حد التطلع الى تنفيذ ذلك القرار وكأنه المطلب العربي الاقصى !

فعلى الصعيد الشعبي ، توهم البعض — او اوهبوا — بانه قرار يقضي بانسحاب

إسرائيل فقط ، وبجاهل الكثر من - أو لعلمهم جهلوا - أنه يقضي أيضا سحقهم خذلان  
الرفض العربي لاسرائيل ، وبإقامة عهد جديد من القبول العربي بها والإقرار بشرعيتها  
المزعومة ، كما يقضي بتصفية القضية الفلسطينية تصفية نهائية . وبناء على هذا الوهم  
( أو الإيهام ) والجهل ( أو التجهيل ) انبرت أصوات تدعو الى تنفيذ قرار مجلس الامن  
وكانه بركة على القضية العربية .

عبثا نقول : ان المسؤول عن هذه الفوضى الفكرية في صفوف الامة العربية على الصعيد  
الشعبي - والمسؤول عن مغالحتها وتصحيحها - هي اجهزة الاعلام العربية الرسمية  
أو الموجهة أو الخاضعة . لان تعمد اجهزة الاعلام الرسمية في اكثر من بلد عربي حجب  
صورة قرار مجلس الامن الحقيقية عن الاعين والاذهان ، هو جزء من سياسة  
الاستسلام المتتلة في القبول بقرار مجلس الامن بل وفي التلطف على تنفيذه .

خلافا لوعد بلفور ولشروع التقسيم ، ان قرار مجلس الامن ، الذي لم يثر في الجماهير  
العربية ما يستحقه من رفض ومقاومة ، قد وجد على صعيد الحكومات العربية تمزقا  
وتفتتا ، ولقي لدى عدد منها استجابة ايجابية . **وخلافا للمعرف ، فان المسؤولين العرب  
الذين تمسكوا بالحق الفلسطيني وبالكرامة العربية ورفضوا القرار واستنكروه ، ما  
لبثوا ان وجدوا انفسهم في حرج تجاه الذين قبلوه ( بدلا من العكس ) ، فانجح بعض  
الرافضين نحو القبول مسايرة للقابليين بالقرار ، ولاذ البعض الآخر بالصمت كي لا  
يخرج الذين قبلوا به . وفي الوقت عينه ، كان في تمسك البعض الآخر بالرفض قسط من  
المزايدة كما كان في تمسك آخرين بالرفض رغبة في الاحراج . الى ان انتهى الامر بان  
أصبح الرفض الصادق الثابت موقف الاقلية الصغيرة في صفوف الحكام العرب .**

٤ - **أوهام وذرائع :**

يتضح مما مر بنا ذكره ان قرار مجلس الامن يقضي باجراء عملية مقايضة . هكذا ، بكل  
بساطة ، يتلخص جوهر القرار . انها عملية مقايضة تتخلى اسرائيل بموجبها عن المناطق  
التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ ، لقاء تخلي الدول العربية عن موقف الرفض الذي  
لازم الامة العربية منذ نشأة القضية طوال نصف قرن ، واستبداله بانشاء حالة سلام  
طبيعية في المنطقة تقوم على الاعتراف بشرعية الوجود الاسرائيلي دون تحفظ ، وتصفي  
في اطارها القضية الفلسطينية تصفية نهائية .

ان هذه المقايضة تتناقض ، من الجهة الواحدة ، مع فلسفة الامم المتحدة ونصوص  
ميثاقها ، كما تتناقض من الجهة الاخرى مع الحق والكرامة العربيين .

فبالنسبة لميثاق الامم المتحدة ، ان مثل هذه المقايضة معناها ، بايسط عبارة ، مكافأة  
المعتدي على عدوانه ، او رشوة المعتدي لحمله على التخلي عما حصل عليه بالعدوان .  
واقترار مبدأ المقايضة على هذا النحو في قرار رسمي صادر عن مجلس الامن انما هو  
سابقة خطيرة تهدد اركان صرح المنظمة الدولية ومبدأ سلطان القانون في العلاقات  
الدولية . وما كانت الامم المتحدة لتتخذ مثل هذا القرار - السابقة ، لولا ان الأسرة  
الدولية كانت قد وصلت الى طريق مسدود في محاولتها لمعالجة آثار العدوان الاسرائيلي  
اثناء الدورة الاستثنائية الخاصة التي عقدتها الجمعية العامة بعيد انتهاء الحرب ( والتي  
سقطت فيها جميع مشاريع القرارات المطروحة ، وبينها المشروع السوفياتي ومشروع  
دول عدم الانحياز والمشروع اللاتيني ، بينما سحبت امريكا مشروعها قبل الاقتراع  
عليه ) ، ولولا ان الاتحاد السوفياتي وامريكا وجدا في المشروع البريطاني ( المقدم يعد  
ذلك الى مجلس الامن ) ارضا مشتركة تلتقي عليها مصالحهما ومطالبهما في المنطقة -  
كما ذكرنا من قبل .

وكذلك ، فان التناقض واضح بين احكام القرار وبين الموقف العربي التقليدي الذي تبلور منذ نشوء القضية . واذا رحننا نلتبس اسباب الموافقة القوزية التي اعلنتها مصر والاردن فور صدور القرار ، والتي جازتها فيها عدة دول عربية بعد ذلك ، وجدنا ان هذه الموافقة سببها اخر الامر عاملان اثنان - هما : « الانانية القطرية » ، و « الواقعية اليائسة » . وكل سبب اخر قدمته اية حكومة او هيئة عربية لتفسير موافقتها على القرار انما كان ذريعة وتبويها .

(1) قرار مجلس الامن كان دغدغة مكشوفة للانانية القطرية . لقاء استرجاع مصر لسيناء ، او استرجاع سوريا للجولان ( وهو الوعد الذي يبدله القرار كالتعميم في السنارة ) يطلب القرار من مصر ومن سوريا الاعتراف لاسرائيل بحق الوجود كدولة سيده في ما كانت قد احتلته من فلسطين قبل عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بذلك « الحق » المزعوم دون شروط او قيود . وحين يعرض القرار على سوريا استرجاع ارض سورية لقاء تنازلها نهائيا لاسرائيل عن اراض فلسطينية ، او حين يعرض على مصر استرجاع ارض مصرية لقاء تنازلها نهائيا لاسرائيل عن اراض فلسطينية ، فهو يعرض على الاردن استرجاعها ارضا فلسطينية ( هي الضفة الغربية ) لقاء تنازلها نهائيا عن اراض فلسطينية اخرى .

والاستجابة لهذا العرض ، من قبل مصر والاردن ، فور صدور القرار ، انما كانت فوزا لمنطق الانانية القطرية على منطق الولاء القومي والاخاء القومي . ولا يمكن التهرب ، امام التاريخ ، من مسؤولية هذه الحقيقة .

ولا بد لنا من ان نقول ان سلطة التنازل عن اي ارض عربية لا يملكها اي شعب عربي ، او اي جيل من اجيال الامة العربية . بل ان الشعب الفلسطيني لا يملك سلطة التنازل عن ارض فلسطين - ناهيك عن اي شعب عربي اخر ، او اية حكومة عربية اخرى - لان ارض كل قطر في الوطن العربي هي ملك الامة العربية جمعاء على امتداد اجيالها مدى التاريخ . وبالتالي ، فان ادعاء اي قطر من الاقطار العربية بحق مقايضة مصر جزء من الارض العربية بمصر جزء اخر انما هو اعتداء على تراث الامة العربية جمعاء وعلى حقوق اجيالها المتعاقبة في كمال التراب العربي ، فضلا عن كونه اعتداء على حقوق ابناء الجزء المتنازل عنه .

ولو شئنا جدلا ان نجد عذرا للذين قبلوا بمبدأ المقايضة ، في القول بان اغراء استرجاع الارض القريبة كان اقوى من واجب التمسك العنيد بحق الاشقاء ، وحق الامة باسرها ، في الارض المجاورة ( لا سيما وانه كان قد مضى على احتلال هذه عشرون عاما ) ، لوجب علينا في الوقت عينه ان ننوه الى ان مثل هذه المقايضة تنم عن قصر نظر بالنسبة للمصلحة القطرية نفسها فضلا عن كونها غير مشروعة من حيث المبدأ . لان العدو الطامع بالتوسعقليمي في الاراضي المجاورة وبالسيطرة الاقتصادية والسياسية على المنطقة باكملها لن يردعه الرضوخ لمطالبه ( في الاعتراف العربي وفي اقامة حالة سلام دائم وعلاقات طبيعية مع الدول العربية ) عن المضي في سعيه لفرض سيطرته على ارادة ابناء المنطقة ، وانما من المحتم ان يزيده الرضوخ العربي طمعا وشهوة في السيطرة وايمانا بقدرته على بلوغها .

ان قبول مبدأ مقايضة شرم الشيخ بحيفا ، مثلا ، او العريش ببئر السبع ، من قبل من لا يملك حق التصرف بحيفا او ببئر السبع - وقبول مبدأ مقايضة نابلس بالناصره ، من قبل من لا يملك حق التصرف لا بهذه ولا بتلك - فضلا عما ينطوي عليه من تطاول على حقوق الشعب الفلسطيني صاحب الحق الاصيل في حيفا وبئر السبع والناصره ونابلس ، ينطوي ايضا على نظرة خاطئة الى ديناميكية شهوة التوسع والسيطرة وطرق مجابقتها .

هذا ان المقايضة القويحة ان قلت ان كنت ان العنصير الذي تم التنازل له عن حيفا القاء  
حرم الشيخ سوف تزداد شهرته لاعادة سيطرته على شرم الشيخ حتى لو انسحبت  
مواته منها !

هذا بالنسبة لمنطق « الانانية القطرية » القصير النظر . واما منطق « الواقعية اليانسة »  
فأبره واضح . اذ لولا اليأس من القدرة على تطبيق المبدأ القائل ان « ما اخذ بالقوة لا  
يستعاد الا بالقوة » لما مال احد الى القبول بالمبدأ القائل ان « ما اخذ بالقوة قد يستعاد  
بالمقايضة » .

ولكن ، لو ان جزءا من الجهد ، الذي صرف طوال السنوات الخمس الماضية على  
الركض اللاهث وراء اتهام صفقة المقايضة — لو ان جزءا من ذلك الجهد صرف على  
تعزيز القوة النضالية الذاتية في الامة العربية ، وفي كل قطر من اقطارها ، وعلى بناء  
المؤسسات الفاعلة ( لا التظاهرية ) الكفيلة بتعبئة الجماهير وتعزيز استعدادها العفوي  
للمهود والتضحية والفداء ، ولتحمل الاحتلال الى ان تكتمل القدرة على التحرير ، مهما  
طال الزمن — لو ان ذلك حدث ، او لو انه جرى الشروع فيه ، لما كانت الواقعية  
المسيطرة على الاذهان الرسمية هي واقعية اليأس ، بل لاصبحت واقعية الثقة المستندة  
الى الوعي الكامل بطاقات هذه الامة وامكاناتها .

\* \* \*

ان الذين حدا بهم هذان العاملان — الانانية القطرية ذات النظر القصير ، والواقعية  
اليانسة — الى الموافقة على قرار مجلس الامن ، كان لا بد لهم من تبرير موافقتهم هذه  
امام جماهيرهم والجماهير العربية عامة ، ولو بالتضليل !

وقد اتخذ التضليل الرسمي للجماهير العربية عدة اشكال ، اهمها تزويج الادعاءات  
والحجج الآتي بيانها :

(1) الايحاء بان قرار مجلس الامن يقتصر فقط على دعوة اسرائيل للإنسحاب . وقد  
اشرنا الى هذا الباطل في جزء سابق من هذا المقال .

(2) القول بان القرار لا ينص على وجوب « اعتراف » الدول العربية باسرائيل ، وان  
كلمة « اعتراف » ذات المدلول الواضح والدقيق في القانون الدولي وفي العرف  
الدبلوماسي لم ترد في القرار اطلاقا ، لا في نصه الانكليزي ولا في نصه الفرنسي ( وهما  
النصان الرسميان للقرار ) . وهذا القول صحيح من حيث الشكل ، لان عبارة  
« الاعتراف » لم ترد في نص القرار ، ولكن ما ورد فيه بالنسبة لهذا الامر ، وما جعله  
القرار شرطا ملازما لشرط الانسحاب وعنصرا مرافقا له ، هو اوسع واكثر شمولاً من  
مجرد الاعتراف الدبلوماسي بالمعنى المتعارف عليه . ففي الفقرة الثانية من الديباجة ،  
اقتزن اعلان مبدأ « عدم جواز خيابة الاراضي عن طريق الحرب » بمبدأ اقامة « سلام  
عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تعيش بأمان » . ونصت الفقرة التنفيذية  
الاولى على مبدئين قالت ان تحقيق السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط « يجب ان  
ينطوي على تطبيقهما كليهما » . وكان اول هذين المبدئين هو المتعلق بالانسحاب  
الاسرائيلي . اما المبدأ الثاني فهذا نصه الكامل :

« انهاء كل ادعاء بقيام حالة حرب ، وكل حالة حرب . واحترام السيادة ، والسلامة  
الارضية ، والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة ، والامتناع بها . وكذلك احترام  
حق كل دولة في ان تعيش بسلام ، ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، وحقها بان تعيش في  
مأمن من استعمال القوة او التهديد بذلك — والاقرار بهذه الحقوق » . فاذا كان القرار  
لم ينص على وجوب اعتراف الدول العربية بالحكومة الاسرائيلية ، فانه قد نص على



« فما هو أذن وجه التشويه في « السياسة المرحلية » التي ذاع امرها أخيرا ؟  
وجه التشويه أن ثمة نوعين من المرحلية ، وقد اختاروا هم النوع الخاطيء ، وتوهبوا  
أنه النوع الصحيح بل والوحيد .

« إن المرحلية التي يتاح لها أن تبلغ غرضها هي المرحلية التصاعدية . هي التي تبني في  
كل مرحلة على ما شيدته في المرحلة السابقة ، وتمهد في كل مرحلة لما ستبنيه في المرحلة  
اللاحقة .

« وأما المرحلية التي نودي بها أخيرا ، فمرحلة مغلقة : المرحلة الأولى فيها تنفي المراحل  
اللاحقة وتبطلها — بدلا من أن تمهد لها الطريق ، وتفسح لها مجال التنفيذ ، وتوفر لها  
شروط التطبيق . هذه المرحلية المغلقة « تطوق » نفسها تطويقا تاما في سياج المرحلة  
الأولى ، لأنها تكتفي بالخطوة الأولى وتعلن مسبقا أنها لن تمضي بعدها في المسير نحو  
الهدف الأخير .

« أنها تقنع بتصغير مساحة الأرض التي اغتصبتها إسرائيل ، تصغيرا جزئيا ، لقاء  
التخلي نهائيا عما تبقى من حقنا كله بفلسطين ، لقاء الاعتراف بإسرائيل ، ولقاء عقد  
الصالح معها .

« ليس شعار هذه المرحلية الزائفة : « خذ الآن ما تستطيع أخذه ، وتبئاً في الوقت عينه  
لتأخذ غدا ما تبقى » . وإنما شعارها : « اكتف بما تستطيع أخذه بل وبأقل منه ، وتنازل  
لخصمك منذ الآن وإلى الأبد عما تبقى لك ! »

« ليس شعارها : « صارع للحصول دفعة دفعة على حقك ، إلى أن تبلغه آخر الأمر  
كاملا غير منقوص ، وفق خطة محكمة » . وإنما شعارها : « ساوم للحصول على قسط  
ضئيل من حقك ، وتخل ، لقاء هذا القسط الضئيل ، عن حقك بأكمله ! »

« ليست هذه مرحلة التخطيط ، وإنما هي مرحلة التفريط .

« ليست هذه مرحلة النمو والتقدم ، وإنما هي مرحلة الجمود ، بل الانكفاء .

« ليست هذه مرحلة الأمل ، وإنما هي مرحلة اليأس .

« ليست هذه مرحلة الصراع ، وإنما هي مرحلة الاستسلام .

« ليست هذه سياسة المراحل المتراكمة التصاعدية ، وإنما هي سياسة المرحلة الواحدة  
الوحيدة ، التي تنتهي عندها آفاق الأمل كله ، وتتوقف الرؤيا عند حدودها القريبة ،  
وتحبس الأحلام في سياجها الضيق الخائق ! » .

## تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية

عصام سخيني

في الثامن والعشرين من شهر أيار ( مايو ) ١٩٦٤ عقد المجلس الوطني الفلسطيني الأول الذي أعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.) بحيث « تكون هذه المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تحرير وطنه في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين علي الصعيدين العربي والدولي » . وبحيث يكون « الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيين في م.ت.ف. . . والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة » كما نصت المادة ٢٦ من الميثاق القومي الفلسطيني والمادة ٤ من النظام الأساسي لـم.ت.ف. على التوالي . ومنذ ذلك التاريخ دخلت قضية تمثيل الشعب الفلسطيني مرحلة نزاع جدي ، بعد أن كان هذا الموضوع في حال نسيان تامة على مستوى عربي أو تجاهل متعمد ، وإذا اتير مرة فهو لا يخرج عن نطاق المعالجة الروتينية في مجالس الجامعة العربية ، كما كان خافت الصوت أو غير مبلور في تصورات محددة على صعيد شعبي فلسطيني . وهذا النزاع كان قطبه الأول المنظمة التي تؤكد أنها الممثل الوحيد والشرعي للشعب فلسطين والناطقة باسمه والمجسدة لكيانه الوطني ، وقطبه الآخر أطراف متعددة ، مختلفة الدوافع ، متناقضتها أحيانا ، ترفض دعوى المنظمة وتسعى الى أنتزاع حق تمثيل الشعب الفلسطيني من يدها وتجييره الى جهات أخرى . وإذا كان هذا النزاع ظل مدة لا يمثل خطرا جديا على قضية الشعب الفلسطيني فانه بعد مجازر أيلول ( سبتمبر ) ١٩٧٠ ، اثر التراجع العسكري الذي منيت به المقاومة في الأردن ، أصبح محوره هذه القضية من الأساس : المحافظة عليها أو تصفيتيها نهائيا . وقد وصل هذا النزاع الى قمته المرئية في حادثين هما في التحليل النهائي متكاملان : الأول قيام سلطات الاحتلال الاسرائيلي باجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية المحتلة بقصد خلق ممثلين منتخبين للشعب الفلسطيني يكتسب الحوار معهم صفة شرعية . والحدث الثاني اعلان الملك حسين عن مشروعه الرامي الى ما سماه الملكة العربية المتحدة بإقليميهما الأردني والفلسطيني بهدف تكريس تمثيل النظام الهاشمي للفلسطينيين وإيجاد المفاوض الفلسطيني ( من بين الفلسطينيين المتعاونين مع الملك ) الذي يكون قادرا بحكم تمثيله الرسمي للفلسطينيين على الدخول في ميدان المساومات الدولية ومن ثم تقديم التنازلات المطلوبة على طريق تصفية القضية الفلسطينية . من هنا يكتسب موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني خطورة خاصة يجري في ظلها إعادة التأكيد على شرعية تمثيل م.ت.ف. للشعب الفلسطيني وعلى حقها في النطق باسمه والتعبير عن طموحاته الوطنية ، وفي الوقت نفسه مقاومة كل ادعاء يحاول أن ينتزع من م.ت.ف. هذا الحق . وفي هذه المقالة ، ولناسبة العودة الى موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني الذي يتخذ الدعوة الى صيغ مختلفة جديدة لتأكيد هذا التمثيل ، سنستعرض كيف توصلت المنظمة الى هذه

الشرعية مطورين البحث بدءاً من تمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية قبل قيام المنظمة، مروراً بالمحاولات الرامية إلى إعادة بناء الكيان الفلسطيني وهو موضوع متلاحم مع قضية تمثيل الشعب الفلسطيني، ثم قيام المنظمة واكتسابها شرعية التمثيل الفلسطيني.

### فلسطين في جامعة الدول العربية

جاء تمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية استناداً إلى ما نص عليه ميثاق الجامعة في الملحق الخاص بفلسطين على أنه « نظراً لظروف فلسطين الخاصة وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله ». ولهذا فقد أصدر مجلس الجامعة في ١٩٤٥/١٢/٤ قراراً في هذا الشأن نص على أن تمثل فلسطين بمندوب واحد أو أكثر بحيث لا يزيد عدد أعضاء الوفد عن ثلاثة ويكون مفهوماً أن اشتراك الوفد الفلسطيني معناه أن يكون له حق التصويت في قضية فلسطين وفي الأمور التي يستطيع أن يلزم فلسطين بتنفيذها ويكون المندوبون ممن ترشحهم الهيئة العربية العليا (١). وقد وافق مجلس الجامعة على اختيار موسى العلمي ثم الحاج أمين الحسيني ليكونا مندوبين لفلسطين. وقد تغير هذا الوضع قليلاً بعد العام ١٩٤٨. ففي ١٩٤٨/٩/٣ عقد في مدينة غزة مؤتمر فلسطيني دعا إليه بعض الشخصيات الفلسطينية وأعلن في ختام جلساته نظاماً مؤقتاً بتأليف حكومة عموم فلسطين من مجلس وطني ومجلس وزراء ومجلس أعلى. وقد اعترفت الدول العربية المؤسسة للجامعة - باستثناء الأردن - بهذه الحكومة. وفي ١٩٥٠/٣/٢٧ أصدر مجلس الجامعة قراراً بدعوة حكومة عموم فلسطين لإرسال ممثلها لحضور اجتماعات مجلس الجامعة. غير أن الحكومة التي لم تمارس أعمالها قط انصرفت وزرؤها إلى شؤونهم الخاصة ثم استقالوا فأصدر مجلس الجامعة قراراً في ١٩٥٢/٩/٢٣ ينص على أنه « نظراً لتوقف أعمال حكومة عموم فلسطين بسبب الظروف الراهنة يكون رئيس الحكومة ممثلاً لفلسطين في جامعة الدول العربية » (٢). وقد استمر أحمد حلمي باشا رئيس الحكومة في تمثيل فلسطين إلى أن وافته المنية في العام ١٩٦٣، وفي ١٩٦٣/٩/١٥ اتخذ مجلس الجامعة في دور انعقاده الأربعين قراراً بتعيين أحمد الشقيري ممثلاً لفلسطين خلفاً لأحمد حلمي باشا.

كانت تلك مرحلة في موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني، وقد اتسمت بالملاحم التالية:

١ - أن قضية التمثيل لم تكن فاعلة مؤثرة ولم تؤخذ على محمل الجد وإنما كانت وفاء رمزياً للقطر الذي سلب. وأن حصر التصويت للوفد الفلسطيني « في الأمور التي يستطيع أن يلزم فلسطين بتنفيذها » تعتبر أكثر من طرفة ما دام القطر الفلسطيني واقعاً تحت الانتداب البريطاني في البداية ثم تحت الاحتلال الإسرائيلي فيما بعد.

٢ - كانت حكومة عموم فلسطين بحكم عوامل ذاتية تتعلق بأشخاص القائمين عليها، وبحكم عوامل عربية متعددة تريد لهذه الحكومة أن تبقى ضئيلة الحجم هامشية التأثير، كانت الحكومة غير قادرة على أن تتجاوز المهمة التي أوكلت إليها في هذا المجال وهي التمثيل الرمزي لفلسطين.\*

\* نستطيع أن نلخص حجم هذه الحكومة من قراءة مشروع ميزانيتها للسنة المالية من ١٩٦٤/٧/١ إلى ١٩٦٥/٧/١. فقد كانت كما يلي (بالجنهيات المصرية في السنة): ٧٨٠ راتب السكرتير العام القائم بأعمال الحكومة، ٦٠٠ راتب المستشار، ٦٠٠ راتب مدير الجوازات، ٦٠٠ راتب مدير الشؤون الاجتماعية، ٣١٢ راتب مساعد مدير المحاسبة، ٣١٢ راتب مساعد مدير الجوازات، ٣١٢ راتب كاتب الأرشيف والآلة الكاتبة، ٢٧٦ راتب سائق سيارة الحكومة، ١٤٤ راتب الفراش، ١٤٤ راتب الحارس، ١٠٨ راتب المرامل، ٩٦ تلفونات ووبرقيات، ١٢٠ مطبوعات ونفقات ثرية بما فيه علاوة غلاء المعيشة، ٣٥٢ اجرة دور الحكومة. والمجموع ٤٨٦٤ جنيتها (٣).

٣ - ان الشعب الفلسطيني لم يكن مخاطباً بهذا التمثيل : ا - حكومة عموم فلسطين لم يكن لها مساندة بحركة الشعب الفلسطيني حتى انها كانت حكومة لا علاقة لها بالمشيئة الشعبية .  
ب - لم يكن لدى الفلسطينيين مؤسسات تنظيمية خاصة بهم قادرة على فرض مندوبيين يمثلونهم أو على الأقل يطالبون بهذا التمثيل . ج - ان الشعب الفلسطيني لم يكن يعامل كشعب ذي كيان مستقل وانما كانت قضاياها تطرح بصفتها مشاكل لاجئين تحل من خلال حكومات الدول العربية المضيفة او وكالة الغوث الدولية .

٤ - مع هذا التمثيل الرمزي كانت الحكومة الاردنية تحارب حكومة عموم فلسطين بهدف الاجهاز على كل دليل مهمما كان هذا الدليل هزيبا يشير الى الوجود الفلسطيني المستقل فالنظام الاردني كان يتمسك بادعاء حق تمثيل الفلسطينيين بعد ان ضم اليه البقية الباقية من فلسطين - باستثناء غزة والحمه - اثر مؤتمر عقده بعض الوجهاء الفلسطينيين في اربحا في العام ١٩٤٨ برعاية من الهاشميين وبدفع منهم وبعد ان منح النظام المواطنين الفلسطينيين في الاردن الجنسية الاردنية .

### الكيان الفلسطيني قبل المنظمة

في الشتات فقد الفلسطينيون كيانهم السياسي الموحد نتيجة فقدان الارض وتجزق الشعب وغياب المؤسسات الفلسطينية القادرة على التنظيم والقيادة . غير انه منذ او اخر الخمسينات بدأ الحديث يرتفع على اكثر من صعيد عن «بعث الكيان الفلسطيني» بتعبير ، و«اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني» بتعبير آخر . وتقدم فيما يلي ثلاثة نماذج قدمت على ثلاثة اصعدة مختلفة تتعلق بهذا الموضوع :

#### ١ - مجلة « فلسطيننا » والكيان الفلسطيني :

في العام ١٩٥٩ بدأت مجلة « فلسطيننا » في الظهور في بيروت وقد عرف فيما بعد ان حركة فتح هي التي كانت تشرف على سياستها واصدارها . وكانت بعض مقالات هذه النشرة تذييل بتوقيع «فتح» او « ف ت ح » . وقد اهتمت المجلة بالدعوة الى بعث الكيان الفلسطيني « فالكيان مطلب اساسي من مطالبنا نحن عرب فلسطين المشردين . . . والكيان حق شرعي لنا » (٤) . وقد اعطت المجلة صفات لهذا الكيان فهو ضمان حرية العمل من اجل استرداد الوطن (٥) وهو « تابع من ضمير شعبنا ونكبتة وخيمته البالية ، وشعبنا رفض ولا يزال يرفض كافة انواع الوصايات اكانت من الدول العربية او غيرها . ان الشعب الفلسطيني يؤمن ببعث هذا الكيان الحر غير التابع وغير الخاضع وغير الموجه » (٦) .

غير ان الاعداد القليلة من المجلة التي تسنى لنا الاطلاع عليها ، تجعلنا نعتقد ان هناك حوارا كان يدور بين المشرقين على سياسة المجلة بحثا عن ماهية هذا الكيان ، وعن الطريق المؤدي الى بعثه . وهو حوار مبرر في تقديرتنا ، فالعمل الفلسطيني الذي كان يبحث له عن شخصية مستقلة كان يتلمس طريقه ، ولم يرسم له بعد في تلك الفترة من الزمن تقاليد ثابتة ، او يضع تصورات محددة . ففي احد اعداد المجلة نلمح الدعوة الى اقامة الكيان على الجزء الذي لم يفتصب من فلسطين « ان هناك اقسام عربية من فلسطين ، وعلى هذه الاقسام ينبغي ان نشيد صرح حكم وطني فلسطيني ثوري قيادي » (٧) . وتكرر المجلة هذا المعنى اكثر من مرة وتطالب « بحكم وطني فسي ارض فلسطين الباقية » (٨) . ويرافق هذه الدعوة مطالبة « بحكومة وطنية تزعى مصالحنا في داخل البلاد العربية حاليا على الاقل . . . ولا نطلب من الحكومات العربية الا . . . ان تمنحنا الفرصة لكي نشكل حكومة وطنية حرة » (٩) . واحيانا ، ومن ضمن الحوار الداخلي ايضا ، تضع المجلة هذه الحكومة موضع تساؤل فتكتب « قد يتساءل انسان لماذا لا نطلب قيام حكومة ثورية باسم فلسطين وتكون باسمها وتشرف هي على انشاء الجهاز

الفدائي ؟ انني لا اؤمن بقيام حكومة قبل وجود واقع لها ، لهذا يجب ان لا يعلن قيام حكومة حرة لفلسطين الا بعد نجاح الحركة الفدائية في اثبات وجودها « (١٢) . اما طريقة اخراج هذا الكيان الفلسطيني الى حيز الوجود فـ « فلسطيننا » طرحت الثورة طريقا لذلك « الثورة لتحقيق كيان ثوري على غرار الكيان الجزائري » (١١) ، بيد اننا نقرأ في موضع آخر ان « الكيان [ التمثيل في حكم وطني في الاقسام العربية في فلسطين ] سيحقق انطلاقة الثورة » (١٢) . وباجمال ، فان المجلة كانت تعمق خط بعث الكيان الفلسطيني ، وتبحث عن ماهيته وطريقة اخراجه .

## ٢ - مشروع حكومي عراقي :

مقابل هذا الحوار الداخلي على الصعيد الفلسطيني شعبي نشرت الحكومة العراقية في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٣ مشروعا « لابرز الكيان الفلسطيني » ويقوم هذا المشروع على التصورات التالية (١٣) : ١ - يتقسم الفلسطينيون المقيمون في كل من قطاع غزة والضفة الغربية وسوريه ولبنان والعراق وحيثما توفر عدد كاف من الفلسطينيين الى دوائر انتخابية تنتخب كل منها ممثلا عنها . ٢ - يجتمع المثلون الفلسطينيون في مجلس وطني فلسطيني وينتخبون حكومة فلسطين . ٣ - تقيم حكومة فلسطين علاقات سياسية مع كافة الاقطار العربية التي ستعترف بها وتكون مهمة ممثلات هذه الحكومة تنسيق العمل مع الحكومات العربية من اجل تحرير فلسطين . ٤ - توضع خطة عربية لاستعادة فلسطين تشارك فيها الحكومة الفلسطينية وكافة الدول العربية المهتمة بتحرير فلسطين . ٥ - تتولى حكومة فلسطين وممثلوها خارج الوطن العربي الدعوة لقضية فلسطين وتمثيل شعبيها في كافة المؤتمرات والمحافل والمناسبات الدولية . ٦ - تقوم حكومة فلسطين بتأليف جيش التحرير الفلسطيني الذي تتعهد الحكومات العربية بمسؤولية تدريبه وتسليحه ضمن خطة تعبوية موحدة تستهدف استعادة فلسطين وتحريرها . ٧ - يكون مقر حكومة فلسطين في اي قطر عربي تراه مناسبا وبموافقة حكومة ذلك القطر .

## ٣ - الجامعة العربية وتنظيم الشعب الفلسطيني :

بدا اهتمام الجامعة العربية بموضوع اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني يبرز منذ العام ١٩٥٩ وسنذكر فيما يلي اهم القرارات المتعلقة بهذا الشأن :

بناء على توصية من وفد ج . ع . م . اصدر مجلس الجامعة في دورة آذار (مارس) ١٩٥٩ التوصية التالية « اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابرار كيانه شعبا موحدا يسمع العالم صوته في المجال القومي وعلى الصعيد الدولي وبواسطة ممثلين يختارهم الشعب الفلسطيني » غير ان مجلس الجامعة في دورة ايلول (سبتمبر) ١٩٥٩ والذي انعقد في الدار البيضاء على مستوى وزراء الخارجية لم يبحث امر تنظيم الشعب الفلسطيني بصورة جدية لمعارضة الوفد الاردني الذي كان برئاسة هزاع المجالي ، وقد استمرت معارضة الاردن لتنظيم الشعب الفلسطيني اثناء اجتماع اللجنة السياسية للجامعة التي انعقدت في شباط (فبراير) ١٩٦٠ . وفي آب (اغسطس) ١٩٦٠ اجتمع مجلس الجامعة في شتوره في لبنان وعاد الى بحث القضية الفلسطينية فقرر اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابرار كيانه شعبا موحدا وانشاء جيش فلسطيني في الدول العربية المضيفة . وفي حزيران (يونيو) ١٩٦١ اجتمعت لجنة خبراء كان قد شكلها الامين العام للجامعة من ممثلين عن ج . ع . م . ولبنان والاردن والسعودية ، اجتمعت في مقر الجامعة ورات بدلا من ان تنشئ كيانا فلسطينيا جديدا ان توصي بدعم حكومة عموم فلسطين ماديا وسياسيا (١٤) . وفي ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٣ عقدت الدورة الاربعون لمجلس الجامعة واختير احمد الشقيري ممثلا لفلسطين وعهد اليه بمهمة القيام باستشارات مع

مهنلي شعب فلسطين لتشكيل حكومه عموم فلسطين جديدة وطلب منه كذلك زيارة  
العواصم العربية المختلفة لدراسة الوسائل التي ستضعها الدول العربية تحت تصرفه  
من أجل إنجاز هذا الواجب (١٥).

### مؤتمرا القمة الاول والثاني وقيام م. ت. ف.

في الفترة من ١٣ - ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ عقد مؤتمر القمة العربية الأول  
وحضر الشقيري المؤتمر بصفته ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية. وفي ختام المؤتمر  
صدر بيان تضمن ما يلي « إن مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية... قياماً  
بواجب الدفاع المشترك وإيماناً بحق الشعب العربي الفلسطيني المقدس في تقرير مصيره  
والتححرر من الاستعمار الصهيوني لوطنه... قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لإتقاء  
الخطر الصهيوني المائل سواء في الميدان الدفاعي أو الميدان الفني أو ميدان تنظيم الشعب  
الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » (١٦). وقد كان  
القرار المتعلق بتنظيم الشعب الفلسطيني يقضي في « أن يستمر السيد أحمد الشقيري  
ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الاعضاء والشعب  
الفلسطيني بغية الوصول الى اقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب  
الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » (١٧). وفي ١١/٢/  
١٩٦٤ بدأ الشقيري اتصالاته فاجتمع في القاهرة بالدكتور محمود فوزي ، وزير خارجية  
ج. ع. م. ، وعرض عليه الخطوط العريضة لمشروع الكيان الفلسطيني وما يتعلق  
بجوانبه السياسية والعسكرية والمالية (١٨). وفي ١٩/٢/١٩٦٤ بدأ جولته في الدول  
العربية ليناقتش مع شعب فلسطين والحكومات العربية مسودة ميثاق قومي فلسطيني  
وتأسيس منظمة تحرير يقوم عليها الكيان الفلسطيني (١٩). وقد اذاع الشقيري في القدس  
في ٢٤/٢/١٩٦٤ مشروعاً من ٢٩ مادة لميثاق قومي فلسطيني تقوم عليه المنادى  
الاساسية لتحرير فلسطين وقال انه سيدعو الى عقد مؤتمر وطني فلسطيني يوم ١٤  
ايار (مايو) المقبل في القدس لطرحة عليه (٢٠). وقد زار الشقيري في جولته الاردن  
وسوريه والبحرين وقطر والعراق والكويت ولبنان والسودان وانتهت الجولة في ٥/٤/  
١٩٦٤. ولدى وصوله الى القاهرة اعلن انه عقد نحو ٣٠ مؤتمراً مع الشعب الفلسطيني  
التقى خلالها مع آلاف منهم وشرح لهم الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي لمنظمة  
التحرير (٢١). وفي ١٥/٤/١٩٦٤ قدم الشقيري تقريراً مفصلاً عن مباحثاته مع الحكومات  
العربية وشعب فلسطين الى لجنة المتابعة ( التي انبثقت عن مؤتمر القمة وتضم ممثلين  
عن الملوك والرؤساء العرب ) في جلستها الثانية التي عقدت في القاهرة . وقد اثبت  
التقرير ان شعب فلسطين هو الاساس الذي يقوم عليه الميثاق القومي ومنظمة التحرير ،  
ودور الحكومات العربية سيكون محدوداً في مساعدة شعب فلسطين في خلق هذا الكيان .  
وبعد ذلك فان الكيان الفلسطيني سيملك استقلاله بنفسه وسوف يتعاون مع الدول  
العربية الاخرى داخل الجامعة وخارجها (٢٢). و اعلن الشقيري في ختام تقريره ان المؤتمر  
الفلسطيني سوف ينعقد في القدس في ٢٨/٥/١٩٦٤ « كائنه ما تكون الظروف  
والمصاعب » (٢٣). وفي المؤتمر المذكور افتتح في القدس المؤتمر الفلسطيني الاول الذي  
حضره ٣٨٨ ممثلاً منهم ٢٤٢ من الاردن و١٤٦ من سورية ولبنان وغزة والخليج العربي  
والعراق اختارتهم لجان تحضيرية من الفلسطينيين في هذه الاقطار (٢٤) وفي جلسة العمل  
الاولى انتخب الشقيري رئيساً للمؤتمر بالاجماع فأعلن ولادة م. ت. ف. محسنة  
للشخصية الفلسطينية وتحول المؤتمر الى مجلس وطني للمنظمة واختتم اعماله في ٢/٦/  
١٩٦٤ بعد ان اقر الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي للمنظمة والنظام الاساسي  
للسندوق القومي .

وفي ٥/٩/١٩٦٤ عقد الملوك والرؤساء العرب مؤتمر قمتهم الثاني في الاسكندرية ، وفي



سادس أيام المؤتمر تركزت المناقشات حول الكيان الفلسطيني وم. ت. ف. وجيش التحرير الفلسطيني (٢٥). وفي ١٩/٩/١٩٦٤ صدر بيان ختامي عن المؤتمر ورد فيه أن المجلس «رحب بقيام م. ت. ف. دعما للكيان الفلسطيني وطلبة للنضال العربي الجماعي لتحرير فلسطين واعتمد قرار المنظمة بإنشاء جيش التحرير الفلسطيني» (٢٦). وبذلك تم الاعتراف العربي الرسمي بالمنظمة ممثلة للكيان الفلسطيني والشعب الفلسطيني .

هل كان قيام م. ت. ف. بقرار من جامعة الدول العربية ومؤتمر قمتهما ؟ إن هناك رأيا شاع طويلا يقول ان المنظمة كانت نتاجا لسياسة القمة وواحدة من مؤسسات الجامعة . بل يذهب هذا الرأي الى ابعد من ذلك فيدعي ان قيام المنظمة كان حركة التفاضلية على الجماهير الفلسطينية قامت بها الانظمة العربية فاصدة تطويق الجماهير واجهاض حركتها الثورية . بتقديم بديل رسمي تتجمد به او من خلاله هذه الحركة وتنتهي عن تنمية ذاتها . ويتطرق بعض هذا الرأي ويتجاهل احيانا وقائع التاريخ فيقول « ان هذه المنظمة انشئت في مرحلة بداية العمل الفدائي في اواخر العام ١٩٦٤ ، وذلك لمنع التفاف الجماهير حول ذلك العمل التاريخي وتحويله الى ثورة تحريرية عارمة . . . وكان المطلوب من المنظمة التي تفتقت عنها عبقرية الانظمة العربية ان تقف بوجه العمل الفدائي» (٢٧). ان ما نريد ان نثبته هنا ، من خلال ما توفر لدينا من معطيات ، موضوعة ذات شقين الاول ان المنظمة لم تنشأ بقرار من جامعة الدول العربية والشق الثاني ان فكرة المنظمة كمجسدة للكيان الفلسطيني وجدت لدى طرحها استجابة واسعة في صفوف الفلسطينيين وتقبلا منهم . لكن ذلك لا ينفي ان ضعف التنظيمات السياسية الشعبية الفلسطينية في ذلك الوقت قد أفقد المنظمة قدرا كبيرا من الفعالية وحرية الحركة .

لقد لاحظت ليلي القاضي بحق ان ما جاء في بيان القمة الاولى حول تنظيم الشعب الفلسطيني انما كان موافقة على قرار سابق كان قد اتخذه مجلس الجامعة في دور انعقاده الرابعين ١٥/٩/١٩٦٣ الذي أوكل الى الشقيري مهمة الاتصال مع الشعب الفلسطيني والحكومات العربية لاعادة تنظيم الشعب الفلسطيني (٢٨) ويتأكد هذا الامر في صيغة القرار الذي اتخذته القمة الاولى في هذا الشأن فهو يطلب من الشقيري «الاستمرار» في مهمته . وكما اشرنا في موضع سابق ابتدأت الجامعة العربية في بحث تنظيم الشعب الفلسطيني في العام ١٩٥٩ ، غير ان ايا من قرارات الجامعة لم ينفذ منذ ذلك . فيحق لنا ان نستنتج اذن ان قرار القمة العربية بتنظيم الشعب الفلسطيني كان لا بد ان يلقى المصير نفسه الذي لاقته القرارات السابقة المماثلة التي اتخذتها الجامعة العربية لولا عوامل سنترعرض لها بعد قليل . ويقوى هذا الاستنتاج ان موضوع الكيان الفلسطيني وتنظيم شعب فلسطين لم يكن مطروحا بشكل جدي امام مؤتمر القمة وتستطيع ان ندعي ان هذا الامر ظل هامشيا في ذلك المؤتمر :

١- ان الدعوة التي وجهها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الى عقد مؤتمر للقمة العربية في خطاب القاها في بورسعيد في ٢٣/١٢/٦٣ تصدت الى بحث تحويل اسرائيل لجرى نهر الاردن ومواجهة التحويل . فقد أكد عبدالناصر انه « حتى نجابه اسرائيل اللي تحدثنا الجمعة اللي فاتت واللي رئيس اركان خزيها وقف وقال ان احنا نحول المياه غصب عن العرب ، باقول لا بد ان يتم اجتماع للمسوك والرؤساء العرب في أسرع وقت » (٢٩) . وقد تاكد هذا القصد في المذكرة التي قدمتها وزارة خارجية ج.ع.م. الى الدول الاعضاء في الجامعة العربية ، فقد جاء في هذه المذكرة « ان الجزء الأخير من هذا الخطاب [ خطاب عبدالناصر المشار اليه ] قد حوى الدعوة الى اجتماع رؤساء الدول العربية لبحث الموقف الذي ينبغي ان تواجهه به المؤامرة الاسرائيلية لتحويل مجرى الاردن» (٣٠) . وقد اعطيت الافضلية في جدول اعمال مؤتمر القمة للوسائل التي ينبغي

التجوز إليها المتبع إسرائيل من تحويل مياه الأردن لمصالحها (٢١).

٢ - إذن فإن قضية فلسطين أو شعب فلسطين لم تكن هم المؤتمر الأول ، ووفقاً للشقيري نستطيع أن نستخلص أن بحث موضوع الكيان الفلسطيني لم يكن مقصوداً لذاته في اجتماعات القمة فالجلسة التي بحث فيها هذا الموضوع كانت جلسة العمل الأولى في وقت لم تكن قد نضجت فيه المحادثات أو تم فيه أي اتفاق . يقول الشقيري « في هذه الجلسة لم يكن عند الملوك والرؤساء ما يبحثونه . . . وازاء ذلك لم يجد الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف ( الذي كان رئيساً للمؤتمر ) بدا من أن يقول إذن نبحث قضية فلسطين ولنستمع الي ممثل فلسطين » (٢٢) .

٣ - ومع هذا البحث ، فإن الملوك والرؤساء العرب لم يكونوا متفقين على ماهية الكيان الفلسطيني وطبيعته واهدافه . فمن خلال النقاش الذي دار في المؤتمر ظهر أن بعض المجتمعين كان يرفض الكيان فقد أصر الملك حسين على ألا تظهر في القرار كلمة الكيان الفلسطيني ، والبعض الآخر لا يرى فائدة للكيان بدون أرض وأنه يجب اعطاء الضفة الغربية وقطاع غزة الى الكيان الفلسطيني ( الرئيس السوري أمين الحافظ ) وآخر يريد انشاء حكومة لفلسطين ( الملك سعود ) (٢٣) كما أن الرئيسين الحبيب بورقيبة وأحمد بن بيللا تقدما بمشروع لانشاء جبهة تحرير وطنية (٢٤) أما ج.ع.م . فقد كانت تريد أن يكون الكيان منفراً اعلامياً فقط (٢٥) .

وقد تكرست هذه المواقف فيما بعد عندما بدأ الشقيري اتصالاته لانشاء المنظمة ثم بعد قيامها مباشرة . فعشية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني صرح فيصل بن عبد العزيز ، رئيس وزراء السعودية آنذاك ، لصحيفة « البلاد » في جدة بأن « كل عربي ومسلم يريد الكيان الفلسطيني ولكن على أن لا يفرض واحد على هذا الكيان . ليجتمع الفلسطينيون في كل قطر يكونون فيه ولينتخبوا ممثلين منهم وتشكل من الممثلين هيئة تنتخب من بينها هيئة تنفيذية وهذه تدعى الكيان الفلسطيني » (٢٦) . وصبيحة المؤتمر المذكور كتبت صحيفة « البعث » السورية تقول « اننا ونحن نرحب بكل لقاء يتم بين أبناء فلسطين نود أن ننبه الى خطورة النتائج التي تنجم عن كل محاولة تستهدف تحويل لقاء القدس الى مجلس وطني او صيغة نهائية للكيان . لقد قرر الرؤساء والملوك العرب تكليف السيد الشقيري بمهمة استطلاع الاراء المختلفة لانباء فلسطين والحكومات العربية حول افضل الوسائل لابرار الكيان الفلسطيني ليقوم برفعها الى مؤتمر القمة العربي في شهر آب القادم ، ولذلك فأننا نرحب بلقاء القدس كفرصة تتيح للسيد الشقيري أن يعرض آراء عدد من الفلسطينيين يجب أن تعرض على مؤتمر القمة المقبل » (٢٧) . وفي اجتماع لجنة متابعة مقررات القمة في ١٥/٦/١٩٦٤ ، أي بعد قيام المنظمة ، عارض طاهر رضوان ، المندوب السعودي في اللجنة المذكورة ، مقررات المؤتمر الفلسطيني في القدس وانشاء كيان فلسطين ، كذلك عارض منصور الاطرش ، المندوب السوري في اللجنة ، مقررات مؤتمر القدس واتهم الشقيري بتجاوز السلطات التي خوله اياها مؤتمر القمة العربي (٢٨) . وفي أثناء مؤتمر القمة الثاني استمرت المعارضة السورية ففي مذكرة الوفد السوري التي المؤتمرون والمؤرخة في ١٠/٩/١٩٦٤ نقرأ « لا بد لحركة التحرير النضالية أن تقوم على حيز مكاني معين لا تشغله الا الاستعدادات الفعلية لمعركة التحرير وأن يكون لهذه الحركة سلطة مدنية قائمة وقوة عسكرية منظمة للعمل في اللحظة الحاسمة . ان الأرض والحيش والسلطة أسس ثلاثة لظهور حركة التحرير كمنظمة جديدة من لحم ودم وأرادة نضال » (٢٩) ولقد تعمدنا اختيار موقف العربية السعودية وموقف سورية من جملة مواقف الدول العربية لانهما كانا يمثلان سياسياً طرفي نقضي ، فأولها موزلة في مواقفها السلبية العربية والثانية متصلة في تصديها للقضايا العربية .

٤ - نتيجة لهذه المواقف المتناقضة فإن مؤتمر القمة لم يكلف الشقيري بانشاء كيان

فلسطيني او اقامة منظمة فلسطينية ويلاحظ ان قرار المؤتمر وبيانه لم يتضمن تعبير الكيان الفلسطيني . والشقيرى نفسه يقر بأنه « تجاوز » المهمة التي أوكلت اليه فيقول « قرار الملوك لم يخولني انشاء الكيان الفلسطيني اطلاقا ... وكانت مهمتي في الواقع الاتصال والدرس ومن ثم تقديم تقرير الى مؤتمر القمة الثاني المزمع عقده في الاسكندرية في شهر آب ١٩٦٤ ، ولكنني خشيت ان انفذ هذا القرار فقد كانت آراء الدول العربية متباينة بشأن كيفية تشكيل الكيان الفلسطيني واختصاصاته وكانت آراء التجمعيات الفلسطينية متباينة كذلك ... وكان المفروض ان ابرز هذه التناقضات في تقرير اقدمه الى الملوك والرؤساء في اجتماعهم في الاسكندرية وانا اعلم ان مصير هذا التقرير هو احالة الموضوع الى الحكومات العربية مرة اخرى لمزيد من الدرس كما كان الحال لسنتين عديدة مضت ... ولهذا فقد عازمت ان اضع الحكومات العربية والشعب الفلسطيني امام الامر الواقع فادعو الى مجلس وطني ... لينظر في الميثاق والنظام الاساسي ويعلن قيام م. ت. ف. وتشترك بعد ذلك في مؤتمر الملوك والرؤساء باسم م. ت. ف. لا تحت اسم ممثل فلسطين في الجامعة العربية » (٤٠).

وهناك حدث اعتب قيام المنظمة ببضعة عشر يوما يعضد ما ذهبنا اليه من ان المنظمة لم تنشأ بقرار من مؤتمر القمة واما كان اعتراف القمة الثانية بها تكريسا لواقع اصبح موجودا . فقد وجهت الجامعة العربية دعوة رسمية الى م. ت. ف. للاشتراك في الاجتماع الذي عقد يوم ١٧/٦/١٩٦٤ في دمشق داخل نطاق الجامعة لبحث شؤون اقامة اللاجئين في الدول العربية وقد رئيس هذا الاجتماع سيد نوفل ، الامين العام المساعد للجامعة ، وحضره بالاضافة الى المنظمة ممثلون عن مصر وسورية ولبنان والأردن (٤١) وقد كان حضور المنظمة ذلك الاجتماع اول اعتراف رسمي بها من قبل الجامعة العربية .

وإذا كانت جامعة الدول العربية لم تنشئ هي المنظمة فمن الذي انشأها اذن ؟ ان الشيء الثابت لدينا ان فكرة بعث الكيان الفلسطيني في اوائل الستينات لم تكن غريبة عن الاوساط الفلسطينية بل كانت تتفاعل بينهم وان كانت ليست عالية الثبرة . وقد سبق وعرضنا ما طرحته مجلة « فلسطيننا » من دعوة حثيثة لابرار الكيان الفلسطيني . وفي الفترة التي نتحدث عنها كانت ترتصف على الساحة الفلسطينية سبع وثلاثون منظمة فلسطينية ، سرية وعلنية ، صغيرة وكبيرة ، عاطفية وعلمية ، منظمة وفوضوية تتوزع في البلاد العربية كلها (٤٢) . وان كان لهذا الامر من معنى فهو علامة واضحة على ان الفلسطينيين كانوا يبحثون عن ذاتهم ، عن شخصيتهم المستقلة ، عن ابراز كيان وطني فاعل مؤثر في الاحداث . ويتأكد هذا الامر في أن مسألة تنظيم الشعب الفلسطيني التي ابتداء الشقيرى البحث فيها اثر مؤتمر القمة الاول وجدت استجابة عريضة في صفوف الفلسطينيين واعتبرت بادرة ايجابية . فقد اعتبر الاتحاد العام لطلبة فلسطين في بيان سياسي اصدره في غزة في ٢٧/٢/١٩٦٤ . « ان التزام الدول العربية في مؤتمر الذروة بتحقيق فكرة الكيان نقطة بداية يجدر بالثوريين الفلسطينيين ان ينطلقوا منها » . كما اصدر المكتب السياسي للقوى الثورية الفلسطينية للعمل الموحد [ يضم جبهة التحرير الفلسطينية « ج. ت. ف. » ، الجبهة الثورية لتحرير فلسطين ، جبهة التحرير الوطني الفلسطينية ، كتل الفدائيين الفلسطينيين ، جبهة التحرير العربية لفلسطين ، المنظمة القومية للتحرير ] اصدر بياناً في ٢٤/٥/١٩٦٤ اكد فيه انه « لا بد من وجود كيان فلسطيني ثوري يكون طريق التحرير ويتولى قيادة العمل الفلسطيني نحو التحرير » (٤٤) . وفي ١٥/٣/٦٤ صدر بيان مشترك في بيروت عن حركة القوميين العرب واتحاد طلاب فلسطين وجبهة التحرير الفلسطينية — طريق العودة شرح تصور هذه المنظمات للكيان الفلسطيني واكد ان تنظيم الشعب الفلسطيني لتأدية دوره امر تحتتمه طبيعة المعركة

القادمة(٤٥). واعتبرت حركة القوميين العرب أن « مقررات مؤتمر الذروة المختصة بالكيان الفلسطيني تفتح الباب أمام فرصة جديدة للتضال في سبيل العودة وترفع مستوى هذا التضال الى مرحلة جديدة وكان موقف العناصر والقوى الثورية الفلسطينية مؤقتا ايجابيا رمى بنقله نحو العمل على انجاح مشروع الكيان والخروج به الى صيغة ثورية تستطيع ان تكون في مستوى المطامح الفلسطينية» (٤٦). واعتبر الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني قرارات القمة العربية « فرصة تاريخية متاحة لشعب فلسطين لتنظيم كيانها» (٤٧). وكانت جبهة التحرير الفلسطينية قد اصدرت في ١٠/١/١٩٦٤ بياناً في مناسبة انعقاد القمة الاولى طالبت فيه بالاعتراف بالشخصية الفلسطينية وبحق الشعب الفلسطيني بأن يكون طليعة العمل الثوري المسلح لاسترداد الوطن السليب(٤٨).

تعمدنا ذكر هذه الامثلة المطولة بقصد اظهار هذا التيار الذي اخذ يتصاعد منذ اوائل الستينات ويدعو الى ابراز الشخصية الفلسطينية . وقد كان خلف ذلك التيار عدة روافد ابرزها في تقديرنا خيبة الامل العظيمة التي حملها معه الانفصال بين اقليمي ج.ع.م. في العام ١٩٦١ للفلسطينيين . فقد كانت وحدة الاقليمين ، كحد ادنى ، والوحدة العربية الشاملة كهدف منشود ، وما ينتج عن ذلك من اقامة جيش قوي موحد، اساساً بني عليه الفلسطينيون آمالهم واحلامهم في تحرير وطنهم . وبالاتصال انتاب الشك الجماهير الفلسطينية في جدوى انتظار الوحدة . وهكذا بدأ البحث عن عمل فلسطيني ذي شخصية مستقلة يتعامل من خلاله الشعب الفلسطيني مع قضيته مباشرة ودون توسط . وقد عزز هذا الاتجاه نحو « الفلسطينية » الخلافات التي كانت تستحكم في العالم العربي . ففي نهاية العام ١٩٦٣ كانت جميع الدول الاعضاء في الجامعة العربية — باستثناء لبنان والكويت والسودان وليبيه — يمسك بعضها بخناق البعض الاخر(٤٩) وقد زاد هذا الخلاف الفلسطيني اقتناعاً بأن اعتمادهم على هذه الدول المتصارعة لن يخدم قضيتهم . وجاء انتصار ثورة الجزائر في العام ١٩٦٢ ونيلها استقلالها من فرنسه قولا فصلا في هذا الموضوع برهن عملياً على أن شعباً ممسكاً بزمام قضيته بيديه قادر على تحقيق مطالبه الوطنية .

ورغم ان هذا التيار الرامي الى بعث الكيان الفلسطيني وتأكيد الشخصية الفلسطينية في العمل الوطني كان اخذاً في التصاعد ، الا انه لم يكن مبلوراً في مفاهيم واضحة وتصورات محددة ، وان أي استعراض للنقاش\* الذي دار حول الكيان الفلسطيني الذي ابتدأ مع

\* كان ذلك النقاش يجري من خلال البيانات التي اصدرتها القوى السياسية والاتحادات الفلسطينية. وقد اشرنا قبل قليل الى نماذج منها ونذكر ايضاً بيان جبهة التحرير الفلسطينية (نشرته الحوادث في ٨/٥/١٩٦٤) وبيان حركة الشباب العربي الفلسطيني في لبنان في ٢٤/٣/١٩٦٤ (الكشاف السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤) وبيان الهيئة العربية العليا حول الكيان الفلسطيني في ٢٤/٢/١٩٦٤ (المصدر نفسه) ومشروع القيادة القومية لحزب البعث في سورية حول الكيان الفلسطيني في ٢٠/٥/١٩٦٤ (الوقائع العربية ، نيسان — حزيران ١٩٦٤ — الجامعة الامريكية في بيروت ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١) . كما اتخذ هذا النقاش صياغة الاجتماعات والاتصالات التي كان يقبها الشقري ، وقد كتب غسان كنفاني في المحرر (٦/٤/٦٤) ان « الشقري بدأ في بيروت اتصالاته على صعيدين : الصعيد الاول هو صعيد الخلية الاجتماعية حيث كان يصرف ساعات كثيرة في الاتصال المباشر بوفود الفلسطينيين القادمين من مختلف الميخيمات والطبقات ويستمع إليهم ويخطب فيهم ويحدد مفهوم الكيان الذي يريد ويستمع منهم الى مفهوم الكيان الذي يريدون . أما الصعيد الثاني فكان صعيد المناقشات والمباحثات مع ما صار يعرف بأنه القوى الثورية ، التي اتصل بها الشقري ... انها مجموعات المنظمات السرية والعلنية والمنظمات النقابية ومجموعة من المثقفين الفلسطينيين المختصين بالقضية الفلسطينية » . وقد أكد الشقري (في مقابلة خاصة في ١١/٥/٧٢) أن هذه القوى التي اشار اليها كنفاني هي في الاساس فتح وحركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية .

جولة الشقري في العالم العربي يظهر لنا انه بمقدار ما كان هناك تأكيد على ضرورة بحث الكيان الفلسطيني كان هناك في المقابل غموض في كيفية ابرازه وفي التعرف على شكله العنيد . لقد كان جوهر النقاش هو التساؤل والبحث عن كيفية انشاء المؤسسات المعبرة عن الكيان وعن كيفية اداء هذه المؤسسات لمهامها - بخلاف ابعادها - .

وما نلاحظه هنا ان الشقري كان قد طرح تصورات معينة لكيفية انشاء هذه المؤسسات المعبرة عن الكيان قبل ان يصبح ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية . فهو قد عرض على لجنة الخبراء في الجامعة في تموز ١٩٦٢ مشروعاً للكيان الفلسطيني يقوم على اساس الدعوة لمجلس وطني يمثل التجمعات الفلسطينية ، تنبثق عنه جبهة وطنية لقيادة الشعب الفلسطيني تكون لها اختصاصات عسكرية وسياسية وتنظيمية واعلامية ومالية وتحدد صلتها بالجامعة العربية (٥٠) . ولدى تعيينه ممثلاً لفلسطين في الجامعة اوضح تصوره للكيان فخاطب الدورة الاربعة لمجلس الجامعة بقوله « لقد قيل ان الكيان الفلسطيني يهدف الى غرضين اولهما سلخ الضفة الغربية واقامة حكومة فلسطينية ، وثانيهما ان تتخلى الدول العربية عن قضية فلسطين ، وكلا الامرين باطل من اساسه . . . الكيان الفلسطيني يهدف الى ان يصبح اهل فلسطين قوة وطنية عاملة تسهم في تحرير فلسطين » (٥١) . وبعد ان كلفه مؤتمر القمة الاول مهمة الاتصال بالشعب الفلسطيني اوضح الشقري « بصورة قاطعة ان تنظيم الشعب الفلسطيني لا بد ان يعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني وان تنضوي تحت لوائه كل المنظمات والهيئات الفلسطينية وان يكون مفتوحاً امام المواطنين جميعاً » (٥٢) . وكان الهيكل العام للكيان كما فكر فيه الشقري هو « مجلس وطني يمثل الجمعيات الفلسطينية ، تنبثق عنه لجنة تنفيذية تقود النضال الفلسطيني وكتائب فلسطينية تجسد النشاط العسكري الفلسطيني وصندوق قومي لتمويل الحركة الفلسطينية ومكاتب في العواصم العربية وجهاز اعلامي للدعوة للقضية الفلسطينية » (٥٣) . وهو هيكل تحقق تفصيلاً في م . ت . ف .

بهذا التصور المعين للمؤسسات المعبرة عن الكيان ، قام الشقري بدور مباشر في اخراجه الى حيز الوجود . ولسنا هنا في صدد تقييم شخصية الشقري فان الحكم له او عليه يخرج عن نطاق بحثنا ، ولكن بحكم ما توفر لدينا من معطيات وبحكم التجارب السابقة التي مرت بها الجامعة العربية متخذة قرارات كادت ان تكون دورية تدعو الى تنظيم الشعب الفلسطيني ، يحق للباحث ان يستنتج ان قرار الملوك والرؤساء العرب بهذا الشأن كان لا بد ان يواجه ما واجهته القرارات المماثلة السابقة من حفظ في الملفات لو لم يستطع الشقري ان « يستغل » الرخصة التي اعطياها من القمة الاولى ويجسد فكرته عن الكيان ، متجاوزاً الصلاحيات التي عهد بها اليه الملوك والرؤساء واضعاً هؤلاء في متهم الثانية امام امر واقع جديد سلموا به . وقد سهل مهمة الشقري في خلق المؤسسة المعبرة عن الكيان ودفع بها الى الامام ذلك التيار الذي اشرنا اليه والذي كان يتقبل فكرة انبعاث الكيان الفلسطيني ويدعو اليه بحيث خلق ارادة فلسطينية عامة تجسدت تنظيمياً في قيام م . ت . ف . كما ان القاهرة التي كانت حينذاك تمسك بيديها زمام العمل القومي العربي هيأت السبيل امام انبثاق الكيان « فقد كانت ج . ع . م . م . راغبة في انشاء الكيان اليوم قبل الغد » كما يقول الشقري نفسه في كتابه من القمة الى الهزيمة (ص ٦٢) . وربما بسبب هذا التصور المعين للمؤسسات المعبرة عن الكيان الفلسطيني عانت المنظمة في فترة تأسيسها من افتقار العلاقة التنظيمية بالجمهور الفلسطيني .

### شرعية تمثيل م . ت . ف . للشعب الفلسطيني

محوران يتودان الى اقرار شرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني الاول الاعتراف

الرسمي بها والثاني اعتراف الشعب الفلسطيني بانها ممثلة وحيدة لارادته وناطق باسمه .

اما الاعتراف الرسمي بها فقد جاء عربيا بعد قيام المنظمة مباشرة عندما تمثلت م.ت.ف.ت. ( كما اشرنا في موضع سابق ) في الاجتماع الذي عقد في دمشق لبحث شؤون اقامة اللاجئين الفلسطينيين في اطار الجامعة العربية بتاريخ ١٧/٦/١٩٦٤ . وقد تكرر هذا الاعتراف بترحيب مؤتمر القمة الثاني بقيام المنظمة . ومنذ ذلك التاريخ ( ايلول ١٩٦٤ ) بدأت المنظمة تشارك في اعمال الجامعة العربية على مختلف مستوياتها بما فيها مؤتمرات القمة بصفتها ممثلة للشعب الفلسطيني .

ان هذا الاعتراف من قبل الجامعة العربية يضع المنظمة على قدم المساواة مع أي كيان عربي اخر ويعطيها على صعيد عربي حق النطق باسم الشعب الفلسطيني ويحولها إلى مسؤولية الاشراف على حركته ما دام الاعتراف بالمنظمة يتضمن الاعتراف بمبادئها ، الذي هو بمثابة الدستور في الدولة ، والذي ينص على ان المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني . وقد كان الاعتراف العربي بمسؤولية المنظمة عن حركة الشعب الفلسطيني يتوطد اثر كل أزمة كانت تمر بالمنظمة نفسها او بالمقاومة الفلسطينية والازمات التي نعني هي التي كانت نتيجة نزاع بين المنظمة والمقاومة من جهة وبعض الانظمة العربية من جهة اخرى . وبرز مثلين على هذا الموضوع الازمات التي مرت بها المنظمة او المقاومة في كل من الاردن ولبنان وسنشير فيما يلي الى بعضها مهتمين بشكل خاص بجانب واحد هو قضية الاعتراف هذه .

لقد وقف الاردن منذ البداية موقفا معارضا لإبراز الكيان الفلسطيني واحياء الشخصية الفلسطينية المستقلة . لذلك فقد كان امرا منسجما مع سياسة النظام الاردني العامة ان يضع العراقيل امام عجلة المنظمة ويعيق نشاطها في الساحة الاردنية . وقد وصل الامر في اوائل العام ١٩٦٦ الى مثل كسل نشاط فعلي للمنظمة بين الجهاهير الفلسطينية في الاردن مما استتبع تفجر صراع سياسي واعلامي بين المنظمة والحكم الاردني . وقد كان نتيجة ذلك الصراع ان توصلت المنظمة الى عقد اتفاق مع الحكومة الاردنية اثر للمنظمة بحقها في الاشراف على حركة الشعب الفلسطيني في الاردن . وقد وقع هذا الاتفاق في القاهرة في الاول من اذار ١٩٦٦ في نهاية مباحثات بدأت في ٢١/٢/١٩٦٦ بين وفد من المنظمة برئاسة احمد الشقيري ووفد حكومي اردني برئاسة عبد الوهبات المجالي . وقد اقر هذا الاتفاق بأن « الموضوعات المتعلقة بمهمات المنظمة هي التجنيد الاجباري وكتائب جيش التحرير ومعسكرات التدريب الشعبي ومعسكرات الشباب والخطوط الامامية والتنظيم الشعبي والانتخابات وحريسة الانتقال والسفر والتوجيه والاعلام والجبابة الشعبية وضريبة التحرير » (٥٤) .

ونموذج اخر من تكريس مسؤولية المنظمة عن حركة الشعب الفلسطيني ذلك الذي تضمنه اتفاق عمان في ١٣/١٠/١٩٧٠ في اعقاب مجازر ايلول . فقد نص هذا الاتفاق على ان « الشعب الفلسطيني وحده متمثلا في الثورة الفلسطينية هو صاحب الحق في تقرير مصيره ( وان ) اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي المسيطرة والمتميزة والمسؤولة عن الثورة الفلسطينية سياسيا وعسكريا وفي كل الميادين الاخرى » (٥٥) واذ كان النظام الاردني قد مزق فيما بعد اتفاقية عمان بالاضافة الى اتفاقية القاهرة عمان الذي يعنينا في هذه الاتفاقية انها اول وثيقة عربية تعتمد رسميا تربط بين الموضوعات التالية : الشعب الفلسطيني — الثورة الفلسطينية — منظمة التحرير الفلسطينية — حق تقرير المصير . ونرى ان هذا الربط ليس مخاطبا به الاردن فحسب وان كانت اتفاقية عمان قد عقدت في الاساس لتنظيم العلاقة بين المقاومة والنظام الاردني ، وانما يمتد اثره



عربيا ليشكل اساسا جديدا يحق للمنظمة ان تنطلق منه في التمسك بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني والنطق باسمه وبيانها الجهة الوحيدة التي لها حق تقرير مصيره .

وهذا الامق العربي لاتفاقية عمان نستخلصه من الحثيات التالية : ان هذه الاتفاقية عقدت استنادا الى اتفاقية القاهرة في ٢٧/٩/١٩٧٠ والاتفاقيتان تقرران معا بحيث تعتبر اتفاقية عمان وثيقة تفصيلية لاتفاقية القاهرة التي هي في حقيقتها وبحسب المؤتمر الذي كانت الاتفاقية نتاجا له والتوقعات التي حملتها ، اتفاقية بين عدد من رؤساء الدول العربية بالإضافة الى رئيس م. ت. ف. والملك حسين . ومن هنا فان اي نص في هذه الاتفاقية يلزم موقعيها بقدر متساو من المسؤولية تجاه جميع الموضوعات التي وردت فيها وكذلك الامر بالنسبة لاتفاقية عمان التي هي تكملة تفصيلية ، كما اشرنا لاتفاقية القاهرة . ويؤكد هذا الامر الاخير ان اتفاقية عمان جرى التوقيع عليها من قبل الباهي الادغم رئيس اللجنة العربية العليا للمتابعة التي تشكلت بقرار من رؤساء الدول العربية حسب اتفاقية القاهرة ( المواد من ٦ - ١١ من الاتفاقية تبين كيفية تشكيل اللجنة ومهامها وتسمية اعضائها ) (٥٦) وقد طلبت اتفاقية القاهرة ( المادة ٨ ) ان تقوم لجنة المتابعة باعداد وابرارم اتفاق اسفر عن اتفاقية عمان . وقد جرى في اكثر من مناسبة تأكيد الدول العربية لالتزامها باتفاقيتي القاهرة وعمان ( ما يهمنا هنا الربط بين الموضوعات الاربع التي اشرنا اليها ) . فائشاء مفاوضات جده بين م. ت. ف. والحكومة الاردنية كانت لجنة الوساطة السعودية - المصرية تنطلق في مساعيها من ورقة عمل مصرية - سعودية اقرت في ٨/٨/١٩٧١ في اجتماع عقد في القاهرة بين الرئيس انور السادات والسيد عمر السقاف ، وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية . وكان اساس ورقة العمل هذه الالتزام باتفاقيتي القاهرة وعمان (٥٧) كما ان مؤتمر القمة العربي الطارئ الذي انهى اجتماعاته في نيبية في ٣١/٧/١٩٧١ أكد في بيانه الختامي تمسكه بالاتفاقيتين ودعمه لكل عمل من شأنه تنفيذهما (٨٥) .

واذا تأكد مثل هذا الاعتراف العربي بالمنظمة من خلال علاقاتها مع الاردن فسوف نمر بنموذج اخر من خلال علاقات العمل الفلسطيني بلبنان . لقد كان اعتراف الحكومة اللبنانية رسميا بالمنظمة استنادا الى جلسة عقدها مجلس الوزراء في تشرين الثاني ١٩٦٤ عندما وافق على فتح مكتب للمنظمة في لبنان « ومعاملته مديره المسؤول معاملة الممثلين الدبلوماسيين ومنحه الاعفاءات والحصانات التي يتمتع بها اعضاء السلك الدبلوماسي الاجنبي في لبنان » وجاء في حثيات هذه الموافقة « ان مجلس رؤساء الدول العربية قد قرر في اجتماعه الاول المنعقد في القاهرة في شهر كانون الثاني ١٩٦٤ الاعتراف بالسيد احمد الشقري ممثلا لفلسطين لدى جامعة الدول العربية وقرر في اجتماعه الثاني المنعقد في الاسكندرية في شهر ايلول ١٩٦٤ الاعتراف بـ م. ت. ف. واعتمادها ممثلة لشعب فلسطين » (٥٩) غير ان هذا التمثيل الدبلوماسي قد توطد فعلا واتخذ له مدلولات اكثر شمولا في اتفاقية القاهرة التي عقدت بين م. ت. ف. والحكومة اللبنانية في ٣/١١/١٩٦٩ (٦٠) فقراءة نصوص هذه الاتفاقية تؤكد ان المنظمة ليست مسؤولة فقط عن ثورة الشعب الفلسطيني وانما هي ايضا تمثل مصالحه الحياتية وتكتسب حق رعاية هذه المصالح . فبالإضافة الى الامور العسكرية « تم الاتفاق على اعادة تنظيم الوجود الفلسطيني على اساس : ١ - حق العمل والإقامة والتنقل للفلسطينيين حاليا في لبنان ٢ - انشاء لجان محلية من الفلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين المقيمين فيها . . . » .

هذا الاعتراف الرسمي العربي ( الذي اكتسبته المنظمة ) بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني ورعاية مصالحه كان يماثيه اعتراف عالمي ظهرت بوادره في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي افتتح في القاهرة في ٥/١٠/١٩٦٤ . فقد كانت لجنة سفراء دول عدم

الانحياز قد تفرقت في ٢٠/٩/١٩٦٤ ان تكون م. ت. ف. ممثلة كمراتب في اجتماعات المؤتمر على ان تتولى ج. ع. م. بوصفها الدولة الداعية للمؤتمر توجيه الدعوة .. وكان حضور المنظمة لذلك المؤتمر اول اعتراف عالمي بها (٦١) .

وقد تكرر هذا الاعتراف بصيغ أخرى أبرزها على صعيد عالمي تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني في المؤتمر الرابع لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية - الآسيوية الذي عقد في ويلبا في غانا في الفترة من ٩ - ١٦ ايار (مايو) ١٩٦٥ حيث اعتبر المؤتمر م. ت. ف. ممثلة للشعب الفلسطيني في منظمة التضامن . وقد شغلت المنظمة عضوية سكرتارية منظمة التضامن اعتبارا من ٩/١١/١٩٧٠ بقرار من المجلس التأسيس لمنظمة التضامن الذي عقد في طرابلس في التاريخ المذكور . وعلى صعيد آخر تقرر مجلس السلم العالمي في رسالة وجهها الى المنظمة في ١٥/٢/١٩٦٦ اعتبار فلسطين عضوا فيه ومنذ ذلك التاريخ تمثل المنظمة الشعب الفلسطيني في جميع مؤتمرات هذا المجلس واجتماعاته (٦٢) .

غير ان هذا الاعتراف الرسمي بشرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني ، على صعيد عربي وآخر عالمي ، يظل غير ذي أهمية ان لم يكن الأساس فيه ان الشعب الفلسطيني هو الذي يمنح المنظمة حق تمثيله والنطق باسمه . وبدون هذا الشرط - الأساس تظل أية جهة قادرة على منازعة المنظمة هذا الحق واقتناصه منها . فالى اي مدى اقر الشعب الفلسطيني للمنظمة بحق تمثيله ؟

نشير في البداية الى ان الاسس التي قامت عليها المنظمة كما حددها ميثاقها هي « ان فلسطين ووطن الشعب العربي الفلسطيني ... وان هذا الشعب هو صاحب الحق الشرعي في وطنه ... وان تحرير فلسطين يعيد الى الانسان الفلسطيني كرامته وعزته وحرية ... وان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ... وان الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الأول والاصيل في تحرير واسترداد وطنه » كما جاء في المواد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ من الميثاق الوطني الفلسطيني . وان اي نظرة شمولية الى تاريخ نضال الشعب الفلسطيني تثبت ان هذه المبادئ الأساسية هي تجسيد للاماني الوطنية لهذا الشعب وتعبير عن ارادته وبلورة لمسار حركته الوطنية .

وكون هذه المبادئ التي طرحتها المنظمة تعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني استتبع ان تقر جماهير الشعب للمنظمة بحق تمثيلها والنطق باسمها . غير ان علينا هنا ان نستدرك ونوضح مفهومنا لكلمة جماهير . فاننا نعني بهذا التعبير القوى المنظمة الفاعلة المنبثقة عن الجماهير نفسها والقادرة على التعبير عن مصالحها وطموحاتها وتجسيد حركتها نحو اهدافها . وان كل حديث يتناول الجماهير بتجريد ويسقط من حسابه هذه القوى المنظمة يظل حديثا غير مبني على اساس . فالجماهير العريضة غير المنظمة تبقى من ناحية عملية ، خاصة في ظل التشتت الفلسطيني ، غير قادرة على التعبير عن ارادتها عن غير طريق قواها المنظمة . وبسبب خضوع الفلسطينيين في شتاتهم وفي مواقعهم تحت الاحتلال ، لارادات غريبة عنهم مختلفة متناقضة وقاهرة في الاغلب ، فان تزوير ارادة هذه الجماهير العريضة ، اذا عزلت عن قواها المنظمة ، وتصويرها على غير حقيقتها ، ليس بالامر العسير حتى ولو كان التعرف على هذه الارادة عن طريق استفتاء « شعبي » . ومن هنا نؤكد ان اعتراف الجماهير الفلسطينية بتمثيل المنظمة لها يتأتى من خلال اعتراف قوى الجماهير المنظمة الفاعلة بهذا التمثيل . وبطبيعة الحال ، فان هذا لا ينفي مطلقا ان تكون الجماهير العريضة قد اقرت بشكل او باخر بمثل هذا الاعتراف غير ان مقاييسنا لدى الحديث عن القوى المنظمة تكون واضحة اكثر كما ان التعرف على آرائها

وانجاهاتها يكون اقرب الى الدقة\* . وقوى الشعب الفلسطيني المنظمة التي نعنيها هنا هي : (١) الاتحادات الشعبية التي تمثل القطاعات الفئوية والمهنية من الشعب والتي هي مراكز تجمع استقطابي للعناصر النشطة الفاعلة من قطاعات العمال والطلاب والمرأة والمعلمين والكتاب والصحفيين وذوي المهن الطبية والحقوقيين والفنانين والرياضيين ، و (٢) منظمات المقاومة التي تجسد حركة الشعب السياسية والقتالية .

لقد اعتبرت الاتحادات الشعبية م. ت. ف. ممثلة للكيان الفلسطيني ، والانظمة الداخلية للاتحادات تنص على انها قاعدة من قواعد المنظمة بتعبير ومن قواعد الثورة بتعبير آخر (الصيغتان تؤديان الى المعنى الواحد طالما فصائل الثورة تعتبر م. ت. ف. الاطار الذي يضم القوى الثورية) . وسنذكر فيما يلي امثلة على موافق الاتحادات من المنظمة اخترناها في ازمئة متفاوتة بقصد اظهار ان هذه الاتحادات وتحت مختلف الظروف ظلت متمسكة باعتبار م. ت. ف. ممثلة للشعب الفلسطيني .

في ١٩٦٤/١١/٦ اصدر مؤتمر الاتحاد العام لطلبة فلسطين المنعقد في غزة قرارات اعلن فيها تأييده لقيام م. ت. ف. ودعا ابناء فلسطين الى الانضمام اليها كما قرر الاتحاد اعتبار نفسه جزءا من المنظمة . وجاء في قرارات المؤتمر الوطني الخامس للاتحاد نفسه الذي عقد في عمان بين ١٩٦٩/٧/٣١ - ١٩٦٩/٨/٦ ان المؤتمر يقرر التأييد الكامل لم. ت. ف. في وضعها الجديد على اعتبار انها تمثل جبهة وطنية لكافة المقاتلين والوطنيين من ابناء الشعب الفلسطيني، والالتزام بالميثاق الوطني الفلسطيني لم. ت. ف. وفي المؤتمر الاول للاتحاد العام لعمال فلسطين الذي عقد في غزة في ١٤/٤/٦٥ اكد الاتحاد في قراراته ان م. ت. ف. هي الممثلة الوحيدة لشعب فلسطين والقاعدة لنضاله . كما ايد المؤتمر قرار الهيئة التنفيذية السابقة للاتحاد الذي نص على ان الاتحاد قاعدة من قواعد المنظمة . وفي ٦٧/٤/٢١ صدرت قرارات المؤتمر الثاني للاتحاد الذي عقد في القاهرة واكدت القرارات ان م. ت. ف. هي رمز للكيان الفلسطيني ومقادة النضال نحو التحرير . وفي ١٩٦٦/١٢/٢ صدر النظام الاساسي لاتحاد الكتاب الفلسطينيين وقد نصت المادة الاولى منه على ان الاتحاد جزء لا يتجزأ من م. ت. ف. وفي ١٩٦٧/٩/٩ صدر بيان عن الاتحاد العام لعمال فلسطين والاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد النسائي الفلسطيني اعتبر وجود المنظمة انتصارا على التشريد والضياع والمزايدة وانتصارا لحق الشعب الفلسطيني في الوحدة والعمل من اجل الحياة على ترابنا الغالي . أما بالنسبة لفصائل المقاومة والقوى السياسية والقتالية المنظمة للشعب الفلسطيني فقد بدأت مشاركتها رسميا في اعمال المنظمة في المجلس الوطني الفلسطيني الرابع الذي عقد في القاهرة في الفترة من ١٠ - ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، غير انه اذا كان هذا التاريخ يمثل اسهام هذه الفصائل في المنظمة رسميا فاننا نستطيع ان نقول انها شاركت في اعمال

\* تشير الى واحد من المقياس التي تدل على موقف الجماهير العريضة من م. ت. ف. وهو مقياس رقمي محدد : لقد ذكر التقرير المالي السابغ للصندوق القومي الفلسطيني المقدم الى المجلس الوطني الفلسطيني في تموز (يوليو) ١٩٧١ ان ايرادات م. ت. ف. قد بلغت خلال الفترة من ١٩٧٠/٧/١ الى ١٩٧١/٢/٢٨ مبلغ ١٢٢٦٠٥٧٧ ديناراً اردنياً بالإضافة الى فوائد مقبوضة على اموال المنظمة من البنوك . وقد كان ٩٤٠٦٧٢ ديناراً من اصل هذا المبلغ خصيلة ضريبة التحرير (وهي ضريبة يدفعها المواطن الفلسطيني الى المنظمة بنسبة تتراوح بين ٣ و ٦ بالمائة من دخله) ويضاف الى هذا المبلغ ٤٩٠٣ دنانير من حسيات موظفي المنظمة . ونستنتج من هذا ان نسبة ٧٣ بالمائة من ايرادات المنظمة قد تحققت من المواطنين الفلسطينيين ويضاف الى هذه النسبة جزء كبير من بابين آخرين للايرادات اوردتها التقرير وهما الجباية الموحدة في الاردن وفي الكويت التي كانت حصيلتها ٨٨٤٨٧ ديناراً مجزء كبير من هذه الجباية يتأتى من المواطنين الفلسطينيين في هذين القطرين . وبذلك نستطيع ان نستخلص ان نحو ٨٠ بالمائة من ايرادات م. ت. ف. يتأتى من الفلسطينيين انفسهم .

القطعة عند قيامها . فقد فكرت منظمة الحركة فتح موجبة إلى المؤتمر الثالث للرؤساء العرب في الدار البيضاء في الأول من ديسمبر ١٩٦٥ . أما حينئذ فقد اتفقوا على أن تكون اجتماعين مع المنظمة وأستركيا في أجهزتها . كما أشتراك ستائر الوظائف الفلسطينية « (١٦) . وفي محاضره القاها صالح قبل ، أحد أعضاء حركة القوميين العرب ، في بيروت بتاريخ ١٥/٥/٦٥ قال « لم يعد سرا البادرة الايجابية التي قام بها الجهاز الفلسطيني في حركة القوميين العرب حين انخرط في صفوف المنظمة وانضوي تحت لوائها » (١٦) . ويذكر الشقيري ان فتح وحركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية ( ج . ت . ف ) تمثلت في المجالس الوطنية التي عقدت قبل حزيران ١٩٦٧ (١٥) . غير ان هذا التمثيل للقوى الفلسطينية الذي كان الشقيري يصر على ان يكون شخصا اكثر منه شيلا لقوى منظمة ، اتخذ له شكلا ارقى واكثر فعالية في المجلس الرابع ، الذي اشرنا اليه ، وهو اول مجلس وطني يعقد بعد حرب ١٩٦٧ . ولقد كانت اهمية ذلك المجلس في تقديرنا ، بالاضافة الى اشياء اخرى ، ان قوى الشعب الفلسطيني المنظمة اصبحت هي التي تمثل الشعب داخل الاطر التشريعية والتنفيذية ل . م . ت . ف . واذا كان بعض فصائل المقاومة قد تحفظ في الاشتراك ببعض المجالس الوطنية التي اعقبت المجلس الرابع ( الشعبية في المجلس الخامس والسادس ، الديمقراطية في الخامس ، التحرير العربية في السابع - هي نشأت بعد المجلس السادس ) فان المجلس السابع الذي عقد في القاهرة في ايار ( مايو ) ١٩٧٠ ضم جميع الفصائل ( الشعبية شاركت رمزيا ) باستثناء جبهة التحرير العربية ، وقد تمثلت في المجلس التاسع ( تموز ١٩٧١ ) جميع الفصائل ، الا ان الذي استتبع انبثاق لجنة تنفيذية ل . م . ت . ف . تمثلت فيها جميع الفصائل الرئيسية ( فتح ، الشعبية ، الديمقراطية ، الطلائع ، التحرير العربية ) .

ان اشتراك فصائل المقاومة في الاجهزة التشريعية والتنفيذية ل . م . ت . ف . وموافقتها على ميثاقها ( هي عدلته في المجلس الرابع لينسجم مع متطلبات المرحلة ) يكسب التنظيم قوة تمثيلية لجماهير الشعب الفلسطيني تستمد منها من اقرار مبدأ التمثيل وممارسته فعلا من جانب القوى المنظمة لهذه الجماهير . وقد اكدت هذه الفصائل هذا التصور في شكل واضح وصريح في البرنامج السياسي والتنظيمي للثورة الفلسطينية الذي وضعه المجلس الوطني الثامن في ٢٨/٢ - ٥/٣/١٩٧١ وتبناه المجلس التاسع ( في تموز ١٩٧١ ) والذي جاء فيه « ان . م . ت . ف . هي الممثل الوحيد لجماهير الشعب الفلسطيني بمختلف منطلقاته المقاتلة والسياسية ويجمع هياتته وجميعياتها معها تكن اتجاهاتها وافكارها شريطة التزامها التام بمبادئ الميثاق الوطني الفلسطيني وقرارات الاجهزة التشريعية والتنفيذية ل . م . ت . ف . وبالبرنامج السياسي والعسكري واللائحة الداخلية للمنظمة » (١٦) . وقد جاءت قرارات المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة في الفترة من ٦ - ١٢ نيسان ( ابريل ) ١٩٧٢ لتعزز تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني . وقد شارك في انعقاد هذا المؤتمر ٥٣٤ عضوا - بالاضافة الى ١٥٤ عضوا هم أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني - يتوزعون على ١٦ قطرا عربيا و ٨ قطرا اجنبية ويضمون بين اعدادهم ممثلين عن ١٢ اتحادا ومؤسسة ومركزا بالاضافة الى ممثلي فصائل المقاومة . وقد كان من قرارات هذا المؤتمر « تظل . م . ت . ف . هي القيادة السياسية العليا للشعب الفلسطيني وهي وحدها الناطقة باسمه في كل القضايا المصرية وهي وحدها ومن خلال اجهزتها النضالية مسؤولة عن كل ما يتعلق بحقوق تقرير المصير بالنسبة للشعب الفلسطيني » و « ان . م . ت . ف . هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، التي عن امانته وارادته ، وانه لا يحق لاي كان ان يقرر بشأن فلسطين ، ارضا وشعبا ، غير ما يقرره الشعب الفلسطيني نفسه ممثلا في . م . ت . ف . ووفقا لميثاقها والتزاما بتحرير كامل التراب الفلسطيني . وان اي اجراء او ترتيب او اتفاق يصدر عن اي مصدر اخر

إنما هو حال من الشرعية كليا ويظل كذلك دوماً» (١٧) .

هذه الشرعية التي اكتسبتها م. ت. ف. في تمثيل الشعب الفلسطيني تقودنا الى إبراز حقيقة **وحدة الشعب الفلسطيني** . فهو رغم تميزته نتيجة احتلال أراضيه الى **تجمعات** متباعدة اضطرت الى الإقامة في أطر جغرافية سياسية منفصلة ، إلا انه موجود ك**شعب واحد** ذي هوية وطنية ومطامح قومية واحدة . وهذه الحقيقة نستخلصها من تمسك الفلسطينيين — في مختلف تجمعاتهم وتحت تباين الظروف السياسية والاجتماعية التي تخضع لها هذه التجمعات — بشخصيتهم الفلسطينية ورفضهم الأذابة في غيرهم من المجتمعات واستجابتهم السريعة لعملية بعث الكيان الفلسطيني التي عبروا عنها بخلقهم المؤسسات التي تجسد هذا الكيان ذا الشخصية المتميزة ، كما نستخلصها من هذا الامتداد التنظيمي الواسع لفصائل حركة المقاومة الفلسطينية الذي يغطي جميع الساحات التي يوجد فوقها فلسطينيون . وقد أكدت الأمم المتحدة في عدد من قراراتها هذا الوجود الوطني للشعب الفلسطيني ونشر في هذا الصدد الى القرار رقم ٢٥٣٥ بتاريخ ١٠/١٢/١٩٦٩ والقرار رقم ٢٦٧٢ بتاريخ ٨/١٢/١٩٧١ الصادرين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة اللذين اعترفا بحق تقرير المصير لشعب فلسطين كما نشر الى القرار رقم ٢٧٨٧ بتاريخ ٦/١٢/١٩٧١ الذي اقر بحق شعب فلسطين — بجانب شعوب أخرى ذكرها القرار — في النضال من أجل تقرير المصير والتحرر من السيطرة الأجنبية والاستعمارية بجميع الوسائل المنسجمة مع ميثاق الأمم المتحدة (١٨) . وان مثل هذه القرارات تؤكد على ان الشعب الفلسطيني له وجود واحد وان قضيته هي قضية واحدة وان اضطراؤه الى الإقامة في أماكن متباعدة لا ينفي وحدة وجوده وقضيته .

ومن هنا نعتبر وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة قضيته مدخلا رئيسيا الى رفض ادعاء أية جهة ( في ذهننا الملك حسين والانتخابات البلدية في الضفة الغربية المحتلة ) حق تمثيل الشعب الفلسطيني طالما ان هذه الجهة لا تعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني باجمعه وهي في الوقت نفسه نفتت قضيته الواحدة . وحتى لو استطاعت هذه الجهة ، بأي وسيلة من الوسائل ، انتزاع تفويض من أي تجمع فلسطيني — ضمن اطار جغرافي سياسي معين — يتمثل هذا التجمع فان مثل هذا الامر لا يخول هذه الجهة حق النطق باسم الشعب الفلسطيني لأن التجمعات الفلسطينية الأخرى وبالتالي الشعب الفلسطيني من حيث هو وجود وطني واحد لم يكن معنيا بهذا التفويض .

**خلاصة :** (١) اذا كانت م. ت. ف. قد ولدت في « أحضان مؤتمر القمة » ، كما يخلو التعبير للبعض ، فان هذا لا ينفي على الاطلاق ان المنظمة ، فكرة قبل ان تولد وحقيقة بعد قيامها ، جسدت طموحا فلسطينيا متشروعا لبعث كيانه الوطني المستقل . (٢) ان المنظمة تكتسب شرعية تمثيلها للشعب الفلسطيني ليس من واقع اعتراف الحكومات الغربية ، وبعض الدول الأجنبية ، بها فحسب ، وإنما تستمد هذه الشرعية ، في المرحلة الراهنة على الاخص ، من كونها ملتقى لارادات الشعب الفلسطيني المجسدة بقواه المنظمة الفاعلة . (٣) ليس لجهة منازعة المنظمة حق تمثيل الشعب الفلسطيني ، لأن ما من جهة بقادرة ( في ظل التوزيع الجغرافي — السياسي الراهن ) على ادعاء النطق باسم الشعب الفلسطيني ، الذي هو وحدة وطنية واحدة ، في مختلف تجمعاته .

- ١ — عدلي جشاد ، شعب فلسطين في طريق العودة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٠٣ .
- ٢ — المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .
- ٣ — صحيفة أخبار الاسبوع الاردنية ، ٥/٢٢/١٩٦٤ ، مقال بتوقيع «فتح» .
- ٤ — فلسطيننا ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ .
- ٥ — المصدر نفسه ، العدد ١٣ ، كانون الثاني ١٩٦١ .

- ١٥ - المصدر نفسه ، العدد ١٥ ، الثاني ١٩٦١ .
- ١٦ - مقال بتوقيع « فتح » .
- ١٧ - المصدر نفسه ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ ، مقال بتوقيع « فات ح » .
- ١٨ - المصدر نفسه ، العدد ١٥ ، آذار ١٩٦١ .
- ١٩ - المصدر نفسه ، العدد ١٣ ، كانون الثاني ١٩٦١ .
- ٢٠ - المصدر نفسه ، العدد ١٥ ، آذار ١٩٦١ .
- ٢١ - المصدر نفسه ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ .
- ٢٢ - المصدر نفسه ، مقال بتوقيع « فات ح » .
- ٢٣ - الوثائق العربية للعام ١٩٦٣ ، الجامعة الأميركية في بيروت ، ص ٦٨٨ نقلا عن صحيفة الجاهز ١٩٦٣/١/١١ .
- ٢٤ - انظر احمد الشقري ، من القمة الى الهزيمة ، دار العودة ، بيروت ١٩٧١ ، الصفحات ٥٧ - ٦٠ .
- ٢٥ - Lella S. Kadi, *Basic Political Documents of the Armed Palestinian Resistance Movement*, P. L. O. Research Center, Beirut, 1969, p. 19.
- ٢٦ - وزارة الارشاد القومي في ج.ع.م . ملف وثائق فلسطين ، الجزء الثاني ص ١٢٢٢ .
- ٢٧ - احمد الشقري ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .
- ٢٨ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤ ، ص ٧٢ .
- ٢٩ - Lella S. Kadi, *Arab Summit Conferences and the Palestine Problem*, P. L. O. Research Center, 1966, p. 102.
- ٣٠ - الكتاب السنوي ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .
- ٣١ - ليلي القاضي ، مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
- ٣٢ - المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .
- ٣٣ - احمد الشقري ، المصدر السابق ، ص ٩١ .
- ٣٤ - صحيفة « العرب » العراقية (٦٤/٥/١٧) نشرت اسماء اللجنة التحضيرية في العراق ، « المحرر » اللبنانية ( ٦٤/٥/٩ ) نشر اسماء اللجنة في سورية ، « المحرر » (٦٤/٥/١٦) نشرت اسماء اللجنة في قطر والخليج العربي ، « الحوادث » اللبنانية (٦٤/٥/٨) نشرت اسماء اللجنة في لبنان .
- ٣٥ - المصدر السابق ، المصدر السابق ، ص ٢١ .
- ٣٦ - ملف وثائق فلسطين ، المصدر السابق ، ص ١٢٨٢ .
- ٣٧ - نشرة « الناشر العربي » الناطقة بلسان جبهة التحرير العربية ١٩٦٩/١/٣ .
- ٣٨ - مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
- ٣٩ - الوثائق العربية للعام ١٩٦٣ ، الجامعة الأميركية في بيروت ، ص ٨٢٩ .
- ٤٠ - ملف وثائق فلسطين ، المصدر السابق ، ص ١٢٦٧ .
- ٤١ - الملك حسين ، حربنا مع اسرائيل (تخویر فيك فانتس وبيار لوير) ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٢ .
- ٤٢ - احمد الشقري ، المصدر السابق ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٥ .
- ٤٣ - المصدر نفسه ، ص ٤٦ - ٥٠ .
- ٤٤ - مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ٩٩ .
- ٤٥ - مقابلة خاصة مع احمد الشقري ، كنفون ١٩٧٢/٥/١١ .
- ٤٦ - نقلته صحيفة « النهار » البروتستانتية ١٩٦٤/٥/٢٧ .
- ٤٧ - صحيفة « البعث » السورية ، ١٩٦٨/٥/١٩ .
- ٤٨ - ١٩٦٤ .
- ٤٩ - الوثائق العربية (تيسان - حزيران ١٩٦٤) الجامعة الأميركية في بيروت ، ص ٦٦٩ .
- ٥٠ - الوثائق العربية للعام ١٩٦٤ ، الحاضنة الأميركية في بيروت ، ص ٤٥٧ .
- ٥١ - احمد الشقري ، المصدر السابق ، ص ٦١ ، ٦٢ .
- ٥٢ - صحيفة « الجهاد » الاردنية ، ١٩٦٨/٥/١١ .
- ٥٣ - ١٩٦٤ .
- ٥٤ - غسان كنفاني ، صحيفة « المحرر » اللبنانية ، ١٩٦٤/٤/٦ .
- ٥٥ - نشرته « المحرر » ١٩٦٤/٣/٢٥ .
- ٥٦ - الوثائق العربية للعام ١٩٦٤ ، الحاضنة الأميركية في بيروت ، ص ٢٥٣ .
- ٥٧ - المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .
- ٥٨ - بيان لحركة القوميين العرب في ١٩٦٤/١/١٤ منشور في المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ .
- ٥٩ - بيان للاتحاد صانز في ١٩٦٤/٣/١٧ .



- ٥٨ - اذاعت البيان اذاعة القاهرة ونشرته الصحف العربية في ١/٨/١٩٧١ .
- ٥٩ - من محضر جلسة مجلس الوزراء اللبناني في ٢٦/١١/٦٤ . محفوظات مكتب م. ت. ف. ب. بيروت .
- ٦٠ - نشرتها صحيفة « النهار » اللبنانية في ٢٠/٤/١٩٧٠ .
- ٦١ - الكتاب السنوي للعام ١٩٦٤ ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .
- ٦٢ - المعلومات مستقاة من مقابلة خاصة في دمشق ، آذار ١٩٧٢ ، مع السيد عبد الكريم الكرمي الذي مثل المنظمة في مؤتمرات منظمة التضامن ومجلس السلم العالمي .
- ٦٣ - منشورة في كتاب ناجي علوش ، مناقشات حول الثورة الفلسطينية ، دار الطليعة بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٢٣ .
- ٦٤ - نشرتها صحيفة « المحرر » اللبنانية ، ٢٤/٥/٦٥ .
- ٦٥ - مقابلة خاصة مع الشقيري ١١/٥/٧٢ .
- ٦٦ - نص البرنامج نشرته صحيفة « فتح » في ملحق خاص .
- ٦٧ - كراس أصدرته م. ت. ف. ب. من أعمال المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الفلسطيني .
- ٦٨ - قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بهذا الموضوع موجودة ضمن محفوظات مركز الأبحاث في م. ت. ف. ب. بيروت .

- منشور في الوثائق العربية ، المصدر السابق ، ص ١١ .
- ٤٨ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ص ٩٢ .
- ٤٩ - مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ٨٩ .
- ٥٠ - احمد الشقيري ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .
- ٥١ - المصدر نفسه ، ص ١٦ .
- ٥٢ - مؤتمر صحفي عقده في القاهرة في ٢٠/١/١٩٦٤ ، الكتاب السنوي ، المصدر السابق ، ص ٧٠ ، ٧١ .
- ٥٣ - احمد الشقيري ، المصدر السابق ، ص ٦١ .
- ٥٤ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الوثائق العربية الفلسطينية للعام ١٩٦٦ ، ص ٨٩ .
- ٥٥ - المادة الرابعة من قواعد علمة والمادة الخامسة من شؤون العمل العدائي ، من اتفاقية عمان ، نشرت في كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني الصادر عن مركز الأبحاث في م. ت. ف. ب. بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤٤١ - ٤٤٧ .
- ٥٦ - نص اتفاقية القاهرة مذكور في المصدر نفسه ، ص ٤٢٥ - ٤٢٧ .
- ٥٧ - مركز التخطيط في م. ت. ف. ب. ، لائحة الاتهام ضد وصفي التل ، ص ٩٦ .

## الهوة الاجتماعية في اسرائيل

عبد الحفيظ حجازي

على راس المشاكل الاساسية التي يعاني منها مجتمع المهاجرين والمستوطنين في اسرائيل ، مشكلة الهوة الاجتماعية الناجمة عن التناقضات الكامنة في المجتمع الاسرائيلي . وقبل التطرق الى كنه الهوة الاجتماعية وماهيتها وحجبها لا بد لنا من الوقوف قليلا عند توقيت تفجر التناقضات ، والاسباب الكامنة وراءها . ترتبط مشكلة توقيت تفجر التناقضات الاجتماعية في اسرائيل ، الى حد بعيد بحالة الاستقرار الامني ، كما ترتبط ارتباطا وثيقا بالقناعة الذهنية للجماهير الاسرائيلية باستقرار الازمات الامنية وبقوة الجيش الاسرائيلي ، بمعنى آخر ان التناقضات الاجتماعية ، وهي موجودة منذ قيام الدولة وحتى قبل قيام الدولة في فترة ما يعرف باليشوف ، تبرز على سطح الاحداث في الساحة الاسرائيلية ، تتفجر في حالة الاستقرار الامني ، وتطمس او تحبس في حالة التوتر الامني . وعلى سبيل المثال فان التناقضات الاجتماعية لم تصل الى درجة من التفجر مع انها كانت قوية خلال الاعوام التي سبقت العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ذلك لان هذه الفترة شهدت توترا أمنيا ناجما عن الاصطدامات على امتداد الحدود بين الجبهات العربية وخاصة المصرية ، كما وشهدت موجة من النشاط الفدائي وخاصة في قطاع غزة . الا ان التناقضات الاجتماعية وصلت الى درجة التفجر في فترة الهدوء الامني التي نعمت بها اسرائيل نتيجة توقف الاشتباكات على الحدود ، ووقف النشاط الفدائي ، ووضع قوات طوارئ دولية في قطاع غزة وسيناء ، وخرم مثال على ذلك حوادث « وادي الصليب » في حيفا في صيف عام ١٩٥٩ ، حيث قامت الفئات المسحوقة الميزرة في تلك الضاحية بانتفاضة اخذت شكل التظاهرات المشفوعة بالعنف ، وامتدت لتتغلغل في معظم المناطق الاسرائيلية التي توجد فيها الفئات المسحوقة من اليهود الشرقيين ، ومع ذلك فان التناقضات اخذت تضبط بشكل او باخر ، ولم تصل عند مطلع الستينات وحتى ١٩٦٧ الى درجة التفجر بسبب القناعة الذهنية للجمهور الاسرائيلي بأن حالة الامن ليست على ما يرام ، وبأن « النصر الذي احرزه الجيش الاسرائيلي » قد ساهم في دولتان كبيران . اما بعد حرب جزيران ، وما نجم عن ذلك من قناعة ذهنية في اوساط الجمهور الاسرائيلي ، بأن الجيش الاسرائيلي يتمتع بقوة كبيرة بإمكانها التصدي لأي خطر خارجي ، فقد بدأت التناقضات الداخلية تطفئ على السطح وبشكل قوي ، تجعل الكثيرين وخاصة المسؤولين منهم يتخوفون على مصير الدولة ويخشون من اقتراب خراب الهيكل الثالث ! وقد عبرت عن هذه التناقضات وبشكل لم يسبق له مثيل من حيث احدة التفجر حركة الفهود السود عند مطلع عام ١٩٧١ .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان التناقضات الاجتماعية لا تتفجر مباشرة على اثر انتصار عسكري بل العكس هو الصحيح ، فهذه التناقضات تحبس تماما في فترة الهدوء التي تعقب نصرا عسكريا ، كما تحبس تماما في حالة التوتر العسكري ، وتفسر ذلك ان مرحلة الهدوء التي تعقب نصرا عسكريا تكون بمثابة مرحلة « نشوة الانتصار » على حد

درجت وسائل الاعلام الاسرائيلية على التهويل من خطره . الا انه بعد ان تتلاشى مرحلة « نشوة » الانتصار فان التناقضات الاجتماعية تبدأ بالظهور ، ومن هنا يمكن القول ان مسألة تفجر التناقضات الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحالة الذهنية التي تسود الجمهور الاسرائيلي حول مدى قوة الجيش الاسرائيلي ومدى واهن خصمه .

يدرك السلطات الاسرائيلية مدى الترابط الوثيق بين الاستقرار الاثني وتفجر التناقضات الداخلية في المجتمع الاسرائيلي ، ولذا تراها لا تكف عن التهويل « بالخطر الخارجي » المحقق بإسرائيل من جميع الجوانب سواء اكان الخطر حقيقيا ام خياليا بغرض طمس التناقضات الاجتماعية المتفجرة وكتبتها ، الا ان هذا الدأب على التلويح والتهويل بالخطر الخارجي الذي ترفعه اوساط عسكرية وسياسية حاكمة ، بسبب عجزها عن حل التناقضات الداخلية ، ينطوي على خطر بالنسبة لطرفين اساسيين : الجانب العربي الذي يمثل « الخطر الخارجي » والخطورة تتمثل هنا في احتمال تعرضه لضربات تعتبر بمثابة حبوب منومة للتناقضات الداخلية في اسرائيل ، والجانب الاخر هو مجموعة الفئات المتضررة من التناقضات الاجتماعية ، والخطورة تتمثل هنا في استدامة هذه التناقضات دون ايجاد حلول جذرية لها . ومما هو جدير بالملاحظة ان سلاح التلويح بالخطر الخارجي قد فقد لمعانه ومفعوله لدى الجمهور الاسرائيلي وخاصة لدى الفئات المسحوقة منه ، فعلى اثر النصر العسكري الخيالي الذي احرزه الجيش الاسرائيلي في حرب حزيران ، امحت الصورة المضخمة والمبالغ بها للخطر الخارجي من اذهان الجمهور الاسرائيلي ، وارتسمت مكانها صورة أخرى تجعل من سياسة التلويح به ، موضع نقد وتهكم فئات واسعة في اسرائيل .

من المعروف ان هنالك اوساطا عسكرية ومدنية من بين مبلوري السياسة الاسرائيلية ومنفذيها كانت ولا تزال تعتقد بأنه لا يمكن رفع علم الامن وعلم المساواة الاجتماعية دفعة واحدة لان ذلك من شأنه ان يمس ميزانية الدفاع وان الواجب يتطلب رفع علم الامن فوق الاعلام الاخرى كافة . ويقف على رأس هؤلاء وزير الدفاع موشيه ديان . لقد فقد هذا الشعار بريقه بعد حرب حزيران لدى قسم كبير من الجمهور الاسرائيلي ، وحتى لدى بعض المقربين الى ديان نفسه ، والتي الاوساط المترتبة على جهاز الامن في اسرائيل ، فقد خالفت « ياعيل ديان » ابنة وزير الدفاع اباها الراي وطالبت بضرورة رفع العلمين معا ، قائلة : « لقد فشلنا في عملية دمج يهود الشتات . . . يوجد في البلاد تمييز طائفي وانه لا مفر فظيع التفكير بأن هنالك فقرا في البلاد وان ثمة عائلات لا تتمكن من شراء اللحم حتى ليوم السبت . . . يوجد في البلاد مواطنون من الدرجة الثانية » (١) .

اما رئيس هيئة الأركان السابق للجيش الاسرائيلي البروفيسور يجال ديدن الذي يحظى باحترام الاوساط العسكرية والمدنية الحاكمة في اسرائيل ، فقد رفض ادعاء ديان والتلويح بخطر الحرب ، لانه يرى ان الخطر بحد ذاته يكمن في التفاوض عن حل القضايا الداخلية : « سيكون ذلك بالنسبة لنا امرا ينطوي على جانب كبير من الخطورة اذا تخلىنا عن ايجاد حلول للمشاكل الكبيرة التي تواجهنا بحجة تهديدات الحرب ، هذه التهديدات التي يمكن ان تبقى تحوم فوق رؤوسنا اعواما عدة . . . ان العامل السلبي المتخض عن المشاكل الاجتماعية قد يشكل في يوم من الايام خطرا جديا حتى من الناحية الامنية ، ولذا لا نستطيع بأي حال من الاحوال قبول الادعاء القائل باستحالة رفع العلمين دفعة واحدة ، وكاننا اذا رفعنا علم الامن لا بد لنا من ان نطوي علم الإصلاح الاجتماعي . ينبغي علينا رفع العلمين معا » (٢) .

الى جانب ارتباط التفجرات الاجتماعية بحالة الامن ، هنالك عامل آخر اخذ ، بعد ولادته ونضوجه ، يزيد من حدة تفجر التناقضات الاجتماعية الناجمة عن التمييز الاثني ، واعني به عامل الجيل الثاني من ابناء الطوائف الشرقية . فالجيل الاول من ابناء هذه الطوائف

والذي يعرف بجيل الأبناء كان في الخمسينيات والستينيات هو الذي تصدى الواجبات  
البائس في مجتمع المهاجرين والمستوطنين الذي يسره ويتحكم به أبناء الطبقة فوقية من  
الطوائف الغربية ، وقد كان هذا الجيل ولا يزال يشعر ويحس بالضعة تجاه أبناء  
الطوائف الغربية ، ولذا فان تطلعاته وتحركاته من اجل تحسين اوضاعه لم تتعد المطالبات  
اليومية الحياتية ، انه جيل يطلب ولا يأخذ ، اما جيل الابناء فانه يختلف اختلافا كبيرا عن  
الجيل السابق من حيث عدم السكوت على الغبن الواقع عليه . وهذا الامر واضح في  
مجتمعات المهاجرين ، فالمجموعات الاثنية المهاجرة حديثا الى مجتمع جديد تحاول بكل  
هدوء العيش ضمن المجتمع الجديد ، وتكبت نفسها بقدر الامكان اذا ما واجهت واقعا  
تمييزيا ، الا ان جيل الابناء من تلك المجموعات يتمرد على الواقع التمييزي ، خاصة اذا  
كانت قوانين ذلك المجتمع تدعو الى المساواة . وهذا الامر ينطبق تماما على الجيل الثاني  
من ابناء الطوائف الشرقية الذي نُضح ، عند مطلع الستينيات ، وقام في عام ١٩٧١  
بحركة تمردية على الواقع التمييزي ، يسعى الى الاخذ بالعنف وليس المطالبة  
باستعطاء ، يسعى الى استئصال اسباب مظاهر التمييز ولا يكتفي بتلبية حاجات آتية  
وذاوية . هذا العامل الجبلي له اثر كبير في زيادة حدة التفجرات الاجتماعية في اسرائيل .  
يمكن تلخيص ما سبق بالقول بان مسألة تفجر التناقضات الاجتماعية مرتفعة بعاملين  
اساسيين ، الاستقرار الامني ، وظهور الجيل الثاني كقوة مختلفة عن الجيل السابق  
وان مشكلة كبت تلك التناقضات وحبسها مرتفعة بتصعيد التوتر الامني .

نعود الان الى القاء ضوء على التركيب البنيوي للمجتمع الاسرائيلي ، لكي نتسنى لنحيا  
معرفة التناقضات القائمة فيه وبالتالي معرفة هوية ما يعسرف في اسرائيل بالهوية  
الاجتماعية .

يتشكل المجتمع الاسرائيلي كسائر المجتمعات الاخرى من طبقات ، فهناك طبقة برجوازية  
كبيرة وطبقة برجوازية متوسطة واخرى صغيرة ، وفي المقابل طبقة عمالية وفلاحية وثقافات  
« هامشية » او ما يسمى بالبروليتاريا الرثة ، وهي التي اخرجت من جوفها حركة الفهود  
السود عند مطلع ١٩٧١ ، الا ان هذا المجتمع يتميز عن المجتمعات الاخرى بكونه مجتمع  
مهاجرين ومستوطنين ، كان ولا يزال يعتمد على الهجرة والاستيطان الى ان تكتمل عملية  
جمع « يهود الشتات » في « دولة اليهود » . والامر الذي يسترعي الانتباه والاهتمام معا هو  
ان حدة التناقضات القائمة في المجتمع الاسرائيلي لا تكمن في عامل الصراع الطبقي بقدر  
ما هي كائنه في عامل الصراع الاثني الطائفي ، ذلك ان التقسيم الطبقي يقابله تقسيم اثني  
طائفي رئيسي ، يهود البلدان الغربية ( اكثريةهم الساحقة من يهود شرق أوروبا  
اشكناز ) ويهود بلدان آسيا وافريقيا اكثريةهم الساحقة من البلدان العربية ( اسفاراديم ) .  
وتتوزع الاكثرية الساحقة من ابناء الطائفة الاولى على مجموعة من الطبقات العليا في  
المجتمع ، بينما يتوزع سواد ابناء الطائفة الثانية على مجموعة الطبقات الدنيا . ( اي انه  
اذا القينا نظرة على الهرم الاجتماعي القائم في اسرائيل نرى ان الطبقة الفوقية منه قد  
استقطبت الاكثرية الساحقة من ابناء الطوائف الغربية ، وان الطبقة التحتية منه قد  
استقطبت الاكثرية الساحقة من ابناء الطوائف الشرقية . من الجائز القول ان الهوية  
الاجتماعية القائمة في اسرائيل ناجمة بالاساس عن عملية الصراع الطبقي ، ولكن  
من الصحيح والمؤكد ان عملية استقطاب وتجسيد الطبقات قد جرت على اساس طائفي  
اثني ، لعب فيها العامل الاثني دورا اساسيا ، ولذا فان الهوية الاجتماعية القائمة هي  
بين ابناء الاشكناز كطبقة فوقية وبين ابناء الطوائف الشرقية كطبقة تحتية .

على انه ينبغي ان لا يغيب عن بالنا وجود هوات اجتماعية اخرى التي جانب الهوية  
الرئيسية التي نحن في صدد الحديث عنها ، فالمجتمع الاسرائيلي الذين يحتضن مهاجرين  
قدموا من ١٠٢ بلد ويتكلمون ٨٢ لغة (٣) يعاني من الهوية بين المهاجرين الجدد والمهاجرين

الغندلمى . وكذلك دولة اسرائيل التي يفترض ان تكون وفق المبادئ الصهيونية « دولة اليهود » وليس دولة يهودية ، تعاني من الهوة القائمة بين الفئات المتدينتنة والفئات اللادينية ، ولعل هذه الهوة من أبرز القضايا التي عايشت مجتمع الشوف قبل قيام الدولة ولا زالت تعيش المجتمع الاسرائيلي حتى الان . فالمتدينون وهم يشكلون نسبة تقارب الـ ٣٠ ٪ من مجموع السكان اليهود في اسرائيل ( نحو ١٥ ٪ من المقترعين صوتوا الى احزاب دينية في الانتخابات الاخيرة ) يدعون الى التمشي وفق الشريعة اليهودية في جميع المجالات ، كما يطالبون بالحفاظ على الطابع الديني للدولة . بينما يدعو اللادينيون الى فصل الدين عن الدولة وهذا امر بعيد المنال في اسرائيل على الرغم من ان وجهي سياستها لا دينيون . والاخر اللافت للنظر هو ان هذه الهوة كان لها مغفول قوي في سر عملية التوزيع السكاني في اسرائيل ، فالمتدينون وخاصة المتطرفين منهم يعيشون ويتجمعون في كيبوتسات او موشافات او ضواحي خاصة بهم ولا يسمحون لغير المتدين بالعيش بين ظهرانيهم . ومن الجدير بالذكر ان عملية الاستقطاب هنا تسير ايضا في مسار اثني طائفي . فالمتدينون الاشكناز ( وهم متدينون غلاة ) يستقربون في أماكن معينة ، بينما المتدينون الاسفاراديم ( وهم متدينون معتدلون ) يستقربون في أماكن اخرى . ان الهوة القائمة بين المتدينين واللادينين على قدمها واستدامتها في اسرائيل ، تعبر عن الصراع القائم بين الفكر المتزمت وبين الفكر المتقدم ، بين التمسك بأهداب الشريعة اليهودية ، وبين الافكار العلمانية ، ولا تعبر من قريب او بعيد عن استغلال طبقة لطبقة او استبعاد فئة لفئة كما هو الحال في الهوة الاجتماعية بين ابناء الطوائف الغربية وانباء الطوائف الشرقية .

نعود الان الى العوامل التي جعلت من اليهود الغربيين ( الاشكناز ) يشكلون الطبقة الفوقية من البنية الهرمية للمجتمع الاسرائيلي ، واهم هذه العوامل هي :

١ - ظهور المسألة اليهودية في أوروبا وولادة الحركة الصهيونية بين صفوف ابناء الاشكناز وتصلها في نفوسهم كردة فعل لسياسة الاضطهاد والتمييز التي كان يعاني منها هؤلاء في معظم الاقطار الأوروبية ، دون ان تكون هناك مسألة يهودية لدى الطوائف الشرقية ، وبالتالي لم تكن الحركة الصهيونية قوية جياشة بين صفوفهم ، بل اكتسبتها طائفة الاشكناز اكتسابا ، مما تأتى عن ذلك تزعم انشاء الطوائف الغربية وشفلهم لمؤسسات الحركة الصهيونية كافة ، دون ان يكون لابناء الطوائف الشرقية دور يذكر في هذه المؤسسات . ٢ - التفوق العددي لابناء الطوائف الغربية عشية قيام الدولة ، فقد كان هؤلاء يمثلون نسبة ٩٠ ٪ من مجموع السكان اليهود وبالتالي سيطروا على مرافق الدولة كافة . ٣ - الاحساس بالتفوق الحضاري لدى ابناء الطوائف الغربية ، مما ولد لديهم نظرة استعلاء تجاه الطوائف الشرقية ، تتحول في كثير من الاحيان الى نظرة احتقار . ٤ - التعويضات الالمانية التي تلقتها اسرائيل في بداية الخمسينات والتي كانت من نصيب خزينة الدولة وجيوب فئات واسعة من ابناء الاشكناز بحجة تضررهم من ويلات الحرب العالمية الثانية ، الامر الذي كان له الاثر في توسيع الهوة الاقتصادية بين ابناء الطائفتين . ٥ - سعي الاشكناز الحثيث الى جعل الدولة ذات طابع اوروبي محض ، وهذا امر طبيعي بالنسبة لهم لكونهم مهاجرين متحدرين من اصول حضارية اوروبية ، وتخوفهم من ان يؤدي ولوج ابناء الطوائف الشرقية الى مراكز القوى ومرافق الدولة ومؤسساتها الفعالة الى تغيير شكل الدولة وطابعها من طابع اوروبي يسعون اليه ، الى طابع شرق اوسطي لا يريدونه . ٦ - واخيرا ، كان من نتيجة سياسة الاستعمار الخالص في فلسطين ، وما تأتى عنها من انتهاج سياسة العمل العبري في فترة الشوف ( اي اقتصر العمل في جميع مرافق الشوف على الايدي العاملة اليهودية ، والاستغناء عن الايدي العاملة العربية ) ان بدأ التفكير لدى قادة الحركة الصهيونية

وزعمائها باخلاق اليهود الشرقيين محل الأيدي العاملة العربية .

كان من نتيجة هذه العوامل مجتمعة ، وعلى الرغم من تزايد عدد اليهود الشرقيين في الخمسينات ، إذ أصبحوا يشكلون نصف السكان اليهود ، وتزايد عددهم في الستينات حتى غدوا يشكلون نحو ٦٥ ٪ من السكان اليهود ، أن خلق في المجتمع الإسرائيلي وضع خاص قائم على التمييز ، تشغل فيه الاقلية ( فئة الأشكناز ) الشرائح الاجتماعية العليا من الهرم ، وتحتل الاكثرية ( الطوائف الشرقية ) الشرائح الاجتماعية الدنيا منه .

فلو القينا نظرة على الواقع الإسرائيلي بعد مرور ٢٤ عاماً على قيام الدولة لتبدت لنا صورة مذهلة عن التمييز القائم هناك ، فالحكومة الإسرائيلية كانت ولا تزال تتشكل من أبناء الأشكناز مع المحافظة على تخصيص حقيقية أو حقيبتين وزاريتين ( الشرطة وفتح بعض الأحيان الشؤون الاجتماعية ) لأبناء الطوائف الشرقية ، أما الوكالة اليهودية وتعتبر في إسرائيل بمثابة الحكومة الثانية ولها دور كبير في تجسيد مجتمع البشوف وبلورته . ومن ثم المجتمع الإسرائيلي ، فانها تكاد تخلو تماماً من أبناء الطوائف الشرقية ، ومما يتعلق بالحكومة الثالثة ( الهستدروت ) التي من المفروض أن تحافظ على مصالح الطبقة العاملة التي يتشكل سوادها الاعظم من أبناء الطوائف الشرقية ، نجد ان المترجمين على زمام الامور فيها من أبناء الأشكناز . وهناك بدلاً من التوقف قليلاً عند النسبة التي يمثلها أبناء الطوائف الشرقية في الوظائف الكبيرة في الدولة . يقول عضو الكنيست من فورات ان بين مجموع ٣٠٠ موظف كبير يشغلون الوظائف العليا في الدولة هناك فقط ثمانية او تسعة من أبناء الطوائف الشرقية اي أنهم يحتلون نسبة ٣ ٪ من الوظائف العليا (٤) . وفيما يتعلق بالأحزاب الممثلة في الكنيست نجد ان جميع رؤسائها دون استثناء ابتداءً بالأحزاب اليسارية والدينية ومروراً بالأحزاب العمالية وانتهاءً بالحزب الشيوعي في جناحيه مبنية على « طهارة الأشكناز » . وفيما يتعلق بعدد أبناء الطوائف الشرقية في البرلمان الإسرائيلي فإنه يناهز خمس عدد النواب ، وحتى هذا الخمس لا يجرؤ على المطالبة بإزالة أسباب التمييز الذي يعاني منه أبناء الطوائف الشرقية الا بالقدر الذي تسمح به الأحزاب التي ينتمون إليها . وكما يقول الدكتور يوحنا بيرس : « ان الأشكناز هم الذين يقررون من يمثل الطوائف الشرقية في الكنيست والهستدروت واللجنة التنفيذية الصهيونية ، انها عملية اشراك وليست عملية تمثيل فاذا ما تحراً احداهم وشق عضواً الطاعة ، فمن الممكن تغييره بسهولة » الامر الذي حدا بأعضاء المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش الذي عقد في أواخر شهر آذار الماضي في إسرائيل الى توجيه مذكرة الى رئيسة الحكومة فولدا مئير ، لرفع عدد النواب في الكنيست من ١٢٠ الى ١٥٠ بغرض تمكين اليهود الشرقيين من تمثيل انفسهم « بشكل ملموس » (٥) . وبالنسبة لمراقب الدولة الاقتصادية وادارة الشركات والمصانع فانها تكاد تكون حكراً على أبناء الاقلية .

لا بد هنا من الإشارة الى ان هنالك شريحة اجتماعية وأهية خرجت من بين صفوف أبناء الطوائف الشرقية واستطاعت التسلل والتسلق الى القاعدة الفوقية في الهرم ، وهذا امر طبيعي في مجتمع قائم على التمييز الاثني . وقد بدأ المتمردون من أبناء الطوائف الشرقية يشعرون بخطورة تهلك أبناء هذه الشريحة ، وينعتون البعض منهم بالخيانة ، ففي المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش الأخير ، تصدى أحد أعضاء المؤتمر ويدعى « لاسري » لمسكرتر مجلس عمال اسدود « عمرام دويون » حين قال : « اردت ان أقول لكم انه بالإمكان النجاح في إسرائيل اذا كانت هنالك رغبة في ذلك » تصدى له قائلاً : « انك لخائن ، انت كأولئك الزنوج في الولايات المتحدة الذين يستلمون وظيفة ويصبحون الى جانب المؤسسة ، انهم يسمون هناك « زنوجاً بيضاً » أما انت فأنت بمثابة « أسود ابيض » يداهن المؤسسة » (٦) .

فكرنا سابقاً ان عملية الاستقطاب الاجتماعي قد سارت في مسار اثني ، وقد انعكس

هذا الواقع على عملية سير التوزيع السكاني ، مما يأتي عنه ، بشكل تدريجي بروز ضواحي في كل مدينة ذات طابع اثني مميز ، وظهور مستوطنات منتشرة هنا وهناك تخص هذه الفئة أو تلك . بمعنى آخر ظهور ضواحي « راقية » في المدن استقطبت أبناء الطوائف الأشكنازية وضواحي « فقيرة » استقطبت أبناء الطوائف الشرقية ، وكذلك الحال بالنسبة للمستوطنات فهناك مستوطنات غنية استقطبت أبناء الطبقة الفوقية ، ومستوطنات متخلفة وفقيرة استقطبت أبناء الطبقة التحتية . إلى جانب ذلك هناك ضواحي وقرى مختلطة ، سادتها السلطات الإسرائيلية في محاولة تجريبية منها لدمج « يهود الشتات » تمشياً مع سياسة الدمج المعلن ، بيد أن تجربة الدمج قد باءت بالفشل ولم تؤت بالثمار المرجوة منها ، بل أساءت إلى حركة التطوير وخاصة في المستوطنات . يقول الكاتب الإسرائيلي موشيه شاريت في دراسة قيمة له حول مشاكل دمج يهود الشتات في إسرائيل : « ماذا انصح لنا بالفعل ؟ لقد انصح ان مسألة دمج يهود الشتات ليست تحت تناول اليد ، وان أسلوب خلط العناصر كان بمثابة حجر عثرة أمام الاستيطان ، ان الجهد الطائفي للاستيطان والتكليف والقرية والفلاحة يتطلب روحاً جماعية ، وهذا الأمر لا يتطور بين أناس ينتمون إلى حضارات مختلفة ، ويتحدثون لغات مختلفة ، ولهم عادات مختلفة . أنهم لا يشكلون وحدة اجتماعية ، وليسوا أهلاً للجهود المشتركة والمساعدات المتبادلة . . . ان القرية المختلطة منقسمة على نفسها وتعاني من التوترات الطائفية ، وتتصنزاعاتها جهوداً غالية بدل أن تركز هذه الجهود في ميادين البناء . . ان الحياة الاجتماعية : الحفلات والاعياد والمناسبات العائلية لا تشكل عاملاً موحداً بل تبرز الفوارق والتناقضات ، وفي الانتخابات يحل الولاء الطائفي محل اعتبارات قدرة المرشح أو استقالته مما يضر بمصالح البلدة . . . » (٧) .

هذا فيما يتعلق بالقرى الزراعية المختلطة ، أما الضواحي المختلطة في المدن فإن تجربة الدمج قد فشلت هي الأخرى ، فالعلاقات الاجتماعية في هذه الضواحي لا تزال سطحية وتقتصر على المجالات الفنية ، أنها نابعة عن الاتصال الناجم عن اللقاءات العرضية على المدرج وفي باحة المنزل والحدائق ، أو نتيجة المفاوضات المشتركة باسم الضاحية مع عناصر خارجية مختلفة ، وتندر في هذه الضواحي الزيارات المتبادلة والرحلات المشتركة لأبناء مختلف الطوائف ، أما مقاهي الضواحي ونواديبها المختلفة فإنها تستقطب السكان هناك حسب انتمائهم الإثني (٨) . ويؤثر هذا الوضع تأثيراً كبيراً من الناحية الاجتماعية على الأقلية الأثنية في الضاحية خاصة إذا كانت تشعر بأنها محاطة بكثرة ساكنة من أبناء الطوائف الأخرى ، ففي حي وادي الصليب مثلاً هناك بضع عائلات أشكنازية بقيت هناك بعد أن عجزت عملية الاستقطاب الإثني عن جذبها ، وبالرغم من مرور ٢٢ عاماً فإن هذه العائلات بقيت منطوية على نفسها ولا تتفاعل مطلقاً مع حياة الحي . يصف « مئير شتايمس » علاقاته مع سكان الحي في ضوء تجربة ٢٢ عاماً « لا شأن لي مع أي واحد هنا ، ان هؤلاء ليسوا أصدقائي ، وأنني لا أبحث عن صداقتهم » (٩) .

ان الشعور بالانتماء الإثني هو وليد التناقضات الكامنة في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، ولم يرافق هذا الشعور آباء اليهود الإسرائيليين الذين لم يقدر لهم الحظ الجيد إلى إسرائيل ، بل يمكن القول إنه يكاد يكون معدوماً لدى اليهود الموجودين في بقاع الأرض ، إذ أن شعوراً أخيراً كان يستحوذ على تفكير معظمهم ، وهو الشعور بالانتماء اليهودي . أما في حالة تدوم الإنسان اليهودي إلى إسرائيل فإن الشعور بالانتماء الإثني يبدأ يعمل بين جوانحه ، وهذا الأمر يعتبر بمثابة انقلاب في حياته . قال يهود الرومانيون كانوا يعتبرون أنفسهم « يهوداً » أولاً ، وكذلك الأمر يقال بالنسبة لسائر الجاليات اليهودية في البلدان المختلفة ، أما في حالة الحظ الجيد إلى إسرائيل (مجتمع المهاجرين) فإن اليهودي يتحول إلى « روماني » أو « عراقي » أو « مراكشي » . . إلا أنه ينبغي التنبيه

الى ان هذا الانقلاب يختلف من حيث الشدة بين الفئات المختلفة ، والفئات المشحونة هي اكثر الفئات بالإحساس الوليد .

وقد مس الدكتور اليكس فينچورد هذا الموضوع في دراسة له حول «التغير والاستمرارية في مستوطنة لمهاجري شمال افريقيا» بقوله : « مع ان الهوية اليهودية هي واقع اجتماعي ينطوي على مركزية في اسرائيل ، الا اننا نجد الى جانبها أنواعا من الهويات الأخرى ، ونلاحظ ان الهوية اليهودية ، وهي بمثابة أمر بديهي ، تبدأ تأخذ وزنا ثانويا فقط . ففي دول الهجرة يغدو الاصل او الحضارة وحتى المظهر ذا معنى اجتماعي كبير . وحسب هذه الحقائق تتحدد الفوارق بين شخص وآخر . وهكذا يحدث ان اليهود في مراكش يعتبرون « يهودا » بينما في اسرائيل يتحولون الى «مراكشيين» . ان المستوطنين يرون انفسهم من خلال هذا المنظور ، وكذلك الآخرون ينظرون اليهم بالمنظور نفسه . ومن الناحية الفعلية استبدل هؤلاء هوية بهوية أخرى » .

ويشير الدكتور اليكس الى دور الطبقة العليا من الهمم الاجتماعي في اثاره الاحساس بالانتماء الطائفي لدى الفئات المستغلة قائلا : « ان واقع كون مراكز القوى كافة بأيدي الاشكناز يتناعد على تأكيد هذا الوضع » (١٠) .

الى جانب ذلك كان للاحزاب الاسرائيلية دور في « تأكيد هذا الوضع » فقد درجت تلك الاحزاب في مواسم الانتخابات البلدية والمحلية في قرى التطوير ( اغليبتها من ابناء الطوائف الشرقية ) على استغلال العامل الاثني من اجل الفوز بأصوات سكان القرى وللحيلولة دون ولادة قيادة مستقلة من بين صفوف هؤلاء السكان . « فالعائلات الكثيرة الاولاد » وهو اصطلاح يحمل عادة بين ثنائيه روحا نقدية وسلبية في اسرائيل ، تغدو في برامج الاحزاب عشية الانتخابات «العائلات المباركة بالاولاد» ، كما ويصبح « اخواننا المهاجرون من شمال افريقيا » موضع منافسة بين تلك الاحزاب . ومن الجدير بالذكر ان بعض الاحزاب كانت تركز في منشوراتها — كما يقول شلومو دشان من جامعة تل ابيب في بحث له حول هذا الموضوع — على اصل مرشحيها ومسقط رأسهم مع ذكر تفاصيل حياة كل منهم ، وتقوم بتوزيع تلك المنشورات بين صفوف الطائفة التي ينتمي اليها المرشح ، فاذا كان المرشح « عوباديا » فان المنشور يركز على نشأته في تونس ويسرد تاريخ حياته محترما اياه بقوله : « انه ملائم ومحبوب . . . انه شاب ويتحلى بنظرة شابة تجاه قضايا المدينة ، انه يريد ويقدر على مساعدتك ومساعدة اصدقائك ، صوت الى جانبه » (١١) . اما اذا كان المرشح من مواليد اوربا فان المنشور يصاغ بشكل آخر بما يتناسب ومخاطبة عقلية ابناء الطوائف الغربية ويقتصر توزيعه على ابناء تلك الطوائف .

بعد انتهاء موسم الانتخابات، يغدو مسقط رأس الانسان وخاصة ابناء الطوائف الشرقية ، موضع سخرية من قبل الفئات الأخرى . فعندما يتوجه يهودي من اصل مراكشي لقضاء حاجة له في مكتب حكومي ، ويصرخ في وجه الموظفين الاشكناز في حالة عدم تلبية طلبه ، فان التقليد الدارج هناك الذي يتفوه به الموظفون الاشكناز : « لماذا يصرخ هذا المراكشي » (١٢) .

بيد ان « المراكشي » بشكل خاص والشرطي بشكل عام ، اخذ بعد ظهور حركة الفهود السود لا يرى في مسقط رأسه او مسقط رأس آباءه شيئا معيبا ، بل غذا في بعض الاحيان يؤكد عليه ويرفعه الى مرتبة الاعتزاز المشفوعة بالتحدي . ففي افتتاح مؤتمر مهاجري شمال افريقيا الاخير ، وفي اعقاب تطرق رئيسة الحكومة غولدا مئير في كلمة لها الى الهوية الاجتماعية والتي ذكر احصائيات حول ما تعتمز الحكومة عمله من اجل تقليص الهوية الاجتماعية ، قاطعها ادي ملكا أحد قادة الفهود بصوت عال : « هل



ستحققين ذلك في مستوطنة مرجليوت او شلوميت ؟ الا تخجلين على نفسك من الظهور في مؤتمر مهاجري مراكشي ؟ انا مراكشي ؟ »

رئيسة الحكومة : « انا يهودية .. »

ملكا : « انا يهودي ومراكشي »

رئيسة الحكومة : وماذا ايضا ؟

ملكا : انا « مفهد أسود »

رئيسة الحكومة : « هذا هو بالضبط » (١٣) .

ان الاحساس المتزايد بالانتماء الاثني ، نتيجة اتساع الهوية الاجتماعية ، جعل الكثيرين في اسرائيل وخاصة من ابناء الطوائف الشرقية يعتقدون بأن المجتمع الاسرائيلي يسير في اتجاه خلق شعبين في داخله لا شعب واحد : « ماذا ستكون النهاية ؟ سنصبح هنا شعبين ، شعب الاسياد وشعب الخدم » (١٤) . اما رفائيل مرتسيانو احد قادة الفهود السود فيعتقد بوجود شعبين داخل المجتمع الاسرائيلي ، شعب اشكنازي وآخر سفارادي ، ويدعو مفكري اليهود ومثقفهم الاسفاراديم الموجودين خارج اسرائيل الى المجيء للدولة « لقيادة الشعب الاسفارادي الذي يشكل الاكثرية في اسرائيل » (١٥) . ولعل الشعور بالاغتراب هو الحافز الكامن وراء هذه الدعوة ، ذلك ان حركة الفهود السود وليدة الهوية الاجتماعية ، قد ساعدت على تنمية الشعور بالاغتراب تجاه الدولة وتطويره ، خاصة وان اليهود الشرقيين لا يشعرون بأنهم شركاء في قيادة الدولة او في البت في القرارات الهامة ، مما خلق نوعا من الشعور بالاغتراب .

تبل التطرق الى نظرة الاسرائيليين وخاصة المسؤولين او المهتمين منهم تجاه الهوية الاجتماعية وماهيتها لا بد من التطرق قليلا الى نظرة اليهود المهاجرين حديثا الى اسرائيل تجاه الهوية لكي يتسنى لنا الوقوف على الهوية بين التصور والواقع ، بين الصورة المرصمة في ذهنية اليهود خارج اسرائيل تجاه المجتمع الاسرائيلي ، وبين الصورة الحقيقية لهذا المجتمع . ونورد هنا مثلين على الهوية بين التصور والواقع : تطرق طلبة يهود هاجروا حديثا الى اسرائيل من الاتحاد السوفييتي في اثناء ندوة عقدوها مع طلبة من اليهود المغاربة في الجامعة العبرية الى الموضوع : « في الاتحاد السوفييتي لم تكن تعرف مطلقا انه يوجد في اسرائيل قضية طائفية وانه يوجد « سود » و« بيض » لقد كانت الصحف السوفييتية تنشر وتؤكد على وجود هذه القضايا ، بيد اننا لم تصدقها . انه الامر سييء ان تكون هذه الامور قائمة ، انا جميعا شعب واحد وليس طوائف طوائف » (١٦) . وتتحدث المحامية « لاره فايسيلات » وهي مهاجرة جديدة من الاتحاد السوفييتي عن تصورها والواقع الذي واجهته بقولها : « لم اؤمن في حينه للصحافة السوفييتية التي كتبت حول الصراعات في اسرائيل بين الطوائف ، بين البيض والسود ، بين المهاجرين القدامى والمهاجرين الجدد ، انه الامر مؤسف ان اقرر بان الصحافة الروسية لم تكذب » (١٧) .

لا يختلف اثنان في اسرائيل على ان المجتمع الاسرائيلي يعاني من هوات اجتماعية متعددة وعلى رأسها الهوية الاجتماعية بين الطوائف الغربية والطوائف الشرقية التي نحن بصدد الحديث عنها ، الا ان الاختلاف يكمن في مسبباتها وعواملها كما وهناك شبه اجماع على ان التمييز قائم في المجتمع الاسرائيلي ، بيد ان وجهات النظر متضاربة ومختلفة حول التمييز ، هل هو تمييز مقصود او غير مقصود ؟ ويرى البروفيسور يوحنا بيرس استاذ علم الاجتماع في جامعة تل ابيب ، ومن اشهر الباحثين الاجتماعيين في العلاقات الاثنية بين الطوائف في اسرائيل ، ان الهوية بين الطوائف الشرقية والغربية في اسرائيل شبيهة

التي حيدت بالهوية القائمة بين الدول المتقدمة والدول الشكيفة ، بين الولايات المتحدة ، مثلا ومصر ، بين فرنسا والهند ، بين ألمانيا والهند الصينية ، وأنه لا أمل بسد هذه الهوة القائمة بين تلك الدول بل العكس هو الصحيح ، فالهوة دائما تتوسع لأن البلدان الأكثر تطورا تعرف كيف تسخر الظروف التكنولوجية لمصلحتها ، « وكذلك هي الحال داخل الدولة ، ففي المنافسة الحرة تتقدم الطوائف المكبوتة تقدما نسبيا بسيطا ، بينما تتقدم الطوائف القوية تقدما كبيرا ، ان المنافسة الحرة تقضي على الضعفاء بالتخلف ، وتؤدي بالاقوياء الى التقدم » (١٨) .

لا ينكر المسؤولون الاسرائيليون وجود الهوة الاجتماعية الا انهم يفسرون اسبابها وعواملها تفسيرات مختلفة ، فمري البعض فيها ، من بينهم رئيسة الحكومة غولدا مئير ، انها « مستوردة من الخارج » . والحقيقة ان هذه الرؤية لا تستند الى الواقع ، وان دلت على شيء فانها تدل على عجز السلطات الاسرائيلية عن حل هذه القضية بسبب التركيبة الاجتماعية الفريدة من نوعها لاجتماع المهاجرين والمستوطنين . هذا مع العلم بأن القائمين بوجهة النظر هذه يقفون مع وجهة نظر الفئة العسكرية التي ترى استحالة رفع الرأيتين الامنية والاجتماعية في آن واحد ، ومن المعروف ان الراية الامنية تنال حصة الاسد من الخزينة الاسرائيلية . ومع ذلك فهناك مسؤولون يرون ان الهوة ناجمة عن « العيوب الاقتصادية والاجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة » ولا يعتبرونها مستوردة مثل سكرتير الهستدروت يتسحاق بن اهارون : « ان المجتمع الاسرائيلي يكشف اليوم عن نقاط ضعف خطيرة للغاية ، وانحرافات خطيرة عن الاهداف الاساسية للدولة ، التي من شأنها - لا سمح الله - ان تعرضها للخطر وتدمرها .. ان المسؤول عن المكاسب والانتصارات والاحتلال ينبغي عليه ان يكون مسؤولا عن الفشل الاجتماعي صحيح ان معظم المتضررين من الفقر والاستقطاب الاجتماعي هم من ابناء الطوائف الشرقية ، بيد ان ذلك ليس ناجما عن تمييز بل عن عيوب اقتصادية واجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة .. منذ حرب الايام الستة تفجرت هوة اجتماعية مؤشراتنا الاساسية تتمثل في توزيع غير عادل للكعكة القومية » (١٩) .

لقد مس سكرتير الهستدروت جانب الحقيقة باقراره بان الهوة من صنع محلي ، بيد انه لم يجرؤ او على الاقل تهرب من التطرق الى اسباب وعوامل « العيوب الاقتصادية والاجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة » وكيف يمكن ان تنها . لم يتطرق بن اهارون الى التمييز التمثيلي الذي يعاني منه ابناء الطوائف الشرقية في الهستدروت ، هذا التمييز الذي يعتبره البروفسور يوحنا بيرس من العوامل الرئيسية في بروز الهوة الاجتماعية واتساعها « ان ممثلي الطوائف الشرقية في الهستدروت اقلية ضئيلة على الرغم من كون الطوائف الشرقية تشكل السواد الاعظم من الطبقة العاملة » (٢٠) وهذا يعني ان الهستدروت تمثل مصالح فئة معينة على حساب فئة اخرى ، ولم يتعد رأي مرتسيانوم احد قادة اليهود السود عن الحقيقة عندما ذكر « ان الهستدروت لا تمثل العمال بل ارباب العمل » وغني عن القول ان طبقة ارباب العمل تشكل اكثريتها الساحقة من ابناء الاشكناز .

هنالك فئة من الكتاب الاسرائيليين ، وخاصة من بين اوساط الاشكناز مثل « اوري دان » من يرى ان الهوة الاجتماعية امر طبيعي ، وهي ناجمة بالاصل عن التفاوت الحضاري بين المهاجرين . وبما ان طائفة الاشكناز تتفوق حضاريا على ابناء الطوائف الشرقية فمن الطبيعي ان يتربع « المتحضرون » على مقاليد الامور في البلاد ، ومن الطبيعي ايضا ان يحتل المتخلفون المراكز الدنيا . ويذهب الى ابعد من ذلك اذ يقول « لو ان دولة اسرائيل اقيمت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر لكان يهود اوربا يشكلون الغيات الدنيا في المجتمع » (٢١) . ان اوري دان وكثيرين غيره من الكتاب الاسرائيليين يعتقدون بان

التمييز والهوة الاجتماعية ناجمان عن التفاوت الحضاري ويعتبرون ذلك نجاسة أمر طبيعي ، وهم يلتقون بذلك مع القائلين بأن الهوة الاجتماعية « مستوردة » متغاضين عن الواقع التمييزي القائم في إسرائيل .

إن الواقع التمييزي هو الذي يوسع شقعة التفاوت الحضاري ويدل على أن الهوة ليست مستوردة بل من إنتاج محلي . ويدرك أبناء الطوائف الشرقية هذا الواقع ويتساءلون : « لماذا ينبت الكتاب والعلماء والأطباء والمحامون والمهندسون بين صفوف الطوائف الشرقية في خارج إسرائيل ، بينما يندر عددهم في البلاد ؟ ألا يعني ذلك شيئاً ؟ » (٢٢) .

ويحمل امنون معلم ( من أصل عراقي ) المجتمع الإسرائيلي ما يسمى « التخلف الحضاري » لآبناء الطوائف الشرقية ، مدركاً أن الهوة الاجتماعية هي من إنتاج محلي بقوله : « لماذا يتغاضى هؤلاء الاختصاصيون عن واقع واحد : في أعوام الثلاثينات والأربعينات نجح العراق في تخريج ثانويين وأكاديميين يهود أكثر بكثير مما خرجت إسرائيل خلال فترة ١٩٥١ - ١٩٧١ . ويضيف أن الكثيرين من هؤلاء اليهود خرجي المعاهد العراقية قد أصلوا دراساتهم في الجامعات المشهورة في بريطانيا وانهوا دراساتهم بامتياز ويقوم الكثيرون منهم بشغل وظائف علمية واقتصادية محترمة على الرغم من « التخلف التاريخي » (٢٣) . ويعتقد امنون معلم أن الواقع التمييزي الذي واجهه اليهود الشرقيون منذ مجيئهم إلى إسرائيل ، بالإضافة إلى الصورة السلبية التي خلقتها وسائل الإعلام الإسرائيلية والصقته بآبناء الطوائف من « مهاجري البلدان المخلفة » بالإضافة إلى « فيروس » العنصرية الذي لا يزال يعترى فئات كثيرة في مجتمعنا مستشهداً بأولاد أشكناز ظهرُوا في برنامج تلفزيوني وأوضحوا أن آباءهم يحذرونهم من اللعب مع أولاد الإسفاراديم ، يعتقد امنون أن هذه العوامل هي السبب في الهوة واتساعها ، أما سمحون بن شاؤول ، رئيس رابطة مهاجري شمال أفريقيا ، فينسف وجهة النظر القائلة بأن الهوة « مستوردة » من الخارج ، مشيراً بأصبع الاتهام إلى المجتمع الإسرائيلي ، في مقارنة له بين خريجي الجامعات في إسرائيل من اليهود المغاربة وبين خريجي جامعة فاس من بين صفوف الجالية التي بقيت هناك « يوجد في إسرائيل ٥٠ شخصاً من مهاجري شمال أفريقيا انهوا دراساتهم الجامعية خلال الثلاثة والعشرين عاماً لقيام الدولة . هذه مهزلة . سأطرح أمامك مثلاً : انني هاجرت من مدينة فاس في المغرب ، حيث بقي هناك نحو ثلاثة آلاف يهودي ، لقد تخرج من وسط هذه الجالية خلال الثلاثة والعشرين عاماً الأخيرة أكاديميون أكثر بكثير ممن تخرجوا خلال سني قيام الدولة من وسط جمهور يزيد تعدادها على ٤٠ ألف نسمة من مهاجري المغرب في إسرائيل » (٢٤) .

هذا بالنسبة للاوضاع التعليمية والثقافية ، أما فيما يتعلق بالظواهر السلبية التي يشار إليها بأنها « مستوردة » فقد كشف وفد يمثل طلبة الطوائف الشرقية أثناء اجتماعه برئاسة الحكومة زيف هذا الادعاء بقوله : « أن ظاهرة الاجرام والزنى لم تكن معروفة بين صفوف الشبيبة اليهودية في شمال أفريقيا مثلما هي عليه في البلاد » . ولم تنبئ قولدا مئير بينت نسفة عند سماعها ذلك على الرغم من أنها من القائلين بـ « الاستيراد » . أما رئيس المجلس المحلي في أور يهودا ، يحزقييل قزار ( من أصل عراقي ) ، فقد أشار بأصبع الاتهام إلى المجتمع الإسرائيلي بقوله : « يتهمون مهاجري البلدان الإسلامية بأننا بؤرة اجرام وزنى ، ويتناسون أن اليهود في هذه البلدان لم يعرفوا البتة معنى الاجرام والزنى . أن المجرمين والزانيات من مهاجري البلدان الإسلامية هم أولئك الذين ولدوا في البلاد » (٢٥) .

إن سبب تخلف اليهود الشرقيين في إسرائيل وعدم مواكبتهم سر التطور الحضاري اسوة بأخوانهم الموجودين في الخارج ، نابع عن التمييز الواقعي الذي يعانون منه في المجتمع الإسرائيلي . والحقيقة أن أبناء الطوائف الشرقية يبدؤون يشعرون برائحة التمييز عندما

نظام اقداسهم الاسرائيل ، حيث يبدأ الصراع بين التصور والواقع ، بين ما تستعده من وعود وردية من قبل دعاة الصهيونية في الخارج وبين صحرة الواقع التي ترتطم عليها هذه الوعود . يقول احد نشيطي الطائفة العراقية حول التمييز في المعاملة : «... في ذلك الوقت قدمت هجرة من رومانيا ، ويمثل الظلم الصارخ في حقيقة استيعاب الطائفتين بشكليين مختلفين ، لقد نقلوا اولئك بسيارات الاوتوبيس واستقبلوهم استقبالا حارا مع الشرح والتوضيح ، بينما نقلونا في سيارات شحن بدون كلمة طيبة - وهكذا بدأنا نشعر بالغبن» (٢٦) . ومن الجدير بالذكر ان التمييز الذي يواجهه أبناء الطوائف الشرقية هو تمييز واقعي غير مكتوب ولا يمكن للباحث ان يعترض على اي نص في القوانين الاسرائيلية يشير الى التمييز (بين الطائفتين ) ، الا انه موجود في جميع المجالات فاليهودي الشرقي حتى ولو نجح في منافسة بينه وبين يهودي غربي ، فان الوظيفة لن تكون من نصيبه ، مع ان القانون لا يقول بذلك ، بيد ان الواقع يشير الى ذلك ، كما يقول « يثير عوزاري » في ندوة حول موضوع الهوة الاجتماعية نظمها مجلة شدموت الناطقة بلسان الحركة الكيبوتسية « فلتحدث بصراحة . ان الذي يتحدث حول امكانية منافسة حرة ما هو الا بمثابة من يذر الرماد بالعيون . ليس هناك منافسة حرة ، فحتى ولو ابدى مهاجرو البلدان الاسلامية تفوقا في مقدرتهم على شباب مهاجري أوروبا فانهم لن يحظوا بالوظيفة» (٢٧) .

ولكي ندرك التمييز الواقعي غير المكتوب الناجم عن البنية الهرمية الفريدة من نوعها للمجتمع الاسرائيلي لا بد من طرح صور للاستشهاد وللتدليل على التمييز ، صورة المهاجر الروسي الذي ينال بيتا ومنزلا وفي بعض الاحيان توفر له « حانوت » بواسطة سلطات الاستيعاب من اجل العيش ، وعلى الرغم من ذلك فانه يحتج ... على ان الحكومة لا توفر له الزبائن ... وفي المقابل صورة أولئك المسحوقين الذين يقولون « لقد اعطونا بضعوبة بالغة سيربين ، ولكن اذا كنت روسيا فانهم سيعطونك كل شيء » ، انهم يستلمون شقتين ، شقة لهم ، والاخرى للكلب » ، صورة مجموعة من الأزواج الشباب يعانون من الضائقة السكنية ويقومون بعملية « غزو » للبيوت المعدة للمهاجرين الجدد ويحتلوها لفترة بسيطة قبل طردهم على ايدي قوات الامن ، وصورة المهاجرة الروسية الجديدة التي صدف وان جاءت لرؤية الشقة التي خصصتها لها الحكومة دون ان تعلم هوية « المحتلين » ، ويعد تفقدها الشقة قالت يتأفف ان الشقة غير صالحة لها ، « وعندنا قلنا لها من نحن لم ترد ان تصدق بانهم لا يعطوننا اي شيء » (٢٨) .

ذكرنا سابقا ان التمييز قائم في اسرائيل ولكنه غير مكتوب او محدد بقانون ، ومع ذلك فهناك قوانين تسن وتشجع او تعطل ، تبدو وكأنها لمصلحة طبقة وليس لمصلحة طائفة مع ان الحافز لذلك هو حافظ اثني . فمن المعروف ان اسرائيل تشجع النسل ، ومن اجل ذلك سنت قوانين لمساعدة العائلات الكبيرة محدودة الدخل من اجل تشجيعها على زيادة النسل ، وفي ١٩٦٨/٤/١ عدل قانون مؤسسة التأمين القومي الخاص بمنح مخصصات للعائلات الكثيرة الاولاد ، بحيث أصبحت العائلة التي يقدر دخلها بـ ٣٠٠ ليرة تنال على الولد الخامس ٢٦٢٥ ليرة ، اما العائلة التي يقدر دخلها بـ ١٠٠٠ ليرة شهريا فانها تنال على الولد الخامس ١١٨٠١٣ ليرة بينما كانت تنال في السابق ٣٦٢٩٩ ليرة (٢٩) . ان التعديل الذي طرأ على القانون يبدو للوهلة الاولى انه يجيء لمصلحة الطبقة الموسرة التي تستطيع تربية اطفالها ، بيد ان الدافع الحقيقي له عدم تشجيع ابناء الطوائف الشرقية على التناسل ، وفي مقابل ذلك تشجيع فئة الالف ليرة ومعظمهم من ابناء الطوائف الغربية على زيادة النسل .

ان التمييز في اسرائيل ، كما يقول الدكتور افير شاكي نائب وزير التربية والتعليم ، « قائم في جميع المجالات : في الثقافة والتعليم والسكن والعمل » .

مثل التطرق الى المجالات الانسانية التي تبرز فيها الهوية الاجتماعية لا بد من الوقوف قليلا عند التزاوج بين ابناء الطائفتين ليتسنى لنا معرفة الهوية القائمة بين وجهتي النظر في موضوع يعتبر من المسلمات من اجل « صهر يهود الشتات » في بوتقة واحدة . فعلى الرغم من ان الزواج المختلط يعتبر عاملا اساسيا في عملية الصهر إلا أننا نجد ان الزواج المختلط يسر ببطء ، ويتعثر في كثير من الاحيان ، لا بسبب الدين لان الشرع اليهودي لا يحول دون ذلك ، بل بسبب الهوية الاجتماعية والنظرة العنصرية لانباء الاشكناز . فقد اختل الزواج المختلط في عام ١٩٦٩ نسبة ١٧٢٥ ٪ من الزيجات فقط : شرقي وغربية ٩٤٤ ٪ ، غربي وشرقية ٨٤١ ٪ . وقد اورد الدكتور يوحنا بيرس في دراسة له عن « العلاقات الاثنية في اسرائيل » نتائج بحث جرى تحت اشرافه حول وجهة نظر طلبة ثانويين من ابناء الطوائف الغربية والشرقية تجاه الزيجات المختلطة ، واطهر البحث مدى الاستعلاء العنصري لدى الاشكناز ، فقد اتضح ان ٣٩ ٪ منهم يؤيدون الزواج المختلط والنسبة الباقية تبدي تحفظا ازاءه او تعارضه معارضة تامة ، بينما وقف ٨١ ٪ من الطلبة من مهاجري آسيا و افريقيا مع الزواج المختلط (٢٠) . واذا كانت الاكثرية من شباب الاشكناز تعارض الزواج المختلط فكيف الحال لدى الاباء والشيوخ الاشكناز ( للاستزادة حول هذا الموضوع انظر : ظاهرة الفهود السود ، اسبابها واصولها . شؤون فلسطينية العدد الرابع ، ص ١٥٢ ) .

ان السؤال الذي يتبادر الى الاذهان هو ما هو الانتماء الاثني لانباء الزيجات المختلطة ؟ ان الاجابة على ذلك تأتي من خلال مكتب الاحصاء المركزي الذي درج على تصنيف السكان اليهود في اسرائيل حسب الوطن الاصلي ، وانباء البلاد حسب الوطن الاصلي لآبائهم ، اما بالنسبة لاولاد الزيجات المختلطة فانهم يصنفون حسب الوطن الاصلي للآب .

نعود الان الى الحديث عن المجالات الرئيسية التي تعبر عن الهوية الاجتماعية ، لكي يتسنى لنا الوقوف على حجم هذه الهوية وكنهها .

### الهوية الاقتصادية

تعتبر الهوية الاقتصادية من العوامل الرئيسية الكامنة وراء الهوات الاخرى الثقافية والعلمية والسكنية والوظيفية .

تفصح الهوية الاقتصادية عن نفسها من خلال النسبة المئوية لتوزيع مداخيل العائلات المدنية في اسرائيل حسب مجموعة الاعشار (٣١) . ففي العام ١٩٥٤ كانت النسبة المئوية لمداخيل هذه العائلات موزعة كالتالي : العشر الاول ٢٤٥ ، الثاني ٤٤٥ ، الثالث ٦٤٣ ، الرابع ٧٤٦ ، الخامس ٨٤٧ ، السادس ٩٤٥ ، السابع ١٠٤٤ ، الثامن ١٢٤٥ ، التاسع ١٥٤٣ ، الاعلى ٢٢٤٧ . وفي العام ١٩٦٣/١٩٦٤ كانت النسبة المئوية موزعة ( حسب الاعشار ) كالتالي : ١٤٦ ، ٣٤٥ ، ٥٤٥ ، ٦٤٥ ، ٧٤٨ ، ٩٤١ ، ١٠٤٧ ، ١٢٤٩ ، ١٦٤٦ ، ٢٦٤٩ . وفي العام ١٩٦٩/٦٨ كان التوزيع كما يلي : ١٤٥ ، ٣٤٢ ، ٤٤٩ ، ٦٤٤ ، ٧٤٨ ، ٩٤٢ ، ١٠٤٨ ، ١٣٤١ ، ١٦٤٤ ، ٢٦٤٩ .

يلاحظ من هذا التوزيع ان نسبة نصيب العائلات من الدخل العام ، ابتداء من العشر الاول وحتى العشر السادس آخذة في الهبوط ، بينما نسبة نصيب العائلات ابتداء من العشر السابع وحتى العشر الاعلى آخذة بالارتفاع . بمعنى آخر ان نصيب مداخيل ٦٠ ٪ من مجموع العائلات المدنية في اسرائيل من الدخل الاجمالي للعائلات المدنية قد هبط خلال الفترة المذكورة بينما ارتفع نصيب ٤٠ ٪ من العائلات من الدخل الاجمالي . واذا أخذنا بعين الاعتبار ان « العلامات المميزة لعملية الاستقطاب الطبقي في اسرائيل تشير الى ان الطوائف الشرقية تتركز في الراتب الدنيا في جميع المجالات » كما يقول

دارتسا علم الاجتماع في اسرائيل ر. بار ود. تادين تان. ثانياً لنا معرفة الشرائح الاقتصادية من الهوة الاقتصادية الثانية والأخذ بالانتعاش.

وقد نتج عن اتساع هذه الهوة مشكلة الفقر التي أصبحت تشمل ربع السكان . يقول الدكتور موشيه سنيه : « هنالك ١١ ٪ من مجموع ٦١٤ ألف عائلة مدينية نحت خانة الفقر ، وهنالك ١٠.٤٣ ٪ على حافة الفقر ، وتشكل النسبتان ٢١.٣ ٪ ، اي أن كل عائلة خامسة في اسرائيل يسودها الفقر ، ولكن بما أن العائلات الفقيرة هي أيضاً عائلات كبيرة نجد أن ٢٤ ٪ من مجمل النفوس تحت طائلة الفقر . وهذا يعني أن كل شخص رابع يعيش في حالة فقر . ومن بين العائلات التي لديها ستة اولاد فما فوق هنالك ٣٩ ٪ تعيش في حالة فقر » (٢٢) .

ولايضاح الهوة بين متوسط مدخول العائلة الشرقية والعائلة الغربية نورد هنا احصائية وردت في دراسة للدكتور يوحنا بيرس ، قارن فيها متوسط الدخل للعائلة الشرقية بالنسبة الى متوسط الدخل للعائلات الغربية خلال سنوات مختلفة ، وتشير هذه الاحصائية الى الاتساع البطيء بين متوسط الدخل للفئتين .

في عام ١٩٥٦ كان متوسط دخل العائلة الشرقية ٧٣ ٪ من متوسط دخل العائلة الغربية وفي العام ١٩٥٩ كان ٧٣ ٪ ، وبلغ متوسط دخل العام ١٩٦٣ ٧١ ٪ ، ٧٢ ٪ في العام ١٩٦٥ ، ٦٨ ٪ في العام ١٩٦٦ ، و٦١ ٪ في العام ١٩٦٧ ، و٧٠ ٪ في العام ١٩٦٨ ، و٦٩ ٪ في العام ١٩٦٩ (٢٣) .

ان النسب الآتية الذكر لا توضح الهوة في متوسط مستوى المعيشة بين الافراد بل بين العائلات ، ومن المعروف ان عدد افراد العائلة الشرقية يفوق عدد افراد العائلة الغربية ولذا اعتمدنا على الاحصائية لتوضيح الهوة بين متوسط مصاريف الفرد في العائلة الغربية وبين متوسط مصاريف الفرد في العائلة الشرقية (٢٤) . ففي العام ١٩٥٩ بلغ متوسط المصروف الشهري للفرد في العائلة الاسكنازية ١٣ ليرة ، وفي العام ١٩٦٣ ٦٤ / ٧٠ ليرة ، وفي العام ١٩٦٨ / ١٩٦٩ ٣٥ ليرة مقابل ٨ ليرة ، ١٠٠ ليرة ، و ١٩٠ ليرة للفرد في العائلة الاسفاردية . وبهذا يكون الفرق ٦٠ ٪ للعام ١٩٥٩ ، و ٧٠ ٪ للعام ١٩٦٣ / ١٩٦٤ ، و ٨٥ ٪ للعام ١٩٦٩ / ٦٨ .

ان الاستنتاج الذي يخرج منه المرء من هذا التوزيع واضح : ازدياد الهوة في مستوى المعيشة بين العائلات الشرقية والعائلات الغربية خلال أعوام الستينات على الرغم من الارتفاع العام في مستوى المعيشة خلال هذه الفترة .

الى جانب ذلك يمكن لنا توضيح الهوة بين ابناء الطوائف من خلال نسبة العائلات من كلا الجانبين التي تملك سيارة خاصة .

ففي العام ١٩٦٢ كانت ٦٤١ ٪ من العائلات الاسكنازية تملك سيارة مقابل ١٠٠ ٪ من العائلات الاسفاردية ، وفي العام ١٩٦٤ كانت النسبة ١٠٠ ٪ مقابل ١٦٧ ٪ ، وفي العام ١٩٦٩ كانت النسبة ١٧٤٦ ٪ مقابل ٥٤٦ ٪ ، وبذلك تكون الفجوة ٥٤١ ٪ للعام ١٩٦٢ ، و ٨٤٣ ٪ للعام ١٩٦٤ ، و ١٢٠ ٪ للعام ١٩٦٩ (٢٥) .

من هنا يتضح لنا ان الهوة الاقتصادية بين الطوائف الغربية والشرقية أخذت بالانتعاش

### الهوة السكنية

لكي ندرك الهوة السكنية لا بد من الرجوع الى مراحل استيعاب المهاجرين التي عتبت قيام اسرائيل . لقد مرت عملية الاستيعاب بمراحل عدة ، مرحلة المخيمات ومرحلة المعابر ، وهاتان المرحلتان كانتا من اقسى مراحل الاستيعاب ، ثم اعتبتهما مرحلة التثبيت بالانتقال الى التخطيط ، اقيمت فيها ضواخ سكنية بسيطة بالقرب من المدن بواسطة

شركة « عميدار » الاسرائيلية . وتلت هذه المراحل الثلاث التي املتها الظروف لمواجهة سبل الهجرة الجماعية في مطلع الخمسينات ، مرحلة جديدة للاستيعاب بدأت في النصف الثاني من الخمسينات ولا تزال حتى اليوم ، مرحلة الاستيعاب المخطط ، تعتمد على التخطيط المدروس في اقامة الضواحي والمستوطنات الدائمة .

خلال المراحل الاولى الثلاث سكن المهاجرون من اليهود الشرقيين والغربيين على حد سواء في المخيمات وفي المدن العربية المهجورة والمعابر والضواحي البسيطة التي اقامتها شركة عميدار ، ولم يكن هنالك تمييز يذكر في عملية اقتسام هذه البيوت لان واقعها التعيس لا يسمح بقيام تمييز . بيد ان التمييز بدأ يظهر جليا عند البدء في المرحلة الجديدة التي اتسمت بالتخطيط المدروس والتي كان القصد منها نقل المهاجرين من مراحل الانتقال الثلاث السابقة الى مرحلة استيعاب جديدة ، وقد سارت هذه المرحلة في اتجاهين : الاول بناء ضواحي سكنية جميلة قرب المدن الاسرائيلية وفي المناطق الجميلة ، والاخرى اقامة « قرى تطوير » في المناطق النائية بالاضافة الى اقامة مستوطنات على مختلف انماطها . ومن هنا بدأت عملية الفرز والاستقطاب الاثني المبنية على التمييز . اذا اخذ اليهود من ابناء الطوائف الغربية يوجهون الى الضواحي الجميلة بمنحهم قروضا حكومية ، واخذ اليهود من ابناء الطوائف الشرقية يوجهون بشكل عام الى ما يعرف بقرى التطوير والقرى الزراعية النائية . وبذلك ولدت الهوة السكنية عند منتصف الخمسينات واخذت تتسع الى ان بلغت حجمها الراهن في مطلع السبعينات ، وكان لها دور في عملية الاستقطاب الطبقي الاثني ، وفي زيادة حجم الهوة الثقافية والاقتصادية .

سارت عملية استقطاب ابناء الطوائف الغربية في الضواحي الجميلة وفي المدن سرياً حينئذ وتخطت عمليات الاستيعاب المرحلية ، بينما تعثرت عملية نقل ابناء الطوائف الشرقية الى مرحلة الاستيعاب الجديدة ، حيث بقي قسم منهم في المعابر وفي البيوت العربية المهجورة وفي المساكن البسيطة كشركة عميدار . ومن هنا بدأت تظهر ما يعرف بالاحياء الفقيرة في المدن ، ووجه قسم آخر الى القرى الزراعية ، وخاصة الى قرى التطوير .

كان في اسرائيل ( حتى نهاية عام ١٩٦٨ ) نحو ٣٠٠ موقع سكني فقير ( احياء فقيرة ومعابر ومساكن عميدار ) ويبلغ تعداد سكانها نحو ٤٥٠ الف نسمة ( قرابة مئة الف عائلة ) ، وفيها يتعلق بالدينتين الرئيسيتين في اسرائيل ، القدس وتل ابيب ، فقد اظهر بحث لكتبة الشؤون الاجتماعية التابعة للجامعة العبرية حول قضايا الفقر في القدس ان ١٨٠١٢٤ عائلة يبلغ تعداد افرادها ٦٨٠٨١٧ نسمة ( اي ربع سكان القدس اليهودية ) يسكن في مساكن غير صالحة للسكن ، كما ووضح البحث ان هنالك عشرة آلاف مسكن آخر على حافة الخلل والتحول الى الاحياء الفقيرة (٢٦) . اما في تل ابيب كبرى المدن الاسرائيلية ، فقد ذكر نائب رئيس البلدية استنادا الى دراسة اجرتها بلدية تل ابيب ان كل شخص ثالث في هذه المدينة يعيش بظروف فقر وان ٢٨ الف عائلة يبلغ تعدادها ١٣٠ الف نسمة تسكن في مباني غير صالحة تشبهه بالاكواخ . اما البروفيسور يتسحق هلبرخت ، رئيس الجمعية الاسرائيلية لتخطيط العائلة ، فقد ذكر انه يوجد في تل ابيب ١٢٠ الف نسمة ( ٢٨ الف عائلة ) يعيشون تحت حافة الفقر او بالقرب منها (٢٧) .

ومن المعروف ان عملية الفرز الطبقي او الاستقطاب الاجتماعي القائمة على التمييز في المجتمع الحديث قد جعلت هذه الاحياء من نصيب ابناء الطوائف الشرقية ، الامر الذي ادى الى خلق ظواهر سلبية . ذلك ان الظروف السكنية الصعبة في الاحياء الفقيرة تعتبر اساساً لجميع الظواهر السلبية : هروب آباء واطناء من البيت ، تفكك الاسرة ، انتعاش وُر السموم والزنى ، وقيام عصابات شوارع تنهك في اعمال السطو والنهب . ومن المعروف انه يوجد في تل ابيب قرابة ٢٠٠ عصابة ، تضم كل واحدة منها ما بين ٢٠ الى

١٠٨٨) من أبناء الأحياء الفقيرة، ويتوزعون في بعض الأحياء الفقيرة الضواحي  
العنيفة في شمال تل أبيب ويصطيدون مع الفنية الاستكثار .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأحياء الفقيرة في المدن هي بمثابة بؤر إشعاع لعنيفة أبناء  
الطوائف الشرقية وسخطهم وانتفاضاتهم على أوضاعهم أكثر مما هو الحال عليه في قرى  
التطوير أو المستوطنات الزراعية ، ذلك أن هذه الأحياء تقع بالقرب من الضواحي العنيفة  
والجميلة التي تستوعب المهاجرين الجدد ، أحياء تكاد تكون معتمة يسكنها اليهود  
الشرقيون وأحياء تعج بالاضواء من نصيب اليهود الغربيين .

إلى جانب الأحياء الفقيرة في المدن ، هنالك أمكنة تجمع لليهود الشرقيين في قرى التطوير  
التي بنتها سلطات الاستيعاب في الأماكن النائية في النصف الثاني من الخمسينات . وقد  
بلغ عدد هذه القرى نحو ٣٠ قرية وصل تعداد سكانها في نهاية عام ١٩٦٨ قرابة ٤٢٢  
نسمة من مجموع ٢٦٥ مليون يهودي في ذلك الوقت . وتزيد نسبة أبناء الطوائف الشرقية  
في هذه القرى على ٨٠٪ (٢٩) من مجموع مستوطناتها .

تعاني قرى التطوير من أوضاع اقتصادية صعبة ، ولذا فإن ظاهرة الهجرة المعاكسة  
منها إلى المدن والمستوطنات غدت قوية ، الأمر الذي يزيد من حدة تازم الأوضاع  
الاقتصادية . ويصف البروفيسور نتان ليتسفيد هذه الظاهرة بقوله : « وبما أن أصحاب  
الكفاءات والمهن الحرة يهجرون قرى التطوير فإن المستوى الاجتماعي الاقتصادي يهبط  
باستمرار ، ولو لم يكن هنالك نزوح في أعوام الستينات فإن الزيادة في عدد سكان قرى  
التطوير ستصل إلى ثلاثة أضعاف الزيادة الحقيقية . أن هذه القرى تتدهور إلى وحدة  
طائفية ووظيفية ووحدة في الدخل بمستوى اجتماعي اقتصادي منخفض » (٤٠) . أمّا  
الأوضاع الثقافية والتعليمية فإنها لا تقل عن الأوضاع الاقتصادية المتدهورة ، ففي هذه  
القرى نجد أن ثلث السكان لم يحصل على ثقافة ابتدائية مطلقاً أو تعلم في أعوام فقط ،  
بينما تصل هذه النسبة بين صفوف السكان اليهود كافة في إسرائيل إلى السدس (٤١) .  
وعلى الرغم من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتردية في قرى التطوير ، فلا  
نجد فيها مظاهر عنف واحتجاج على هذه الأوضاع بالمقدار نفسه الموجود في الأحياء  
الفقيرة في المدن بسبب بعدها عن الضواحي الجميلة المعدة للمهاجرين الجدد من أبناء  
الطوائف الغربية . ولذا فإن مظاهر الغضب والتبرّد على أوضاعها تكون عادة انعكاساً  
لمظاهر التبرّد التي يقوم بها سكان المدن من أبناء الطوائف الشرقية .

ويمكن أيضاً البهوت السكنية بين أبناء الطائفتين — إذا استثنينا عامل جمال المنطقة —  
بواسطة الإحصائية التالية حول النسبة المثوية للعائلات التي تسكن بحالة احتفاظ ( عدد  
الأشخاص في الغرفة يزيد على ثلاثة أشخاص ) (٤٢) :

في العام ١٩٦٤ كان ٤٨٪ من العائلات الاسفاردية يسكنون في بيوت مكتظة مقابل ١٢٪  
من العائلات الاشكنازية . وفي العام ١٩٦٥ كانت النسبة ٣٠٪ للأسفاردية و ٦٪  
للأشكنازيين ، وفي العام ١٩٦٩ كانت النسبة ٢٠٪ و ٢٪ بالتالي . وبهذا تكون الهوة  
أربعة أضعاف في العام ١٩٦٤ ، وارتفعت إلى خمسة أضعاف في العام ١٩٦٥ ، وإلى  
عشرة أضعاف في العام ١٩٦٩ .

يتضح من ذلك أنه على الرغم من ارتفاع مستوى السكن خلال الستينات فإن الهوة  
السكنية اتسعت بشكل مضطرب بين الطائفتين .

### الهوة الثقافية

كان من نتيجة التمييز الواقعي في المجتمع الإسرائيلي وظهور الهويتين الاقتصادية والسكنية  
أن ظهرت على السطح هوة أخرى وتعرّزت بهما، يندر وجودها في أي مجتمع من المنظومة  
العالمية تكون فيه الهوة سحيقة إلى هذا الحد بين مجموعة اثنية تشكل أكثرية السكان



لا تنال من العلم إلا النذر اليسير ، وبين مجموعة الاقلية التي تشكل الشريحة المتعلمة للمجتمع ككل ، الا وهي الهوية الثقافية .  
هنالك اسباب عدة وراء هذه الهوية :

١ - التمييز الواقعي الذي يلف بين جناحيه جميع المجالات في اسرائيل وخاصة الاقتصادية والسكنية والوظيفية .

٢ - رغبة السلطات العليا في توجيه تلاميذ ابناء الطوائف الشرقية لدراسة الموضوعات المهنية في المدارس الصناعية والزراعية .

٣ - غياب عامل تكافؤ الفرص في الحصول على الوظيفة ، حيث يفضل الغربي في شغل الوظيفة حتى ولو كان الشرقي متفوقا عليه في حالة المنافسة الحرة على شغل وظيفة او منصب حكومي ، الامر الذي يدفع الطالب الشرقي الى البحث عن مجال عيش آخر غير مجال التعليم .

٤ - التباين بين المدارس ، فمدارس الاحياء « الراقية » التي يتلقى العلم فيها ابناء الاشكناز تمتاز بمبانيها الجميلة وباستكمالها مستلزمات المدرسة الحديثة كافة . اما مدارس الاحياء الفقيرة وقرى التطوير فانها تختلف عن الاولى من ناحية المباني ، وتفترق الى متطلبات المدرسة العصرية على الرغم من ان هذه المدارس تتبع مباشرة وزارة التعليم .

٥ - التباين في كفاءة المعلمين ، فقد درجت وزارة المعارف على ارسال المعلمين ذوي الكفاءات الى مدارس الضواحي الراقية ، اما المعلمون الاقل كفاءة او الذين يفتقرون الى كفاءات تدريسية فيستقربون في الضواحي الفقيرة وقرى التطوير .

٦ - وأخيرا طبيعة البرامج الدراسية ، حيث تشتمل هذه البرامج على تاريخ الطوائف الغربية وحضارتها وآدابها وتمرر الكرام على تاريخ ابناء الطوائف الشرقية وحضارتهم وآدابهم ، هذا مع العلم ان ابناء الطوائف الشرقية كانوا حتى القرن الثالث عشر مركزا مضيئا للحضارة اليهودية « انهم لا يعرفون ولا يتعلمون في البلاد تاريخ يهود البلدان الاسلامية » كما يقول مردخاي الجري رئيس حركة « عوديد » الامر الذي يجعل الطالب الشرقي يمر في مرحلة شبيهة بمرحلة عملية غسل الدماغ ، لا يعرف شيئا عن تاريخ آباءه واجداده حتى ليخيل اليه ان لا اصول حضارية له ، الا الاصول الحضارية لابناء الاشكناز . هذا فضلا عن ان تاريخ ابناء الطوائف الغربية ممل ويتسم بطابع الاسى والحزن ، والقاسم المشترك لتراث ابناء هذه الفئة وادبهم وتاريخهم يتلخص في كلمة واحدة : الاضطهاد ، بينما تراث ابناء الطوائف الشرقية وادبها شبيه بالتراث الانساني ويخلو من عقدة الاضطهاد .

ننصح الهوية الثقافية في المجال التعليمي عن نفسها في التدني المضطرد في نسبة تمثيل اليهود الشرقيين في المراحل الدراسية الثلاث : الابتدائية من الصف الاول حتى الثامن ( الزامية ومجانية ) والثانوية من التاسع حتى الثاني عشر (مقابل اقساط ) والمرحلة الجامعية (مقابل اقساط ) . ففي الصف الاول الابتدائي نجد ان نسبة الطلبة الشرقيين قريبة من نسبتهم العامة في اسرائيل ، اذ يحتلون نسبة تزيد على ٦٢ ٪ بيد ان هذه النسبة تأخذ في التدني الى ان تصل في الصف الثامن الى ٤٥ ٪ (٤٢) . اما النسبة في المدارس الثانوية فانها تأخذ بالتدني الشديد لتصل الى ١٧٧ ٪ . وتمثل هذه النسبة المدارس الثانوية والمهنية والزراعية كافة . ويتوزع ابناء الطوائف الشرقية على الفروع الثلاثة بالنسبة التالية(٤٤):

| مجموع الصفوف | الثاني عشر | الحادي عشر | العاشر | الصف التاسع |                                 |
|--------------|------------|------------|--------|-------------|---------------------------------|
| ١٢٤٦         | ٧٤٨        | ٩٤٨        | ١٣٤٨   | ١٥٤٨        | في المدارس الثانوية ( النظرية ) |
| ٢٥٤١         | ١١٤٨       | ٢٠٤٤       | ٢٥٤٥   | ٢٩٤٧        | في المدارس الصناعية             |
| ٢٦٤٧         | ١١٤٦       | ٢٢٤٣       | ٢٦٤٤   | ٣٣٤٩        | في المدارس الزراعية             |
| ١٧٤٧         | ٨٤٨        | ١٤٤٤       | ١٨٤٥   | ٢٢٤١        | في المدارس كافة                 |

هناك عدة ملاحظات على الجدول المذكور :

١ - ليس هنالك شك بأن التدني المضطرد في نسبة تمثيل اليهود الشرقيين في المرحلة الثانوية ناجم عن اوضاعهم الاقتصادية المتردية ، فالداخيل المنخفضة لا تؤدي بشكل عام الى ثقافة عالية خاصة في بلد يفرض اقساما شهيوية مرتفعة على تلاميذ المدارس الثانوية ، كما ان الثقافة المتدنية ( وهذا الامر ناجم عن طبيعة المجتمع ) تعرقل امكانيات الحصول على مداخيل عالية ، وهذه هي الدائرة المفرغة المفروضة على ابناء الطوائف الشرقية . ٢ - من الملاحظ ان نسبة الطلبة الشرقيين في المدارس الصناعية والزراعية اعلى منها في المدارس الثانوية النظرية ، ويعود ذلك الى تشجيع السلطات وقيامها ببناء مدارس من هذين الفرعين بين صفوف الطوائف الشرقية على حساب المدارس الثانوية النظرية . ٣ - وفيما يتعلق بالمدارس الثانوية فاننا نرى ان نسبة الطلبة الشرقيين فيها متدنية بشكل كبير حيث تصل الى نصف النسبة في كل المدارس الصناعية والزراعية ، وكان يمكن لهذه النسبة ان تكون ادنى بكثير من ١٢٤٥٪ لولا استيعاب هذه المدارس لاعداد من المهاجرين الشرقيين وخاصة من ابناء شمال افريقيا الذين انهموا جزءا من دراساتهم الثانوية في فرنسا ، ذلك ان هذا النوع من المدارس غير متوفر بشكل كاف في المناطق التي يسكنها الشرقيون ، بل في الضواحي التي تخص ابناء الطوائف الغربية . الامر الذي يضطر الطالب الشرقي على الانتقال من ضاحية الى ضاحية اخرى في الفترة التي يبلغ فيها سن البلوغ والراهقة ، وهذان الامران يؤثران تأثيرا حاسما على مسلكه وتصرفه . فهو من ناحية يشعر بأنه أصبح في محيط جديد ، ويحاول التأقلم فيه ، فببدا بالتشبه بابناء الاشكناز من حيث الماكل والملبس والخروج مع الفتيات ، الا انه من ناحية ثانية لا يستطيع لاسباب مادية ، بالاضافة الى الخجل والحساسية ، الحصول على مبتغاه . وبين الرغبة في الحصول على ما يريد والعراقل التي تقف امامه ، يتعثر الطالب الشرقي في مدرسته الجديدة ويبدأ بالتفكير في الخروج منها . وهذا ما يفسر لنا التدني في نسبة تمثيلهم في هذا النوع من المدارس (٤٥) ، التي تعتبر البوابة الرئيسية ان لم تكن الوحيدة لدخول الجامعات الاسرائيلية . هذا مع العلم ان نسبة من يلتفون دراساتهم في الصف الثاني عشر في المدارس الثانوية من ابناء الطوائف الشرقية تصل الى ٧٤٨٪ فقط .

وفيما يتعلق بتمثيل ابناء الطوائف الشرقية في المعاهد الاسرائيلية فانه يأخذ ايضا بالتدني حيث ان نسبة الحاصلين على الدرجة الجامعية الاولى تصل الى ٧٪ اما نسبة الحاصلين على الدكتوراه فتصل الى ٣٪ فقط .

هذا فيما يتعلق بالتعليم خلال المراحل الدراسية الثلاث ، والسؤال الذي يقادر النبي الاذهان ، ما هي نسبة تمثيلهم في الهيئة الاكاديمية ؟ لا تتوفر حتى الان احصائية رسمية حول هذا الموضوع ، الا ان نائب وزير التربية والتعليم الدكتور افنير شناكي اجري دراسته بمساعدة الجامعات الاسرائيلية تشير الى وجود هوية كسيرة في التمثيل في الهيئة الاكاديمية (٤٦) . ففي معهد الهندسة التطبيقية في حيفا هنالك ٨٠ محاضرا ( من اصل

أسيوي أفريقي) من مجموع ٨٠٠ محاضر وأستاذ أي ١٠٪ وفي جامعة تل أبيب يوجد ٣٥ محاضراً من مجموع ١٠٠٠ محاضر وأستاذ أي ٣٥٪ ، أما في معهد وايزمان فهناك ثلاثة علماء فقط (واحد من مراكش ، وآخر من تونس والثالث من العراق) من مجموع ٣٧٠ عالماً ، أي أن النسبة تقل عن ١٪ . ولم تتوفر إحصائيات عن بقية الجامعات والمعاهد .

من الملاحظ أن الهوة الثقافية بين أبناء الطائفتين واسعة ، وتأخذ بالانتساع الشديد في المراحل العليا من الدراسة ، ويعتقد الدكتور يوحنا بيرس أن المساواة في التعليم بين أبناء الطائفتين ستستغرق مدة طويلة ، ويقدر هذه المدة بـ ٨٠ عاماً !

### الهوة في المؤسسة العسكرية

يخطئ من يتصور أن الهوة لم تمتد إلى الجيش الإسرائيلي . فالهوة التي شملت المجالات الاقتصادية والسكنية والثقافية امتدت أيضاً إلى المؤسسة العسكرية في إسرائيل وشملت أيضاً . وتعكس الهوة نفسها في سلم الرتب العسكرية وهي شبيهة إلى حد بعيد بسلم المراحل التعليمية ، إلا أنها تتفوق عليها في كون المرتبة العليا — هيئة الأركان — تخلو تماماً من أبناء الطوائف الشرقية . وتسير عملية الاستقطاب في سلم الرتب العسكرية نتيجة للهوة الاجتماعية ، في مسار اثني ، « فعدد العسكريين ( الشرقيين ) يأخذ دائماً بالهبوط كلما تسلقنا الرتب العسكرية » بينما يأخذ عددهم بالازدياد في حالة الهبوط في سلم الرتب ، وتبلغ النسبة أوجها في المرتبة الدنيا . يقول عوفير إسرائيل من كبار فينكين ، ٣٢ عاماً ، أحد أعضاء لجنة عينتها رئيسة الحكومة لمعالجة القضايا الاجتماعية « ينبغي أن لا تعتقد بأن الوضع في الجيش هو على ما يرام . لبتك تعرف كيف تتوزع الرتب في الجيش من الناحية الطائفية . إلا أن الجيش الإسرائيلي ينجح في الحفاظ على التكتل ، ويأولنا إذا ما انتهك هذا التكتل بشكل خطير خارج الإطار العسكري . ومن الواضح لي أن ذلك سينعكس بشكل خطر على الجيش أيضاً » (٤٧) .

ويعود نجاح الجيش الإسرائيلي « في الحفاظ على التكتل » لأسباب عدة منها : ١ — أن الجيش الإسرائيلي — كأي جيش آخر — يخضع لأوامر وتعليمات عسكرية تحول دون زج أفرادها في نقاشات سياسية حول مواضيع حساسة مثل التمييز كما وتحول دون التيارات السياسية المختلفة في إسرائيل من القيام بنشاطات سياسية بين صفوفه .

٢ — أن الهوة الاقتصادية في الجيش ليست كالهوة الاقتصادية خارج إطار الجيش .  
٣ — أن العلاقة بين فئة الجنود وبين فئة الضباط تخلو بقدر الإمكان من الشوائب البروقراطية والعسكرية .

ومع ذلك فإن الهوة قائمة ، ويشعر أبناء الطوائف الشرقية بالغبين اللاحق بهم نتيجة احتكار فئة الأشكناز المناصب هيئة الأركان ويشكون من عدم تمثيلهم في المناصب العليا . ويفسر البعض منهم ذلك بشك الأشكناز في ولائهم : « سمعت ذات مرة أن شخصية كبيرة أجابت عندما سئلت عن عدم وجود ضباط كبار في الطوائف الشرقية ، بأن السبب يعود إلى أنهم لا يثقون فيهم حتى النهاية . . . إلى أن جاء إسرائيل بار ويسرائيل كنستر ، واثبتنا أنه يوجد أيضاً حونة أشكناز » (٤٨) .

وعلى الرغم من نجاح الجيش الإسرائيلي في الحفاظ على التكتل فإن التناقضات الاجتماعية الأثنية تعكس نفسها على الفئتين الرئيسيتين وتؤدي في بعض الأحيان إلى التصادم والاشتباك بالأيدي بين صفوفه « فكثيراً ما يحدث » كما يقول عمران بن كوهين الذي خدم في الجيش في سلاح المظليين : « أن تقع اشتباكات بين الأشكناز والاسفاراديم » . . . في فبراير ١٩٦٧ تطوعت في سلاح المظليين ولم أنجح في إزالة الفوارق التي

أقامها الآخرون حول أبناء طائفتي ، وقد حدثت أكثر من مرة اشتباكات بين الإسكناز والاسفاراديم . . . كانوا يفتوننا بالحرمين أو ( مراكشي مستكين ) كل ذلك ضمن إطار الجيش ، ولم يكن ذلك دائما بروح طيبة ، وحينذاك نصل الى الاشتباك ، لم يكن الغاراي شيء مشترك مع أبناء الكيبوتس والاشكناز الآخرين (٤٩) . وهذه هي المرة الأولى التي تتكشف فيها الصراعات داخل الجيش على أساس اجتماعي اثني ، ولعل هذه الصراعات كانت من بين الاسباب التي دعت بعض المسؤولين للتحذير من « خراب الهيكل الثالث » .

الا أن ما هو أخطر من هذه الاشتباكات ، توصل البعض من أبناء الطوائف الشرقية الى التمرد على الخدمة العسكرية وذلك بواسطة ارجاع الهويات العسكرية الى الجيش ادراكا منهم بأن الجيش هو المكان الوحيد الذي تحتاجهم فيه السلطات العليا ، حيث يشكل أبناء الطوائف الشرقية لبنة أساسية في حجمه ، مطلقين صرخة المسحوقين الذين يساقون الى الحروب لمصلحة الاسياد : « نقاتل من اجل من ؟ » أو كما يقول خانوخا مزاراحي احد المتمردين على الخدمة العسكرية « انهم يرسلوننا الى الجيش للتخاطب على المتحف الخاص بموشيه ديان ، في الوقت الذي لا نملك فيه مكانا للنوم — لماذا ينبغي علينا ان نذهب للجيش ؟ » أو كما يقول زميله « جيورا » : « عندما روى زميلان ليصفا بأنهما تلقيا أمرا بالانخراط في سلك الاحتياط ، فكرنا : نقاتل من اجل من ؟ ولماذا نقاتل ؟ عندما كنا أبناء ١٨ عاما ذهبنا الى الجيش بقلب مفعم بالحب . . . واعتقدنا ان ذلك يتفاد فخر لنا ، ولكن اتضح بمرور الزمن ان الجيش هو بمثابة المكان الوحيد الذي تستخدمنا فيه الدولة . . . ليس من المعقول ان يطلبوا منا ان نقدم ارواحنا لدولة لا توفر لنا اذني الشروط للعيش كبشر » . ولعل ما هو أخطر من ارجاع الهويات العسكرية ، ظاهرة التهديد باستخدام العنف من قبل المتمردين على الخدمة العسكرية ، الذين لا يرون في ارجاع الهويات آخر المطاف في نضالهم ، بل حلقة تؤدي الى حلقة العنف كما يقول خانوخا مزاراحي « اننا نأمل في ان يستمعوا لنا الان ، وان لا يعطونا فرصة لاستخدام ما تعلمناه في الجيش . . . ولكن في المكان الذي يسيطر فيه قانون الغاب — مثل هذه البلاد — في المكان الذي لا يمكن فيه الحصول على شيء الا عن طريق العنف ، فاننا ان نتردد ايضا نحن عن التصرف كالأخرين . لن نأكل الطين ونقول بأنه غسل (٥٠) .

الى جانب هؤلاء المتمردين الذين يحذرون من « ان لا يعطونا فرصة لاستخدام ما تعلمناه في الجيش » هنالك كاتب اسرائيلي يدعى يهودا تيني ( من أصل يمني استطاع بعضا من أبناءه ان يكتف بنفسه بنفسه ويحصل على الدرجة الجامعية العليا ) لم يتوجه الى السلاح مهديا ، بل توجه الى من ماتوا تحت السلاح عام ١٩٤٨ من بين اليهود الشرقيين وخاصة اليمنيين منهم ، توجه اليهم ليخبرهم بأنهم ماتوا ميتة رخيصة ، ماتوا نتيجة الكذب والخداع والتضليل من قبل تجار الحروب « وانني اعرف كيف سقطوا ، واعرف أعمالهم حتى ساعتهم الاخيرة ، الا انهم لا يعرفون أعمالنا ، انهم لا يعرفون الى أي حد خانهم المجتمع الاسرائيلي ، الى أي حد هانت المثل التي قاتلوا من أجلها ، انهم لا يعرفون بأن تجار الحروب أولئك الذين يعتقدون بأن دماءهم أكثر احمرارا من دمائهم ، هم المسيطرون اليوم » (٥١) .

ويبلغ يهودا تيني الذروة في مرثيته بقوله : « لقد قلت — انني لست ذاهبا الى قبورهم ولكن يبدو لي أنه يتوجب علي ان اذهب لاقول لهم انهم خدعوهم وضلّوهم وغرروا بهم » لاقول لهم بأن موتهم كان رخيصةا وتضحيتهم ذهبت سدى ، لاقول لهم ان آباءهم يسكنون الجحور والكهوف بينما تقاسم الآخرون قريبا بينهم الاماكن الجبيلة في البلاد ، ويبدو لي انه ينبغي علي ان أزورهم لاقول لهم « ان الذروة في حياتكم هي لحظة ثمانتم . . . » (اقول لهم ان الشعلة المضئنة من قبورهم قد أهدتها أنهار الكذب وأن رماد الشعلة قد حرمتها أنهار الفساد . . . » (٥٢) .

كان من نتيجة الهوة الاجتماعية ، ان برزت اشكال متعددة للصراع ضد الواقع التمييزي لابناء الطوائف الشرقية ، وقد تحددت هذه الصراعات في قوالب معينة ومنفاوتة ، تنفاوت في العنف والمسيرة ، في الطلب باستعطاف او الاخذ بالقوة ، في الهبة المنظمة من خلال تنظيم ، او الهبة العفوية الشعبية . واشهر الحركات التي برزت نتيجة الواقع التمييزي :  
١ - حركة الفهود السود ( انظر ظاهرة الفهود السود ، اسبابها واصولها . شؤون فلسطينية ، العدد الرابع ، ص ١٤٢ ) .  
٢ - ظاهرة الازواج الشباب ( انظر شؤون فلسطينية ، العدد العاشر ، ص ٦٥ ) .  
٣ - حركة عوديد : تمتاز هذه الحركة التي انشئت في اوائل الستينات على ايدي مثقفين من ابناء مراكش بعدم ثورتها وبمسيرتها للسلطة ، وتقوم بنشاطات تثقيفية بين اوساط مهاجرين يهود شمالي افريقيا ، وتعمل من اجل زيادة تمثيل اليهود الشرقيين في المراحل التدريسية المختلفة . ومن الجدير بالذكر ان المؤسسة الحاكمة تغير حركة « عوديد » بعطفها ، بينما تصب جام غضبها على حركة الفهود السود والازواج الشباب .

اما على الصعيد الشعبي فقد تباينت اشكال النضال واتخذت قوالب مختلفة مثل الاضرابات والتظاهرات والتهديد بالتنصر ومغادرة البلاد . على ان اخطر سلاح نضالي اتخذ حتى الان هو سلاح النزوح من المستوطنة او القرية واخلائها من سكانها حتى تتحقق مطالبهم . ففي ٢٦/٣/٧٢ قام سكان قرية « زرعيت » في الجليل الاعلى ( يهود شرقيون ) باخلاء قرينتهم لمدة اسبوع احتجاجا على اوضاعهم الصعبة وعلى الواقع التمييزي الذي يعانون منه ، وتمت عملية النزوح على الرغم من المحاولات الكبيرة التي بذلتها السلطات الاسرائيلية لمنع الاهالي من الاقدام على استخدام مثل هذا السلاح . وقد بقيت القرية طوال اسبوع خالية من سكانها . وتعتبر عملية النزوح هذه ظاهرة جديدة في اسرائيل ، ولم يسبق لها ان حدثت في فترة اليسوف او فترة قيام الدولة .

لا بد لنا في نهاية حديثنا من التطرق الى ظاهرة الكراهية التي ولدت نتيجة التركيبة الفريدة للمجتمع الاسرائيلي ، وتلغمت في احضان الهوة الاجتماعية ، ونمت وترعرعت تحت ظلال التمييز . ان كراهية ابناء الطوائف الشرقية للغربيين ناجمة بالاصل عن الواقع الاستعمالي الذي يزرعون تحتها ، اما كراهية الجانب الآخر فهي نابعة بالاصل عن النظرة الاستعمالية المشفوعة بالعنصرية . وقد عبرت يهودية روسية ذات ثقافة اكاديمية عن مشاعر كثير من الاشكناز عند تطرقها لموضوع الكراهية بقولها : « ... صحيح اننا نكرههم . صحيح انهم يكرهونا . اننا اسرائيليون وهم اسرائيليون بيد ان سورا كبيرا يفصل بيننا . اننا نعيش في مستويات مختلفة ومفاهيم مختلفة . اننا نتحدث بشكل آخر ونفكر بشكل آخر وينظر الواحد منا الى الثاني بشكل آخر ... ان هذا لاكثر من طائفتين مختلفتين ... هذا بمثابة شعبيين مختلفين ... صدقني هذه ليست عنصرية ، ان ذلك ليس مسألة لون جلد وكذلك ليس مسألة البند الاصلي . ان هذا الذي يحدث ناجم عن الكراهية الثقافية ، هذا اذا كان لكراهية ان تشمل ضمن اطار مفهوم الثقافة . انني اكرههم لانني اتخوف من الانتقال ليلا في تلك الشوارع التي يتجولون فيها ، انني اكرههم بسبب نظراتهم ، بسبب كلماتهم البذيئة التي يطلقونها خلفنا ، بسبب جميع الاعمال الخبيثة الي يحاولون القيام بها ضدنا ... انني اكرههم لانهم يلوثون الحيطان والدرجات ويقومون بتدمير الممتلكات العامة ، ويمقتون الجمال ، ويستحسنون القباحة والوساخة . انني اكرههم لانهم يكرهونا لكوننا انظف واجمل ، فبدل ان يحاولوا ان يكونوا مثلنا ، يحاولون ان نكون نحن مثلهم » (٥٢) .

- ٢٧ - شدموت، عدد ٤٣، ١٩٧١، ص ٢٢-٢٢.
- ٢٨ - ملحق عل همشمار ( حوتام ) ٧١/٧/٩.
- ٢٩ - للاستزادة انظر كتاب ابراهيم درون وآخرون ( محررون ) سياسة الرخاء في اسرائيل ( عبري ) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٦٩ ، ص ٢١٣.
- ٣٠ - مجلة اوت ٧١/٩/٩ ، ص ٨.
- ٣١ - مجلة بشاعر مايو/يونيو ١٩٧١ ، ص ١٧٤.
- ٣٢ - يديعوت احرونوت ٧١/٤/٩.
- ٣٣ - شدموت ، عدد ٤٣ ، ١٩٧١ ، ص ٢٠.
- ٣٤ - ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢.
- ٣٥ - ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢.
- ٣٦ - دانار ٧٢/٤/١٦.
- ٣٧ - معاريف ٧٢/٤/٢٧.
- ٣٨ - ملحق هارتس ٧٢/٤/٢١.
- ٣٩ - عفوداه ، مجلة شهرية تصدر عن وزارة العمل ، ١٥ يناير ١٩٧١ ، ص ٤.
- ٤٠ - ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٩.
- ٤١ - مجلة عفوداه ، ١٥ يناير ١٩٧١ ، ص ٤.
- ٤٢ - ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢.
- ٤٣ - مجلة اوت ٧١/٦/١٧ ، ص ١٨.
- ٤٤ - ايزنشعات وآخرون ( محررون ) **التقافة والمجتمع في اسرائيل** ( عبري ) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٦٨ ، ص ١٤٠.
- ٤٥ - مجلة اوت ٧١/٦/١٣ ، ص ٨.
- ٤٦ - مجلة اوت ٧١/٥/٢٧ ، ص ١٦.
- ٤٧ - ملحق عل همشمار ٧٢/٤/٢٨.
- ٤٨ - معاريف ٧١/٩/١٠.
- ٤٩ - ملحق عل همشمار ٧١/١٠/٨.
- ٥٠ - هعولام هزية ٧٢/٣/١٥.
- ٥١ - شدموت ، عدد ٤١ ، ص ٥٥.
- ٥٢ - شدموت ، عدد ٤١ ، ص ٥٧.
- ٥٣ - معاريف ٧١/١/٨.

- ١ - يديعوت احرونوت ٧١/١٢/١٥.
- ٢ - معاريف ٧١/١٢/١٠.
- ٣ - مجلة بمعراه - للاستزادة انظر الطوائف الشرقية - حزيران ١٩٧١ ، ص ٢٢.
- ٤ - ملحق هارتس ٧١/٩/٢٤.
- ٥ - دانار ٧١/٤/١١.
- ٦ - يديعوت احرونوت ٧٢/٣/٢١.
- ٧ - موشيه ليسك وآخرون ( محررون ) **مهاجرون في اسرائيل** ( عبري ) اكدمون الجامعة العبرية القدس ، ١٩٦٩ ، ص ٢٨.
- ٨ - ايزنشعات وآخرون ( محررون ) **البنية الاجتماعية لاسرائيل** ( عبري ) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٦٩ ، ص ٣٠٦.
- ٩ - ملحق معاريف ٧١/٨/١٣.
- ١٠ - موشيه ليسك وآخرون ( محررون ) **المصدر السابق** ، ص ١٥٢.
- ١١ - مجلة مولاد عدد ٩ - ٢٠ ( ٢١٩ - ٢٢٠ ) ص ٦٩.
- ١٢ - ملحق هارتس ٧١/٩/٢٤.
- ١٣ - معاريف ٧١/٣/٢٩.
- ١٤ - ملحق هارتس ٧١/٩/٢٤.
- ١٥ - معاريف ٧٢/٣/٣١.
- ١٦ - معاريف ٧١/١١/١١.
- ١٧ - معاريف ٧٢/٣/٢٩.
- ١٨ - مجلة شدموت ( لحركة الكمبيوترات ) عدد ٤٣ ، ١٩٧١ ، ص ٢٢.
- ١٩ - معاريف ٧١/٣/٢١.
- ٢٠ - يديعوت احرونوت ٧١/٩/١٣.
- ٢١ - يديعوت احرونوت ٧١/٦/٧.
- ٢٢ - بمعراه عدد ١٣٢ ، ص ٦ ، آذار ١٩٧٢.
- ٢٣ - يديعوت احرونوت ٧١/٦/٧.
- ٢٤ - معاريف ٧١/٥/٢٨.
- ٢٥ - ملحق دانار ٧١/٥/١٤.
- ٢٦ - ايزنشعات ، **المصدر السابق** ، ص ٣١٤.

## حوار مع مدينة

محمود درويش

يحمل الحلمُ سيفاً  
ويقطع أعناق من يحملون  
بما سيكون -

هكذا أخبرتني المدينة حين غفوتُ على ركبتيها  
لم أكن حاضراً  
لم أكن غائباً  
كنتُ بين الحضور وبين الغياب  
حجراً .. أو سحابة

- تشبهين الكآبة  
قلتُ لها باختصار شديد  
تشبهين الكآبة  
ولكنَّ صدرك صار مظاهرة العائدين من الموت ..  
ما كنتُ جنديَّ هذا المكان  
وثوريَّ هذا الزمان  
لأحمل لافتة ، أو عصا ، في الشوارع .  
كان لقائي قصيراً  
وكان وداعي سريعاً

وكانت تصير إلى امرأة عاطفية  
فالتحمت بها  
وحملت بها  
وأصارت تفاصيلها ورقاً في الخريف ،  
فلمها عسكريُّ المرور ،  
ورتبها في ملفِّ الحكومة -  
- تشبهين المدينة حين أكون غريباً -  
قلتُ لها باختصار شديد :

تشبهين المدينة  
هل زأكِ الجنودُ على حافة الأرضِ  
هل هربوا منك  
أم رجوك بقنبلة يدوية ؟  
قالت المرأةُ العاطفية :

كلُّ شيء يلامس جسمي  
يتحوّل  
أو يتشكل

حتى الحجارةُ تغدو عصافير ..  
قلتُ لها باكياً :

ولماذا أنا  
أتسرّدُ

أو أتبدّدُ

بين الرياح وبين الشعوب ؟  
فأجابت :

في الخريف تعود العصافير من حالة البحر  
- هذا هو الوقت ؟

- لا وقت

وابتدأتُ أغنيه :

في الخريف ، تعود العصافير من حالة البحر ،  
هذا هو الوقت ، لا وقت



- ماذا تكون البقيّة ؟  
- أنتِ تَضنّعها  
- أذهبُ الآن ؟  
- لا تذهبُ الآن . إنّ الرّيحَ على خطأ دائماً  
والمدينةُ أقربُ .  
- أنتِ المدينةُ  
- لستُ مدينةً  
أنا امرأةٌ عاطفية  
هكذا قلتَ قبلَ قليلٍ  
واكتشفتَ الدليلَ ،  
وأنتَ البقيّةُ  
- آه ، كنتُ الضّحية  
فهل سأكونُ الدليلَ .

وكنْتُ أعانقها ، كنتُ أسألها نازفاً :

- أأنتِ بعيدة ؟  
- على بُعدِ حلمٍ من الآن  
والحلمُ يحملُ سيفاً  
ويقطعُ أعناقَ من يجهلون  
بما سيكونُ .  
- كيف أكملُ أغنيتي  
والتفاصيلُ ضاعت ، وضاع الدليلُ ؟  
- إنتهتُ صورتي ..  
والمياهُ عبوديةُ السمكِ ، البرُّ حريةٌ ،  
فابتدئُ من ضياعك .

أموت أحببك

إن ثلاثة أشياء لا تنتهي :

أنت - والحب - والموت ،

قبلتُ خنجرك الحلو

ثم احتميتُ بكفسيك ..

أن تقتليني ،

وأن توقفيني عن الموت -

هذا هو الحب

إني أحبك حين أموت

وحين أحبك

أشعرُ أنني أموت

فكوفي امرأه

وكوني مدينه

ولكن ، لماذا سقطت .. لماذا احترقت

بلا سبب ؟

ولماذا ترهلت في خيمة عريه ؟

- لأنك كنت تمارس موتاً بدون شهيدته

وأضافت ، كأن القدر

يتكسر في صوتها :

هل رأيت المدينة تسقط

أم كنت أنت الذي يتدحرج من شرفة الله

قافلة من سبايا ؟

هل رأيت المدينة تهرب

أم كنت أنت الذي يجتمعي بالزوايا ؟

المدينة لا تسقط . الناس تسقط ! .

ورويداً .. رويداً تفتت وجه المدينة  
لم نحول حصاها الى لغة  
لم نسجل شوارعها  
لم ندافع عن الباب  
لم ينضج الموتُ فينا .  
كانت الذكريات مقرأً لحكام ثورتها السابقة ..  
ومرّ ثلاثون عاماً  
وألفُ خريف  
وخمسُ حروب  
وجئتُ المدينةَ منهزماً من جديد  
كان سورُ المدينة يُشبهني  
وقلت لها :  
سأحاول حبك ...

أنا لا أذكر ، الآن ، شكل المدينة ،  
لا أذكر اسمي  
ينادونني حسب الطقس .. والأمزجة ،  
لقد سقط اسمي بين تفاصيل تلك المدينة  
للملح العسكريّ المروّر  
ورتبته في ملفّ الحكومه  
- تشبهن الهوية حين أكون غريباً  
تشبهن الهوية  
وتساءلتُ :  
- هل تكون الهزيمةُ أصلاً  
أم تكون الهزيمةُ ظلّاً  
فأجابت :

- ليس قلبي فزينة  
 ليس جسمي حقلًا .  
 - ما تكونين ؟  
 هل أنت أحلى النساء وأحلى المدن ؟  
 - للذي يتناسل فوق سطوح السفن  
 وأضاف :  
 بين شوك الجبال  
 وبين أماسي الهزائم  
 كان مخاضي عسيراً  
 - ذلك من قَدَرِ العاشقات اللواتي  
 ينازلن ظلمَ الزمن ،  
 فلماذا تكونين سيّدة الليلة القادمة  
 - لأنني سيّدة الذكريات  
 - وهل عدّوك لأجلي ؟  
 - عدّوك لأجلي !  
 - هل عرفتِ الندم  
 - النساء - المدن  
 قدراتٌ على الحب ، هل أنتَ قادر ؟  
 - أحاول حبّك  
 لكنّ كل السلاسل  
 تلتفّ حول ذراعي حين أحاول .  
 هل تخونيني ؟  
 - حين تأتي اليّ !  
 - هل تموتين قبلي  
 سألتك : موتي !  
 - أيّجديك موتي ؟  
 - أصيرُ طليقاً  
 لأنّ نوافذِ حُبّي عبوديّةٌ

والمقابر ليست تثير اهتمام أحد .  
وحين تموتين  
أكمل موتي .  
- توقف عن الحب .. يقترب الموت منك ، فحاول !

- أموت - أحبك  
إن ثلاثة أشياء لا تنتهي :  
أنت - والحب - والموت .  
أن تقتليني ،  
وأن توقفيني عن الموت -  
هذا هو الحب .

- في الخريف ، أناديك .  
أحمل خاصرة الله ،  
حجارة الأنبياء ،  
وأحذية الشهداء ،  
وأكتاف كل العبيد ..

أناديك : هذا هو المحر  
هذا هو البر  
لا مركبي ينتهي  
ولا شاطئي يبتدىء

وانتهت رحلتي - فابتدأت  
وهذا هو الوقت - ألا يكون لشكلك وقت  
لم تكوني مدينه  
الشوارع كانت قبيل  
وكان الحوار نزيهاً  
وكان الجبل  
عسكريتاً . وكان الصنوبر خنجر  
ولا امرأة كنت  
كانت ذراعاك نهرين من جئت وسنابل  
وكان جبينك بيدر  
وعيناك نار القبائل .  
وكنت أنا من مواليده عام الرحيل  
ونسلا السلاسل !

يحمل الحلم سيفاً  
ويقطع أعناق من يحملون  
بما سيكون -  
هكذا أخبرتني المدينة حين غفوت على ركبتيها  
لم أكن غائباً  
لم أكن حاضراً  
كنت محتقياً بالقصيده  
[ إذا انفجرت من دمائي قصيده  
تصير المدينة وردا ]  
كنت أمتشق الحلم من ضلعها  
وأحارب نفسي  
كنت أعلن بأسى  
على صدرها ، فتصير امراه  
كنت أعلن حبي

على صدرها ، فتصير مديته .  
كنت أعلن أن زحيلي قريب  
وأن الرياح ، وأن الشعوب  
تتعاطى جراحي حبوباً لمنع الحروب .

وانتهت رحلتي -  
فابتدأت

كما يبدأ الذاهبون الى المقبره  
كما يبدأ العائدون من المجزره  
- تشكّل

تحول  
فإن المدينة أجل .

تغرب  
تسعب  
فإن المدينة أقرب

وحاول  
وقاتل  
فإن المدينة حامل .

وصرت تفاصيل تلك المدينة ،  
صرت العلاقة بين الولادة والمشيقة .  
عرفت مواعيد موتي وحيي  
وأكملت دائرة الجرح والزنيقة

وانتهت رحلتي -  
فابتدأت ...

## عقدة ثيودور هرتزل : بين العم توم ودون كيشوت

أ. ن. سعد

إن كاتبني سيرة ثيودور هرتزل يتغافلون عن معالجة او حتى ذكر بعض العناصر التي تشكلت منها نفسية مؤسس الصهيونية وساهمت ، وربما أدت بشكل حاسم ، الى توصله الى الصهيونية التي صاغ مخططا لها على طريقته الخاصة . فحرصهم على استنباط الصفات التي ارتأوا انها ايجابية في شخصية هرتزل ، مثل تمسكه بالقضية التي تبناها واندفاعه وراءها ، جعلتهم يتجاهلون الصفات الأخرى التي قد لا تكون ايجابية ولكنها ذات مغزى هام في تفهم العوامل النفسية التي حددت هوية شخصيته ومسارها الى الصهيونية . وكما هي حال كل ما يتعلق بالمشكلة الصهيونية في فلسطين ، قد يبدو ضروريا الخوض في مناقشة هؤلاء الكتاب وجميعهم من الصهيونيين او المؤيدين للصهيونية . ولكن اهتمامنا هنا لا يقع في مثل هذا المنهج المتبع تقليديا الذي جد ما ، بل يستقتصر معالجتنا على طرح وتحليل بعض الوقائع التي يمكن ايجادها بكثرة في كتابات هرتزل نفسه وخاصة في مذكراته الشخصية التي نشرت مؤخرا بكاملها في اربعة مجلدات كبيرة (١) ، والتي تحتوي على اشمل الدلالات والاشارات وادقها الى نوعية تفكير هرتزل وبنيان شخصيته . وسيجد القارئ في مجال هذه المقالة القصيرة ، ان استعمالنا لكلمة « عقدة » في العنوان اعلاه ليس من باب الاحكام المسبقة والشتيائم التي قد يرسلها كاتب متحيز ضد الحركة التي يقال ان ثيودور هرتزل تزعمها . وان بدا ان البعض يمتنع عن النظر في حكم التعقيد على مؤسس حركة اثبتت تاريخيا قدرتها على تحقيق اهدافها بوجه جميع الصعوبات ، فعطينا التأكيد والتذكير بأن الانطباع الجاني لا تحدد ، ولا ينبغي أن تحدد ، منظورنا لوقائع موضوعية تعود الى فترة ما قبل ثلاثة ارباع قرن من الزمن ، خاصة وان لدينا المصادر الوثائقية المباشرة والمتمثلة في اموال هرتزل نفسه في مذكراته والتي هي بحد ذاتها ووحدتها ، أدت بنا الى الاستنتاج بأن توظف هرتزل الى الصهيونية مثل آخرين من الصهيونيين ، كان تجسيدا وانعكاسا للتخطيط النفسي .

### العم توم اليهودي

ان شخصية العم توم معروفة جدا في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة ، الا انها قد لا تكون معروفة بهذا القدر لدى القارئ العربي . وعبرة العم توم رائجة جدا اليوم اذا تستعمل للاشارة الى السود الذين يجهدون في تأييد النظام القائم والمؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة وتبرير ممارساتها . وتعود هذه الشخصية التي أصبحت شبه ميثولوجية واسطورية الان ، الى رواية « كوخ العم توم » التي كتبها الروائية الاميركية البيضاء ، هاربيت بيتشستو ، في شكل اقصيص متسلسلة في إحدى المجلات الاميركية في عامي ١٨٥١ - ١٨٥٢ قبيل الحرب الاهلية التي ادى انتصار الشمال فيها الى الغاء العبودية وتحكي هذه الرواية قصة توم ، العبد الزنجي العميق الايمان بالمسيحية الذي يتقاضي في خدمة سيده الابيض وفي الصلاة من اجله باستمرار الى ان باعه سيده عندما



وأجتهه صعوبات مالية فانتقل إلى خدمة سيد آخر يقال إنه كان ذا شخصية متعمقة وطيبة . فتفانى توم في حبه وخدمته وخدمة ابنته الطفلة التي كانت تحبه لأنه علمها الألعاب والأغاني وأخبرها القصص إلى أن توفيت وتوفي والدها فانتقلت ملكية توم إلى سيد آخر كان سيء الخلق فأخذ توم يصلي من أجله إلى أن توفي نتيجة الضرب المبرح الذي تلقاه من سيده الجديد .

منه جانب آخر من رواية **كوخ العم توم** لا يسعنا تجاهلها نظرا لارتباطها وتشابها نوعا ما بموضوعنا الحالي . فإلى جانب العم توم تحكي الرواية قصة آخرين من العبيد الزوج الذين كانوا مستعبدين في المزرعة الأولى التي خدم فيها العم توم . جورج وزوجته وابناؤهما الذين فضلوا الهرب على أن تتفتت عائلتهم عند بيعهم ، فذهبوا إلى الشمال إلى أن انتهى بهم المطاف في كندا حيث لم يعرفوا ماذا سيحل بهم . وكانت في الولايات المتحدة آنذاك قد قامت حركة ، أو بالأحرى ، اقيمت حركة سوداء بتأييد من الحكومة الأمريكية ، سعت لتحرير السود المعتقين إلى ليبيريا التي قامت البحرية الأمريكية باحتلالها وإقامة دولة « مستقلة » فيها يحكمها السود الأمريكيون المستوطنون في خدمة الدولة الأم التي تبنت حركتهم ومكنتها من تحقيق أهدافها . وقد ارتأت مؤلفة الرواية أن تنتهيها بقرار جورج وعائلته الاستيطان بليبيريا . وبعدها ختمت روايتها بالشعارات التي أطلقتها عن الحضارة التي سينقلها المستوطنون السود إلى أفريقيا بمساعدة وتشجيع من الكنائس البروتستانتية الأمريكية .

لا بد أن القارئ قد يتحسّن من عرضنا للخطوط العريضة لهذه الرواية أوجه تشابها مع قصة هرتزل والصهيونية . فثيودور هرتزل كان بمثابة التجسيد اليهودي لشخصية النعم توم إذ أنه كان ينتكر لليهودية واليهود . وغالبا ما ردد في مذكراته الأقوال عن إعجابهِ بغير اليهود وخاصة أبناء الطبقات الرفيعة منهم من الألمان ( خاصة البروسيين ) والبريطانيين والفرنسيين الذين تطلع اليهم على أنهم المثال الأعلى الذي ينبغي أن يحتذى من أجل التنميق والدوق الرفيع والحضارة . وقد قال أكثر من مرة أنه لا يلوم اللاساميين من غير اليهود على اضطهادهم لليهود وسجل في مذكراته مرة واحدة على الأقل أن اللاساميين على حق كما ردد مرارا قوله أن اللاساميين سيكونون أفضل خلفاء الصهيونية . وعلى نهج حركة ليبيريا كان هرتزل يتكلم عن اعتقاده بأن اليهود في « البلاد الخديجة » سينقلون معهم عناصر الحضارة الأوروبية إلى الشرق المتخلف (٢) . ومن يعرف أوضاع دولة ليبيريا اليوم ، بما فيها من تمييز يلقاه الأفريقيون السود من السكان الأصليين على أيدي المستوطنين الأمريكيين السود الذين يشكلون العنصر الحاكم في البلاد ويديرون دفتها باتفاق دائم مع سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ، مع ما يقابله ذلك في إسرائيل من تمييز ضد السكان العرب الأصليين واليهود الشرقيين من أصل عربي على أيدي المستوطنين من اليهود الغربيين الذين يحكمون البلاد وفق سياسة تبعية لحكومة الولايات المتحدة ، يمكنه أن يرى وجه الشبه بين « الحل » الذي دعت مؤلفة شخصية النعم توم إليه و« الحل » الذي اعتنقه هرتزل للمشكلة اليهودية .

إن المقارنة التي نحن بصدها بين ثيودور هرتزل وشخصية النعم توم ، لم تأت تلقائيا أو عفويا بل اقتبسناها من إشارة بهذا المعنى وردت في مذكرات هرتزل نفسه . فعند توصله إلى الصهيونية في صيف ١٨٩٥ كان هرتزل يقيم في باريس حيث كان يعمل مراسلا صحفيا يكتب الإقاصيص والنوادر عن الأوساط السياسية الفرنسية التي كانت تنشر في صحيفة **نيو فزاي برس** في فيننه بالنمسه حيث كانت تقيم عائلته . وقد كان هرتزل يكتب المسرحيات من آن إلى آخر ، وهذا ، بالإضافة إلى عمله الصحافي وكتابة الإقاصيص ، جعله على اتصال ببعض الكتاب الفرنسيين . ويبدو أنه ، من بين هؤلاء ، كان على معرفة واتصال ، وربما صداقة وثيقة ، بالكايت الصحفي الفرنسي ، الفونس دوداي ،

الذي كان يخرر في صحيفه البارول ليمو الفرنسية والذي عرف هو وصحيفته باللاسمايين والتحاميل على الأقل . ولا حاجة لأن يستغرب القارىء من صداقة هرتزل اليهودي مع هذا اللاسماي المتحيز ضد اليهود إذ ان الكثيرين ممن صادقوا هرتزل ورحبوا بأفكاره وربتوا له على كتفيه كانوا من اللساميين كما نعلم من المذكرات . ويخبرنا هرتزل في بداية مذكراته اليومية التي باشر كتابتها فور توصله الى الصهيونية انه التقى يومئذ بدوداي فجرى الحديث بينهما عن اليهود فأخبره دوداي انه لاسماي بالحرف الواحد ودون تردد . عندها يبدو ان هرتزل قال له انه ينوي تأليف كتاب يدور موضوعه حول اليهود . فسأله دوداي : « رواية ؟ » . فأجاب هرتزل : « كلا . . . كتاب رجال » . فلم يتحمس دوداي لذلك وقال له : « ان الرواية تصل الى آفاق اوسع ، فكر بكوخ العم نوم » . وعندما اخذ هرتزل يشرح تفاصيل ما ينوي كتابته مما اثار اهتمام دوداي لدرجة انه قال : « كم هذا جميل ، كم هذا جميل ! »

كان هرتزل قد كتب مسرحية بعنوان الغيتو الجديد كانت ، من جملة اشياء اخرى تعبيرا عن شخصية العم نوم اليهودي إذ ان بطلها ، المحامي اليهودي سامويل ، كان مثاليا يجهد في خدمة موكله الاريسوقراطي الصناعي المسيحي ويدافع عن مصالحه ضد ابتزازات شريكه اليهوديين اللذين كان احدهما زوج اخت سامويل . الا ان الرواية التي بطلها دون شك انعكاس لشخصية هرتزل تدحوت كذلك طابع الدون كيشوتية المساوية خاصة وانها تنتهي باختلاف سامويل مع موكله الاريسوقراطي حين يشك الاخير في اخلاص المحامي ويتهمه بالتواطؤ مع زوج اخته ويشتمه بكلمات مهينة لليهود فتقوم مبارزة بينهما ويصاب سامويل بجرح قاتل ويلفظ مع انفاسه الاخيرة الكلمات التالية : « يا ايها اليهود ، اخواني ، لن يسمح لكم بالعيش بعد اليوم ، حتى تخرجوا من الغيتو » .

وهذه الرواية التي فسرت على انها استنكار المحامي اليهودي المنصهر في المجتمع الاوروبي لطريقة العيش اليهودية المنغلقة والتقليدية في الاحياء اليهودية ، كان هرتزل قد كتبها وسط تضاعد قضية الضابط اليهودي الفرنسي درايفوس الذي حوكم بتهمة الخيانة والعمل لانيه — اي قبل لقاء هرتزل ودوداي والذي ذكرناه اعلاه ، ببضعة اشهر . اما بعد هذا اللقاء ، فيبدو ان ذاكرة هرتزل عادت الى مسرحية كان قد بدأ بكتابتها منذ عام ١٨٩١ وأراد فيها اظهار التفاوت بين جماهير اليهود الفقراء واثرياء اليهود من خلال إقتباس عن قصة شاب يهودي كان يعرفه هرتزل انتحر آنذاك في برلين . وعند عودته من لقاء دوداي راجع هرتزل ، كما يخبرنا باختصار في مذكراته ، الفصل الاخير من مسودة هذه المسرحية حيث يعالج المناخ السابق للانتحار اذ يذهب بطل الرواية ، واسمه سامويل ايضا ، في جولة مسائية في أحد الشوارع ويحس باحساس التعالي على الجميع علما منه بموته القريب ويسخر في ذهنه من ضباط الحرس الذين كان بوسعه ان يأخذ أي واحد منهم معه الى الموت . ورأى نفسه وكأنه قائد ، وراح يمشي بابهة وعجرفة حتى أصبح الجميع يخلون الطريق امامه مما اكسبه الثقة والهدوء النفسي فذهب الى بيته وانتحر بهدوء .

قرر هرتزل بعد قراءته لهذه المسودة ، وربما بتأثير من دوداي ، ان يغير هذه المسرحية بحيث لم يعد سامويل المنتحر بطل الرواية ، بل مجرد شخصية ثانوية فيها ، ويصبح البطل احد اصدقاء سامويل الذي توصله حياته الى «اكتشاف او تأسيس أرض الميعاد» . ويسمع البطل بانتحار صديقه وهو على الباخرة برفقة مجموعة من الضباط المستكشفين البحريين معه ، فيمتعض كثيرا الا انه يتطلع بثبات الى الأفق باتجاه أرض الميعاد .

سرعان ما تخطى هرتزل عن فكرة كتابة الرواية التي نصحه دوداي بها وباتسر كتابته برنامج عملي نشر فيما بعد ( في العام المقبل ) في كراس الدولة اليهودية . الا ان قراءه

دقيقة لهذا الكراس تكثف ، من خلال كلامه عن تفاصيل رحلة الاسطول الذي سينقل المهاجرين الى البلاد الجديدة لبناء الدولة ، مزيجا غريبا من الجدية الساذجة والروائية الخيالية . اما الرواية عن اكتشاف ارض المعاد فلم يعد اليها هرتزل حتى عام ١٩٠٢ حين كتب روايته المشهورة **الارض القديمة الجديدة** والتي ضمن فيها رؤيته الخيالية لدولة المستقبل . وتحكي هذه الرواية قصة الشاب اليهودي الفينيقي الفقير الذي يتعرف الى مليونير امريكي سئم الحياة يقترح عليه مرافقته في رحلة الى المحيط الهادىء للابتعاد عن العالم الخارجي نهائيا . ولكن بعد ان يبحر اليخت المنق المترف بقليل يذهبان لسبب ما لتضاء بضعة ايام في فلسطين فيجدانها بلادا يعمها الخراب والقحل والقدارة . فيستأنفان السفر الى المحيط الهادىء حيث يمكثان مدة عشرين سنة ثم يعودان عن طريق قناة السويس باتجاه اوروبه فيجدان ، باختصار ، ان فلسطين على ايدي اليهود قد اصبحت بلادا عامرة ، مركز المواصلات فيها المرافىء وخطوط السكك الحديدية . وحتى يهود اوروبه الشرقية الذين سبق واشماز هرتزل من حياتهم في **الفيثو الجديد** ومسرحيات وكتابات اخرى ، ارتأى هرتزل ان يراهم في البلاد الجديدة في فلسطين متمدنين يجالسون الاريستوقراطيين البريطانيين ويشربون معهم الشاي !

وهكذا عبر هذه المسرحيات ومسودات المسرحيات انتقل بطل هرتزل من الانتحار ، الى خدمة الاريستوقراطي المسيحي في اوروبه ، الى المبارزة معه ، الى الابتعاد عن اوروبه ، برفقة الضباط المستكشفين ثم برفقة المليونير الامريكي ، الى مجالسة الاريستوقراطيين . واذا بدا ان عنصر « العمومية » لدى هرتزل ليس بارزا بروتا تاما من خلال مسحنا لهذه المسرحيات ، فان عودة منا الى ما قبل توصل هرتزل الى الصهيونية من شأنها ان توضح الامور توضيحا اضافيا .

يبدو من قراءة الفقرة الطويلة الاولى التي بدأ هرتزل بها تسجيل مذكراته ان المشكلة اليهودية بالمعنى الشخصي — اي يهودية هرتزل — كانت تشكل بالنسبة له موضوع تلقى نفسي منذ امد بعيد . ويقول انه ربما كانت هناك اوقات فكر خلالها بالابتعاد عن المشكلة النفسية التي عانى منها عن طريق اعتناق المسيحية . ولكن على أي حال فهو بخبرنا انه اثناء اقامته في باريس عام ١٨٩٣ كان قد توصل الى حل للمشكلة اليهودية بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية . فقد استنبط مخططا للتوصل الى لقاء البابا من خلال رؤساء الكنيسة في النمسه كي يقول له : «ساعدونا ضد اللاسامية وانا اتعهد بأن انشئء حركة كبيرة لتحقيق اعتناق اليهود للمسيحية بطريقة حرة ومحترمة » . واعتبر هرتزل ان حركته ستكون « حرة ومحترمة » نظرا لان زعماء الحركة — بمن فيهم هو نفسه — سيقومون على يهوديتهم بحيث يشجعون الاخرين على اعتناق المسيحية — ديانة الاغلبية . وارتأى هرتزل على طريقته الخيالية بان تتم احتفالات اعتناق المسيحية بفخر في وضع النهار في كاتيدرائية كبيرة ايام الاحد وسط رنين الاجراس . وبهذا فقد اقتنع هرتزل بان هذا الحل سيؤدي الى اعتناق جميع الاطفال اليهود للديانة المسيحية قبل بلوغهم سن الرشد مما يؤدي الى اختفاء اليهود دون الضرورة الى تنصر جيله الحالي . وما ان اكتشف هرتزل هذا الحل حتى باشر بتدوين تفاصيل تنفيذة وراح يتأمل نفسه ماثلا امام رئيس اساقفة فيينه والبابا يعرض عليهما مشروعه ويرسل الشعارات عن تخالط الاجناس !

يبدو ان هرتزل كان قد اخذ مشروعه هذا بكامل الجد والحماسة وقرر ان يقنع محرري صحيفة **نيو فراي برس** التي كان يعمل لمصلحتها في فيينه على تبني المشروع والترويج له . الا انهم رفضوا مشروعه وقال له احدهم ، موريتز بندكت ، « ان مئات الاجيال بقيت على ديانتها اليهودية وانت تريد ان تجعل من نفسك نقطة النهاية لذلك » . وربما فسر هرتزل هذا الرفض على انه نتيجة نظرة المحررين اليه على انه مجرد ثرثار وكاتب

اقتاضيص تأفهمه . إلا ان بندقك اقال له كذلك : « وعلى كل حال فان البابا لن يستنطقك » .  
ولا يمكننا البت نهائيا هل تخلى هرتزل عن هذا الحل — أي عن طريق تنصير اليهودية —  
بعد توصله الى الصهيونية ، اذ انه اختتم كراسه **الدولة اليهودية** فيما بعد بالقول بان  
اليهود في دولة المستقبل سيختلفون كليا . كما ردد في مذكراته مرارا اصراره على رفض  
اللغة العبرية وتفضيله اللغة الالمانية في دولة المستقبل . وعلى أي حال فان العقدة  
اليهودية ، عقدة احتقار الذات اليهودية هذه ، رافقت هرتزلا طوال فترة نشاطه  
الصهيوني ولازمته حتى وفاته .

كانت طبقة النبلاء الالمان وخاصة البروسيين هي المثال الاعلى لثيودور هرتزل . فهو قد  
سجل في مذكراته في ٢٧ حزيران ( يونيو ) ١٨٩٥ مثلا : « ان كان هناك شيء اصعب اليه  
فهو ان اكون أحد أعضاء طبقة النبلاء البروسية العريقة » . وعندما فكر بإمكان إقامة  
دولة المستقبل تحت حماية المانية ، سجل هرتزل في مذكراته يوم ٨ تشرين الاول  
( اكتوبر ) ١٨٩٨ : « ان نعيش تحت حماية دولة المانية القوية والعظيمة والأخلاقية  
والرائعة الحكم والوثيقة التنظيم — فهذا ليس من شأنه الا ان تكون له افضل الآثار في  
الشخصية القومية اليهودية . »

الا ان تطلع هرتزل الى المسيحيين الاوروبيين لم يقتصر على الالمان . فهو اراد — كما  
سجل في مذكراته ليوم ٩ حزيران ( يونيو ) ١٨٩٥ — ان تنشأ المبارزات في دولته لكي  
تسبغ « نوعا من التنسيق الفرنسي على المجتمع الأفضل » . كما سجل في اليوم نفسه ما  
يلين : « لكي اصبح في مركز احترام وتقدير في البلاطات الاوروبية ينبغي علي ان اؤمن  
لنفسى الحصول على جميع الاوسمة واسماها مبتدئا بالاوسمة الانكليزية » .

ومما يشير الى تطلع هرتزل الى طريقة العيش المسيحية الاوروبية المترفعة وتكرهه لكل  
ما هو يهودي ، تسجيله لزيارته للضابط البريطاني من اصل يهودي ، الكولونيل  
غولدسميد في منزله في كارديف بانكلتره . ويسجل هرتزل عن هذه الزيارة شعوره بأنه  
قد وجد نفسه في عالم آخر في الجو البريطاني المنسق الذي أحاط بحياة الكولونيل  
ومظهره ، وخاصة في الانسية التي دعي فيها عازف البيانو روزنثال الى منزل  
غولدسميد ، فلاحظ هرتزل ان زوجة الكولونيل وابنته كانتا تصغيان الى العزف بمظهر  
رشيق ، فراحت تتراخى في ذهنه النسوة اليهوديات الاريستوقراطيات في دولة المستقبل  
مخلوقات فانتات ، بلوسة شرقية ، لطيفات وحالمات . « حقا في عالم آخر » . . . الى  
ان وقعت نظاره على قطعة تزيين فيها لفافة مخطوطة من التوراة اعادته الى عالمه  
الحالي .

في ١٤ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٨٩٨ حين كان هرتزل في زيارة الى اسطنبول ذهب الى  
المسرح في الهواء الطلق Les Petits Champs هناك فوجد ان فرقة تمثيل يهودية كانت تقدم  
احدى المسرحيات باللغة اليديشية فاغتاظ جدا ، وتذكر زيارته السابقة لهذا المسرح منذ  
ثلاثة اعوام حين كانت فرقة الاوبرا الخفيفة الايطالية La Morisana تؤدي غناءها فاعجبه  
المنامخ الرقيق . اما الفرقة اليهودية اليديشية فقد انقبضت نفسه لدى رؤيتها وسجل في  
مذكراته لذلك اليوم : « انني احسن بانطباع كئيب . فهذا الفن الحقير يشكل اعلى  
منجزات جماهيرنا التي تتكلم لغتها الهجينة ، ومستواها الحالي يجب تمييزه على انه في  
حالة هزيلة يرثى لها . فقد اشمازيت ! »

لا مجال لنا هنا لايراد المزيد من الامثلة الكثيرة في المذكرات التي تشير الى كراهية النفس  
اليهودية التي عانى منها هرتزل . وهذه الامثلة تظهر بوضوح ان هرتزل كان قد تغلغل  
جميع ما قاله اللاساميون غير اليهود عن اليهود من اقوال مهينة لهم حتى انه كان يردد  
عددا منها في مذكراته . ونذكر فيما يتعلق بكراس الدولة اليهودية الذي أصدره ، انه لم

يتمكن من إيجاد ناشر يهودي يتعهد باصداره مما حدا به الى طبعه لدى اثنين من اللاساميين غير يهوديين في فيننه ممن رحبوا به . وفي لقاء له معهما قال له احدهما : « لقد آن الاوان لان يقف رجل ما بشجاعة ويقول الامور الواجب قولها » .

انما محرر صحيفة نيو فراي برس اليهودي ، بندكت ، فقد حذر هرتزل ( في شباط/فبراير ) ١٨٩٦ ) من نتيجة طرحه « لطله » الصهيوني في كراسه وقال له ان السيل الذي قد يبدأ تحريكه بناء على الاقتراحات التي اوردها هرتزل في كراسه سيؤدي الى الاضرار بالمصالح اليهودية كافة . و اضاف : « اننا نتيجة لذلك سنخسر اوطاننا الحالية قبل ان ننال الدولة اليهودية » . الا ان ذلك ، وتحذيرات آخرين من معارف هرتزل الاخرين ، لم تثنه عن عزمه فمضى في اصدار الكراس .

وكان النائب النمساوي سيهوناي اول من رحب بالكراس ، وكان هذا مشهورا باللاسامية في الصحيفة التي كان يصدرها ، فراح يكتب المقالات الواحدة تلو الاخرى يمدح فيها هرتزل ويصفه بعبارات الشهامة والحماسة لارائه . ولما التقى هرتزل بهذا الرجل في ٣٠ آذار ( مارس ) ١٨٩٦ كتب عنه في المذكرات ما يلي : « انه رجل في الستينات منقلب مآكر وثرثارا يكن لليهود قدرا من العطف المذهل وحديثه خليط من المعقول والهراء يصدق قصة القتل الطقوني الكاذبة عن اليهود ، ومع ذلك له ابهى الافكار وحدثها . انه يحبني ! »

اما الرجل الاخر الذي تحمس لهرتزل ومكنه فيما بعد من التوصل الى لقاء دوق بادن والقيصر الالماني ، فقد كان القس وليم هشلر الذي سبق ان كان عضوا في « اللجنة اللندنية لنشر المسيحية بين اليهود » ، وجاء بعد سماعه بمشروع هرتزل لرحب به ويقول له انه تجسيد لنبوة كان قد توقع اقتراب تحقيقها . وفي اللقاءات اللاحقة بين هرتزل وهذا الرجل لم يمتنع الاخر على الاقل في احدى المناسبات المحددة ( مذكرات ٢٦ ابريل ١٨٩٦ ) عن اطلاق العبارات اللاسامية المهينة لليهود على مسامحة . كما يبدو انه كان يسعى لاقتناع هرتزل باعتراف المسيحية .

ان اصدار الكراس الذي كان مزيجا من الاقصوصة الزوائية والبرنامج العملي قد قابلته الاوساط اليهودية في فيننه بالسخرية . ففي ١٨ شباط ( فبراير ) سجل هرتزل ان استاذ الجامعة الفيينية اليهودي ، فابليوغن ، جاء لزيارة هرتزل ليسألنه ان كان الكراس مقصودا به الجد ام كان مجرد تقديم ساخر لاذع للصهيونية . وسجل هرتزل كذلك انه سمع ان ثمة « اشاعات » تسري بين الناس تقول ان هرتزل قد أصبح مجنونا . اما الصحافي اليهودي لوداسي فقد كتب مقالة سمع بها هرتزل في اول تموز ( يوليو ) ١٨٩٦ قال فيها مؤلفها « ان الصهيونية جنون يتولد من اليأس » .

الواقع ، رغم وضوح عنصر « العمومية » في شخصية هرتزل ومشروعه الصهيوني ، فهناك العنصر الاخر الذي لازم عقده وساهم في تحديد التعبير عنها في توصله الى الصهيونية . وثيودور هرتزل لم يهد توجهه انظار الرأي العام الى مقترحات وآراء له فحسب ، بل شعر بأنه هو الذي سيقوم بتنفيذ هذه المقترحات والآراء ، وغالبا ما تكلم وكأنه هو الذي سيقوم بالعمل لتحقيق المشروع العظيم . ومن هنا نفهم قول جوليوس باور ( الذي سجله هرتزل في ٢٣ شباط - فبراير ) : « لا بأس بالنسبة لي ان ذهينا الى فلسطين ولكن اريد جمهورية يرئسها هرتزل الاكبر ! »

### دون كيشوت اليهودي

كان هرتزل ، لكونه كاتب اقصيص تافهة ، يأمل دوما بأن يرتقي الى مكانة لها تأثيرها في السياسة الدولية . ولذلك فقد كان يستنبط المشاريع الواحد تلو الاخر والتي كان يأمل بأن تتبناها الدول الاوروبية والغاتيكان . وتوصله الى الصهيونية عام ١٨٩٥ بدا له

وكانه اكتشاف عظيم على الرغم من ان كثيرين كانوا قد سبقوه على الصهيونية والمستوطنات اليهودية في كل من الأرجنتين وفلسطين بتحويل من البارونين هرتزل وروتشيلد كانت قد بدأت منذ عام ١٨٨١ . ويبدو ان هرتزل لم يكن يعلم بوجود المنظمات الصهيونية العديدة في جميع البلدان آنذاك كما لم يدرك ان ثمة من سبقوه على « اكتشاف » الصهيونية وعلى راسهم اليهودي الروسي ليو بنسكرا الذي كتب كراسه عن الموضوع منذ عام ١٨٨١ . وعلى هذا فانه بدأ تسجيل مذكراته بقوله : « منذ فترة خلت وأنا منشغل بعمل لا حدود لعظمته والان لست أدري ان كنت مما نفذه ام لا ، وهو يبدو لي حلماً عظيماً امتلكني اياماً واسابيع وشغلني الى ابعد حدود افكاري . وهو يرافقتني اينما ذهبت ويرغرف فوق احاديثي العادية وينظر من وراء كتفي الى عيني الصحافي التافه والمضحك فيضايقتني وتسكرني نشوته في الوقت نفسه » .

وراح هرتزل يخط في مذكراته برؤوس الاقلام رؤيته للدولة اليهودية دون ان يكون قد قرر ما اذا كانت ستخرج في شكل كتاب عام او رواية . وجاءت كتاباته على مجموعة مذهلة من التفاصيل تراوحت بين سبل تنظيم العمال في دولة المستقبل وسبل اقامة الفرق الموسيقية والمقاهي فيها . وتطرق الى وصف الرحلات البحرية التي تقل المهاجرين الى الارض الجديدة ( وربما ارتأى ان العبور سيتم في مرحلة واحدة ) . ووصف رؤيته رآيه الدولة الجديدة ونظام الحكم فيها ومعاملة الصحافة ومزارع التبغ وجباية الضرائب وفرض الاحتكارات الحكومية على بعض السلع وتنظيم الجيش ... الخ . وليس هناك متنسع في هذه المقالة القصيرة لمعالجة المغزى النفسي لهذه الاراء . الا ان رؤية هرتزل لدوره الخاص في عملية تنفيذ المشروع ذات اهمية خاصة في اظهار الدوافع النفسية لدعوة هرتزل الى مشروعه .

مضى هرتزل باكتشافه هذا المشروع في احلامه وامانيه الخيالية عن مستقبل العظمى الذي ينتظره في دولة المستقبل ولما ذهب في جولة الى حدائق التويلاري في باريس في احد ايام صيف ١٨٩٥ وصل الى تمثال غامبيتا ، فقال لنفسه : « آمل ان يقيم اليهود لي تمثالا اكثر رونقا من هذا » . ولم يكف هرتزل بتربق المجد لنفسه بل راح يوزع المراكز على معارفه . وما ان فكر بموريتز غودامان ، كبير حاخامي فيينا ، حتى قرر ان يضعه في منصب « الاسقف الاول » في عاصمة دولة المستقبل . كما سجل هرتزل ما يلي : « مبدأ : ان كل من يأتيني من معارفي السابقين ، قريبا كان ام بعيدا ، سيحصل على مركز مرموق » . وهنا يبدو ان هرتزل أحس بالحاجة لتبرير مظهر السلطان الذي ارتأى لنفسه فكتب : « ان روسو قال بالواقع التعاقدى للمجتمع وهو خاطيء بذلك ... غنى الدولة قائم بالادارة فقط ... وهكذا سأقوم بادارة شؤون اليهود دون افتدأبهم لي » . وعاد هرتزل الى التفكير بتوزيع المراكز في دولة المستقبل فقرر ان اباه سيكون السناتور الاول في مجلس اريستوقراطية الدولة . وجاء القيصر الألماني على ذهن هرتزل فأتان آمال المستقبل لديه وقال لنفسه : « انني سأتعامل مع عظماء هذه الارض كعساو لهم » . كان هذا في ٨ حزيران ١٨٩٥ ، وفي اليوم التالي انشغل هرتزل في تسجيل ما سيكون لقبه الخاص فكتب : « لكي اتجنب تعريفي بلقب « مدير » في انكتره ، وهو ذو مسيح تجاري ، فربما سأبتني لقب مستشار ( على النمط الألماني ) او شيء من هذا القبيل وسلامتي الشخصية ستكون موضع اهتمام جهاز فعال من البوليس السري وسأمتنع شخصيا عن قراءة اي صحف ( ... ) وسأعطي الاوامر بالا يظلعوني على اي شيء مما يكتب عني في الصحافة سواء اكان ذلك مدحا ام ذما ، اذ من الان فصاعدا سيكون لي حق وواجب اللاببالاة تجاه اي تهجمات شخصية من اي نوع كانت . اما اذا بدا ان تيارا في الراي العام قد نشأ ضد المشروع فينبغي اعلامي بالمسألة في الحال لكي اتمكن من ضرب المعارضة » !

كل هذه السلطات الديكتاتورية ، قررها هرتزل لنفسه في دولة المستقبل قبل ان يكون قد قرر موقع هذه الدولة . ومن المرجح انه كان يفكر بالارجنتين . وقد ذهب في تسجيله لتنظيم دولة المستقبل الى التفاصيل الصغرى كافة ( هذا مع العلم انه لم يفكر بالأمور الجدية التي يتطلبها تحقيق المشروع ) ويعود منها الى امانيه الشخصية . ووصل انفعاله الى اقصاه حين تذكر ابنه فكتب : « عندما فكرت بانني سأقوم يوما ما بتتويج ابني هاس اميرا ( دوج : القاضي الاول في جمهوريتي البنديقية وجنوى الاريستوقراطيتين ) واتوجه اليه بالكلام في المعبد امام رجالات الدولة وأخاطبه « سموكم الملكي ابني الحبيب » اغرورقت عيناى بالدموع » !

ان دون كيشوتية هرتزل لم تتوقف عند هذا الحد ، فبعد ان سجل تفاصيل الاجراءات التي ستتخذ للحوول دون نشوب ثورة داخلية في دولة المستقبل استدرك نفسه وكتب : « ولكنني اريد امة سعيدة ، وستشرب الانخاب الكثيرة فيها على شرفي » ! وراح هرتزل يفصل أسلوب الرحلة البحرية التي ستأخذ اليهود الى البلاد الجديدة فوصف تصنيف البواخر الى درجات تذهب فيها الطبقات المختلفة فابتهج كثيرا لهذه الافكار وقال : « ان الكثير من افكاري ، مثل تلك التي اوردتها عن المبارزة والانتحار واعالة المخترعين واحتكار البورصة ، ولجنة التحقيق في شكاوى المسافرين خلال الرحلة ، جيدة بالنسبة لجميع الامم » . وخلص هرتزل في ١٤ حزيران ( يونيو ) ١٨٩٥ الى التفكير بالعلم ( الرأية ) لدولة المستقبل فقرر ان يكون باللون الابيض وعليه سبع نجوم بحيث يمثل اللون الابيض نقاوة الحياة الجديدة والنجوم عدد ساعات العمل السبع اليومية في دولة المستقبل . وقال : « تحت شعار العمل ورايته سندخل ارض الميعاد . . . وسيكون ذلك حسن حظ كبير لي ينعش آمال ابوي في شيخوختهم ويكون بمثابة شرف عظيم لذريتي انني ابتكرت هذا المشروع العظيم » !

لكن هرتزل يعتقد ان الجميع ، من وجهاء اليهود ورجالات الدول الاوروبية ، سيرحبون به « اكتشافه » بحماسة . فهو شعر ان مشروعه سيكون اقل كلفة واكثر فعالية من مشاريع البارونيين وان الحكومات سترحب به اذ سيخلصها من الفقراء اليهود الذين كانوا ينضمون الى الاحزاب الثورية . واتصل هرتزل اول ما اتصل بالبارون هيرش فذهب اليه بباريس في ٢ حزيران ( يونيو ) ١٨٩٥ حاملا معه افكاره التي سجلها في تقرير طويل ليقنعه بتحويل المشروع . وقرأ هرتزل تقريره الى ان وصل الى الكلام عن « المستوى الخلفي لجيش دولة المستقبل » فقاطعه البارون ، ربما بعد ان ادرك صداقته ، وسأله : « متى باعتقادك سيتم تحقيق المشروع ؟ » ولا حاجة بنا لادراج تفاصيل الحديث بينهما ، الا ان هرتزل لم يقل ما كان قد توقعه لمشروعه . وربما وصف هيرش مشروع هرتزل بأنه دون كيشوتية اذ ان هرتزل حنق كثيرا وعاد وكتب رسالة في ١٨ حزيران ( يونيو ) الى البارون قال له فيها فيما قال : « لا يهمني ان بديت مثل دون كيشوت . . . ولكن حلوك التافهة . . . مستوطن لك في الارجنتين او اعتناق اليهود للاشتراكية — لن أقبل بها اذ لست سانشو بانزا أيضا » !

يبدو ان هرتزل كان يتخيل انه كان هناك صراع بين عائلة هيرش وعائلة روتشيلد كبرى أثرياء اليهود . وقد سجل هرتزل ، بعد لقائه الفاشل مع هيرش في مذكراته ما يلي : « منذ اسبوع كان هيرش حيزر الاساس لمشروعي ، اما اليوم فقد انحدرت قيمته الى كنية مهلهة تماما . لقد ذهبت الى هيرش والان سأذهب الى روتشيلد مثلما ذهب مولتكي من الدانمارك الى بروسيه » . الا ان هرتزل سرعان ما عاد ولان على « المسكين » هيرش فكتب : « اذا نجحت مع روتشيلد فلن اهل المسكين هيرش كلنا . . . سأعطيه نيابة رئاسة ما اعترفا بخدماته السابقة ونظرا لانه سبق وتعرف الى خطتي . . . » !

قرر هرتزل — بأمله باستمالة روتشيلد — اعادة كتابة مشروعه بشكل مفصل بحيث يكون

كرامتها بعنوان : تقرير الى عائلة روتشيلد . الا ان هرتزل لم ينجح في تحقيق اللقائه  
البارون روتشيلد لفترة عام ونصف ، مما حدا على اصدار الكراس تحت عنوان **الدولة  
اليهودية قبل اللقاء المنتظر** . وقد ذكرنا ان هذا الكراس كان خليطاً من الكتابة الساذجة  
والاقصصية الخيالية خاصة وانه يبدأ بالكلام عن الاكتشافات العلمية الحديثة واختراع  
الالات التي تحل مكان العمل اليدوي . ولم يتوصل هرتزل الى مقابلة البارون روتشيلد  
الا بعد رحلة مغامرة قام بها الى اسطنبول حيث اعتقد انه سيقابل السلطان كي يشترى  
فلسطين منه مقابل مليوني جنيه . وعلى الرغم من فشله المزري والتكاليف التي ابتزها  
منه مرافقه نيولنسكي خلال هذه الرحلة ، عاد هرتزل وسط الاشاعات التي اعتبرها  
مؤاتية والتي قالت ان هرتزل قابل السلطان . وانتهى هرتزل اخيراً الى لقاء البارون في  
١٨ تموز ( يوليو ) ١٨٩٦ في مكتب الاخير في باريس . وخلال هذا اللقاء قام جدال عنيف  
حسب تعبيرات المذكرات بدأ باثارة البارون على هرتزل على انه نسوع جديد من برنارد  
الناسك . ويبدو ان هرتزل كان يصزطسؤال المقابلة على قراءة « التقرير الى عائلة  
روتشيلد » ( أي كراس الدولة اليهودية ) الا ان البارون كان يقاطعه باستمرار وقال له  
فيما قال : « لست بحاجة اليك لان تأتيني وتقول لي اننا لان لدينا الالات في متناولنا » .  
كما ان كلام هرتزل عن مشروعه الكبير في تنظيم الدولة بحيشها النظامي المنق لم يلقى  
حماسة لدى البارون الذي كان يمول مستوطنات فلسطين ، فقال له : « ان العيون لا  
يجب ان تكون اكبر من المعدة » .

خرج هرتزل من هذا الاجتماع ولديه بعض الشعور بأنه ربما سيضطر الى تنفيذ المشروع  
بمفرده — اي دون مساعدة كبار المتولين وربما بوجه عدائهم له . والواقع ان هرتزل  
كان قبل هذا اللقاء يردد في مذكراته القول انه يواجه معارضة كبار اثرياء اليهود . الا ان  
هذا الشعور كان من باب الدون كيشوتية ، يعطيه شعوراً بالاهمية النفسية اكثر منه من  
باب الواقع . ولا شك في ان البارون لم يكن يريد ان يرتبط اسمه بالنداء العلني من اجل  
انشاء دولة في فلسطين حيث كانت المستوطنات برعايته تحت رحمة الحكومة العثمانية .  
الا ان هرتزل لم يفهم ذلك ، بل غالباً ما شعر وردد في مذكراته ان « معارضة »  
مشروعه كانت تأتي من اولئك الذين كانوا يحسدونه وينافسونه على السلطة في قيادة  
الحركة ودولة المستقبل . ونذكر مثلاً في هذا الصدد اللقاء الذي تم في ١٧ تشرين الثاني  
( نوفمبر ) بين هرتزل وفانبرغ واحد العاملين في جمعية التوطين اليهودية التي مولها  
البارون هيرش ، في منزل الحاخام زادوك كاهن في باريس . وخلال هذا اللقاء توجه  
هرتزل الى فانبرغ بالكلام المتعالي وقال له : « ان جمعيات التوطين الحالية يجب ان  
ترسخ لقضيتنا ، واذا وجدنا معارضة فنستقضي عليها كلياً » . عندئذ اجابه المضيف ،  
الحاخام اليهودي ذو الشأن في الاوساط اليهودية الثرية بالقول : « ولكن لم يجابهك احد  
بالمعارضة حتى الان » !

الواقع انه بعد خروج هرتزل مباشرة من اجتماعه بالبارون روتشيلد الذي ذكرناه اعلاه ،  
جاءه احد المقربين من البارون واسمه مايرسون كان قد حضر الاجتماع ليقول له ان عليه  
ان يبدأ عملية على مستوى صغير وفيما بعد سيظهر البارون تدريجياً عطفه نحو  
المخطط . وفعلاً ، لما عاد هرتزل الى عمله في فيينه وجد نفسه في وسط الاحداث اذ ان  
الصهيونيين المارين في العاصمة النمساوية ، عادة في طريقهم من فلسطين او روسيه الى  
باريس حيث مكتب البارون ، كانوا دائماً يتصلون بهرتزل ويجتمعون به ، مما جعله  
يخشى بانه فعلاً زعيم الحركة الصهيونية . وعلى ذلك ، ونظراً لتوصل هرتزل الى  
رئاسة المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في غضون عام من هذه الاحداث ، فان بعض  
دارسي الصهيونية اعتبروا ان هذه الحركة كانت قبل المؤتمر مكتملة تنظيمياً ومالياً ولم  
ينقصها الا من يتزعمها فجاء هرتزل يشغل مركز الزعامة . ولا شك ان في هذا القول



بعض الدقة ، الا انه لا يكفي الا اذا اخذنا بعين الاعتبار مغزى دور الزعامة الذي انيط بهرتزل . وفي هذا المضمار ، نجد ان هرتزل وضع بمثابة واجهة مؤاتية للحركة الصهيونية يبعد الانظار عن وقفوا فعليا وراءها ، في حين انه من وجهة النظر العالمية فان زعامته لم تكن سوى زعامة اسمية وشكلية .

الواقع ان دفع هرتزل الى واجهة الحركة الصهيونية كان قد بدأ قبل لقائه بالبارون روتشيلد . فما ان صدر كراس الدولة اليهودية منذ بداية عام ١٨٩٦ حتى بدأت تتوافد الى هرتزل اعداد بعض الصهيونيين المارين في فينينة وخاصة في شرقي اوروبه . وبالطبع لم يوافق الصهيونيون هؤلاء على الاراء الدون كيشوتية التي اوردتها هرتزل ( مثلا نقل مقاهي فينينة الى المنطقة الجديدة واقامة متحف « لوفز » فيها وتحثيث حثث الذين يموتون خلال الرحلة . . الخ ) ولكنهم وجدوا فيه على ما يبدو اداة مناسبة لاغراضهم . وكان من اهم الذين توافدوا لزيارة هرتزل ، زعيم جمعية احياء صهيون في روسيه مناخيم اوشيشكين ، الذي كان مارا بمدينة فينينة في طريقه من روسيه الى باريس لمقابلة البارون روتشيلد الذي كان مهول احياء صهيون ، فحثه الصهيوني الفيني القديم ، ناثان بيرنباوم ، ( الذي كان اول من استنبط عبارة « الصهيونية » ) على زيارة هرتزل والتعرف اليه . ولم يذكر هرتزل في مذكراته هذه الزيارة التي كان لها تأثير حاسم في مستقبله الصهيوني على الرغم من انه سجل جميع الاحداث الاقل اهمية بما في ذلك الاحداث التافهة ، ربما لانه لم يعتبر انها كانت ذات اهمية الا ان اوشيشكين نفسه وصف انطباعه عن هرتزل في هذه المقابلة وذكر كيف انه بعد عودته من زيارة هرتزل سأل بيرنباوم عن انطباعاته عن هرتزل فقال : « انه سيؤدي خدمات كبيرة الى حركة فلسطين . فجازبية شخصيته ستجذب دون شك جميع اليهود الروس وربما يهود اوروبه الغربية ايضا . وعنده نقص كبير واحد ، ولكن هذا النقص من شأنه بالواقع ان يكون مفيدا جدا في الظروف الحالية . فهو لا يعرف شيئا على الاطلاق عن اليهود ، وهو لذلك يعتقد ان الصهيونية لا تواجه سوى صعوبات خارجية وليس صعوبات داخلية . ويجب الا تتفتح عيناه وبذلك يبقى ايمانه بقضيتنا كبيرا » !

وبناء على ذلك ، فقد وجد هرتزل نفسه يدفع الى رئاسة الحركة الصهيونية ، مع العلم ان قراءة اليوميات تظهر انه لم يقيم على قيادتها فعليا بل كان « الزعيم الفخري » لها . ومع مرور الزمن ، بات هرتزل يعتبر مؤسس الصهيونية مع انه لدى توصله الى الصهيونية كانت هذه الحركة يتمويل اثرياء اليهود وعلى رأسهم البارون روتشيلد قد قطعت شوطا كبيرا منذ اوائل ثمانينات القرن الماضي تنظيميا في اوروبه وماليا واستيطانيا في فلسطين . الا ان هرتزل اعتبر مؤسس الصهيونية على أساس ان انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل ( وهو الذي تشكلت اكثرية عضويته الساحقة من ممثلي جمعيتي التوطنين الرئيسيتين : « احياء صهيون » التابعة لعائلة روتشيلد و « جمعية التوطنين اليهودية » التابعة لعائلة هيرش بالإضافة الى ممثلي الاتحاد اليهودي العالمي الفرنسي ) ، لكن كان قد تم بأن قامت هذه المنظمات بالترتيبات اللازمة للمؤتمر في حين طلب من هرتزل الدعوة « الشكلية » اليه والاعلان « الرسمي » عنه . ولا شك في ان انعقاد هذا المؤتمر لو تم باسم ممثلي جمعيتي روتشيلد وهيرش ( خاصة وان الفترة اللاحقة شهدت اندماجهما عند تخلي الأخيرة عن عمليات الارجنتين ) ، لكان اثار شكوك الحكومات الاوروبية المتنافسة على فلسطين وشكوك السلطنة العثمانية على مستوى عال وربما كان من شأن ذلك اعاققة نمو الحركة الصهيونية . اما انعقاده باسم هرتزل الذي اراد وعلن مرارا وبكامل الجد عن هدفه بشراء فلسطين قاتونيا من السلطان العثماني مقابل مليوني جنيه ، فان من شأن ذلك الا يؤخذ بالجد الذي انطوى عليه مما حال دون قيام الشكوك المترتبة عليه . وهكذا ترأس هرتزل المؤتمر الصهيوني الاول والثاني والثالث

وتزعم الحركة ظناً منه بأنه يتكلم باسمها ويقيم «المفاوضات الدبلوماسية» بصفتها ممثلها في حين امتنع القادة الفعليون للصهيونية عن تفتيح عيونهم على وقائع الأمور فاستمر يعيش باخساس عظمتة الدون كيشوتية حتى وفاته .



ان النظر في عواقب العم تومية لدى هرتزل واشكاله ممن اعتنقوا الصهيونية يتطلب معالجة مطولة لما اادت الصهيونية اليه من تحويل القسط الاوفر من يهود العالم الى خدمة الدول الامبريالية ومصالحها ، وهذا الموضوع يحتاج الى معالجة اطول مما تتسع لها هذه المقالة . وعلى ذلك فنكتفي بالقول بأن الصهيونية نجحت فعلا في اضعاف الحركة الاشتراكية الثورية وصرفت اعداد اليهود عنها وخاصة بعد تبني الدول الاوروبية للصهيونية بعد قيام الثورة الاشتراكية الاولى في تشرين الثاني (اكتوبر) ١٩١٧ في روسيه مباشرة . وبعد ذلك تحولت جموع اليهود في الغرب عن موقفها الراديكالي الى موقع واضح ممثل بمنطلق العم توم اليهودي والذي يجد افضل تعبير عنه في دولة اسرائيل اليوم التي تتفانى في خدمة المصالح الامبريالية في حين انها تمنى نفسها بالقول بانها انما تقوم بذلك دفاعا عن بقائها .

اما عواقب الدون كيشوتية فيمكن معالجتها في شخصية الصهيونية والدولة التي انشأتها في فلسطين بالاشارة الى مزاعم « المنجزات والمعجزات الجبارة » التي حققتها هذه الحركة في اقوالها عن «صراعها ضد الطبيعة» لاستصلاح الصحاري وتجفيف المستنقعات في بلاد ليست اصلا شبيهة بالمناطق الصحراوية فيها وليس فيها الاراضي الشاسعة التي تغرقها المستنقعات . ولكن ما دمنا في صدد هرتزل على المستوى الشخصي . فلا حاجة لنا لمعالجة عواقب هذه العقدة على هذا المستوى الجماعي الاصطوري ، كما لا حاجة لتقييمها على المستوى السياسي البعيد الامد ، بل قد يكون من المناسب ايرادها باختصار على المستوى الفردي العائلي المصغر الذي طرحت به في مذكرات هرتزل نفسه وعلى الرغم من ان ذلك قد يبدو انه من باب الشماتة ، فان مثل هذا التقييم الفردي لا بد ان يتناول ما حل باحلام العظمة التي ارتقبا هرتزل لنفسه ولاقربائه . فقد نجح هرتزل في ان يصبح ، ولو اسميا فقط ، زعيم الصهيونية . الا انه بالطبع لم يصبح رئيس الدولة الاريستوقراطية التي فصل رؤيته لها ، كما انه لم يعيش ليشهد تنظيم كتائب العمال والجيشن الاريستوقراطي والمبارزات الشجاعة فيه . وقد توفي ابوه عام ١٩٠٤ ولم يصبح السناتور الاول في مجلس اريستوقراطية الدولة . وتوفي هرتزل بعد ذلك بقليل وهو يهذي في فراش المستشفى عن شراء المناطق هنا وهناك ظناً منه انه يعطي اوامره الى مرؤوسيه . وزوجة هرتزل توفيت بعد ذلك بثلاثة اعوام . اما ابناؤه ، فلم يهاجر احد منهم الى فلسطين . فابنته بولين ، توفيت في بوردو عام ١٩٣٠ . وابنه هانز الذي كان هرتزل يامل بان يتوجه امرا في دولة المستقبل ، لم يرث حماسة ابيه للصهيونية ، بل يبدو انه ورث عقدة الانتماء لليهودية لديه ، فآثر ضجة عندما اعتنق المسيحية وانتحر بعد وفاة اخته بفترة وجيزة . وابنة هرتزل الثانية ، تروث ، فقدت لقيت حتفها في مخيم اعتقال نازي خلال الحرب العالمية الثانية فكانت بذلك واحدة من جموع اليهود الذين « خسروا اوطانهم التي اقاموا فيها قبل الحصول على الدولة اليهودية » . وابنها الوحيد ، ستيفن ، مات بطريقة غامضة حين « سقط » من بناية عالية في العاصمة الامريكية واشنطن في عام ١٩٤٥ . وبهذا لم يبق من ذرية هرتزل احد « ليفخر بالمشروع العظيم الذي ابتكره » . . . هذه هي المساة الشخصية لثيودور هرتزل والعقدة النفسية التي ولدتها فشككت افضل انعكاس فردي للعقدة الجماعية التي ادت الى نشوء الصهيونية والمآسي الاليمة التي نتجت في فلسطين على

أيدي الحركة التي اعتبر هرتزل مؤسسها . من هنا صدق ما قال أحدهم آنذاك فأوردناه  
أعلاه : « أن الصهيونية جنون يتولد من اليأس » .

1 - *The Complete Diaries of Theodore Herzl*, Edited by Raphael Patai, The Herzl Press, New York, 1960.

وهو المصدر الأساسي للمقالة التي أشر إليها وفق التواريخ التي سجلت بها المنكرات .

2 - Israel Cohen, *Theodor Herzl: Founder of Political Zionism*, Thomas Yoseloff New York, 1959.

صدر حديثا عن مركز الأبحاث في م . ت . ف .

كتاب

## الصهيونية واسرائيل وآسيا

تأليف ج . ه . جانسن

ترجمة راشد حميد

يرتكز الكتاب على قراءات مكثفة في الأيديولوجيا الصهيونية وعلى مسح للعلاقات الاسرائيلية بالدول غير العربية في آسيا ، وبذلك جاء مثيرا للتساؤلات العميقة ومقدمًا مادة أساسية للمهتمين بالصهيونية وبملاقات اسرائيل مع العالم الثالث .

٢٤٩ صفحة

من الحجم الكبير

٨ ليرات لبنانية

تضاف إليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ،

٢٥٠ ق.ل. في أوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

## سلاح الطيران الاسرائيلي

هشام عبدالله

قبل أكثر من شهرين صرح أحد المسؤولين الاسرائيليين « ان سلاح الطيران هو أكثر الاسلحة حيوية ، وقد حظي في السنة الماضية باكثر نصيب من ميزانية الدفاع الضخمة » (١) ويوم ٧٢/٥/٢٤ صرح موشيه ديان وزير الدفاع « بأن ٨٢ ٪ من الميزانية العسكرية ستخصص لدعم سلاح الطيران والسلاح المدرع » . من هنا نرى الدور الاساسي الذي يلعبه سلاح الطيران وأهميته في الجيش الاسرائيلي ، وربما لم يدخل في تصور قادة اسرائيل بأنه سيكون لهذا السلاح كل هذه الاهمية عندما انشئ عام ١٩٤٨ . سلاح تابع للجيش وليس كقوة أساسية منفصلة . لقد اندفعت اسرائيل نحو تعزيز سلاح الطيران ليصل الى ما هو عليه الان بسبب خبرات عسكرية موروثه وأخرى اكتسبتها من حروبها الطويلة مع العرب ، ومن دراستها لوضعها الداخليه وأوضاع المنطقة عامة . فمن جهة ورثت اسرائيل النظام الاستعماري في المنطقة حيث كانت القواعد الجوية البريطانية في المفرق والحياتية وقبرص والبحرين وعدن ، والأمريكية في الظهران وويلس وتركيا هي عناوين السيطرة العسكرية الاستعمارية والعمود الفقري لقوتها العسكرية والسياسية . ومن نظام القواعد هذا استوحيت اسرائيل عدة دروس . اولاً ، ان الطائرات تقدم قوة ضاربة وطاقة تدميرية كبيرتين بقوة بشرية ضئيلة نسبياً وبالتالي بخسائر بشرية ضئيلة للغاية في حالة وجود عمليات عسكرية ، وأهمية هذا بالنسبة لاسرائيل بغير حاجة الى تعليق . ثانياً ، المدى الواسع الذي تستطيع الطائرات العمل فيه ، وهذا مهم من عدة وجوه ، فهو يثبت يد اسرائيل الطويلة وقدرتها على ضرب الاهداف العربية البعيدة ، وما لهذا من تأثير على المعنويات العربية ، وإمكانية ايضا في التأثير على الاقتصاد العربي إذا ما أرادت قصف المنشآت الحيوية أو المواقع الاستراتيجية . ومن جهة أخرى ضيق مساحة اسرائيل الذي يدفعها الى جر المعركة خارج حدودها وهذا أمر يسهل الطيران كثيراً . ثالثاً ، أهمية الطيران ليس كقوة ضاربة فحسب بل وواسطة نقل في الحروب الخاطفة ، وتطوره ليصبح ذا أهمية أيضاً في العمليات الخاصة ، فالطيران عامل أساسي لتحقيق عناصر الحرب الخاطفة الرئيسية ، ونقص سرعة الحشد وكثافة النيران . كما وان وضع اسرائيل الجغرافي واخاطة الدول العربية بها من ثلاث جهات يفرض عليها استخدام ما يعرف بالقتال على خطوط داخلية ، وضد عدة جبهات ، كما يفرض على العرب استخدام القتال على خطوط خارجية ، والقتال على الخطوط الداخلية يحتاج بشكل عام الى جيش جيد التدريب قادر على القيام بحركات سريعة ، وتحقيق صدمة قوية تكفل حسم المعركة مع الخصم الاول بسرعة للانتقال بعد ذلك الى بقية الخصوم ، بالإضافة الى ارض تسهل الحركة بين مختلف الجبهات وتستند الى حدود ومواقع طبيعية قوية تساعد على الدفاع ريثما يتسنى تحقيق الحشد ضد الخصوم الآخرين . وتبرز أهمية الطيران هنا في قدرته على زيادة قوة الصدمة ، بل ان الطيران الاسرائيلي قد تكفل في حرب حزيران في تحقيق صدمة تامة وحاسمة ، كما وان نمو سلاح النقل الجوي والهليكوبتر خاصة قد كفل سرعة الحشد .

وارزادت أهمية هذا السلاح بعد حزيران حيث احتلت اراض عربية جديدة وطالت بذلك الخطوط الاسرائيلية ، ولنا حاجة للقول ان الطيران لا يتأثر كثيرا بطبيعة الارض وبالتالي فان سهولة حركته مضمونة ، واخيرا فالمقاتلات والقاذفات عامل هام جدا في دعم المواقع الدفاعية ، وتحطيم القوات المهاجمة . ويقدم سلاح الطيران ميزات مستنقاة من الوضع العربي والاسرائيلي عامة ، فالى ما قبل كسر اختكار السلاح كانت الدول العربية تعتمد اعتمادا كليا في تزويدها بالطائرات وفي تدريب الطيارين على الدول التي خلقت اسرائيل ، وبالطبع كانت تلك الدول تعمل ، وما زالت ، بشكل يضمن تفوق اسرائيل في هذا المجال . ومن جهة اخرى ، فقد وجدت الدول العربية المتخلفة اقتصاديا وثقافيا صعوبة في تطوير قواتها الجوية ، التي انشئ بعضها حتى قبل خلق اسرائيل ، وقد تنبعت اسرائيل الى ذلك منذ انشائها ، فعملت على جر العرب الى سباق كانوا الخاسرين فيه — على الاقل حتى حرب حزيران — فالاوضاع الاقتصادية العربية ، خصوصا للدول المحيطة باسرائيل ، لا تسمح بشراء أعداد مناسبة من الطائرات الباهظة الثمن ، وبتدريب أعداد كافية من الطيارين تدريبا جيدا ، كما وان التخلف الثقافي يخلق نقصا كبيرا في الكفاءات الفنية والتقنية اللازمة لصيانة هذه الطائرات . وهذه النواقص لا تشكو منها اسرائيل التي يتكون اكثر سكانها من الاوروبيين ، والتي تنهمر عليها التعويضات والتبرعات والمساعدات بلا حساب . ولا يتوقف هذا السباق عند تدريب الطيارين والفنيين ، والذي ، بحد ذاته ، يكلف مبالغ خيالية ، بل يتعداه الى بناء القواعد الجوية وضرورة متابعة التطور العلمي في جميع المجالات : الطائرات الاحداث ، المعدات الالكترونية الامثل ، التطور في انواع الذخيرة ، والاسلحة المضادة للطائرات ، وضرورة امتلاك القدرة على استخدامها بفعالية . كل هذا ستجد الحكومات العربية صعوبة في ملاحقته ، صعوبة ان لم تكن تقنية فهي حتما اقتصادية . وهكذا سيكون بإمكان اسرائيل ان تركز تفوقها في هذا المجال بحكم تفوقها الاقتصادي والثقافي وضمان الدول الغربية لها ، ومما لا شك فيه تأثير هذا على باقي الاسلحة العربية وعلى الروح المعنوية واردة القتال العربية .

لجميع هذه الاسباب ، وللنتائج التي حققها الطيران في حرب حزيران ، من الحسب الخاطفة ، والخسائر البشرية القليلة نسبيا ، بالاضافة الى تحطيم معظم القوة العسكرية العربية ، اصبحت اهميته غير قابلة للنقاش ، واعطي الاولوية في جميع المجالات . لقد تمكن الطيران الاسرائيلي من حسم المعركة فعلا في حرب حزيران ، لكن نجاحه لا يعود الى تفوقه الساحق والمطلق ، بل مساعد فيه بطء رد الفعل العربي ، ولبطء رد الفعل هذا اسباب فنية تتعلق بالقيادة ووحدات الخدمات الارضية والاسراب المقاتلة ، كما وان لها في بعض الاحيان خلفيات سياسية ، ولا بد لنا ان نشير الى توتر العلاقات بين الاردن وسوريا قبل ايام من حرب حزيران حين انفجرت عبوة ناسفة على الحدود الاردنية — السورية وفي بلدة الرمثا الاردنية بالذات ، اتهم الاردن على اثرها سوريا بتدبير الحادث وحشد قواته على حدودها ، بالاضافة الى توتر العلاقات بين مصر والاردن أيضا . واهمية سوء العلاقات تكمن في عدم امكانية قيام تعاون جدي بين الاطراف ، وفي تكاسل ردة الفعل . بالاضافة الى التقاعس وعدم القدرة والارتجال التي اكدها الملك حسين بقوله عن دور الطيران الاردني في حرب حزيران « . . . ان طيارينا لا يعرفون بالضبط ما ينبغي لهم عمله . . . وذلك لان افتقارنا الى المعلومات الصحيحة يجعلنا عاجزين عن اصدار تعليمات مفصلة » (٢) .

والامثلة على عدم قدرة الطيران على حسم المعركة كثيرة ، ابتداء بالجزائر كنموذج لحرب العصابات ، ومرورا بكوريا كنموذج للحرب بمختلف أشكالها فمن حرب العصابات الى الحرب النظامية بين قوى متكافئة تقريبا ، حيث استعمل الطيران في جميع المجالات وعلى

أوسع نطاقاً ، وانتهاءً بفيينا ، كمثل حي لحرب العصابات والحرب النظامية بين قوات غير متكافئة واستعمال الطيران في قصف المدن والقري والاهداف الاستراتيجية . ان بإمكان القوات العربية ان تحقق نجاحا في حربها مع القوات الصهيونية مهما بلغت قوتها الجوية ، اذا اتعت وسائل مناسبة ومدروسة آخذة بعين الاعتبار قدراتها ونقاط القوة لديها ، ونقاط الضعف لدى العدو .

**عوامل الانتصار :** الا أن تعزيز الطيران لم يتوقف عند تدريب الطيارين والحصول على طائرات ومعدات أفضل ، بل ان هناك عوامل تؤكد السلطات العسكرية الاسرائيلية على توافرها وتسميها عوامل الانتصار وهي : أ - مخابرات متفوتة ، ب - التخطيط المدروس ، ج - القدرة على الاستعمال والسيطرة والمراقبة ، د - القدرة على التنفيذ العالي والاستفادة من الطائرة والفني والطيار الى أقصى حد ممكن ، هـ - الروح القتالية العالية (٢) .

ولسنا بحاجة الى القول ان اسرائيل قد تمكنت من توفير جميع هذه العوامل قبل حرب حزيران ، فقد تمكنت من الحصول على طائرة ميغ ٢١ من العراق هرب بها طيارها من روقه الى اسرائيل ، ومكنتها هذا من معرفة جميع نقاط الضعف في الطائرة رقم واحد لدى ثلاث قوى جوية عربية محيطة باسرائيل هي سوريا ومصر والعراق ، وهكذا احرز طياروها امتيازاً على الطيارين العرب الذين كانوا يجهلون نقاط ضعف المراج . وقد أثبتت حرب الايام الستة ان اسرائيل كانت تعرف الكثير مما يدور داخل اسلحة الطيران العربية ، كما وانها نجحت في الاستفادة من معارفها هذه وادخالها ببراعة في خطتها ولا يخفى مستوى التدريب العالي للطيار الاسرائيلي ، بالاضافة للروح القتالية العالية والقيادة الجيدة التي وجهته ، فقد قامت الطائرات الاسرائيلية خلال حرب حزيران باكثر من الف طلعة ، اي بمعدل ٥ طلعات للطيار الواحد ، وهناك طيارون قاموا بست وحتى ثنائي طلعات (٤) وهذا يتطلب من الطيار روحاً قتالية عالية بالاضافة الى خدمات ارضية ذات تدريب ونشاط عاليين . ايضاً ، وكانت وحدات الخدمات الارضية هذه تعيد تجهيز الطائرات وتسليحها خلال ثماني دقائق . واكثر من هذا كانت تقوم وخلال ساعتين في بعض الاحيان بترميم الثقوب التي تكون قد أحدثتها وحدات الدفاع الارضي العربية

ومرد تفوق الطيار الاسرائيلي ليست طينته الاسطورية (٥) ، كما قد يظن البعض فهناك عوامل خلقتها قيادته ، وعوامل اخرى ساعدت على تحقيق هذا التفوق دون ان يكون لهذه القيادة اي يد فيها ، مثل تدني مستوى الطيار العربي لاسباب اقتصادية ، بسبب تخفيض ساعات الطيران للتوفير في الوقود والذخيرة واستهلاك الطائرة ايضاً ، عدم كفاءة القيادة العربية ، ضعف الانظمة العربية السياسي ، بسبب انعدام التلاحم بين الحكم والجمهير في بعض الاحيان ، او عدم وجود بناء سياسي سليم ، وطبيعتها ضعفتها لا تمكثها من خلق نظام عسكري قوي . وباختصار كان ينقص الطيران العربي كل « عوامل الانتصار » الاسرائيلية مضافاً اليها الضعف السياسي والاقتصادي .

وعدا ما تقدم فقد استفادت اسرائيل من طائراتها الى أقصى حد فبالاضافة الى الطلعات العديدة التي قامت بها كل طائرة ، جهزت طائرات التدريب من طراز فوغا ماجستير برشاشين ثنتين وبمشرة صواريخ عيار ٦٨ و ٨٠ ملم لضرب اهداف ارضية . الا ان عامل الانتصار الاول الذي لم تذكره اسرائيل هو « روحها العدوانية » واستعدادها الدائم لانتهاز كل فرصة لضرب القوات العربية واضعافها ، دون ان تأخذ في الحسبان الاعتبارات الاخرى ، مثل الالتزامات الدولية ، والرأي العام العالمي ، وهي أمور با زالت الدول العربية تضعها في المرتبة الاولى ، بالرغم من معرفتها الطويلة باسرائيل . ان كون اسرائيل هي البادئة دوماً يعطيها الضربة الاولى والمفاجئة ، وهذه الضربة تكون في بعض الاحيان حاسمة ونجلاء كما في حرب حزيران .

**شمشون المسكين** : حتى ما قتل حزيران ، اعتمد الطيران الاسرائيلي على فرنسا لتزويده بالطائرات التي تفي باحتياجاته « الدفاعية » . ولم يلجأ الى الولايات المتحدة لان هذه كانت تتمنع عن تزويده بالطائرات كي لا يؤثر هذا على علاقتها « الحسنة » - في ذلك الوقت - بالعرب . الا ان هذا لم يمنع قيام تعاون خاص وغير مباشر لتزويد اسرائيل بالسلاح ، فقبل حرب السويس عام ١٩٥٦ طلبت اسرائيل من فرنسا تزويدها بنحو ٦٠ طائرة من طراز ميسنير ٤ سي ، ولما كانت هذه الطائرة قد صممت بأموال امريكية فقد كان اذن الولايات المتحدة ضروريا لكي تتمكن فرنسا من بيعها لاسرائيل ، وبالطبع لم تمنع الولايات المتحدة (٦) . وحادثة اخرى روتها مجلة « افياشن ويك » الامريكية (٧) عن كيفية حصول اسرائيل على ٢٤ طائرة هيلوكبتر من طراز سيكورسكي اس - ٥٨ ، تم شراؤها من الولايات المتحدة بواسطة المانيا الغربية وكجزء من التعويضات الالمانية لاسرائيل ، وذلك خلال عشرة شهور بين عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ ، وبموافقة من قسم الاشراف على تجارة الاسلحة التابع لوزارة الخارجية الامريكية ، اضيف الى هذا العدد سبع طائرات اشترتها مباشرة من الولايات المتحدة (٨) .

وقد بدأت اسرائيل تتجه نحو الولايات المتحدة في اوائل عام ١٩٦٥ ، عندما زار افريل هاريمان ، السفير المتجول والمبعوث الخاص للرئيس جونسون ، اسرائيل وشاهد أعمال السوريين في تحويل روافد نهر الاردن ، وهو الامر الذي اعتبرته اسرائيل « عدوانيا ، ومهددا لامننا » . وقد اقتنعه رابين يومها بأن اسرائيل يجب ان تكون قوية حتى يمتنع العرب عن « تهديد امننا » ، وعلى اثرها رفع هاريمان توصية جارة بضرورة بيع السلاح علنا الى اسرائيل دون واسطة المانيا الغربية وفرنسا كما جرت العادة (٩) . وبناء على توصية هاريمان هذا طلب من اسرائيل ان ترسل خبراءها الى واشنطن لكي يجروا محادثات حول قائمة الاسلحة المطلوبة ، خاصة الطائرات وقد أعد عيزر وايزمان قائد سلاح الطيران آنذاك قائمة بـ ٤٥ طائرة فانتوم و٦٥ طائرة سكاى هوك ، وبعد ان تشاور وايزمان واشكول حول كيفية الظهور بمظهر الاقوياء والضعفاء في آن واحد ، اقوياء كما هم وضعفاء بحيث تكون هناك ضرورة لتزويدهم بالسلاح ، عندها قال اشكول جملة المشهورة والتي هي صورة عن سياسة اسرائيل في جميع الحالات « عليك ان تعرض اسرائيل كما لو كانت شمشون المسكين » (١٠) . وفي ايار ١٩٦٦ نشر نيا رسمي عن ان الولايات المتحدة سوف تزود اسرائيل بطائرات تكنيكية « للاغراض الدفاعية » دون تحديد لنوع السلاح او كميته . وفي ٢٨ كانون الاول ١٩٦٨ أعلنت واشنطن رسميا بيع خمسين طائرة فانتوم لاسرائيل .

وقد رعت صفقة الطائرات هذه الروح المعنوية في اسرائيل ، فاول مرة تتزود بسلاح مجهزة تجهيزا ممتازا ، ولاول مرة توافق الولايات المتحدة على ان تباع لاسرائيل طائرة هي طائرة الصف الاول نفسها لديها ، ومعاني هذه الصفقة السياسية اكبر بكثير من معانيها العسكرية خاصة وانها تأتي في اعقاب حرب الايام الستة ، واحتلال اسرائيل لزيد من الاراضي العربية . وبعد ذلك ببضعة اشهر قدمت اسرائيل طلبا ثانيا للحصول على ٢٥ طائرة فانتوم ومئة سكاى هوك ، وقد اجيب طلبها . ولم يتوقف تعهد الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بعدد معين من الطائرات بل تعدها الى قيام تعاون في ميدان صناعة محركات الطائرات ، وتعمدها بالحفاظ على « ميزان القوى » ، ولهذا عوضت اسرائيل عن خسائرها من الطائرات خلال حرب الاستنزاف . وزودتها بمعدات الكترونية خاصة للتشويش على اجهزة اطلاق الصواريخ المضادة للطائرات ، وبطائرات النقل الضخمة من طراز « هيركوليز سي ١٣٠ » ، وطائرات الهيلوكبتر الضخمة ، وطائرات الاستطلاع المتطورة والذخائر الحديثة . وجميع هذه المعدات والطائرات هي افضل ما تملك

الولايات المتحدة من سلاح ، وهي اسلحة جلفاء أمريكا الكبار نفسها . الثانية فرنسا وبريطانيا واسرائيل .

**المقاتلات الاسرائيلية :** ولتحقيق التوازن في الشرق الاوسط « وكي لا تتعجل اسرائيل بضرب العرب اذا ما شعرت بنفسها ضعيفة » (١١) كما قال عيزر وايزمان للمسؤولين الأمريكيين في معرض محاولته اقتناعهم ببيع طائرات لاسرائيل ، فقد فتحت الولايات المتحدة مخازن أسلحتها على مصراعها للدولة الصهيونية ، وأصبحت المصدر الوحيد للطائرات من مختلف الانواع لاسرائيل ، وقد اضيفت هذه الطائرات لما تبقى من الطائرات الفرنسية الصنع لتكون القوة الجوية الاسرائيلية الحالية .

وتنسجم التركيبة الجديدة لسلاح الطيران الاسرائيلي مع استراتيجيته العسكرية الهجومية اكثر مما كانت عليه قبل حرب حزيران ، فجميع الطائرات الامريكية التي زودت بها اسرائيل هي طائرات هجومية ، فطائرة الفانتوم ، وان كانت تستعمل لجميع الأغراض ، مطاردة معترضة قاذفة ، الا انها وبسبب حمولتها الكبيرة من المواد الحربية والتي تصل الى ٧٢٥٠ كيلوغراما ، ومداهما الواسع « ١٦٠٠ كيلومتر » (١٢) هي قاذفة اكثر منها مطاردة معترضة ، وكذلك السكاى هوك القاذفة الهجومية الخفيفة ، والتي تستطيع حمل اكثر من اربعة اطنان من المواد الحربية ، وقد فضلتها اسرائيل على طائرات نورثروب ف ٥ ، رغم أن سرعة هذه الاخيرة تزيد عن ١٤٥٠ ماك ( الماك يعادل سرعة الصوت ) بينما لا تزيد سرعة السكاى هوك عن سرعة الصوت ، وذلك بسبب حمولتها من القنابل ، وقدرتها الافضل على مهاجمة الاهداف الارضية ، وطائرة الفانتوم قاذفة مطاردة معترضة بمتعددين صالحة للاحوال الجوية كافة ، ومجهزة بمدفع دوراني عيار ٢٠ ملم من طراز « فولكان » ، وتستطيع حمل اربعة صواريخ جو - جو من طراز « سايدوندر » واربعة صواريخ جو - جو من طراز « سبارو » وذلك لعمليات المطاردة والاعتراض ، وعمليات الهجوم والقصف ١٤ قنبلة زنة ٤٥٣ كيلوغراما الواحدة ، او قنبلة واحدة زنة ٣ اطنان او ١٠ سبطانات اطلاق تحتوي كل واحدة على ١٨ صاروخا من عيار ٦٨ ملم ، او حمولات مختلفة لا يزيد وزنها عن ٧٢٥٠ كيلوغراما . والفانتوم طائرة جيدة من ناحية قدراتها عامة واجهزتها الالكترونية ، ويعطيها وجود ملاحين اثنين على متنها امكانية الاستفادة من هذه الاجهزة ، ودقة في التصويب والقصف .

اما السكاى هوك التي حملت العجب الاكبر في حرب الاستنزاف فهي طائرة هجومية خفيفة بمقعد واحد ، وقد اجرت اسرائيل عليها تعديلات كثيرة ، فاستبدلت بمدفعها الاصلي عيار ٢٠ ملم بمدفع عيار ٣٠ ملم طراز « ديفا » ( يصنع في اسرائيل بموجب ترخيص ) وعدلت اجهزة الملاحة فيها ، وزودت بمعدات الكترونية أفضل (١٣) . وتستطيع حمل اكثر من اربعة اطنان من المواد الحربية ، بينها صواريخ مضادة للرادار طراز « شرايك » وقنابل انزلاقية طراز Walleye وهي غير القنابل ذات الدفع الصاروخي الفرنسية التصميم ، والمخصصة لتدمير مدارج طائرات العدو . والسكاى هوك سهلة الحركة وقادرة على الانقضاض العمودي .

اما المقاتلات الاخرى فهي من صنع فرنسي وهي من طائرات الصف الثاني ، باستثناء الميراج ٣ سي ، وهي مطاردة معترضة جيدة ، اكتسبت سمعة اكبر من قدرتها بعد حرب حزيران ، فالميراج في مستوى الميغ ٢١ ، بل ان الانواع الحديثة مثل الميغ ٢١ م ف تتفوق على الميراج ٣ سي . والميراج هي العصب الرئيسي لقوات الدفاع الجوي الاسرائيلي ، والوحيدة التي لم تموه من بين طائرات سلاح الطيران ، وتبلغ سرعة هذه الطائرة ٢٤١٥ ماك ، وهي جيدة من ناحية قدرتها على الاعتراض والمطاردة ، والقنابل سواء على ارتفاعات عالية ام منخفضة ، وتسليحها يتألف من مدفعين عيار ٣٠ ملم ، وبعضها مزود بصواريخ جو - جو طراز ماترا أن ٥٣٠ ، كما يمكن تزويدها بصاروخين جو - جو طراز



سايدوندر . ويمكن استخدامها لعمليات الهجوم الأرضي ، ولكن حملتها متواضعة ولا تتجاوز تقبلتين من عيار ٤٥٣ كيلوغراما او ما يعادل وزنها من المواد الحربية . وقدرات طائرات الصف الثاني متواضعة جدا بالنسبة للطائرات الحديثة سواء من ناحية السرعة او التسليح او الاجهزة التي تحملها ، فأسرع هذه الطائرات السوبر ميستر ، تتجاوز قليلا سرعة الصوت . اما الميستر فتبلغ سرعتها ٩٤٠ ، ماك والفوتور ٦٩٠ . ماك ولا تزيد سرعة الاوريفان عن ٩٦٠ كم في الساعة .

وتزايد حجم القوة الضاربة في سلاح الطيران سيجعل منه مطرقة لضرب الاهداف العربية على مدى أكثر من ١٦٠٠ كيلومتر ، ولسنا بحاجة للقول ان اسرائيل ليست بحاجة الى مثل هذا النوع من الطائرات لاحتياجاتها « الدفاعية » ، فقوة الفانتوم الضاربة تعادل قوة أكثر من ٥ طائرات ميغ ٢١ . ومن هنا تتضح صعوبة المقارنة بالعدد بين الطائرات العربية والاسرائيلية وما تحمله هذه المقارنة من مغالطات (١٤) ، فربما كانت الطائرات الاسرائيلية أقل من ناحية العدد ، الا انها أقوى من ناحية كثافة النيران والمدى الذي تستطيع العمل فيه ، كما وانها افضل من ناحية قدراتها عامة ، واجهزتها الملاحية والالكترونية . والجدير بالذكر ان الفانتوم هي صنف من الطائرات غير موجود في سلاح الطيران السوفييتي ، وبالتالي فهو لا يستطيع تزويد العرب به ، فالسوفييت يفصلون بين القاذفات والمطاردات المعترضة ، ولا يجمعون هذه القدرات في طائرة واحدة كما في الفانتوم . كما ان القاذفات هي في أغلب الاحيان متوسطة او ثقيلة ، بالإضافة الى ان المصانع السوفييتية تركز على إنتاج الطائرات المعترضة الدفاعية ، كما في قائمة طائرات الميغ كلها وطائرات السوخوي ٩ و ١١ باستثناء السوخوي ٧ . والطائرات السوفييتية مضممة لتوافق الاستراتيجية العسكرية السوفييتية والتي تبلورت نتيجة للخبرات الضخمة التي حصلوا عليها في الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا .

ويزيد عدد المقاتلات وطائرات التدريب العاملة حالياً في الطيران الاسرائيلي عن ٤٥٦ طائرة مقسمة حسب الجدول رقم ( ١ ) (١٥) .

### جدول رقم ( ١ )

| المقاتلات | الاستطلاع                               | العدد | المجموع |
|-----------|---|-------|---------|
| فانتوم ٢  | فانتوم                                  | ٨٤    | ٦٠      |
| ميراج     | المجموع                                 | ٦٠    | ١٢٥     |
| سكاي هوك  | التدريب                                 | ١٢٥   | ٢٧      |
| ميستر     | سينرنا « سكاي واجن »                    | ٢٧    | ٩       |
| سوبرميستر | بوتراير فوفا ماجستر                     | ٩     | ١٠      |
| فوتور     | بايير « سوبر كوب »                      | ١٠    | ٣٠      |
| اوريفان   | المجموع أكثر من                         | ٣٠    | ٢٤٥     |
|           | * تنتج اسرائيل ١٠٠ طائرة من هذا الصنف . | ٢٤٥   |         |

ولا تشمل هذه القائمة الصفقات الجديدة والتي تتكون من ٤٢ طائرة فانتوم تسلمت اسرائيل منها ٩ طائرات بينها عدد من طائرات الاستطلاع و ٩٠ طائرة سكاي هوك آ - ٤ ام ، وهذا أحدث طراز من طائرات السكاي هوك ، والتي تسلمت اسرائيل منها ٢٥ طائرة ، وقد يصل عدد الطائرات الى ١٤٠ سكاي هوك و ٩٢ فانتوم في اواخر هذا العام . وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة مصدرة للطائرات الى اسرائيل ، تمكنت هذه من الحصول ولأول مرة على طائرات خاصة للاستطلاع مجهزة تجهيزا متطورا .

فبالإضافة إلى معدات الاستطلاع العادية (١١)، زودت بحهار زإدار متقدم للكشف الخائبي من طراز «جودبير» Goodyear ونظام إرسال مباشر للعلومات إلى محطات أرضية. ويلاحظ تناقص الطائرات الفرنسية باستمرار ، وذلك بسبب خسائر إسرائيل من هذه الطائرات وعدم قدرتها على تعويضها ، فمن ٧٥ طائرة أوريغان اشترتها قبل حرب السويس بقليل لم يبق سوى ٣٠ طائرة ، ومن أكثر من ٦٠ طائرة ميسير لم يبق سوى ٢٧ . ويختلف الأمر بالنسبة للميراج التي تناقصت من ٧٢ إلى ٦٠ طائرة ، وكانت قد راجت اشاعات في السابق عن تزويد حكومة جنوب أفريقيا — والتي تنتج هذه الطائرة بموجب ترخيص خاص من فرنسا — لإسرائيل بعدد من هذه الطائرات (١٧) . إن خسائر إسرائيل الكبرى من الطائرات لم تكن إبان حرب السويس ، أو حرب حزيران ، بل في حرب الاستنزاف ، حيث خسرت ٩ طائرات فانتوم و ١٠ سكاى هوك عوضتها عندها الولايات المتحدة (١٨) . وتجدر الملاحظة هنا أن هذه الطائرات قد دخلت حرب الاستنزاف بعد الطائرات الأخرى . هذا عدا عن خسائرها في الميراج والطائرات الأخرى ، فقد ادعت إسرائيل بعد حرب حزيران مباشرة أنها لم تضر سوى أربع طائرات ميراج خلال الحرب ، فإن صح هذا فانهما خسرت ثماني طائرات خلال حرب الاستنزاف يضاف إليها الطائرات التي قد تكون حكومة جنوب أفريقيا قد قدمتها لها . وعلى الجبهة الأردنية الضعيفة بالنسبة للجبهة السورية والمصرية خسرت إسرائيل ٦ طائرات جميعها من طائرات الصف الثاني (١٩) : أوريغان ، ميسير ، سوبر ميسير وفوتور ، وذلك بالدافع المضادة السورية والعراقية التي كانت ترابط هناك .

وتقول إسرائيل بأنها ستسحب طائرات الميسير والسوبر ميسير والفوتور من الخدمة (٢٠) ، حين استلام الصفقة الجديدة من طائرات الفانتوم والسكاى هوك ، أما الأوريغان فقد سحبت فعلا كطائرة قتال لتقوم بأعمال التدريب . إلا إن هذا لا يمنع استخدامها في القتال عند الضرورة كما حدث خلال حرب حزيران عندما استعملت طائرات التدريب الماجستير في العمليات الحربية ، واستخدام هذه الطائرات الصغيرة في العمليات الحربية مشروط بتحقيق السيطرة الجوية ، أو بوجود حماية لها ، والافانها تصبح فرائس سهلة للمقاتلات المتفوقة .

ويستخدم الطيران الإسرائيلي طائرة البايير «سوبر كوب» لتدريب المبتدئين ينتقل بعدها التلاميذ للطيران بطائرات الفوغا ماجستير للمقاتلين ، وطائرة سيزنا «سكاى وأجن» للفروع الأخرى في الطيران . وتستعمل طائرة السيزنا هذه أيضا كطائرة مراقبة وارتباط للجيش — الذي لا يملك خدمات جوية خاصة به — ، أما بالنسبة لطياي الهليكوبتر فتبعد الحصول على أجازة الطيران على الطائرة الأولى — البايير — يبدؤون مباشرة في التدريب على الطائرات العمودية . وقد بدأ الطيران الإسرائيلي في استخدام طائرات الفوغا ماجستير المصنوعة بموجب ترخيص من فرنسا في إسرائيل ، في آب من عام ١٩٧٠ ، وتتم طائرة الأوريغان مهمة طائرة الماجستير في التدريب وينتقل بعدها التلاميذ للتدريب على الطائرات المقاتلة العاملة .

خلاصة القول إن القوة الضاربة في سلاح الطيران الإسرائيلي قد تضاعفت بنسبة تزيد عن اثني عشر ضعفا منذ حزيران وحتى الآن . ولاعطاء صورة عن حجم هذه القوة نقدم الأرقام التالية : إن باستطاعة ١٠٠ فانتوم ومئتي سكاى هوك القاء أكثر من ١٥٠٠ طن من القنابل في الظلعة الواحدة ، فإذا قامت هذه الطائرات بخمس طلعات كما في حرب حزيران ، فإن هذا يعني ٧٥٠٠ طن في اليوم تلقينها الطائرات فقط . ولكن مهما بلغت قوة القصف هذه ، فإن هناك فرقا بين القصف وتحقيق الأهداف ، وتقول إحدى الإحصائيات في هذا الصدد ، أنه في «حرب التبذير» هذه فإن القضاء على الجندي المعادي يحتاج إلى أربعة اطنان من القنابل ، ولكن حتى هذه الأرقام تبدو متفائلة جدا ، لأنه لو صح ذلك

لكان قد قتل ٢٠٠٠٠٠ جندي فيتنامي في عام ١٩٧١ ، من تصف الطائرات فقط ، اذ ان الطيران الامريكى قد اسقط في ذلك العام ٨٠٠٠٠٠ طن من القنابل فوق المراكز الشيوعية (٢١) وهو امر لو صدق لكان الجيش الفيتنامي الشمالي قد ابيد عدة مرات ومنذ زمن . وفي الحقيقة تلعب الوسائل الذكية التي يتبعها الفيتناميون في اتقاء الغارات الجوية ومقاومتها دورا كبيرا في تقليل الخسائر ، فبالاضافة الى عنف الدفاع الجوي الذي يمنع الطائرات الامريكية من الاقتراب ، وبالتالي من تحقيق اصابت جيدة ، يستخدم الفيتناميون كما استخدم الكوريون في حرب ١٩٥٠ - ١٩٥٣ الانفاق بكثرة . وفي المدن توسع استخدام الملاجئ لتصبح مدارس ومستشفيات بل ومنازل تحت الارض ، كما وان عمليات التضليل البارعة للطائرات الامريكية جعلها توجه قنابلها في احيان كثيرة الى اهداف وهمية او خاطئة . وبالرغم من وسائل الكشف الحديثة جدا التي يستعملها الامريكويون ، فان طبيعة الارض الفيتنامية تلعب دورا كبيرا في اخفاء الاهداف وتمويهها وبالتالي تقليل الخسائر .

**النقل والهيلوكبتر :** لم يقتصر اهتمام القيادة العسكرية الاسرائيلية على المقاتلات بل شمل ايضا سلاح النقل ، واهمية هذا السلاح راجعة في الاصل الى كون القادة العسكريين يشددون على المرونة في التكتيك والاستراتيجية ليضمنوا بذلك تفوقا ساحقا على القطعات العربية ، الامر الذي يدفعهم الى الحشد السريع لقواتهم في النقاط الملائمة ، بالاضافة الى عمليات الاختراق السريع ايضا للخطوط العربية . ويجب ان لا ننسى الاهمية التي بدأت تتبلور في استخدام طائرات النقل العمودية في عمليات عسكرية لمساندة قوات اخرى ، او في عمليات عسكرية منفصلة ، بالاضافة الى استعمال الناقلات في مهام كثيرة ، في الحرب الالكترونية ، وتزويد المقاتلات بالوقود في الجو ... الخ . وتتكون طائرات النقل الاسرائيلية من طائرات فرنسية وامريكية سواء منها القديم او الحديث ، وقد كانت المانيا هي واسطة ايصال الكثير من هذه الطائرات الى اسرائيل ، ويضم سلاح الطيران الاسرائيلي حاليا اكثر من ١٢٨ طائرة نقل وطائرة هيلوكبتر مقسمة حسب الجدول رقم (٢٢) .

واضح هذه الطائرات هي الهيركوليز سي ١٣٠ ، وقد اشترتها اسرائيل مؤخرا من الولايات المتحدة ، وهي من اضعف الناقلات الامريكية ، وقد استلمت اسرائيل بعضها منها

## جدول رقم ( ٢ )

| الهيلوكبتر*   | طائرات النقل          |
|---|-----------------------|
| ١٠ سيكورسكي (CH-53D) S-65C-3  | هيركوليز سي ١٣٠       |
| ٢٥ اغوستايل AB.205  | بوينغ ٣٧٧ سترايكرورزر |
| ١٢ سوبر فربلون SA-321 K   | دوغلاس سي ٤٧          |
| ١٠ الوبيت   | كورتيس سي ٤٦          |
| ٥ بيل 47G-3B  | نور اطلبيس            |
| غير محدد 206 A جيت رانجر  | عزفه                  |
| ٦٢ المجموع اكثر من  | ٢٥                    |
| * كانت اسرائيل قد باعت طائرات السيكورسكي اس ٨ التي تحدثنا عنها في اول المقال بعد حرب حزيران . | غير محدد              |
|   | ٦٦ المجموع اكثر من    |

وتتسلم الباقي بمعدل واحدة في الشهر . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٩٢ جنديا أو أكثر من ٢٠ طنا من المواد المختلفة ، وقد اشترت عددا لم تفسح عنه ، ولكن قد يتراوح ما بين ٦ و٧ طائرات (٢٣) . وأكثر هذه الطائرات عددا هي النورد اطلس ، وكانت اسرائيل تمتلك ١٥ طائرة من هذا النوع ، ثم اشترت ٢٠ طائرة كانت لسلاح الطيران الألماني الغربي (٢٤) ، وهي من صنع فرنسي ، وتقوم هذه الطائرة بالاضافة الى أعمال النقل الجوي وانزال المظليين بأعمال الدورية على طول الساحل الفلسطيني لاستطلاع القطيع البحرية والغواصات . والبوينغ ٣٧٧ ستراتو كروزر هي أضخم هذه الطائرات بعد الهيركوليز ، وتزيد حمولتها عن ١٦ طنا . وتقوم هذه الطائرة بأعمال النقل المدني ، بالاضافة الى مهامها العسكرية ، وقد جهزت لتقوم بمهام مختلفة ، مثل تزويد المقاتلات بالوقود في الجو ، بواسطة خزائين مثبتين تحت جناحي الطائرة ، وبعضها جهز بمعدات الكترونية معقدة للقيام بأعمال التجسس والتشويش الإلكتروني . وقد أسقطت مصر إحدى هذه الطائرات في أواخر عام ١٩٧١ بواسطة صاروخ سام ٢ ، عندما كانت تقوم بأعمال التجسس الالكترونية بالقرب من خطوط وقف اطلاق النار . ومثل الستراتو كروزر هناك الدوغلاس سي ٤٧ التي تستعمل أيضا لأغراض النقل المدني بالاضافة الى مهامها العسكرية وسوف تستبدل بعض الطائرات من هذا الصنف وطائرات كورتيس سي ٤٦ بطائرات جديدة من طراز عرفه الإسرائيلي الصنع ، والتي ستجهز للقيام بمهام مختلفة كالقتال ضد الغواصات ، والتصوير الجوي والمراقبة ، ومركز قيادة طائر . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٢٠ جنديا ، او لنقل الجرحى حيث تستطيع نقل ١٢ جريحا على نقالة ، مع وحدة اسعاف . كما تستطيع الاقتلاع والهبوط من مدارج قصيرة وشبه معبدة . وتعمل المصانع الاسرائيلية على تطوير هذه الطائرة لتستطيع نقل ٣٢ راكبا (٢٥) ، وتطور صناعة هذه الطائرة سيجعل اسرائيل في غنى عن التزود بطائرات النقل الخفيفة من الخارج ، بل انها ستصبح مصدرة لهذا النوع من الطائرات . وتتكون قوة الهيلوكبتر من طائرات امريكية وفرنسية ، وتعتمد اسرائيل على الطائرات العمودية في عملياتها العسكرية القتالية أكثر من اعتمادها على طائرات النقل الأخرى .

وكما في باقي الاصناف فقد زودت اسرائيل بأفضل الطائرات وأضخمها ، مثل السيكورسكي اس - ٦٥ (CH-53D) ، وهي الطائرة نفسها التي يستعملها مشاة البحرية الامريكويون ، وقد أجرت عليها القيادة الاسرائيلية بعض التعديلات (٢٦) ، كتركيب خزانات وقود اضافية لها ، ومصافي للرمال التي هي ضرورية جدا في الصحراء . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٦٤ جنديا ، وذلك خلافا للنوع الأصلي (CH-53) التي تنقل ٣٤ جنديا فقط ، ولا تعادلها من ناحية الحمولة الا طائرة ميل مي ٦ الروسية والتي تمتلك مصر عددا منها وتستطيع حمل ٦٥ جنديا . وفي الدرجة الثانية من ناحية الضخامة تأتي السوبر فريلون الفرنسية الصنع والتي تستطيع حمل ٢٧ - ٣٠ جنديا او ٤ - ٤٤٥ طن من المواد المختلفة . وتلعب طائرات الهيلوكبتر دورا حيويا في العمليات الخاصة ، فخلال حرب الايام الستة قامت بانزال وحدات من جنود الكوماندوس خلف الخطوط المصرية في منطقة أبو عجيلة في شبه جزيرة سيناء ، وكذلك أنزلت قوات مشاة من لواء جولاني خلف الخطوط السورية في هضبة الجولان ، وخلال حرب الاستنزاف قامت قوات مجوقلة بعدد من العمليات الخاصة ، هي جزء من الحرب النفسية التي تشنها ضد العرب مثل عملية مطار بيروت ، وسرقت محطة متحركة للرادار المصري في ٢٦ كانون الأول ١٩٦٩ بواسطة طائرات سيكورسكي اس ٦٥ الضخمة ، وكذلك عملية ضد معسكرات القطيفة السورية ، كما قامت بعمليات عسكرية تساندها قوات من فروع أخرى في الجيش مثل عملية جزيرة شدوان ، والصرفند ، وبعض العمليات ضد قواعد الفدائيين . ويرجع تفضيل الجيش الإسرائيلي استعمال طائرات الهيلوكبتر في هذه العمليات الى عدة اسباب تتعلق بقدرة الطائرة نفسها ، فهي تستطيع انزال الجنود في مناطق لا تستطيعها

الطائرات المروحية ، والتطبيق وانزال الجنود على ارتفاعات لا يستطيع الرادار كشفها وهذا يحقق للعمليات ، والى درجة معينة ، عامل المفاجأة ، هذا عدا عن قدرتها على إخلاء الأصابات فور انتهاء العملية ، وكون الجندي الموجه لا يحتاج إلى اللياقة البدنية والتدريب العائنين اللذين يحتاجهما جندي المظلات . ولكن العمل الأكبر معنى بالنسبة للمعنويات الإسرائيلية هو أعمال الإنقاذ والأسعاف التي تقوم بها هذه الطائرة ، بشكل يمكنها من تخفيض خسائرها البشرية بسبب سرعة الأسعاف ، « وقد قامت طائرات الهيلوكبتر خلال حرب حزيران بانقاذ ٨٦٣ جريحا وقامت طائرات النقل الأخرى بانقاذ ٢٣٠ جريحا ، بالإضافة لانقاذ ١٤ طيارا من بينهم ٤ تحت تيران العدو و٨ في الأراضي العربية مستخدمة الطائرات العمودية » (٢٧) . ان تطور هذا السلاح وتضاعف قوته إسرائيل الضاربة سيمكناها من القيام بعمليات واسعة ، وربما السيطرة على مناطق عربية واحتلالها ، خاصة اذا عرفنا ان بإمكان سلاح النقل هذا نقل أكثر من ٣٥٠٠ رجل في الدفعة الواحدة ، اذا استخدمت الطائرات المروحية للمظليين وطائرات الهيلوكبتر للمشاة ، بجانب قدرة طائراته الضخمة على نقل السيارات المسلحة والمدركات الخفيفة . ويزيد من خطورة هذا السلاح ضعف التغطية الجوية وضعف شبكة المواصلات العربية ، بالإضافة الى ان أعدادا كبيرة من القوات العربية ما زالت راجلة ( غير ميكانيكية ) وهذا سيمكن العدو من الاستفراد بنقاط ضعف عسكرية ومدنية يختلف حجمها باختلاف حجم القوة الضاربة ، اي كلما زاد عدد الجنود الذين يستطيع العدو نقلهم الى الهدف ، زادت إمكانية عزل هدف أكبر وتدميره ، وذلك قبل ان تتمكن أي قوة من نجدة الموقع . « ولا تستخدم الهيلوكبتر في الجيش الإسرائيلي كأداة نقل أو للمساعدة على المطاردات بل أداة قتال أيضا » (٢٨) وقد استخدمت طائرات الهيلوكبتر كأداة قتال في معركة الكرامة حيث كانت تقوم بكشف مواقع الفدائيين واطلاق النار عليهم ، وقامت بأعمال الدورية المسلحة في غور الأردن .

وكما رأينا فقد توسعت القوات الإسرائيلية في استخدامها لطائرات النقل والهيلوكبتر ، فلم تعد هذه مجرد أدوات لنقل الجنود والاعتدة والجرحي ، بل طائرات تجسس وتشويش إلكتروني وطائرات دورية ومراقبة وتصوير ، ومقاتلات مضادة للغواصات تستطيع حمل قنابل طوربيد وقنابل أعماق ، وطائرات لتزويد المقاتلات بالوقود في الجو ، ولتدريب طياري المطاردات ، بالإضافة الى المهام الأساسية ، وجميع هذه المهام التي يستطيع سلاح النقل الجوي القيام بها ، بالإضافة الى قيمته في الحروب الخاطئة ، والحرب التقليدية ، والعمليات الخاصة ، تضعه في مكانة مرموقة ، بالرغم من انه ليس سلاح صدام مباشر .

**الحرب الإلكترونية :** ظهر تعبير الحرب الإلكترونية في فترة حرب الاستنزاف ، وكلمة حرب هنا لا تعني حربا بالمعنى المتعارف عليه ، بل هي أشبه ما تكون بحوار الإرادات مع المنجزات العلمية ، هذا الحوار الذي تستخدم فيه معدات إلكترونية بألفة التعقيد . فعندما أنشأت مصر شبكة صواريخ سام على طول القناة ، لحماية أراضيها من هجمات الطائرات الإسرائيلية ( وهذه الصواريخ توجه نحو أهدافها بواسطة الرادار ) قامت الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بمعدات خاصة لرصد هذه المحطات والتشويش عليها ، وقد جهزت طائرات النقل الضخمة من طراز بوينغ بي ٧٧ (٢٩) ، لتقوم بهذه المهمة . والتشويش على الرادار من شأنه تضليل الصاروخ عن هدفه ، ولكن في هذه الحالة يمكن توجيه الصاروخ بوسائل أخرى أبسط لا يمكن التشويش عليها ، وأن كانت أقل فاعلية ، لذلك فقد زودت طائرات الفانتوم بأجهزة إنذار تنبه الطيار الى الخطر المحدق ، ليتمكن من الإفلات بحركة مناسبة ، ومن الجدير ان نذكر هنا ان مصر اتبعت خطة الاطلاق الجماعي للصواريخ ، حتى اذا ما تمكن الطيار من الإفلات من أحدها فلن ينجو من

الأخر . ومهما يكن من أمر فإن مجرد وجود هذه الشبكة ، يعني أنه لن يكون في وسع القاذفات الوصول بسهولة الى أهدافها ، خاصة إذا كان الهدف يقع ضمن مجال هذه الصواريخ لذلك فلا بد من ضربها وتدميرها . ولهذا زودت إسرائيل بصواريخ «شرايك» المضادة للرادار ، وهو صاروخ جو - أرض يلاحق الذبذبات التي تطلقها أجهزة رادار الصواريخ المضادة للطائرات الى مصدرها ويذمرها ، وقد تمكن الفيتناميون الشماليون من ابطال مفعوله باقتال أجهزة الرادار في الوقت المناسب فتوقف اصدار الذبذبات يفقد الصاروخ الهدف ، الا ان الأمريكيين زدوه بذاكرة بحيث يواصل الاتجاه نحو الهدف بالرغم من اقتال الاجهزة . وتقول مجلة الطيران والبحرية الإيطالية ان الاسرائيليين قد استعملوا هذا الصاروخ ، انتقاما لاسقاط طائرة التشويش الالكتروني بوينغ سي ١٧ في اواخر عام ١٩٧١ ، في ضرب مواقع الصواريخ المصرية ، ولكن بنتائج طفيفة جدا (٢٠) . وتستطيع الطائرات اطلاق صاروخ شرايك من مسافة تتراوح بين ١٢ - ١٦ كيلومترا ، وتبلغ سرعته ضعفي سرعة الصوت ، ومن الممكن تضليله باطلاق ذبذبات وهبية من اجهزة خاصة بعيدة عن اجهزة الرادار الحقيقية . وهناك مفاوضات لشراء اهداف طائرة ، وطائرات استطلاع بدون طيار من طراز رايان فايبري ١٤٧ (٢١) وهذه الطائرة تحمل في داخلها اجهزة ملاحية دقيقة ، وتطير حسب خط مبرمج موضوع في اجهزتها الداخلية ، وهي مزودة بنظام تصوير خاص للبيك المباشر الى محطات ارضية . وتستطيع ان تطير لمدى ٤٠٠٠ كيلومتر دون التزود بالوقود وعلى ارتفاع ١٨٠٣٠٠ متر . امسا الاهداف الطائرة فهي مستعملة في الاصل لتدريب طياري المطاردات ، ووحدات الدفاع الجوي ، الا ان هناك دراسات لجعل هذه الاهداف قادرة على حمل قنبلة زنة ٢٣٠ كيلوغراما تحت كل جناح وتوجيهها لضرب اهداف ارضية . ويعتقد الخبراء الأمريكيون انها قادرة على ضرب اهداف تحميها صواريخ سام ٢ ، وسام ٣ ، او استعمالها لامتناع جزء من قوة شبكة الصواريخ المضادة ، وذلك باطلاتها فوق هذه الشبكة ، فتطلق الصواريخ عليها لاسقاطها ، ظنا منها انها طائرات مقاتلة ، وذلك تمهيدا لهجوم حقيقي تشنه طائرات يقودها طيارون . ويمكن اطلاق هذه الطائرات والاهداف من الارض ، او من طائرة أم ، وتستطيع طائرة هيركوليز الضخمة حمل اربعة من هذه الاهداف تحت جناحها ، فوزن اثنى هذه الطائرات يبلغ ١٥٨٨ كيلوغراما اما طولها فيتراوح بين ٧ - ٨٠٨٠ متر . وتتمكن اسرائيل بطائرات التحسيس هذه من القيام بعمليات استطلاع في عمق الارض العربية دون ان تخشى حدوث خسائر بشرية ، بالإضافة الى هذا فسوف تقلل هذه الطائرات من خسائرها اذا ما حاولت خرق شبكة الصواريخ المصرية . ومن المؤكد ان لعبة الحرب الالكترونية هذه ليست بهذه البساطة ، فاذا ما أفلحت هذه الاهداف في خداع شبكات الرادار المصرية مزة فسوف يكون من الصعب ان تخدعها مرة ثانية ، واذا ما اكتشف المصريون وسيلة لانقاء صاروخ شرايك ، فسوف يمضي وقت طويل قبل ان يتمكن الاسرائيليون من ايجاد حمل مضاد ، وبالطبع ، ففي حالة وجود عمليات عسكرية ، فلن تتوقف هذه العمليات في انتظار ان يجد الاسرائيليون الحل .

ونذكر هنا بعض الوسائل والاسلحة التي يستخدمها الأمريكيون في فييتنام لمواجهة صواريخ سام ، حيث ان هذه الخبرات والاسلحة تصب نورا في قصة العدو الصهيوني لتجربتها في المنطقة ، فقد استعمل الأمريكيون في عملياتهم الاخيرة في فييتنام قنبلة جديدة سموها القنبلة الذكية "Smart Bomb" وهي تقودها اشعة لاسر ( ليزر ) ، وتضبطها كاميرا تلفزيونية "Telecamera" ، وقد حاز الأمريكيون بواسطتها على دقة عالية في التصوير ، حتى على ارتفاعات عالية . ويعتقد بأن هذه القنبلة هي الصاروخ نفسه المسمى مافيريك "Maverick" من انتاج شركة هيوز - اريزونا ، وهو صاروخ جو - أرض ، والذي له نظام توجيه خاص ، مكون من كاميرا تلفزيونية موجودة في مقدمته الصاروخ ، تسمح المنطقة المراد تصفها بحثا عن الاهداف ، وترسلها الى شاشة صغيرة

إمام الطيران ، ويبدأ عمل الصاروخ وهو ما زال معلقاً في الطائرة ، فعندما يشاهد الطيار الهدف المراد ضربه يوقف الصورة على ذلك الهدف ، ويطلقه فيتوجه الصاروخ مباشرة نحو الهدف الذي حمل صورته . وتستطيع طائرة الفانتوم حمل ستة صواريخ من هذا النوع على غلاقتين وهو يعمل بالوقود الصلب ، ووزنه ٢٢٧ كيلوغراماً وطوله ٢،٤٤ متر وقطره ٣٠ سم .

**الدفاع الجوي :** ليس ثمة سلاح منفصل تماماً اسمه الدفاع الجوي ، بل إن هذا السلاح يتكون من عدة أقسام ، تتجمع لتكون ما يعرف بالدفاع الجوي . ويتكون الدفاع الجوي الإسرائيلي من ١ - الطائرات المعترضة ، وتشكل المراج ٣ سي عصبها الرئيسي ، وكما سبق وقلنا فهذه الطائرات مسلحة بصواريخ ماترا آر ٥٣٠ وصواريخ سايدوندر ، وتعاونها في ذلك طائرات الفانتوم التي تحمل ثمانية صواريخ جو - جو من طراز سايدوندر وسبارو (٢٢) وطائرة الفانتوم جيدة للقتال الأعمى والليلي ، وفي قدرتها الممتازة على الصعود والارتفاع بسرعة ٩ كيلو مترات في الدقيقة ، ولكن المراج أكثر كفاءة في المطاردة النهارية وعلى الارتفاعات المنخفضة ، وتقوم بعض طائرات الصف الثاني أيضاً بأعمال الاعتراض مثل الميسير والسوبر ميسير ، وهذه مسلحة بمدافع من عيار ٢٠ ملم ، ولا تحمل صواريخ جو - جو . وباستثناء الطائرات المطاردة ، فإن الدفاع الجوي الإسرائيلي لم يحظ بالقدر نفسه من الاهتمام الذي حظي به سلاح الطيران والأسلحة الأخرى ، ولكن هذا لا يعني أنه أهمل كلياً .

٢ - الأذار - ويتكون من شبكة جيدة من الرادار ، وتعمل إسرائيل حالياً على تجديد هذه الشبكة وتقويتها ، فقد ذكرت مجلة أفياشن ويك الأمريكية ( عدد ١ آذار ١٩٧١ ) « أن شركة هيوز تضع دراسة تمويلها إسرائيل لإنشاء جهاز دفاع جوي يمكن السيطرة عليه بالالات الحاسبة الالكترونية ، وتجاول إسرائيل تحسين أجهزة دفاعها الجوي ، بشراء أجهزة رادار جديدة وزيادة بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات من نوع هوك » . ولا تتوقف عملية الأذار على أجهزة رادار الدفاع الجوي ، بل تتعداها إلى أجهزة رادار البحرية . ويمكن تجهيز سفن الصيد الصغيرة بمعدات بسيطة لتقوم بأعمال المراقبة والأذار ، بالإضافة لوسائل الكشف العصرية . وفي بلد عسكري مثل إسرائيل يستطيع كل جندي أو مستوطن في الكيبوتسات ، شبه العسكرية ، أن يقوم بأعمال المراقبة بالعين المجردة أو المناظير ، والأذار ، تساعد في ذلك شبكة ممتازة من المواصلات السلكية واللاسلكية .

٣ - التصدي ، في العادة تكون المطاردات جاهزة دوماً للتدخل لرد أي هجوم خارجي ، ولكن في حال عدم تمكن المطاردات من الدفاع عن بعض المناطق تتولى البطاريات ووحدات الصواريخ المضادة للطائرات القيام بهذه المهمة ، وقد سلحت إسرائيل بمدافع رباعية عيار ٢٠ ملم ، وتطلق هذه المدافع النار من أربع فوهات في وقت واحد (٢٢) وتعطي كثافة نيران جيدة ، يضاف لهذه مدافع من عيار ٣٠ و ٤٠ ملم . وتستخدم المدافع عيار ٢٠ ملم لصعد الطائرات التي تحلق على ارتفاعات منخفضة أما المدافع الأخرى فللطائرات التي تحلق على ارتفاعات أعلى .

والجزء الثاني من الوحدات المضادة للطائرات هي صواريخ هوك ، وكانت إسرائيل قد حاولت أكثر من مرة الحصول عليها ، إلى أن تمكنت من ذلك عام ١٩٦١ ، مقابل أصوات الناخبين اليهود للرئيس كينيدي . والهوك صاروخ جيسد ، وهو صاروخ الدفاع الجوي الرئيسي لدى قوات حلف شمالي الأطلسي ، إلا أن الدول التي تملكه تحاول الآن إبداله بصواريخ أحدث (٢٤) ولدى إسرائيل تسليح كينيتين من صواريخ هوك (٢٥) وهو صاروخ متوسط المدى ، (مداه ٣٥٠ كيلو متراً) ويتتبع الحرارة التي يشعها عادم الطائرة . ومن الجدير بالذكر أن إصابة هذا الصاروخ تخفض بنسبة كبيرة في أيام الصيف الحارة ،

خاصة في منطقة صحراوية مثل سيناء حيث تزيد درجة الحرارة عن ٤٠ درجة مئوية في الايام العادية . وتتمركز هذه الصواريخ حول مدينة تل ابيب وفي جبهة قناة السويس . ونشير هنا الى ان الدفاع الجوي الاسرائيلي يبقى ضعيفا بسبب الوضع الجغرافي الاسرائيلي ، حيث تستطيع الطائرات العربية ، خاصة المرابطة في الجبهة الاردنية (٣٦) والسورية ، الوصول الى اكثر الاهداف حيوية في فلسطين المحتلة وضررها خلال دقائق معدودة ، فان ضيق مساحة الارض لا يعطي الدفاع الجوي الوقت الكافي للانذار والتصدي للغارة .

**المطارات :** عندما انسحبت القوات الانجليزية من فلسطين عام ١٩٤٨ تركت فيها ١٢ قاعدة جوية ومطارا عسكريا وثلاثة مطارات مدنية هي حيفا والدوتل ابيب ، وقد عملت السلطات الصهيونية على زيادة هذه المطارات ، وحسن بعضها واهمل البعض الاخر ، وذلك تبعا لمقتضيات الدفاع الاسرائيلية الجديدة . وبالرغم من صعوبة اعطاء معلومات دقيقة في هذا المجال ، الا انه يمكن التأكيد بان هناك عددا جيدا من المطارات ، وعدا عن ذلك يمكن استخدام بعض الطرق العريضة والمرصوفة بشكل يسمح لها باستقبال الطائرات مثل طريق حيفا - تل ابيب ، كراسي هبوط عند الحاجة . وقد عنيت السلطات الاسرائيلية بتحسين بعض المطارات المهمة مثل قاعدة رامات دافيد في شمال فلسطين ، حيث قامت بتحسينها على الطريقة السويدية ، بإنشاء ملاجئ للطائرات والذخيرة والوقود ، تحت الارض (٣٧) . ولكن اذا كان التحسين قادرا على حماية الطائرات ، الا انه لا يكفي للحفاظ الطائرات على قدرتها على التحليق والتصدي ، فلا بد من وجود عدد كاف من المطارات . ويعتقد البعض ان لدى اسرائيل اكثر من ٦٠ مطارا ، ولكن هذا العدد مبالغ فيه ، فلا يمكننا اطلاق اسم مطار على كل طريق تستطيع ان تنزل فيه طائرة ، وهناك اعداد من المطارات الصغيرة التي لا يزيد طول مدرجها عن الف متر ، معدة لاستقبال الطائرات السياحية الصغيرة ، او لاستعمال نوادي الطيران ، او للطائرات الزراعية ، ويمكن استخدام هذه المطارات لاستقبال طائرات النقل العسكرية من طراز عرفه ، الا انها غير قادرة على استقبال المقاتلات الحديثة او طائرات النقل الضخمة . وفي الواقع فان زيادة عدد المطارات يخفف تأثير الضربة الاولى ، او الضربة الانتقامية ويزيد من امكانية الاستفادة من الطائرات ، خاصة طائرات النقل . ولهذا فقد قامت القوات الاسرائيلية بإنشاء عدد من مطارات الميدان ، بالقرب من خطوط وقف اطلاق النار . وقد استفادت في الضفة الغربية من المطارات الانكليزية القديمة مثل مطار الجفتلك وقامت باصلاح مناطق ورفضها لاستقبال طائرات النقل ، كما فعلت في منطقة بيت فوريك شرقي نابلس . وعادة لا تحتاج مطارات الميدان هذه الى رصفها بالاسمنت ، بل تكفي رصفا من الحجارة والرمل ، وحيثا يكفي تسوية الارض ، وبالطبع من الصعب اطلاق كلمة مطار على هذه المدارج التي تستعمل ايضا لهبوط طائرات الارتباط ، او طائرات المراقبة وضبط رمية المدفعية .

وقد استولت القوات الصهيونية على ثمانية مطارات مصرية في سيناء خلال حرب حزيران ، بالإضافة لمطار مدني اردني هو مطار قلنديا قرب القدس . ويتضمن الملحق المثبت في نهاية المقال قائمة بالمطارات الاسرائيلية حسب افضل المعلومات المتوفرة ، وبأهم القواعد العسكرية مثل رامات دافيد ، وعامر وحاتسور ، والمطارات المدنية مثل اللد وحيفا وايلات والقدس ، بالإضافة للمطارات المدنية والقواعد العسكرية الاصغر والمطارات التي قد تقيد الجهود الحربي الصهيوني ، حيث يمكن استخدامها في اعمال الامداد والتبوين او لنقل الجرحى . وكذلك المطارات المستعملة كنوادي طيران او لاستقبال الطائرات السياحية . كما يتضمن الملحق قائمة بمراكز وحدات الرادار الثابتة والمتحركة التابعة للدفاع الجوي الاسرائيلي . ومما لا شك فيه ان مراكز وحدات الرادار



قد تغيرت بعد نشوء وضع دفاعي جديد في المنطقة . فقد انشئت مراكز جديدة للرادار على جبل الشيخ ، وفي سيناء وبالقرب من مضيق تيران .

### صناعة الطائرات الحربية

عندما حصلت مصر على طائرات الميغ ١٥ و ١٧ زودت اسرائيل بطائرات الميستير . وعندما حصلت الاولى على طائرات ميغ ٢١ ، اشترت الثانية طائرات الميراج الفرنسية ، ولكن لم يخل شراء اسرائيل للطائرات في كثير من الاحيان من الضغوط ، ولو ان هذه الضغوط كانت للتخفيف من سياستها العدوانية والتوسعية ، او لعدم استعداد الدول الكبرى للدخول في صراع بسبب من سياسة اسرائيل . ولذلك فقد عهدت السلطات الاسرائيلية الى انشاء صناعتها الخاصة للطائرات والاسلحة . وبعد الحظر الذي فرضه الجنرال ديفول على تزويد اسرائيل بالاسلحة بعد حرب حزيران نشطت اسرائيل في تقوية صناعتها هذه ، ونشطت معها اجهزة المخابرات التي تمكنت من الحصول على تصاميم طائرة الميراج ٥ من سويسرا ، وعا ذلك فقد سافر احد كبار مهندسي مصانع الطائرات الاسرائيلية الى الولايات المتحدة وبريطانيا وفي جيبه ٢٠ شيكا قيمة كل منها مئة الف دولار ، و ٢٠ عقدا لتقنيين في كل فرع من فروع الطيران واستغلت الحكومة الاسرائيلية فترة « الكرم » الأمريكي للحصول على مصانع واجازة لصنع المحرك جي ٧٩ ، وهو احد المحركين العاملين على طائرة الفانتوم ، وبدأت هكذا في « تصميم » اول طائرة مقاتلة لها سمها السوبر ميراج . وهكذا بدأت مصانع الطائرات الاسرائيلية العمل في مشروعها الاول والذي اطلقت عليه اسم « سالفو » Salvo ، وهو لطائرة نفائة تطير بمحرك من طراز جنرال الكتريك جي ٧٩ ، وتزويد قوته عن قوة محرك طائرة الميراج ٥ بنسبة ٢٠٪ . وتصاميم هذا المشروع مأخوذة عن تصاميم الميراج ٣ سي والميراج ٥ ، ولكن العمل بهذا المشروع مالمبت ان جمده (٢٨) ليبدأ العمل بمشروع ثان هو « الستارة السوداء » Black Curtain ( وقد سمي كذلك نظرا للسرية التي طور بها ) وتعمل هذه الطائرة بالمحرك المذكور نفسه الا ان تصاميمها مأخوذة عن طائرة الميراج ٥ فقط وتدعي اسرائيل بانها ستجمد هذا المشروع ايضا في حال استلامها الصفقة الاخيرة من طائرات الفانتوم والسكاي هوك التي اوصت عليها (٢٩) . ومما لا شك فيه ان إنتاج اسرائيل للطائرات ذات الكلفة العالية لا يناسبها ، خاصة وانها تحصل في الوقت الحاضر على احتياجاتها من السلاح من الولايات المتحدة مجانا ، او بموجب قروض تنقلب الى مساعدات في المستقبل . ان الخطر الوحيد الذي قد يشكله إنتاج الطائرات الحربية في اسرائيل هو انعقادها تماما من « الضغط الاجنبي » المتعلق بسياستها في المنطقة ، وهو أمر عرفت اسرائيل كيف تتخلص منه في معظم الاحيان . ومن المهم ان نشير الى ان مستوى طائرة « السوبر ميراج » لن يرتفع عن مستوى طائرة الميغ ٢١ مف ، فاذا اخذنا بعين الاعتبار قوة دفع محرك الفانتوم المستعمل على السوبر ميراج الاسرائيلية (٣٨٥٠٥ كيلو غراما) وقارناه بقوة دفع محرك الميغ ٢١ مف ( ٥١٠٠ كيلو غرام ) وعلاقة قوة الدفع بالوزن هي التي تقرر السرعة ، وعلى الرغم من اننا لا نعرف وزن طائرة السوبر ميراج ، الا انه من الصعب انتاجها لتكون اخف من طائرة الميغ ٢١ والتي هي من اخف الطائرات التي في مستواها وزنا .

وقد لاقى البدء في تصميم الطائرة الاسرائيلية معارضة شديدة في بعض الاوساط ، وحجتهم في ذلك ان معامل داسو لا تنتج سوى ٤٢٪ من الطائرة والباقي تنتجه اكثر من ٥٠ شركة ومصنعا ، ومعظم هذه المصانع المساعدة غير متبصرة لاسرائيل (٤٠) . وفي الحقيقة فان هذا الامر قد يزيد من كلفة الطائرة ، حيث ستضطر الى شراء ما ينقصها من الخارج ، كما وان سرعة الانتاج قد تتأثر بسرعة تسليم المصانع الاجنبية للمعدات المطلوبة ، ولكنه لن يؤثر على انتاجها . ومن المهمات التي عهد بها الى مصانع الطائرات

الاسرائيلية ، اجراء التعديلات المناسبة على الطائرات التي يزود بها سلاح الطيران واعمال الترميم والصيانة للطائرات القديمة والمعطوبة . ومن المهم ان نذكر ان القيادة العسكرية في اسرائيل كانوا يطلبون اجراء تعديلات كثيرة على الطائرات التي يوصون عليها ، وهي تعديلات لا يمكن القيام بها في اسرائيل لاسباب فنية ، واشهر مثال على ذلك ان غيرز وايزمان قد طلب من شركة داسو اجراء اكثر من ٥٠٠ تعديل على طائرة الميراج ٥ ، والتي كانت اسرائيل قد اوصت على ٥٠ منها في اواخر عام ١٩٦٦ ، مما دفع هذا الاخير الى القول في حفل عشاء في السفارة الاسرائيلية في باريس وبحضور سيرج داسو ابن مصمم الطائرات المشهور « انها طائرة اسرائيلية الان » وقد اثارت هذه العبارة استياء شديدا في الاوساط الفرنسية(٤١) . وكما قلنا تنتج المصانع الاسرائيلية حاليا طائرات التدريب النفاثة من طراز فوغا ماجستير(٤٢) بموجب ترخيص خاص ، وقد بدأت بانتاج طائرة النقل الخفيفة ( عرفه ) وبواقع ٤ طائرات في الشهر ، كما تنتج قطع الغيار لطائرات سلاح الطيران الاخرى . وقد برزت اهمية انتاج قطع الغيار بعد الخطر الفرنسي على تصدير الاسلحة الى اسرائيل وامكانية تعطيل الطائرات الفرنسية الصنع في الطيران الاسرائيلي . وتنتج مصانع اخرى جميع انواع الذخيرة المستعملة على الطائرات ، باستثناء بعض الاسلحة والذخائر الخاصة ، كما وتنتج الصواريخ جو - جو من طراز « ماترا » الفرنسي والمدافع الرشاشة طراز ديفا وذلك بموجب ترخيص(٤٣) .

**خاتمة** - هذا هو سلاح الطيران ، وقد سبق وقيل بان اسرائيل هي جيش يمتلك دولة ، ويبدو ان هذا القول قد تطور اكثر بحيث اصبح سلاح طيران يمتلك دولة ، ومن الواجب ان نعترف بان النجاح الذي حققته الاسرائيليون بسبب هذا السلاح هو الذي دفعهم الى تنميته وتطويره ، ليصل الى ما هو عليه . ولكن ورغم كل شيء سيبقى سلاح الطيران قوة مساندة للقوات البرية وستكون هناك دوما وسائل للتغلب عليه او تخفيف مفعوله ، واكبر مثل حي على ذلك هو فيتنام رغم ان الاختلاف في القوة بيننا وبين العدو الاسرائيلي ليس هو الفارق نفسه بين فيتنام والولايات المتحدة ، وبالتالي فان امكانات النجاح لدينا اكبر بكثير . ويجب ان نعرف بان مصاعبنا مع اسرائيل ليس سببها سلاح الطيران او القوة العسكرية الاسرائيلية ، بل مصاعبنا في تخلفنا نحن في جميع المجالات ، **سلاح الطيران ليس الثقل الوحيد في الميزان** ، بل هو جزء من القوة العسكرية وهذه القوة هي محصلة لكل مصادر القوة في اي دولة ، ويقررها وضع البلد الاقتصادي ، ونظامها السياسي والاجتماعي ، ومكانتها الدولية ، ووضعها الجغرافي والسكاني . ولو تمكنا من الاستفادة من هذه المصادر وتنميتها او تنظيمها لاصبح سلاح الطيران ، والقوة العسكرية الاسرائيلية مسألة هينة لا يحتاج حلها الى الكثير من العبقرية . وكما قلنا في اول الموضوع ، فان اسرائيل تتجه لتصبح قاعدة جوية ضخمة ، وهي تطور استخدام هذا السلاح يوما بعد آخر ، ليصبح الاداة العدوانية الاولى . فلم تستعمل اسرائيل سلاح الطيران خلف الخطوط العربية قبل عام ١٩٦٤(٤٤) ، وقد استخدمته اول مرة في اواخر عام ١٩٦٤ ، وذلك للرد على القوات السورية التي قصفت مستعمرتي « دان » و « دفنة » كما ادعت السلطات الاسرائيلية ، وعندما لم يثر هذا العمل ردود فعل دولية ، اعتمدته السلطات الاسرائيلية كوسيلة « لتأديب » العرب ، فبعد ضرب المواقع العسكرية بالطائرات بعد حرب حزيران ، وخلال حرب الاستنزاف ، قامت بقصف بعض القرى العربية بشكل خفيف كما فعلت بالقرى الاردنية من قبل واللبنانية الان ، وسوف تتجاوز الى تدمير هذه القرى تماما لتضرب بعدها المدن . وكما قلنا تنمو اسرائيل لتصبح قاعدة جوية استعمارية ، مثل القواعد الامريكية في الهند الصينية ، بفارق كون اسرائيل اشد رسوخا ، وكون مسؤوليتها اكثر استقلالا ، ومن المهم ملاحظة استخفاف اسرائيل بالروابط الدولية ، وهذا ما كانت لتستطيعه دولة صغرى لولا دعم المعسكر الامبريالي لها ، كمحافظة على مصالحه في المنطقة ، ولولا قوة مركز اسرائيل الاعلامي الذي يسمح

لها بتغطية كل أعمالها الشنيعة . يؤكد هذا تطاولهم حتى على « أصدقائهم » وليست بعيدة محاولتهم سرقة طائرات ميراج ٥ من فرنسا ، وسرقتهم أيضا للزوارق الخمسة من ميناء شربورغ الفرنسي ، وسرقتهم لتصاميم طائرات الميراج ٥ من سويسرا وبأخرة كاملة تحمل قطع غيار لطائرات الميراج من ميناء انفيرس البلجيكي او حتى اختطافهم للطائرات من بريطانيا وامريكا اثناء حرب فلسطين ، كل هذا يجعل من اسرائيل قوة لا تلتزم بالحد الأدنى من الارتباطات او الصداقة الدولية ، او القيم الخلقية الدولية .

## ملحق

### اراضي النزول في اسرائيل

- ١ - الرملة
- ٢ - كفار جلعادي
- ٣ - يفتليل
- ٤ - جوليس
- ٥ - ساديه بوكر
- ٦ - كتسيعوت
- ٧ - عين حصب
- ٨ - ساديه ابراهام
- ٩ - متسابيه رامون
- ١٠ - عين جدي
- ١١ - كفار يروحام
- ١٢ - سدوم
- ١٣ - بير متوفا
- ١٤ - مراد
- ١٥ - صرفند
- ١٦ - تمناع
- ١٧ - ويلهنا

### معطات الرادار الاسرائيلية

- ١ - مواقع ثابتة
- ١ - صند - معسكر جبل كنعان
- ٢ - جبل ميرون
- ٣ - حيفا
- ٤ - بات جاليم - داخل المعسكر
- ٥ - رامات دافيد - داخل المطار
- ٦ - اللد - داخل المطار
- ٧ - عاقر - داخل المطار
- ٨ - حاتسور - داخل المطار
- ٩ - اريحا - على جبل اريحا
- ١٠ - مزار - يعتقد بان الاولى للاتار
- ١١ - جيبديرا - والثانية لتوجيه المقاتلات

### المطارات في اسرائيل

- ١ - رامات دافيد ( نهلال )
- ٢ - عاقر ( تل توفد )
- ٣ - حاتسور ( تسطينا )
- ٤ - كفار مركين ( بتاح ، تكفا )
- ٥ - حاتسريم - قاعدة كلية الطيران
- ٦ - البصة - البعنة
- ٧ - اللد
- ٨ - تل ابيب ( ذوف هوز )
- ٩ - القدس الجديدة
- ١٠ - حيفا
- ١١ - ايلات
- ١٢ - مسادا ( بار يهودا )
- ١٣ - عين شمير
- ١٤ - هرتسليا
- ١٥ - الفالوجا
- ١٦ - بيت دراس
- ١٧ - روشينا ( الجامعنة )
- ١٨ - سان جين
- ١٩ - البروة
- ٢٠ - ابو رميق
- ٢١ - مأجدو
- ٢٢ - ديمونا

### المطارات العربية في المناطق المحتلة

- ١ - تلنديا - مطار مدني اردني
- ٢ - العريش
- ٣ - السدر
- ٤ - الليز
- ٥ - تمادة
- ٦ - ابو رديس
- ٧ - ابو زنيه
- ٨ - الطور
- ٩ - شرم الشيخ

- ١ - البتل الاحمر
- ٢ - ام خشيت
- ٣ - رأس سله
- ٤ - متلا
- ٥ - رفح
- ٦ - بير العيد
- ٧ - ام رجام
- ٨ - جبل بعلق

- ١ - سان جين
- ٢ - عسفيا
- ٣ - جعفات اولجا
- ٤ - تل ابيب - شمالي تل ابيب
- ٥ - القدس - قربي القدس
- ٦ - حاتسريم - داخل المطار
- ٧ - ايلات
- ٨ - صرفند

تستطيع اسرائيل الان ارسال طائرات ليس لمهاجمة اهداف بعيدة في البلاد العربية فقط بل لمهاجمة سفن وطائرات مختلفة في المتوسط ، وتستطيع مهاجمة اهداف مثل قاعدة ويلمس في ليبيا من الجو ، وكذلك المناطق الداخلية لمن السودان والعراق وسوريا « ملحق هارتس ، ١٩٧٢/٤/١٤ »

١٣ - مجلة الاتا الدولية ، عدد كانون الثاني ١٩٧٢

١٤ - قال زئيف شيف ، ملحق هارتس ، ١٩٧٢/٤/١٤ « .. في السنة الماضية وفي اعقاب تزود الدول العربية بمئات طائرات الميغ والسوخوي والتوبوليف كان ميزان القوى العددي ما يلي ، طائرات مقاتلة لدى العرب ٢٠٥٠ ضعف ما لدى اسرائيل .. » هذه عينة من المغالطات التي يقدمها العدو ، فعدا الاختلاف في قدرة الطائرات ، فهذه القائمة تضم حتى الطائرات التي يملكها السلطان قابوس ، والمغرب والذآن يبعدان بضعة الاف من الكيلو مترات من الجبهة .

١٥ - هناك تضارب واضح في الأرقام التي تقدمها مؤسسات الدراسات العسكرية ، وهذه الأرقام اختيرت بحرص بعد الاطلاع على نشرة مؤسسة الدراسات الاستراتيجية للعام ٧٢/٧٢ من المصور اللبنانية ١٩٧٢/٩/٨ ، ونشرة مؤسسة اياشن ستاديز انترناشنال عند تموز ١٩٧٢ ، بالإضافة لمجلة الاتا الدولية عدد كانون الثاني ٧٢

١٦ - الفانتوم RF-4C تختلف قليلا من الفانتوم RF-4E - تقوم بهجمات الاستطلاع الليلية وهي مزودة بالآت تصوير وكاميرات سينمائية دقيقة تغطي مساحات واسعة ، وتبلغ قوة الاضاءة التي تستخدمها عند التصوير ٥ ملايين شمعة مما

١ - زئيف شيف ، هارتس ، ١٩٧٢/٤/١٤ .  
٢ - فيك فانس ، وبيار لوير ، حربنا مع اسرائيل ( دار النهار للنشر - بيروت ١٩٦٨ ) من ٥٤ .  
٣ - سيف ، دان ، بن فورت ، انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي ( دار العودة - بيروت ) من ٢١٠ .

٤ - المصدر السابق ، ص ١٤٦ .  
٥ - قالت هارتس عدد ١٩٧١/٦/١ ( ان ثلاثة انتصارات حاسمة على الجيوش العربية منذ عام ١٩٤٨ ساهمت في خلق ثقة مجالخ فيها ... ) ويبدو انه بسبب هذه الثقة يصاب الاسرائيليون « بشطحات » استوزية عن توقعهم ، فقد ادمى هؤلاء بان طائرة من طراز اوزيغان ( سرعتها ٩٦٠ كم / ساعة ) قد تمكنت من اسقاط طائرة ميغ ٢١ ( سرعتها ٢٣٣٥ كم / ساعة ) تبين فيما بعد انها ضربتها فيما كانت تم بالاقلاع اي في أسوأ حالاتها ، ويبدو انها تمكنت من الارتفاع بضعة امتار حين اصبحت معدوا ذلك مبارزة تامة .

٦ - مجلة الاتا الدولية Alata International الإيطالية عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .  
٧ - عدد ٢١ اب ١٩٦٧ .  
٨ - باعت اسرائيل هذه الطائرات بعد حرب حزيران . الاتا الدولية ، عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .  
٩ - سيف ، دان ، بن فورت ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

١٠ - المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .  
١١ - المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .  
١٢ - بالنسبة لقدرة طائرات سلاح الطيران الاسرائيلي على التزود بالوقود وهي في الجو ، كتبت مجلة القوات المسلحة في الولايات المتحدة : « بعد تطور القدرة على تزويد الوقود في الجو

يسمح لها بان تضيء في الليل اهدافا متحركة كقوالب السيارات وان تصورها بعد ذلك ، وفي الطائرة جهاز رادار حساس طراز: (S.L.A.R.) يعطي الطيار صورة دقيقة لشريط عرضه ٢٠ كم من الارض التي يحلق فوقها . كما وان فيها جهازا من طراز (A.A.S.18) يستخدم الاشعة تحت الحمراء ويكشف منابع الحرارة كالسيارات الموعدة ونيران امكان الاقابلة المخفية وسط الاذغال .

١٧ - من الصعب اثبات تزويد حكومة جنوب افريقيا لاسرائيل بطائرات هي الطائرات نفسها المستعملة لديها ، وبامكان حكومة جنوب افريقيا انتاج عدد محدد من هذه الطائرات دون الاعلان عن ذلك .

١٨ - **الاتا الدولية** ، عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .  
١٩ - سيف ، دان ، بن فورت ، **المصدر السابق** ، ص ٢٤٥ .

٢٠ - نشرت مجلة **Air Enthusiast** البريطانية عدد كانون الاول ١٩٧١ « انه تم تحويل طائرات الفوتون ذات التعدين السى طائرات استطلاع وتشويش الكتروني ... »

٢١ - **الاتا الدولية** ، عدد شباط ١٩٧٢ .

٢٢ - نفس الملاحظة عن الجدول رقم (١) راجع نشرة مؤسسة الدراسات الاستراتيجية ، مجلة **الطيران والبحرية الإيطالية** عدد شباط ١٩٧٢ ، **الاتا الدولية** عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .

**Air Enthusiast** البريطانية عدد كانون الاول ١٩٧١ .

٢٣ - **الطيران والبحرية الإيطالية** ، عدد شباط ١٩٧٢ .

٢٤ - **المصدر السابق** ، عدد ايار ١٩٧٢ .

٢٥ - وليام غرين ، **The Observer's Book of Aircraft** ، نشرة ١٩٧٢ .

٢٦ - ثالث مجلة **ايفاشن ويك** عدد ٧٢/٢/٧٢

« تعمل اسرائيل على تطوير جهاز اسمه روتر - اور (Rotor-OR) يستخدم في طائرات الهليكوبتر ، للانارة الليلية دون ملاحظتها من الارض ، وتعمل مصادر الانارة في هذا الجهاز بواسطة غاز التريتيوم (Tritium) ويمكن هذا الجهاز طاقم الطائرة من الرؤية لمسافة ٢٠٠ قدم .

٢٧ - سيف ، دان ، بن فورت ، **المصدر نفسه** ،

ص ١١٧ ( دار العودة - بيروت ) .

٢٨ - زئيف شيف ، **ملحق هارتس** ، ٧٢/٤/١٤ .

٢٩ - يجب الملاحظة هنا ان البوينغ سي ٩٧ هي الصنف العسكري للبوينغ ٣٧٧ مترادف كروزر المدنية ، ويطلق عليها في اسرائيل اسم انساك Anak ايضا .

٣٠ - عدد كانون الثاني ١٩٧١ .

٣١ - زئيف شيف ، **ملحق هارتس** ، ٧٢/٤/١٤ .

٣٢ - لاعطاء فكرة عن قدرات الصواريخ جو - جو ، نذكر تدرية صاروخ سبارو ٢ ، طوله ٣٤٦٦ مترا ، وزنه ٢٠٤ كيلو غرامات ، وسرعته اكثر من ٣٤٥٥ ماك ، ويبلغ مداه ١٣ كيلو مترا ، اما عبوته الفاسفة فوزنها ٢٧ كيلو غراما ، ويوجه بشكل شبه فعلي ببوجات متصلة .

٣٣ - زئيف شيف ، **ملحق هارتس** ، ٧٢/٤/١٤ .

٣٤ - **الاتا الدولية** ، تشرين الاول ١٩٧١ .

٣٥ - **Military Balance 1970-71** .

٣٦ - الوضع هنا مرضي ، فالكل يعترف بأساسة « الجبهة الشرقية » .

٣٧ - سيف ، دان ، بن فورت ، **المصدر السابق** .

٣٨ - مجلة **الطيران والبحرية الإيطالية** ، عدد تشرين الثاني ١٩٧١ .

٣٩ - **المصدر السابق** .

٤٠ - سيف ، دان ، بن فورت ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٩ .

٤١ - **المصدر نفسه** ، ص ٢١٤ ، نقرا «وازعجت الاسرائيليين بصفة خاصة حقيقة ان الفرنسيين يبنون بيع طائرات الميراج ( الميراج ٥ ) لليبين - وهي الطائرة التي انتجت بالفعل بناء على طلب اسرائيلي وحسب تفاصيل قدمها خبراء سلاح الطيران الاسرائيلي لصانع داسو الفرنسية » .

٤٢ - قالت مجلة **(Military Review)**

عدد اذار ١٩٧١ ، « ان الصانع الاسرائيلية تعمل على انتاج طائرة موفيا ماجستير بمقعد واحد لمساندة القوات البرية » .

٤٣ - معارف ، ١٨/٨/١٩٧٢ .

٤٤ - تقصد ان اسرائيل لم تستعمل الطيران خلف الخطوط الغربية في اوقات الهدنة ووقف الملاق

النار .

## سياسة استثمار رؤوس الاموال في القطاع الصناعي في اسرائيل

انطوان منصور

ان معرفة وضع الاستثمارات وحجتها في اقتصاد بلد ما ضرورية ويدخل لكل محاولة جدية للتعرف عن كثر على واقع تطور هذا البلد وامكاناته والافاق المفتوحة امامه . ولما كانت الاختيارات التي تحدد وجهة هذه الاستثمارات تتداخل فيها ، بشكل اساسي ، عوامل سياسية ، فلا بد ان تتناول الدراسة العناصر السياسية التي تتحكم في واقع الاقتصاد المبنى دراسته . وان دراسة العوامل التي تتحكم بواقع الاقتصاد الاسرائيلي تزداد اهمية نظرا لاعتقاده وبشكل كبير على الموارد الخارجية ( مساعدات وهيئات ، دخول رساميل اجنبية ) . ولكن لان حجم هذه الرساميل كبير بحيث يجعل اسرائيل مرتبطة بالامبريالية فلا بد من معرفة مدى وكيفية استفادتها منها . هنا يبرز لنا القطاع الصناعي كهدف تسعى اسرائيل من خلال تطويره ودعمه الى خلق قاعدة اقتصادية مبنية تكون الركيزة لانطلاقة استعمارية تتعدى حدودها لتشمل بلدان المنطقة العربية . وتكتسب دراسة الاستثمارات في هذا القطاع اهمية كبرى لان امكانات ووجهة تطوير القطاع بأكمله مرتبطة بها ، بحجمها وتوزيعها على مختلف النشاطات وبالتالي فأي نوع من النشاطات الصناعية يعطى الافضلية ، لذلك لا بد من معرفة الوسائل التي تستخدمها الدولة للتأثير على الاستثمارات ولجعلها تتوظف في مجالات تنسجم ومخططاتها ، كالتقارير التي اصدرتها .

ان تطوير وسائل الانتاج بتطبيق التكنيك الحديث ضروري لتطوير القطاع الصناعي الذي توليه اسرائيل اهمية قصوى ، لذلك فمجالات البحث والدراسات اهميتها . ولستغرب خلال الدراسة على الامكانات المفتوحة امام البحث والتطوير والامكانات الحالية في قطاعي الصناعة المدنية والحربية .

يلعب القطاع المصرفي دورا مهما بتوفير السيولة والتسليف لمختلف النشاطات الاقتصادية . ولا بد هنا من التطرق لدور المصرف المركزي كأداة بيد الدولة لتنفيذ مخططاتها ودفن القطاع الخاص باتجاهات محددة .

ان تدفق اليهود الهائل من انحاء العالم الى اسرائيل جعل نسبة اليد العاملة المتخصصة مرتفعة نسبيا نظرا الى ان البلاد التي هاجر منها هؤلاء متقدمة ( المانيا ، الولايات المتحدة الامريكية ... ) وهذا يوفر للاستثمارات امكانات لا يمكن ان تتوفر في بلد آخر . لذلك ناستخدامها واستثمارها بشكل عاملا مهما ، هذا ، وان هذه الدراسة لا تطمح الى تناول موضوع الاستثمارات من كامل وجوهه وبالتفصيل الدقيق . وعلى الرغم من ان المساعدات والهيئات وتحرك الرساميل الاجنبية الى اسرائيل لها اهمية وتأثير كبير على الاقتصاد ووجهة تطوره ، فلن نتناولها بالتفصيل ، بل سوف ندرسها فقط من زاوية مدى تأثيرها بقانون تشجيع الاستثمارات الذي اصدرته الدولة .

## الاستثمارات الصناعية في الاقتصاد الاسرائيلي

واجهت اسرائيل عند انشائها مشكلات اقتصادية صعبة : منها استيعاب عشرات الالوف من المهاجرين اليهود ، ومقاطعة الدول العربية لها مما ادى الى عزلتها . وفي السنين الاولى من وجودها كانت اولى المشكلات التي واجهتها الحكومة الاسرائيلية تامين الحاجات الغذائية للسكان ، فاولت اهتماما كبيرا للقطاع الزراعي مؤمنة استثمارات ضخمة حتى سنة ١٩٥٦ خصوصا وان ازدياد المهاجرين كان يطرح مشكلة زيادة الانتاج بنسبة زيادة السكان المرتفعة .

بعد ما تم تطوير القطاع الزراعي اتجهت الاستثمارات اتجاها متزايدا نحو القطاع الصناعي ، ففي حين بلغت الاستثمارات في الصناعة ٨٧ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٥٥ ، وصلت الى ٢٠٨ م. ل. ( بليون ليرة ) عام ١٩٥٩ و ٤٣١٦٩٩ عام ١٩٦٣ ، اي ان قيمتها تضاعفت كل ٤ سنوات ولكنها تعرضت لانخفاض كبير في الفترة الممتدة بين ١٩٦٥ و ١٩٦٧ : فبينما بلغت في العام ١٩٦٥ ٤٦٧٠٢ م. ل. انخفض هذا الرقم الى ٢٤٨٦٧ في العام ١٩٦٧ ، اي بنسبة ٤٦ بالمائة ، وهذا ناتج عن الازمة الاقتصادية التي مرت بها اسرائيل : ارتفاع الاسعار ، بطالة ، ركود في النشاط الاقتصادي . ويعود سبب هذه الازمة جزئيا الى تدن في المساعدات والرساميل الاجنبية ، وخصوصا وقف « التعويضات » المتأتية من الحكومة الالمانية ، مما يدل على مدى اعتماد اسرائيل على الخارج . لقد قدمت حرب حزيران عام ١٩٦٧ مخرجا مؤقنا لهذه الازمة الاقتصادية اذ ازدادت المساعدات من اليهود في العالم ، وعقد مؤتمر في القدس عام ١٩٦٨ ضم عددا كبيرا من اغنى الراسماليين اليهود وقرر استثمار مبالغ ضخمة في اسرائيل . فنتج عن ذلك ازدياد الاستثمارات في القطاع الصناعي عام ١٩٦٨ بنسبة ٨٧ بالمائة عما كان عليه في السنة السابقة ، وبلغت قيمتها ٤٦٦٤٥ م. ل. ، وهي تعادل قيمة الاستثمارات لعام ١٩٦٤ . ثم عرفت هذه الاستثمارات تطورا سريعا في فترة ما بعد حرب حزيران : ٣٦ بالمائة في ١٩٦٩ و ١٠٠ بالمائة في ١٩٧٠ .

ولكن الارتفاع الكبير للاستثمارات في الصناعة لم يتم على حساب القطاعات الاخرى اذ ان مجموع الاستثمارات عرفت هي ايضا تطورا مماثلا : في عام ١٩٥٥ كانت نسبة الاستثمارات في القطاع الصناعي ١٨٤٥ بالمائة من مجموع الاستثمارات ، وفي العام ١٩٥٩ بلغت هذه النسبة ١٨٤٩ بالمائة ولم تتغير في العام ١٩٦٣ . ولكن في اثناء الازمة انخفضت هذه النسبة الى ١٤٤٢ بالمائة عام ١٩٦٥ والى ١٢٤٧ بالمائة عام ١٩٦٦ . فكان القطاع الصناعي هو الاكثر تضررا .

ويبين الجدول الاول تطور الاستثمارات في الصناعة ونسبتها لمجموع الاستثمارات في الفترة ما بين ١٩٥٣ - ٧٠ .

### الجدول الاول

#### الاستثمارات في القطاع الصناعي ١٩٥٣ - ٧٠

| السنة | الاستثمارات في الصناعة (بملايين الليرات الاسرائيلية) | الارتفاع (+) او الانخفاض (-) بالنسبة للسنة السابقة (بالمائة %) | مجموع الاستثمارات (بملايين الليرات) | الارتفاع (+) او الانخفاض (-) بالنسبة للسنة السابقة (بالمائة %) | نسبة (١) |
|-------|--|--|-------------------------------------|--|----------|
| ١٩٥٣  | ٦٥   |  | ٣٠٤                                 |  | ٢١٤٤     |
| ٥٤    | ٧٥   | + ١٥٤٣   | ٤١٩                                 | + ٣٧٤٨   | ١٧٤٩     |

|      |        |      |        |       |      |
|------|--------|------|--------|-------|------|
| ١٨٧٥ | ٤٦ +   | ٦١٢  | ١٦ +   | ٨٧    | ٥٥   |
| ١٧٥٤ | ٧ +    | ٦٥٥  | ٥٧٤٤ + | ١٣٧   | ٥٦   |
| ١٧٤٤ | ٣٢٤٥ + | ٨٦٨  | ١٤٤٦ + | ١٥٧   | ٥٧   |
| ١٥٠٧ | ١٥٤٢ + | ١٠٠٠ | ٤٤٤ +  | ١٦٤   | ٥٨   |
| ١٨٤٩ | ١٠ +   | ١١٠٠ | ٢٦٤٩ + | ٢٠٨   | ٥٩   |
| ١٦٤٥ | ٦٤٩ +  | ١٢٠٠ | ٤٤٩ -  | ١٦٨   | ١٦٠  |
| ١٧٤١ | ٣٣٤٢ + | ١٦٠٠ | ٣٨٤٣ + | ٢٧٤   | ٦١   |
| ١٧٤٤ | ٢٩٤١ + | ٢٠٦٧ | ٣١٤٥ + | ٣٦٠٤٩ | ٦٣   |
| ١٨٤٩ | ١٠ +   | ٢٢٨٤ | ١٩٤٦ + | ٤٣١٤٧ | ٦٣   |
| ١٥٤٨ | ٢٩ +   | ٢٩٤٠ | ٨٤٢ +  | ٤٦٧٤٢ | ٦٤   |
| ١٤٤٢ | ٢ +    | ٣٠١٢ | ٨٤٢ -  | ٤٢٨٤٩ | ٦٥   |
| ١٢٤٧ | ١٧ -   | ٢٥٠٤ | ٢٥٤٣ - | ٣٢٠٤٤ | ٦٦   |
| ١٣٤٣ | ٢٦ -   | ١٨٦٣ | ٣٢٤٤ - | ٢٤٨٤٧ | ٦٧   |
| ١٥٤٨ | ٤٤ +   | ٢٩٤٥ | ٨٧٤٦ + | ٤٦٦٤٥ | ٦٨   |
| ١٧٤٥ | ١٥ +   | ٣٨٣٢ | ٣٦ +   | ٦٧٣   | ٦٩   |
| ١٥٤٦ | ٦ +    | ٤٦٨٧ | ١٠ +   | ٧٣٥٤٧ | ١٦٧٠ |

المصدر : من ١٩٥٣ إلى ١٩٦١ : كتاب دافيد مورويتز ، اقتصاد إسرائيل ، ص ٢٩ .  
من ١٩٦٢ إلى ١٩٧٠ : التقرير السنوي لبنك إسرائيل ، ١٩٦٧ ، ص ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

ان الاستثمار في القطاع الصناعي ومنحه أهمية كبيرة هو اختيار سياسي . والسؤال الذي لا بد ان نطرحه هو : لمصلحة من يتم الاستثمار في هذا القطاع ؟ لا بد للإجابة على هذا السؤال ان نتعرض للدور الذي تريد إسرائيل ومن هم وراءها أن تلعبه في الشرق الأوسط . فإسرائيل ، هذا الجسم الدخيل في العالم العربي ، قد خلقتها الإمبريالية لتلعب دور الشرطي ولتحافظ على مصالحها في المنطقة . ليس هذا فقط ، فإن ما تريده الإمبريالية هو أن تجعل من إسرائيل « ولايات متحدة » جديدة ، أي ان تلعب الدور نفسه التي تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة لبلدان أمريكا اللاتينية ، وهذا يعني سيطرة إسرائيل على الاقتصاد العربي وافتتاح الأسواق العربية الواسعة أمامها . ولن يتم ذلك الا باستغلال الشعوب العربية وقهرها . ولكي تستطيع إسرائيل ان تلعب هذا الدور لا بد لها ان تبني اقتصادها وان تستعمل التكنولوجيا الحديثة . فبناء الاقتصاد عبر بناء القطاع الصناعي ، وهذا ما يفسر التركيز على الاستثمار في الصناعة . لقد عبرت الطبقة الحاكمة في إسرائيل عن رغبتها في أن تشكل القاعدة الصناعية للمنطقة العربية لكي تستطيع ان تدخل أسواقها دون صعوبة وتهيمن عليها ، ولكن هذا التصنيع لم يكن ممكناً دون المساعدات والرساميل الأجنبية الآتية من الإمبريالية والصهيونية العالمية .

### تركيب الاستثمارات في الصناعة

لكي نستطيع ان نبحث تركيب الاستثمارات لا بد ان نوضح في البداية واقعها ، أي المصادر المتعددة التي تؤمن للصناعة حاجاتها من الرساميل ، ثم ننتقل بعدئذ للدراسة توزيع هذه الاستثمارات على مختلف الفروع الصناعية .

**واقع الاستثمارات :** تبين معرفة مصادر الاستثمارات حجم المساعدات والمنح المتوافرة للصناعات الإسرائيلية . والجدول الثاني يوضح لنا ذلك .



## الجدول الثاني

### توزيع الاستثمارات في العام ١٩٦٩

بملايين الليرات (بالمئة %)

|       |     |   |
|-------|-----|---|
| ٤٦ %  | ٢٩٣ | إعادة استثمار الأرباح وغيرها من استثمارات أصحاب المؤسسات الصناعية |
| ٢٣ %  | ٢٠٦ | قروض من البنك الصناعي للانماء                                     |
| ٥ %   | ٢١  | مساعدات من البنك الصناعي للانماء                                  |
| ١٦ %  | ١٠٠ | استثمارات من بنوك أو مصادر أخرى                                   |
| ١٠٠ % | ٦٢٠ | المجموع   |

المصدر: إسرائيل إكونوميست، نيسان ١٩٧٠، ص ٨٠.

إن إعادة استثمار الأرباح المحققة في القطاع الصناعي لم تبلغ إلا ٤٦ بالمئة (وهي تعادل ٢٩٣ م.ل.) من مجموع الاستثمارات في هذا القطاع، وهذا المبلغ غير كافٍ للتعويض عن استهلاك وتدني القيمة الفعلية لرأس المال. فيجب أن تبلغ ٣٥٠ م.ل. على أساس تقدير استهلاك رأس المال بنسبة ٧ بالمئة من مجموع الاستثمارات (  $٥٠٠ \times ٠.٧ = ٣٥٠$  م.ل.). هذا يبين أن الصناعة لم تستطع وجدها أن تؤمن هذا المبلغ. يبقى إذا  $٣٥٠ - ٢٩٣ = ٥٧$  م.ل. لسد النقص الذي يسببه استهلاك رأس المال ولا يمكن تأمين هذا المبلغ إلا من مصادر خارجية.

إذا أردنا معرفة قيمة الربح نلاحظ التالي: تبلغ أرباح الصناعة المقدرة من مصادر الحكومة الإسرائيلية عام ١٩٦٩: ١٣٠٠ م.ل. وتبلغ الضرائب على هذه الأرباح - ٧٠٠ م.ل. (إن تقدير الحكومة الإسرائيلية لقيمة الأرباح لا تتضمن قيمة استهلاك رأس المال). والربح المتبقى لأصحاب المصانع:  $١٣٠٠ - ٧٠٠ = ٦٠٠$  م.ل. والربح الصافي الذي كان يجب تحقيقه:  $٦٠٠ - ٣٥٠ = ٢٥٠$  م.ل. ولكن ما الذي يحصل في الواقع؟ لم يستثمر أصحاب المؤسسات الصناعية إلا ٢٩٣ م.ل. وليس ٣٥٠ م.ل. فالربح الصافي الذي يحققونه هو إذا:  $٦٠٠ - ٢٩٣ = ٣٠٧$  م.ل. نستنتج من هذا كله أن الـ ٥٧ م.ل. المتأتية من الرأسمال الخارجي (والمعطاة من الحكومة إلى أصحاب المصانع) تدخل إلى جيوب أصحاب المصانع وتوضح مدى أهمية المساعدات والمنح المعطاة إلى المصانع الإسرائيلية.

**الاستثمارات حسب الفروع الصناعية:** تتوزع الاستثمارات في القطاع الصناعي في الفترة ما بين ١٩٦٤ - ٦٧ على النحو المبين في الجدول الثالث:

### الجدول الثالث

#### توزيع الاستثمارات في الصناعة: ١٩٦٤ - ٦٧ (بالمئة %)

| ١٩٦٧ | ١٩٦٦ | ١٩٦٥ | ١٩٦٤ | الفروع                                  |
|------|------|------|------|---|
| ١٤   | ١٣   | ١٥   | ٢٢   | المناجم                                 |
| ١٤   | ١٥   | ١٨   | ١٥   | المواد الغذائية والتبغ                  |
| ١٤   | ١٥   | ١٤   | ١٢   | النسيج والملبوسات والجلد                |
| ٦    | ٦    | ٦    | ٣    | الورق والطباعة                          |
| ٣    | ٥    | ٤    | ٣    | الخشب والتجارة                          |
| ٦    | ٦    | ٧    | ١٠   | المناجم غير المعدنية                    |
| ٥    | ٦    | ٦    | ١٢   | المواد الكيماوية ومشتقات البترول المكرر |

|                          |     |     |     |
|--------------------------|-----|-----|-----|
| المطاط والبلاستيك        | ٨   | ١١  | ١٢  |
| السيارات                 | ٦   | ٥   | ٦   |
| الات والمعدات الكهربائية | ٤   | ٧   | ٦   |
| معدات النقل              | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ |
| المجموع                  |     |     |     |

المصدر : التقرير السنوي لبنك إسرائيل ، ١٩٦٧ ، ص ٢٢٦ .

لن يمكننا هذا الجدول من ان نستوضح تماما سياسة اختيار الاستثمارات في مختلف الفروع الصناعية ، فهو غير كاف لانه لم يتناول الا الفترة الممتدة ما بين ١٩٦٤ - ١٩٧٠ وهي فترة الازمة الاقتصادية ( وهذا ناتج عن عدم وجود احصاءات كافية عن توزيع الاستثمارات في القطاع الصناعي ، وعن فقدانها لفترة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ أي فترة التطور المهم في الاستثمارات ) . يمكننا البحث في اهمية الاستثمارات في بعض الفروع الصناعية بدراسة الاولويات التي تعطيها الحكومة الاسرائيلية لهذه الفروع واهتمامها بها ( انظر في ما بعد ) .

في الفترة ما بين ١٩٦٤ - ٧٠ اعطيت اهمية كبيرة الى الصناعات الاساسية وهي الفروع المعدنية ، الات ، آلات الكهرباء ومعدات النقل . لقد ارتفعت نسبة الاستثمار في هذه الصناعات من ١٨ بالمائة عام ١٩٦٤ الى ٢٤ بالمائة عام ١٩٦٦ والى ٣٣ بالمائة عام ١٩٦٧ . اما نسبة الاستثمارات في المناجم فقد انخفضت من ٢٢ بالمائة عام ١٩٦٤ الى ١٣ بالمائة عام ١٩٦٦ والى ١٤ بالمائة عام ١٩٦٧ .

**من الذي يستثمر في القطاع الصناعي ؟** يحتل القطاع الخاص اكثر فأكثرت اهمية في الاستثمارات الثابتة ، اي الات والمعدات ، فنسبة مشاركته عام ١٩٥٤ بلغت ٥٠ بالمائة من مجموع الاستثمارات ولكن هذه النسبة ارتفعت لتصبح ٥٩ بالمائة عام ١٩٦٦ كما يبين الجدول الرابع .

### الجدول الرابع

الاستثمارات الثابتة : ١٩٥٤ - ٦٦ ( بالمائة % )

|      |      |      |      |      |      |              |
|------|------|------|------|------|------|--------------|
| ١٩٦٦ | ١٩٦٤ | ١٩٦٢ | ١٩٦٠ | ١٩٥٨ | ١٩٥٤ |              |
| ٤١   | ٤٣   | ٤٨   | ٤١   | ٤٥   | ٥٠   | القطاع العام |
| ٥٩   | ٥٧   | ٥٢   | ٥٩   | ٥٥   | ٥٠   | القطاع الخاص |
| ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  | المجموع      |

المصدر : تطور الاقتصاد الإسرائيلي ، ص ١٠٣ .  
Israel Economic Development, Past Progress and Plan for the Future, Jerusalem, March 1968.

ويبين تحقيق تم اخيرا في اسرائيل ان القطاع الخاص يملك ٩٣ بالمائة من المؤسسات الصناعية وهي تشغل ٧٦ بالمائة من اليد العاملة ، وبناء على تقرير من البنك الاسرائيلي ( بنك الدولة ) فان مجموعة مالية تتكون من « بنك ديسكنتو » الشركة المركزية للتجارة والصناعة ، مجموعة ولفسون وبنك ليومي « تتحكم بأكثر من ثلاثة ارباع الإنتاج وان ٩٦ بالمائة من المؤسسات الصناعية المنشأة خلال عشر السنوات الماضية يملكها القطاع الخاص (١) .

(١) اسرائيل اكونوميست ، آذار ١٩٦٧ ، ص ٦٢ .

## سياسة اختيار الاستثمارات والاولويات

**قانون تشجيع الاستثمارات :** أصدرت الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٥٠ قانونا لتنظيم استثمار الرساميل في الاقتصاد . الهدف من هذا القانون المسمى « قانون تشجيع استثمار الرساميل » هو تشجيع استثمار الرساميل « الوطنية » والاجنبية في قطاعات وفروع اقتصادية محددة ، وذلك باعطاء هذه الرساميل بعض الامتيازات . وقد عرف هذا القانون تطورا في الفترة ما بين ١٩٥٠ - ١٩٧٠ اذ اعيد النظر فيه عام ١٩٥٩ وعرف عدة تعديلات حتى اليوم ومنها التعديل الذي جرى عام ١٩٦٧ .

ما الهدف من هذا القانون وما هي المؤسسات الصناعية المستفيدة منه ؟ لكي تستطيع المؤسسات الصناعية الاستفادة من هذا القانون ( الحصول على المساعدات والمنح والاعفاء من الضرائب ) يجب ان تتوافر فيها الشروط التالية : على المؤسسة ان تصدر نسبة مهمة من انتاجها ، ان تكون مقامة داخل « منطقة انماء » محددة من قبل القانون ، او الاثنان معا . وعلى المؤسسة الموجودة في اواسط اسرائيل ان تصدر على الاقل ٥٠ بالمئة من انتاجها اما المؤسسة الموجودة في منطقة النقب في الجنوب والمنطقة الشمالية الشرقية من البلاد وهي التي ترمز لها بالحرف ( ا ) ، والمنطقة التي تقع في جنوبي بئر السبع بقليل وحتى خط يمتد من شمال القدس الى شمال اسدود وهي ما ترمز اليها بحرف ( ب ) فعليها ان تصدر ولكن بنسبة اقل . وقد دعت هذه المؤسسات الصناعية التي تتوافر فيها الشروط المحددة في القانون « المؤسسات المرخص لها » .

ان الهدف من تشجيع المؤسسات التي تصدر انتاجها هو تأمين حاجة اسرائيل للعملة الصعبة ولسد العجز الهام في ميزانها التجاري ، هذا العجز ناتج عن المصاريف والنفقات الضخمة غير المنتجة التي يتطلبها الجيش الاسرائيلي .

وقد امنت التعديلات التي اجريت على القانون عام ١٩٦٩ لجموعة جديدة من المؤسسات الصناعية الاستفادة من بعض الامتيازات والحوافز الممنوحة وقد دعت هذه الفئة الجديدة بالمؤسسات « المعترف بها » . وقد وضعت هذه التعديلات لتنشيط المصانع المنتجة للادوات الحربية ، ولتوسيع هذا الانتاج بتشجيع انشاء مصانع جديدة وذلك لمواجهة حاجة اسرائيل المتزايدة للاعتدة الحربية فضلا عن ان الانتاج المحلي يوفر عليها استيرادها . ومن جهة اخرى تضم المؤسسات « المعترف بها » ايضا مؤسسات صناعية تنتج مواد حيوية للبلاد كانت تستورد من قبل . اذا ليست المؤسسات « المعترف بها » ملزمة بتصدير انتاجها ، لان الهدف من تشجيعها هو من ناحية تأمين تجهيز اسرائيل الحربي لكي تستطيع ان تلعب دورها في المنطقة العربية كقاعدة لامبريالية ومن ناحية اخرى لان انتاج هذه المواد محليا سوف يحقق وفرا في حجم مستورداتها وبالتالي يساهم بتخفيف العجز في الميدان التجاري .

ما هي الامتيازات التي يمنحها القانون ؟ يعطي قانون تشجيع استثمارات رؤوس الاموال امتيازات مهمة للمؤسسات « المرخص لها » و « المعترف بها » . وهي مساعدات وقروض وتخفيضات على الضرائب وتأجيل تحصيل بعض الرسوم .

المساعدات : يوجد عاملان يؤثران في حجم المساعدات الممنوحة : المنطقة التي يوجد فيها المصنع وهي منطقة « ا » و « ب » او مناطق اخرى ، واذا كان الاستثمار يحصل في الآلات وادوات الانتاج او في مواد البناء . فتعطي الاولوية المطلقة للمؤسسات الصناعية التي بالاضافة الى وجودها في منطقة « ا » تستثمر رساميلها في الآلات وادوات الانتاج اذ تحصل على أعلى نسبة من المساعدات ، تليها المؤسسات الصناعية الموجودة في المنطقة « ب » ثم المؤسسات الموجودة في مناطق اخرى من البلاد كما يبين لنا الجدول الخامس :

## الجدول الخامس

### نسبة المساعدات لمجموع الاستثمارات الثابتة ( بالمئة )

| المؤسسة الصناعية  | المؤسسة الصناعية   | المؤسسة الصناعية   | الاستثمارات الثابتة                 |
|---|--|--|-------------------------------------|
| « المرخص لها » والمتواجدة « المرخص لها » والمتواجدة في مناطق أخرى | « المرخص لها » والمتواجدة « المرخص لها » والمتواجدة في منطقة الإنماء «ب» | « المرخص لها » والمتواجدة « المرخص لها » والمتواجدة في منطقة الإنماء «أ» | — الآلات والمعدات                   |
| ٪ ٢٠  | ٪ ٢٥   | ٪ ٣٣٥  | — مواد البناء والتحصين العقاري ٪ ٢٠ |
| ٪ ١٠  | ٪ ١٥   | ٪ ٢٠   |                                     |

المصدر : اسرائيل اكونوميست ، ايار ١٩٦٧ ، ص ١٠٦ .

القروض : القروض المهمة تعطى للمؤسسات الصناعية « المرخص لها » فحجم هذه القروض يزداد اذا كانت مقامة في المناطق التي تعطى الاولوية في الإنماء ، ونلاحظ ان نسبة الفائدة مثلا في منطقة « أ » هي ادنى مما هي عليه في المناطق الأخرى .

## الجدول السادس

### القروض والفائدة ( النسبة المئوية )

| مناطق أخرى | «ب»  | «أ»   | القروض المعطاة بالنسبة للاستثمارات الثابتة            |
|------------|------|-------|---|
| ٪ ٤٥       | ٪ ٥٠ | ٪ ٥٥  | — نسبة الفائدة  |
| ٪ ١٠       | ٪ ٨  | ٪ ٦٥٠ | — مجموع المساعدات والقروض بالنسبة للاستثمارات الثابتة |
| ٪ ٦٠       | ٪ ٧٠ | ٪ ٨٠  |   |

المصدر : اسرائيل اكونوميست ، ايار ١٩٦٧ ، ص ١٠٦ .

التخفيضات على الضريبة : الضرائب التي تطالها التخفيضات هي التالية : ضريبة الدخل والضريبة على الملكية والضرائب غير المباشرة وغيرها من الرسوم : ( ١ ) ضريبة الدخل لا تدفع المؤسسة « المرخص لها » ضريبة الدخل ولكنها تدفع ضريبة على الأرباح المحققة بنسبة ٣٣ بالمئة وذلك مدة ٥ سنوات ابتداء من السنة التي حققت فيها دخلا خاضعا للضريبة . ( ٢ ) الضريبة على الملكية : تستفيد المؤسسة « المرخص لها » من تخفيض بنسبة ثلثي قيمة الضريبة على الملكية مدة ٥ سنوات ابتداء من اتمام بناء المؤسسة — تخفض أيضا لمدة ١٠ سنوات بنسبة سدس قيمة الضريبة على الملكية اذا كانت هذه تضم المعدات وقطع الغيار . ( ٣ ) الضرائب غير المباشرة والرسوم الأخرى : تعفى المؤسسة « المرخص لها » من الرسوم الجبركية والرسم على القيمة المضافة وغيرها من الضرائب غير المباشرة على مواد البناء وعلى أدوات الاستثمار المحتاجة لتجهيز المؤسسات . ولا تلغى هذه الإعفاءات اذا كانت المواد مستوردة من الخارج شرط ان لا تكون موجودة في السوق المحلية .

تأجيل بعض الرسوم : يعطى المشروع « المرخص » مهلة ٥ سنوات لدفع رسوم تسجيل المؤسسة او زيادة رأسمالها او تسجيله .

امتيازات أخرى : يحق للمؤسسة « المرخص لها » ان تعوض عن تدني قيمة رأسمالها بنسبة كبيرة ، وهي تبلغ ضعفي النسبة العادية ، وهذا يتم خلال ٥ سنوات من استعمال الآلات والمعدات والبناء .

الامتيازات التي يعطيها القانون للمؤسسات « المعترف بها » : بخلاف المؤسسات

« المرخص لها » فالمؤسسات « المعترف بها » لا تستفيد من مساعدات بل تمنح لها تخفيضات على الضرائب المباشرة فقط . أما الامتيازات الأخرى التي تخص الرساميل الأجنبية : فلتشجيع استثمار رأس المال الأجنبي ، يسمح القانون للمستثمرين الأجانب بإخراج كل أرباحهم من إسرائيل . ليس هذا فقط بل باستطاعتهم أيضا وبعد فترة من الزمن أن يستردوا الرأسمال المستثمر بكامله .

وقد نص القانون على انشاء جهاز « مركز الاستثمارات » وانيطت به مهمة منح رخص العمل والتخفيضات ، الخ . . . ويقرر « مركز الاستثمارات » المؤلف من ممثلين عن مختلف الوزارات ما اذا كانت الاستثمارات المنوي القيام بها تفيد اقتصاد البلد وبالتالي يمنح القانون هذا « المركز » القدرة على توجيه الاستثمارات الخاصة نحو مشروع اقتصادية محددة .

**الرساميل الأجنبية ومؤتمر المليارد** : يعود حجم الاستثمارات الكبير في القطاع الصناعي ، خصوصا خلال السنوات الأخيرة ، للرساميل الخارجية الضخمة التي تلقته إسرائيل وللتسهيلات التي يمنحها لها « قانون تشجيع استثمار الرساميل » . وتجدر الإشارة هنا إلى المؤتمر الذي عقد في القدس عام ١٩٦٨ بعد نكسة حزيران وضم كبار الرساميليين اليهود وكان من جملة ما قرر استثمار رساميل ضخمة في إسرائيل .

الرساميل الأجنبية : تلعب المؤسسات المصرفية في إسرائيل دورا مهما في توجيه الرأسمال للاستثمار ( بنك ليومسي إسرائيل ، بنك الرهونات العام ، شركة استثمار ليومسي ) . وقد استطاعت هذه المجموعة المصرفية استقدام مبالغ طائلة من الخارج لاستثمارها في الصناعة والبناء والزراعة والسياحة وغيرها من الخدمات كقروض متوسطة وطويلة الأجل .

لا تهدف في هذه الدراسة ان نبحث في تحرك جميع الرساميل نحو إسرائيل وانها تبيان أهمية اثر قانون تشجيع استثمار الرساميل في الاستثمارات الأجنبية . وقد ارتفع حجم الاستثمارات الأجنبية خلال السنتين ١٩٦٩ و ١٩٧٠ بالنسبة لعامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ بمعدل الضعف تقريبا ، فبينما لم تبلغ الس ٢٤٤٨ م . دولار عام ١٩٦٦ و ٢٦٤٦ م . دولار عام ١٩٦٧ ، وصلت الاستثمارات الأجنبية إلى ٤٦ م . دولار عام ١٩٦٩ و ٥٤ م . دولار عام ١٩٧٠ . ان الارتفاع في العامين ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ناتج عن قانون تشجيع الاستثمار . وقد اجري تعديل مهم على القانون عام ١٩٦٧ قدمت بموجبه مساعدة تراوح بين ٢٠ و ٣٣ بالمئة من القيمة المستثمرة في الآلات والمعدات . وعلى الرغم من ارتفاع الاستثمار خلال فترة ١٩٦٩ - ٧٠ فقد ظل منخفضا بالنسبة لفترة ما قبل الحرب ، إذ تقدر الاستثمارات في ذلك الحين بمبلغ ٨٢٤٥ م . دولار عام ١٩٦٦ و ١٥٦٤٧ م . عام ١٩٦٤ ، وهذا ناتج عن الوضع العسكري في المنطقة وعن الوضع الاقتصادي في إسرائيل نفسها ، إذ ان المستثمر يرفض المغامرة برساميله في فترة الحرب ويخشى من تخفيض قيمة الليرة الإسرائيلية في المستقبل .

لذلك نلاحظ ان الاستثمارات الثابتة ( اي بالآلات والمعدات ) اخذت أهمية كبيرة في عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ لان قيمة هذا النوع من الاستثمارات لا تتأثر في حال قرار تخفيض الليرة الإسرائيلية في المستقبل . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يمنح قانون تشجيع الاستثمارات هذا النوع من الاستثمارات الثابتة تسهيلات كبيرة ، فبينما انخفض الاستثمار بالأموال السائلة من ١٢ م . دولار عام ١٩٦٤ إلى مليون دولار عام ١٩٦٨ وإلى ١٢ مليون دولار عام ١٩٧٠ ، ارتفعت الاستثمارات الثابتة وازداد حجمها بالنسبة لمجموع الاستثمارات فبينما كانت ٧ - ٨ بالمئة من هذا المجموع في العامين ١٩٦٤ - ٦٦ وصلت إلى ٧٠ بالمئة عام ١٩٧٠ . ( التقرير السنوي لبنك إسرائيل ، ١٩٧٠ ، ص ٧٣ ) .



أيضا مجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الاقتصاد ، وبلغت ٥١٢،٤١٧ مليون ليرة عام ١٩٦٨ بينما لم تبلغ الا ٢٥٢،٦١٢ مليون ليرة عام ١٩٦٧ واصبح حجمها بالنسبة لمجموع الاستثمارات ٦٤ بالمئة وهي اكبر نسبة عرفتتها ، كما يبين الجدول الثامن :

### الجدول الثامن

| ١٩٦٨                                 | ١٩٦٧    | ١٩٦٦    | ١٩٦٥    |         |
|--------------------------------------|---------|---------|---------|---------|
| ١٠٠٠                                 | ٨٠٠     | ٥٣٤٤١٠٢ | ٤٧٥٤٩٧٢ | ٤٣٧٤٦٤١ |
| مجموع الاستثمارات                    |         |         |         |         |
| « المرخص لها » (بملايين الليرات) (١) |         |         |         |         |
| الاستثمارات « المرخص لها » في        |         |         |         |         |
| القطاع الصناعي (بملايين الليرات) (٢) |         |         |         |         |
| ٥٠٣٤٠٤٢                              | ٥١٢٤٤١٧ | ٢٥٢٦١٢  | ٢٥٥٤٧١٠ | ٢٢٢٤٢٥٢ |
| ٥٠٤٣                                 | ٦٤      | ٤٧٤٢    | ٥٣٤٥    | ٥٠٤٨    |
| نسبة (٢)/(١) ( بالمئة % )            |         |         |         |         |

المصدر : (١) ١٩٦٥ - ٦٦ - ٦٧ : التجارة والصناعة الاسرائيلية ( مجلة صادرة عن وزارة التجارة والصناعة ) ، تموز ١٩٧٠ .

١٩٦٨ - ٦٩ : اسرائيل اكونوميست ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٢٠ .

(٢) ١٩٦٥ - ٦٦ : التجارة والصناعة الاسرائيلية ، نيسان ١٩٦٧ .

١٩٦٧ - ٦٨ - ٦٩ : التجارة والصناعة الاسرائيلية ، تموز ١٩٧٠ .

ولكن ليس حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة هو الذي يقرر وجهة التصنيع وآفاقه في اسرائيل . ان المقياس الوحيد هو الفروع التي تعطى الاولوية في التوظيف ، اي الفروع الاستراتيجية في الاقتصاد . وهذا ما سوف نحاول توضيحه .

**ب - توزيع الاستثمارات « المرخص لها » في القطاع الصناعي :** لمعرفة سياسة التصنيع المتبعة في اسرائيل وتقديرها ، لابد من الاجابة على السؤال التالي : ما الذي يجعل من اسرائيل دولة صناعية ؟ هل الاهتمام بالاستثمارات في فروع الصناعات الغذائية والنسيج ، ام في الفروع الاستراتيجية او الاساسية وهي الفروع المعدنية والكهربائية والكيمياوية ومبركة الالات ؟ مما لا شك فيه ان اهمية الاستثمارات الاخيرة هي التي تقرر مدى قدرة الاقتصاد الاسرائيلي ومناخه ، لان هذه الفروع الاستراتيجية تؤثر في الصناعات الاخرى اذ تتيج لها ان تتطور كما انها تساعد على انشاء صناعات جديدة . لذلك فاهمية هذه الفروع تكمن في انها تفسح المجال امام تصنيع البلد ، فصناعات الطيران مثلا وهي اهم شركة لبناء الطائرات في اسرائيل فسحت مجالات عمل لاكثر من ١٥٠ صناعة اخرى (١) . لهذا اهتم قانون تشجيع الاستثمار بهذا النوع من الاستثمار بمنحه مساعدات وتخفيضات على الضرائب ، الخ . . . فاستفادت الفروع الاساسية « المعدنية والكيمياوية » اذ بلغ حجم الاستثمارات « المرخص لها » في هذين الفرعين ٤٣ بالمئة من مجموع الاستثمارات « المرخص لها » لعام ١٩٦٩ ، بينما لم تبلغ الا ٢٩ بالمئة عام ١٩٦٥ . والجدول التاسع يبين لنا الاستثمارات « المرخص لها » في هذه الفروع .

نلاحظ ان حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع الاساسية تضاعف خلال سنة واحدة اذ بلغ ٦٤٤٥ مليون ليرة عام ١٩٦٥ مقابل ١١١ مليون ليرة عام ١٩٦٦ .

(١) اسرائيل اكونوميست ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٩٣ .

## الجدول التاسع الاستثمارات « المرخص لها »

| بالمئة | ١٩٦٦            |        | ١٩٦٥            |        |                    |
|--------|-----------------|--------|-----------------|--------|--------------------|
|        | بملايين الليرات | بالمئة | بملايين الليرات | بالمئة |                    |
| ٤٣     | ٦٠              | ٢٩     | ١٧              | ٢٩     | الفروع المعدنية    |
| ٥٧     | ٥١              | ٧١     | ٤٧٤٥            | ٧١     | الصناعات الكيماوية |
| ١٠٠    | ١٤٤٤٧١٠         | ١٠٠    | ١٥٧٤٧٥٢         | ١٠٠    | الصناعات الأخرى    |
|        | ٢٥٥٤٧١٠         |        | ٢٢٢٢٢٥٢         |        | المجموع            |

المصدر : التجارة والصناعة الاسرائيلية ( مجلة صادرة عن وزارة التجارة والصناعة ) ، نيسان ١٩٦٧ ، ص ٦ .

إذا وضعنا جانبا الصناعات الكيماوية يتبين لنا أن حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية والآلات والتجهيزات الكهربائية والالكترونية تزداد أهمية ، فقد ارتفع بنسبة ٥٨ بالمئة عام ١٩٦٨ بالنسبة لعام ١٩٦٦ اي من ٨٨٤٢٤٣ مليون ليرة في ١٩٦٦ الى ١٤٠٤٠١١ مليون ليرة في ١٩٦٨ . وبلغ ٢١٠٠٠٩٨ مليون ليرة عام ١٩٦٩ اي بزيادة ٥ بالمئة في سنة واحدة . أما بالنسبة لمجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة ، فكان لهذه الفروع « حصة » كبيرة ، فقد بلغت ٣٤٤٦ بالمئة في ١٩٦٦ و ٤٨٤٤٪ في ١٩٦٧ و ٤٦٪ في ١٩٦٩ ولكنها انخفضت عام ٦٨ الى ٢٧ بالمئة . وهذا يبين مدى الأهمية التي تعطيها اسرائيل لهذه الفروع والتسهيلات الكبيرة بالتالي التي تمنحها للرسمائل التي توظف فيها . ويبين الجدول العاشر حجم هذه الاستثمارات .

### الجدول العاشر

| ١٩٦٦   | ١٩٦٨    | ١٩٦٧    | ١٩٦٦    | (١)                     |
|--|---------|---------|---------|-------------------------|
| الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية والآلات والتجهيزات الكهربائية والالكترونية (بملايين الليرات) |         |         |         |                         |
| ٢١٠٠٠٩٨  | ١٤٠٤٠١١ | ١٢٤٢٣٥٧ | ٨٨٤٢٤٣  | (٢)                     |
| مجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة ( بملايين الليرات )  |         |         |         |                         |
| ٢٥٦٤٦١٧  | ٥١٢٤٤١٧ | ٢٥٢٤٦١٢ | ٢٥٥٤٧١٠ | نسبة (١)/(٢) ( بالمئة ) |
| ٤٦   | ٢٧      | ٤٨٤٤    | ٢٤٤٦    |                         |

المصدر : ١٩٦٦ - ٦٧ - ٦٨ : اسرائيل اكونوميست ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٣٠ .  
١٩٦٩ : التجارة والصناعة الاسرائيلية ، تموز ١٩٧٠ .

لقد تضاعفت الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية وحدها عام ١٩٦٩ بالنسبة لعام ١٩٦٨ إذ ارتفعت من ٣٢٤٥٦ مليون ليرة الى ٦٢٤٦٧٥ مليون ليرة . تضاعفت أيضا في المعدات والتجهيزات الكهربائية : فارتفعت في الفروع المعدنية من ٣٢٤٦٥ ( ١٩٦٨ ) الى ٦٢٤٦٧٥ ( ١٩٦٩ ) وفي التجهيزات الكهربائية من ٣١٤٧١ الى ٦٢٦٩٥ ( بملايين الليرات ) حسب تقارير التجارة والصناعة الاسرائيلية ( تموز ٧٠ ) . يرجع تطور الاستثمارات في الصناعات الاساسية في فترة ما بعد الحرب الى ارتفاع انتاج الادوات الحربية . فمثلا ، ٦٥ بالمئة من انتاج الصناعات الالكترونية تذهب لتأمين



حاجات الجيش الاسرائيلي (١) ، و ٨٠ بالمائة من مجهود صناعة الطائرات تستنفدها عقود مع الجيش (٢) . وفي عام ١٩٧١ اعلن يشعياهو لامي ، مدير عام وزارة الدفاع ، في مؤتمر صحفي ، ان الصناعة المحلية سوف تؤمن ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار من المواد الحربية بينما سيبلغ الاستيراد ٧٠٠ مليون دولار من هذا المواد . تنتج اسرائيل اذن اقل بقليل من نصف حاجاتها للمواد الحربية . واضاف لامي ان الصادرات من المواد الحربية سوف تبلغ هذه السنة ( ١٩٧١ ) ١٦٣٠٣ مليون دولار ، وهذا يعادل ٣٢ بالمائة من مجموع الانتاج الحربي (٣) ، بينما لم تبلغ هذه الصادرات الا ٢٥ مليون دولار فقط عام ١٩٦٧ (٤) اي ان الزيادة بلغت ٦ اضعاف . ومما قاله لامي ايضا ان الصادرات الحربية سوف تصبح ثلاثة اضعاف ما هي عليه الان قبل عام ١٩٧٥ وسوف تخفض الواردات . ان ال ٧٥٠ مليون دولار من المواد وهو حجم الانتاج المحلي لعام ١٩٧٥ سوف يؤمن عملا اضافيا ل ١٠٠٠٠٠٠ عامل ، هذا بينما يبلغ عدد العاملين في الصناعات الحربية الان ٩٠٠٠٠٠ (٥) .

ان الحروب التي شنتها اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى قد سببت نموا في الاقتصاد الاسرائيلي . وهذا الوضع مشابه من بعض وجوهه للتطور الذي حدث في الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الغربية قبل فترة الحرب العالمية الثانية وخلالها . فطبيعة اسرائيل العدوانية ودورها في المنطقة ، كما اوضحنا سابقا ، يجعلانها باستمرار تهتم بتقوية جيشها وتطويره بادخال استناب التكنيك العسكري الحديث ، وهذا ما يفسح مجالات العمل والنمو امام الصناعات الاخرى ويؤمن بالتالي مجالات استخدام جديدة . لقد بلغت نفقات الجيش الاسرائيلي ٤٠ بالمائة من ميزانية الدولة عام ١٩٧١ و ٥٠ بالمائة عام ١٩٧٢ اي ما يعادل ٧ مليارات من الليرات الاسرائيلية من مجموع ١٤ مليارا ونصف المليار لذلك عرفت الاستثمارات في الصناعات الاساسية ازديادا مهما في الفترة التي تلت حرب حزيران .

ومما نلاحظه ايضا اهمية الاستثمارات في الصناعات الكيماوية والدواء ، اذ بلغت ١٠٧٠٤ مليون ليرة عام ١٩٦٨ بينما كانت ٧٠٧٢٧ مليون ليرة عام ١٩٦٧ . كذلك ازدادت الاستثمارات في البلاستيك من ٣٤١٦٠ مليون ليرة عام ١٩٦٧ الى ٢٠٠٢٤٤ مليون ليرة عام ١٩٦٨ .

**التوزيع الجغرافي للاستثمارات « المرخص لها » عام ١٩٦٩ :** كما رأينا من قبل ، يمنح قانون تشجيع الاستثمار امتيازات اكبر للاستثمارات في المنطقة « ١ » تليها المنطقة « ب » ، لذلك فان ٢٥ بالمائة من الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة عام ١٩٦٩ كانت في منطقة « ١ » و ٢٥ بالمائة في منطقة « ب » و ٥٠ بالمائة في وسط اسرائيل . وتأخذ الفروع المعدنية والبلاستيك أهمية كبيرة في منطقة « ١ » اذ تضم ٥٠ بالمائة من المؤسسات « المرخص لها » . وتأتي المساعدات الممنوحة للمؤسسات « المرخص لها » لتؤكد ايضا الأهمية الكبرى لمناطق التنمية . اذ اعطيت لها ( بي ) و « ١ » و « ب » ٤٠ مليون ليرة بينما حصلت المؤسسات الموجودة في وسط اسرائيل على ٦٧ مليون ليرة فقط .

- (١) . شامير : الصناعة الالكترونية في اسرائيل - المؤسسة الدفاعية « كمساعدة لتطور » الصناعة الالكترونية ، في مجلة مؤسسة التضدير الاسرائيلية .
- (٢) لوموند : ١٦ - ١٧ - ١٨ تموز ١٩٧١ ( مقال دومينيك فركيز ) .
- (٣) لوموند : ١٦ - ١٧ - ١٨ تموز ( مقال دومينيك فركيز ) ، ولوموند ٣١ كانون الثاني ١٩٧٢ .
- (٤) اسرائيل اكونوميست ، آذار ١٩٦٧ ، ص ٦٣ .
- (٥) لوموند : ٣١ كانون الثاني ١٩٧٢ .

## الجدول الحادي عشر

الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة حسب الفروع :  
( بالوف الليرات ) ١٩٦٧ - ٦٩

| ١٩٦٦   | ١٩٦٨   | ١٩٦٧   | الفروع                         |
|--------|--------|--------|--------------------------------|
| —      | ٧٥٥    | ٤١٥    | المنساجم                       |
| ٢٩١١٥  | ٤٢٨٢٦  | ١١٨٨٢  | المواد الغذائية                |
| ٢٥٥٠   | ١٦٠١   | —      | صناعة التبريد والتلج           |
| ٤٥٩٩٩  | ٦٢٤١٧  | ٥٣٦٢٤  | التسيج                         |
| ٢٦٧٠٥  | ٤٠٧٢٧  | ٢٠٦٨٦  | المبوسات والجلد                |
| ١٦٠٤٦  | ١٤٣٠٤  | ٢٥٤٥١  | الخشب والمواد الخشبية          |
| ٢٢٢٩٢  | ٢٠٢٤٤  | ٢١٦٠   | الورق والطباعة                 |
| ١٦٢٥٠  | ١٢٦٠٥  | ٤٢٤٦   | انبلاستيك                      |
| ٢٦٤٥٢  | ٢٨١٦٦  | ٢٠٨٦   | المطاط                         |
| ٤٠٢٩٩  | ١٠٧١٠٤ | ٧٧٢٧   | المواد الكيماوية وصناعة الدواء |
| ٨٥     | ٦٧٢٦   | —      | التراب و مواد البناء           |
| ١٢٢٥٤  | ٧٥٩٨   | ٢٢٥٤   | الزجاج والخزف                  |
| ٩٢٦٧٥  | ٢٢٥٦٠  | ٢٦١٩٩  | المعادن                        |
| ٨٢٧٩٢  | ٧٢٢٩٨  | ٦٠٧١٨  | الآلات وآلات النقل             |
| ١٩٢٦   | ٢٥٨٢   | ٢٢٨٠   | آلات التدقيق                   |
| ٦٢٦١٥  | ٢١٤٧١  | ٢٢١٦٠  | المعدات الكهربائية             |
| ٢٩٦٩٦  | ٢٦٢٧٠  | ٦٦١٢   | الصناعات الأخرى                |
| ٥٠٣٠٤٢ | ٥١٢٤١٧ | ٢٥٢٦١٢ | المجموع                        |

المصدر : التجارة والصناعة الاسرائيلية ، توز ١٩٧٠

٤ - الاستثمارات في مجال الدراسات والبحاث : تنفق إسرائيل اموالا طائلة في مجال الابحاث وتمنح مساعدات للمؤسسات التي تعمل في هذا الميدان . بدأ الاهتمام بهذا النشاط منذ عشرات السنين : في عام ١٩٢١ انشأت الحركة الصهيونية مؤسسة فولكان للابحاث الزراعية ، ثم انشأت معهد التخنيون والجامعة العبرية في عام ١٩٢٥ . ثم مؤسسة وايزمان عام ١٩٣٤ . وينصب الاهتمام الان على استقدام مهندسين وفنيين خصوصا من الولايات المتحدة الاميركية ولكن شروط العمل والتمويل الضخمة المتوفرة فيها جعلت القليل يهتمون بالحيء الى إسرائيل . لهذا اهتمت الحكومة عام ١٩٧١ باستقدام خمسة عشر عالما من المع العلماء الاجانب الى إسرائيل اذ قدمت لهم شروط عمل مغرية جدا ، كما وضعت بتصرف كل واحد منهم مساعدا ومعدات يمكن ان تصل قيمتها الى ١٠٠ الف دولار . ويأتي هؤلاء العلماء للعمل في الفروع الاساسية والمتقدمة كالالكترونيك والفيزياء والعلوم الطبيعية . وقد بلغ عدد الباحثين عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ في القطاع المدني ٢٩٠٠ ، اما اليوم فيوجد في إسرائيل نحو خمسة الاف باحث ومهندس يعملون في هذا القطاع . اما عدد الذين يعملون في القطاع الحربي فهو يساوي هذا العدد ان لم يكن اكثر منه . وتتفق إسرائيل واحدا بالثمة من دخلها القومي للبحث والتطوير في القطاع المدني ، وبلغ مجموع ما انفقته ١٨٠ مليون ليرة عام ١٩٧٠ ويأتي ٢٠ بالثمة من هذه المصاريف من الخارج كمساعدات وعقود منها ٢٥ الى ٣٠ مليون ليرة من الولايات المتحدة الاميركية . اذا قارنا هذه الارقام مع مثيلاتها في فرنسا ، نلاحظ ان مصاريف

الدولة الفرنسية للبحث في القطاع المدني يبلغ مليارا من الدولارات خلال عام ١٩٧١ .  
١٠٠٠ ٢١٥٠ باحث ( اي اربعة اضعاف الباحثين الموجودين في اسرائيل فقط ) . بينما لم  
يبلغ القروض للابحاث في القطاع المدني الا ٣٠ مليون دولار خلال عام ١٩٦٢ - ٦٣ ،  
وارتفعت هذه القروض بنسبة ٧٦ بالمائة خلال ٥ سنوات ، وتوزع على ثلاث مجموعات  
من الاستثمار : ١ - الجامعات والمؤسسات الخاصة كمؤسسة ويزمان : ٦٠ بالمائة من  
مجموع الاستثمارات المخصصة للابحاث . ٢ - مؤسسات البحث الحكومية ( مؤسسة  
فولكاني للبحث الزراعي ، مؤسسة بحث المناجم ) : ٢٥ بالمائة من هذه القروض .  
٣ - وحصلت الصناعة مباشرة على ١٤ بالمائة (١) .

ومن جهة اخرى ، تعطي الدولة الاولوية للابحاث الهادفة الى تحسين جهازها الحربي ،  
فتملك وزارة الدفاع عدة مختبرات ضخمة في البلاد وبينها « سلطة تطوير الاسلحة »  
الواقعة في شمال الارض المحتلة . ان الميزانية الرسمية المخصصة للابحاث ذات  
الاهداف الحربية تعادل الميزانية المخصصة للابحاث في المجالات المدنية ولكن فعليا تتجاوز  
هذا المعدل لتصل الى ١٤٥ بالمائة من الدخل القومي (٢) . وفي عام ١٩٧٠ بحثت لجنة خاصة  
مؤلفة من ممثلين عن ادارة البحث الصناعي ووزارة التجارة والصناعة ١٠٧ برامج  
جديدة للبحث والتنمية الصناعية واجازت للجنة هذه البرامج وهي الان في حيز التنفيذ ،  
وقد خصص لهذه الابحاث مبلغا قدره ١٦ مليون ليرة .

تشير دراسة خاصة من الوزارة ان اكثرية المشاريع في البحث الصناعي تتعلق  
بالالكترونيك والادوات العلمية ، والكيمياء وبالادوية . وتجدر الاشارة الى ان الابحاث  
تتناول ايضا تطوير نظام حفظ المعلومات الذي يستخدم في الاجهزة الالكترونية ، وكذلك  
الات الطبية لقياس ضغط الدم ، والالات الكاتبة الخاصة بالذين فقدوا بصرهم وبلغات  
عديدة .

وخلال خمس السنين الاخيرة ارتفعت مساهمات وزارة التجارة والصناعة لتشجيع  
الابحاث في الصناعة ، وقد بلغ عدد البرامج التي قدمت لها مساعدات ٤٥٠ برنامجا في  
الفترة ما بين ١٩٦٦ - ١٩٧٠ ، ويقدر المبلغ الذي تطلبه هذه البرامج بـ ٦٠ مليون ليرة .  
وقد منح نصف هذا المبلغ كمساعدات وامنت النصف الاخر المؤسسات الصناعية .

وتمنح المساعدات لتحويل الابحاث الصناعية ، بعد الموافقة عليها ، لجنة البحث  
التي يرئسها المدير الفني لوزارة التجارة والصناعة ، وتجري اللجنة تقييمها للبحث بعد  
تفحصه من مختلف نواحيه التقنية والعلمية والاقتصادية .

عرفت المؤسسات التي تعمل في البحث والتطوير ازديادا كبيرا خلال اربع السنوات  
الاخيرة : ففي حين كانت عام ١٩٦٦ ست مؤسسات فقد تجاوزت المئة عام ١٩٧٠ .  
ولكن على الرغم من الازدياد المهم للصناعات المعتمدة على البحث والتطوير ، فما زالت  
اسرائيل متخلفة عن البلدان المتقدمة ( الولايات المتحدة الاميركية والمانيا ... ) . ومن  
الصعب ان تجري مقارنة بين اسرائيل والدول الاخرى في هذا المجال لان تكاليف الابحاث  
التي تجري للاغراض الحربية لا تنشر .

٥ - **القروض المصرفية في القطاع الصناعي** : ليس قانون تشجيع الاستثمارات هو  
الوسيلة الوحيدة لتطوير القطاع الصناعي وتوجيهه ، فثمة وسائل اخرى من بينها  
القروض المصرفية التي تلعب هي ايضا دورا في هذا المجال . وقد تميزت السنوات  
العشر الاولى التي اعقبت انشاء اسرائيل بتطور الزراعة ، لذا فقد نال هذا القطاع ما

(١) لوموند ١٦ - ١٧ - ١٨ تموز ١٩٧١ (دومنيك فركيز ) .

(٢) التجارة والصناعة الاسرائيلية ، تشرين الثاني ١٩٦٩ .

يوأزي ربح القروض المصرفية للفترة ١٩٥٤-٥٨. إلا أن هذه النسبة بالمثل انخفضت انخفاضاً كبيراً في الفترة التي تلت ، من ٢٥٤١ بالمائة عام ١٩٥٧ الى ١٥٤٩ بالمائة عام ١٩٦٢ ، وإلى ١٢٤٨٪ عام ١٩٦٥ وإلى ٨٤١٪ عام ١٩٧٠ . وكان القطاع الصناعي هو المستفيد من القروض المصرفية ، إذ ارتفعت حصته من ٢٦٦٧ بالمائة عام ١٩٥٧ الى ٣٥٤٤ بالمائة عام ١٩٦٢ وإلى ٣٨٤٨ بالمائة عام ١٩٦٥ وإلى ٣٦٦٣ بالمائة عام ١٩٧٠ ، أي بمعدل يتعدى ثلث القروض . وإذا حاولنا أن نتبع التغيير الذي طرأ على الحجم الفعلي للقروض المصرفية الممنوحة للزراعة نلاحظ أنها انتقلت من ١٠١٤٤ مليون ليرة عام ١٩٥٧ الى ٢٢٢٤٢ عام ١٩٦٥ وإلى ٥١٥٤٥ مليون ليرة عام ١٩٧٠ ، أما القروض الممنوحة للصناعة وفي الفترة نفسها فقد ارتفعت من ١٠٧٤٩ مليون ليرة إلى ٦٧٤٤٣ وإلى ٢٢٩٤٤٨ مليون ليرة . نسبة هذا الارتفاع لخمس سنوات من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٠ هي ٢٤٠٪ .

### الجدول الثاني عشر

#### اهمية القروض المصرفية في القطاع الصناعي ١٩٥٤ - ١٩٧٠

| نسبة القروض | مجموع القروض للاقتصاد الصناعية الى مجموع القروض (بالمائة٪) | القروض للصناعة (بملايين الليرات) | السنة |
|-------------|--|----------------------------------|-------|
| ٢٢٤٥٪       | ٢٤٣٤٤  | ٥٧٤٣                             | ١٩٥٤  |
| ٢٨٤١        | ٢٧٤٤٨  | ٧٧٤٢                             | ١٩٥٥  |
| ٢٨٤٣        | ٣٢٧٤٥  | ٩٢٤٨                             | ١٩٥٦  |
| ٢٦٦٧        | ٤٠٤٤٣  | ١٠٧٤٩                            | ١٩٥٧  |
| ٢٧٦٧        | ٤٧١٤٨  | ١٢٠٤٥                            | ١٩٥٨  |
| ٢٨٤٤        | ٥٧٥٤٢  | ١٦٣٤٦                            | ١٩٥٩  |
| ٣٠٤٢        | ٧١٠٤٩  | ٢١٤٤٦                            | ١٩٦٠  |
| ٣١٤٤        | ٨٤١٤٤  | ٢٦٤٤٤                            | ١٩٦١  |
| ٣٥٤٤        | ١١٠٧٤٩   | ٣٩٢٤٥                            | ١٩٦٢  |
| ٤١          | ١٢٦٢٤٨   | ٥١٧٤٥                            | ١٩٦٣  |
| ٤٢٤٩        | ١٤٨٢٤٢   | ٦٣٦٤٢                            | ١٩٦٤  |
| ٣٨٤٨        | ١٧٤٣   | ٦٧٤٤٣                            | ١٩٦٥  |
| ٣٦٤٦        | ٢١٣٧٤١   | ٨٤٥٤٧                            | ١٩٦٦  |
| ٣٦          | ٢٧٦٨٤٦   | ٩٩٧٤٧                            | ١٩٦٧  |
| ٣٥٤٢        | ٣٤٧٥٤٤   | ١٢١٩٤٦                           | ١٩٦٨  |
| ٣٥٤٦        | ٥٠٩٢٤٥   | ١٨١٤٤٩                           | ١٩٦٩  |
| ٣٦٤٣        | ٦٣٢٠٤١   | ٢٢٩٤٤٨                           | ١٩٧٠  |

المصدر : التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٦٠ ، ص ٢١٧ ، ١٩٦٥ ، ص ٢٢٧ ، ١٩٦٨ ، ص ٣٤٤ ، ١٩٧٠ ، ص ٣٢١ .

ويساهم المصرف المركزي الاسرائيلي بتنفيذ مخططات الدولة ومشاريعها من خلال تأثيره في القطاع المصرفي ، وبالتالي في السيولة المتوفرة في هذا القطاع ، فهو يوجه قسماً كبيراً من هذه السيولة ليوطنها في القطاعات المختلفة في شكل قروض . وقد تطورت نسبة هذه القروض وتوزيعها انسجانياً مع الاهداف والاولويات الاقتصادية التي تحددتها الدولة ، فنلاحظ ان ٢٤٪ من هذه القروض كانت للقطاع الصناعي عام ١٩٦٠ وقد

ازدادت فبلغت ٥٣٤٣٪ عام ١٩٦٤ و ٦٣٤٣ عام ١٩٦٧ . يدفعنا هذا الازدياد السريع في القروض الى تقدير مدى الاهتمام الذي توليه اسرائيل لتطوير قطاعها الصناعي واهمية المساهمة التي يقدمها المصرف المركزي . فبينما كانت القروض الممنوحة بواسطة المصرف المركزي للقطاع الصناعي ٢٣ بالمائة من مجموع القروض الممنوحة للقطاع نفسه لعام ١٩٦٠ ، بلغت هذه النسبة ٤٠ بالمائة عام ١٩٧٠ . وهذا ما يبينه الجدول الثالث عشر .

### الجدول الثالث عشر

#### القروض المصرفية حسب مصادرها واهميتها في القطاع الصناعي

| ١٩٦٧            |                   | ١٩٦٠            |                   |       |                                   |
|-----------------|-------------------|-----------------|-------------------|-------|-----------------------------------|
| مجموع القروض    | القروض للصناعة    | مجموع القروض    | القروض للصناعة    |       |                                   |
| نسبة القروض (٣) | (بملايين الليرات) | نسبة القروض (١) | (بملايين الليرات) |       |                                   |
| (٤)             | (٤)               | (٢)             | (٢)               | (١)   | (١)                               |
| (بالمائة٪)      | (٤)               | (بالمائة٪)      | (٢)               | (١)   | (١)                               |
| ٪٦٣٤٣           | ٦٤٥٤٢             | ٪٣٠٤٣           | ٤٠٨٤٢             | ٧١٠٤٩ | ٢١٤٤٦                             |
| ٪٢٧٤٢           | ٢٠٨٧٤٦            | ٪٢٤             | ٥٦٨٤٣             | ٢٠٩٤١ | ٥٠٤٨                              |
| ٪٤٠٤٨           | ٦٦٤٩              | ٪٣٠٤٤           | ٢٧٤٣              | ٤٣٦٤٤ | ١٣٢٤٥                             |
| ٪٣٥٤٩           | ٢٧٩٩٤٥            | ٪٤٧٤٨           | ١٠٠٣٠٨            | ٦٥٤   | ٢١٤٣                              |
|                 |                   |                 |                   |       | المجموع                           |
|                 |                   |                 |                   |       | القروض التي يراقبها البنك المركزي |
|                 |                   |                 |                   |       | القروض غير المرابحة               |
|                 |                   |                 |                   |       | القروض المعطاة مقابل ودائع حكومية |

المصدر : التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٦٠ ص ٢١٦ ، ١٩٦٧ ص ٤١٣ .

نتبين من هذه الدراسة الدور الحاسم الذي تلعبه الرساميل الاجنبية في عملية تطوير الاقتصاد ، وبالتالي مدى اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على الخارج . كما نتبين الاهمية الكبرى التي توليها الحكومة للقطاع الصناعي منطلقاً منه كما رأينا لتلعب دوراً رئيسياً في المنطقة العربية ، فكانت الصناعات الاساسية هي المستفيد الأكبر من الرساميل المتدفقة ، فتمت بوتيرة هائلة واستوعبت اليد العاملة الاسرائيلية والعربية ايضاً خصوصاً بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ لحاجتها اليها . فانخرط العمال العرب في غزة والضفة الغربية في عملية الاستثمار والتي اضافت للاستغلال القومي السياسي الذي يتعرضون له استفلالاً رأسمالياً بشعاً .

### علاقات اسرائيل مع دول العالم

( ١٩٦٧ - ١٩٧٠ )

بقلم

شهادة موسى

١٠ ليرات لبنانية

تصاف اليها أجور البريد : ١٥٠ ق.ل. في العالم العربي ،

٣٠٠ ق.ل. في أوروبا ، ٦٠٠ ق.ل. في سائر العالم

اطلبه من : مركز الابحاث ، قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ - بيروت

## سياسة النظام والإزمة الاقتصادية الراهنة في الأردن

حسن الحجة

كان الأردن ولا يزال يفتقد الأسس الأولية لبناء اقتصاد مستقر قائم على قوى إنتاجية محلية متنامية ، واتسم الوضع الاقتصادي بالعجز الدائم في ميزان المدفوعات وميزان التجارة الخارجية ، وبالاعتماد الأساسي على الإنتاج الزراعي والموارد غير المنظورة وخدمات السياحة ومصادر التمويل الأجنبية والعربية لتغطية العجز . ومثلت الصناعة في الأردن الحلقة الأضعف في الاقتصاد الأردني وتمركزت الصناعة بالأساس في قطاعي البناء — الذي غطيت مصادر تمويله بنسبة كبيرة من تحويلات المهاجرين والمغتربين التي ذويهم — والمصنوعات الاستهلاكية الخفيفة . ويعطل القطاع الأول الدورة الصناعية ويجعلها القطاع الثاني قصيرة الأجل . باختصار يعاني الواقع الاقتصادي تاريخياً مجموعة من المشكلات والعوائق الاقتصادية والسياسية أبرزها : ( ١ ) ضعف الزيادة في معدلات التنمية الاقتصادية السنوية : نتيجة لضعف تزايد نمو الإنتاج « الصناعي والزراعي » ومصادر التمويل المحلية ( الادخار المحلي ) ولعدم الاستخدام الأمثل للمواد الأولية والأراضي الزراعية المتاحة ، ولهيمنة رأس المال الفردي الخاص والأجنبي على الاقتصاد ( القطاع الخاص ) ، ولاعتماد الأردن على المساعدات الأميركية في التمويل وإرتباطه بالسوق الأميركية العالية . ( ٢ ) تزايد هروب قوى العمل للخارج وهجر الأيدي العاملة المتخصصة نتيجة لانخفاض مستوى الأجور بالنسبة لتكاليف المعيشة ولتنفسي البطالة بين صفوف الشغيلة والعمال ، والبطالة المقننة بين أفراد الأسرة . ( ٣ ) استيعاب الموازنة العسكرية ومخصصات الانفاق على القوات المسلحة والأمن العام الجزء الأكبر من موازنة الانفاق العامة . ( ٤ ) العجز الدائم لميزان المدفوعات الأردني .

وعلى الرغم من تعدد الخطط الاقتصادية السباعية والخماسية التي وضعتها لجان التخطيط الاقتصادي الأردني ومجالسه إلا أنها لم تستطع تحقيق الأهداف الموضوعية لها وفشلت — باعتراف المسؤولين — في القفز عن أي من العوائق والمشكلات السابقة . وبعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ زادت حدة هذه المشكلات تعقيداً بخسارة الاقتصاد الأردني لقطاعات واسعة من عوامل الإنتاج المحلية ( مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والمواد الخام — قوى العمل — الأسواق المحلية ) بلغت « ٤٠ ٪ من الإنتاج الزراعي و ٢٠ ٪ من الإنتاج الصناعي و ٣٥ ٪ من الانشاءات و ٣١ ٪ من الكهرباء والمياه و ٥٠ ٪ من خدمات النقل و ٤٥ ٪ من التجارة و ٤٠ ٪ من أعمال البنوك والتأمين والصيرفة و ٦٠ ٪ من الخدمات و ٩٠ ٪ من دخل السياحة و ٩٠ ٪ من تحويلات الأردنيين في الخارج » (١) . وخسارة هذا القطاع الواسع في ظل المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها الأردن ، كان من الممكن أن تؤدي إلى الانهيار الكامل لبنين الاقتصاد الأردني ، لولا تدخل مجموعة من العوامل الطارئة التي لعبت دوراً مؤقتاً في إخفاء حدة

الأزمة الاقتصادية أو تخفيفها وأهمها : ● فتح الجسور مع الضفة الغربية واستمرار التجارة بين الضفتين . ● المساعدات المالية العربية المقدمة للاردن بعد مؤتمر الخرطوم . ● مصادر التمويل ومصاريف الاستهلاك التي أغرقت الاقتصاد الأردني بالموارد الأولية الناتجة عن انفاق القوات العسكرية النظامية العربية التي دخلت للاردن بعد حزيران ٦٧ ( القوات العراقية والسعودية ) والقوات الفدائية لمنظمات حركة المقاومة الفلسطينية . هذا بالإضافة للمساعدات المالية النقدية والعينية المرسلة باسم النازحين والمنكوبين من جراء معركة حزيران .

وعملت هذه العوامل الثلاثة على دعم الموارد المالية للميزانية الأردنية وساعدت في المعالجة المؤقتة للمشكلات الاقتصادية إلا أن هذه العوامل ما لبثت أن انتهت بفعل مجموعة جديدة من الأسباب : ( ١ ) استطاعت السياسة الاسرائيلية استغلال الجسور المفتوحة لصالح مصلحتها الاقتصادية وعلى حساب اقتصاديات الضفة الشرقية . ( ٢ ) توقف المساعدات العربية الكويتية والليبية في أعقاب هجمة أيلول الرجعية . ( ٣ ) تحويل موارد البلاد نحو زيادة الانفاق على تسليح الجيش والبوليس ولتسرب الاموال لايدي الطبقة الحاكمة وكبار رجال الإدارة في الحكم . ( ٤ ) هروب رؤوس الاموال الوطنية للخارج نتيجة حالة عدم الاستقرار التي ولذتها سياسات القمع والارهاب ونتيجة اعتماد النظام على الصدقات الامبريالية بحكم تركيئة الطبقة الاتطاعية بديلا عن الطريق الوطني في توزيع ثروات البلاد وتشجيع الصناعات الوطنية والتنسيق الاقتصادي مع القوى الشعبية المواطنة والعربية . ( ٥ ) توجيه الانفاق نحو زيادة الخدمات للقطاع الموالي للحكم من البدو والعشائر .

عطلت مجموعة العوامل الجديدة في ابراز نتائج هزيمة حزيران الاقتصادية والاجتماعية في أعقاب حملة أيلول ١٩٧٠ ولوجد النظام الملكي نفسه أمام واقع اقتصادي متداعي وازمة اقتصادية حادة لا يستطيع ابقائها على الرغم من المساعدات المالية التي قدمها له حلفاؤه الغربيون . وباتت الجماهير الشعبية الأردنية تعاني من ازدياد انتشار البطالة بين العاملين في كل القطاعات ، ومن ارتفاع مستوى المعيشة المتزايد . كما تناقص حجم التجارة الخارجية مع البلاد العربية، التي تمثل المستورد الأساسي للانتاج الأردني . وتبدلت حجم السيولة النقدية لتسرب العملة الى البنوك الاسرائيلية عبر الضفة الغربية . ومن التسريح الكيفي للعمال وتوقف وخسارة العديد من المصانع الرئيسية الانتاجية . لذلك كله نستطيع أن نحصر العوامل الرئيسية التي أدت للازمة الاقتصادية الراهنة بما يلي : العامل الأول : ارتباط الاقتصاد الأردني بصورة متزايدة بالامبريالية العالمية والسيوق الرأسمالية العالمية ، وارتفاع النفقات والإعباء المالية الكبيرة والمتزايدة لتسليح القوات المسلحة . العامل الثاني : الغزو الاقتصادي الاسرائيلي لاسواق الضفة الشرقية نتيجة لسياسة الجسور المفتوحة . العامل الثالث : المقاطعة الاقتصادية العربية وتجميد المساعدات المالية .

**العامل الأول :** على الرغم من ادعاءات وزير المالية الأردني عن زيادة معدل التنمية الاقتصادية في الاردن وعن زيادة الناتج القومي للفرد بمعدل ٤,٧ ٪ عام ١٩٧٢/٧١ (٢) ، إلا أن ذلك لا يدل على تقدم حقيقي لحل الازمة الاقتصادية في البلاد . لان اية خطة للتنمية الاقتصادية تهدف الى زيادة الناتج القومي وتنمية وسائل الانتاج يجب أن تعتمد على الوسائل التمويلية الحقيقية للمجتمع ( رأس المال وتراكمه الواقع تحت تصرف المجتمع فعليا - الادخار القومي ) ، وتتجنب الوسائل التضخمية بطبيعتها ( التمويل الخارجي والقروض الاجنبية ) . إلا أن الوضع على العكس من ذلك تماما في الاردن . فمضمون الاقتصاد الأردني يشكل الادخار المحلي « القومي » حجما صغيرا لا يعتد به حيث لا يؤثر الا بنسبة بسيطة في التنمية الاقتصادية ، ويستعاض عن الادخار المحلي ضمن

التشجيع الاقتصادي الأردني (عادة بتأمين التمويل من الخارج على شكل «مساعداً») و«اعانات» وقروض تمويلية خارجية من الدول الامبريالية وتحديداً من الولايات المتحدة الامريكية . وتمثل هذه الاموال المصدر الرئيسي للموازنة الاردنية وبالتالي المصدر الرئيسي للانفاق . لذا فان الاقتصاد الأردني يعتمد بصورة اساسية على التمويل الامبريالي .

بلغت تقديرات رؤوس الاموال الاجنبية الامبريالية حسب مشروع الموازنة لعام ٧٢/١٩٧٣ ما قيمته ٣٦٤٣٥٠٠٠٠٠ دينار أردني موزعة كالآتي : ٢١٤٤٢٥٠٠٠٠ دينار قيمته المساعدات المالية الامريكية و ١٤٤٩٢٥٠٠٠٠ دينار أردني قيمة القروض والمساعدات الفنية الاقتصادية الخارجية . يمثل هذا المبلغ ما نسبته نحو ٣٠٪ من مجموع الواردات المالية المحتملة بمشروع الموازنة والبالغة قيمته ١٢٤٤٨٦٠٠٠٠ دينار . الا ان هذا المجموع يتضمن في تقديره احتمالات تحصيل المساعدات الكويتية البالغة ٣٢٦٥٦٠٠٠٠٠ دينار المجددة منذ هجمة ايلول والمتوقع حسب التقديرات استمرار توقفها خلال العام القادم كما يتضمن مبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دينار واردة محلية . وبذا تمثل المساعدات الخارجية من الايرادات شبيه مؤكدة التحصيل ما يوازي ٤٠٪ من الايرادات الاجمالية بالاضافة للمعونات السرية غير المنشورة . ولعبت هذه الاموال دوراً هاماً في توجيه الاقتصاد الأردني على امتداد الفترة الماضية ، فقد فرضت الشروط الامبريالية توجيه الانفاق المالي نحو القطاعات غير المنتجة ، والتي لا تزيد من قدرة المجتمع على الانتاج فشكل الانفاق في معظمه مدفوعات ( رواتب الجيش والامن العام وشراء المعدات العسكرية ) - بهدف قمع الحركة الوطنية الفلسطينية الاردنية - حيث بلغت تقديرات مخصصات القوات المسلحة والامن العام والتزامات القروض العسكرية ٤٣٦٥٪ من اجمالي تقديرات الانفاق في مشروع الموازنة ٧٢/١٩٧٣ اي ما قيمته ٥٤٤٤٧٥٠٠٠٠ دينار أردني . كما تم توجيه كامل القروض والمساعدات الفنية الاقتصادية الخارجية والبالغة ١٤٤٩٢٥٠٠٠٠٠ دينار أردني نحو المشاريع الانمائية ( المشاريع غير الانتاجية محطات الاتمار الصناعية ، تجميل مدينة العقبة ، مطار العقبة ، طرق غير زراعية ، المدينة الرياضية .. الخ ) ، وتخصيص مبلغ ٢٦٤٤٢٨٠٠٠٠٠ دينار للخدمات المدنية و ١٨٠٩٧٧٠٠٠٠٠ دينار للتفقات الراسمالية ، و ١٠٠٠٥٥٠٠٠٠٠ للاغاثة والصمود والتعويضات .

ان هذا التوجيه لبنود الانفاق الذي فرضته الامبريالية كان عاملاً مساعداً رئيسياً في تحقيق اهدافها التآمرية ضد الحركة الوطنية من خلال الحكومة الاردنية وادواتها القمعية التي تولت عملية ضرب حركة الجماهير الوطنية وحماية المصالح الامبريالية في البلاد والتآمر على القضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين ، كما كانت عاملاً أساسياً في تحويل المؤسسة العسكرية الاردنية الى مؤسسة اقتصادية كبيرة وبديلة ومنافسة للمؤسسات الانتاجية المحلية . فاستوعبت المؤسسة العسكرية العدد الاكبر من قوى العمل في البلاد وياتت مصدر التمويل شبه الوحيد للعديد من العائلات الاردنية (٤) وارتبط بها قطاع هام من السكان وينسبة كبيرة سكان الريف والبادية . وتحقق الامبريالية هدفاً مزدوجاً في تشجيعها بناء المؤسسة العسكرية الاردنية ، وجهه الاول توفير اداة قمع الحركة الوطنية في الاردن وتمهيد سياساتها في المنطقة بالتالي ، والوجه الاخر الحفاظ على مصالحها واستثماراتها في المناطق المجاورة للاردن ( السعودية واسرائيل ) امام اخطار قيام اي وضع ثوري في الاردن . فالامبريالية الامريكية لا تنظر للاردن كموقع للاستثمارات الامبريالية الكبيرة ، بقدر ما ترى فيه موقعا عسكريا استراتيجيا لحماية مصالحها في المنطقة . ومن هنا يمكن تفسير العناية الزائدة في بناء المؤسسة العسكرية وتزايد الامتيازات المادية والمعنوية وارتفاع رواتب الجيش والامن العام (٥) .



أما المساعدات الخارجية على شكل قروض فقد وضعت البلاد تحت سيطرة الإمبريالية ورحمتها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا . فإمام ضرورة تسديد هذه القروض « الديون » وفي ظل العجز المالي المستمر والمزاييد سنويا كانت الدولة ملزمة بتنفيذ شروط الولايات المتحدة الأمريكية ومتطلباتها السياسية في البلاد لعجزها وعدم قدرتها على السداد عند الاستحقاق . فسداد الديون يتطلب ان يحقق الميزان التجاري فائضا ( أي زيادة قيمة الصادرات وتخفيض قيمة المستوردات ) كي يمكن الوفاء بالالتزامات . وهذا ما لا تستطيع حكومة الأردن تحقيقه لعدة أمور : ( ١ ) سيطرة الدول الإمبريالية الدائنة « صاحبة القروض » على توجيه الإنتاج والتجارة الخارجية . فالدول الإمبريالية تمثل المصدر الرئيسي لمستوردات الأردن قيمة ونوعا . فقد بلغت واردات الأردن من بلدان السوق الرأسمالية العالمية نسبة تتراوح بين ٥٠ - ٦٠ ٪ خلال أربع السنوات السابقة . فقد كانت مستوردات الأردن عام ١٩٦٨ من الولايات المتحدة ٦٤٣٧٠٠٠٠ دينار ، ومن المملكة المتحدة ٧٤١٥٣٦٥٠٠ دينار ، ومن ألمانيا الغربية ٥٦٩٨٧٤١٠٠ دينار ، ومن اليابان ٢٤٨٩٤٤١٠٠ دينار ، ومن إيطاليا ١٦٩٠٢٤٧٠٠ دينار ، ومن فرنسا ١٤٦٢٦٤١٠٠ دينار ، ومن هولندا ١٤٤١٤٤١٠٠ دينار ، ومن الصين الوطنية ١٤٦٣٨٤٦٠٠ دينار أي ما يساوي ٥٠٤٤ ٪ من المجموع العام للمستوردات البالغ ٥٧٤٤٩١٦٧٠٠ دينار . وفي العام ١٩٧٠ كانت النسبة ٥٠ ٪ من المجموع العام إذ بلغت المستوردات من كل بلد من البلدان المذكورة اعلاه بالتوالي : ٧٤٣٨٠٦٥٠٠ دينار ، ٨٤٨١٥٤٩٠٠ دينار ، ٥٦٩١١٦٥٠٠ دينار ، ٣٤٨٦٨٤٧٠٠ دينار ، ٢٤٢٣٥٤٤٠٠ دينار ، ١٤٦٤٨٤٠٠٠ دينار ، ١٤٢٧١٤٧٠٠ دينار ، و ١٤٤٩٦٧٠٠ دينار .

( ٢ ) استمرار العجز في الميزان التجاري الأردني بمعدل متزايد سنويا ، نتيجة لسوء التخطيط الانتاجي للحكومات الأردنية المتعاقبة ، وغياب أي توجيه صناعي لسلع التضدير ، ولعدم استغلال المواد الأولية وقوى العمل المتوفرة في البلاد لبناء صناعات بديلة عن الصناعات المستوردة او صناعات انتاجية جديدة ، فقد بلغ العجز في الميزان التجاري للفترة ما بين السنوات ١٩٦٤ - ١٩٧٠ نسبة متزايدة سنويا تفوق المساعدات الإمبريالية في قيمتها إذ تراوح العجز ما بين ٤٤ - ٥٣ مليون دينار أردني ( الجدول ١ ) .

## الجدول ١

ميزان التجارة الخارجية للفترة ما بين ١٩٦٤ - ١٩٧٠ (٧)

بالدينار الأردني

| العجز التجاري | الصادرات   | المستوردات | السنة |
|---------------|------------|------------|-------|
| ٤٤٤٨٣٠٤٤٠٠    | ٨٤٧٢٨٤٠٠٠  | ٥٣٤٥٥٨٤٤٠٠ | ١٩٦٤  |
| ٤٦٤١٤١٤٠٠٠    | ٦٤٩١١٤٢٠٠  | ٥٦٤٠٥٢٢٠٠  | ١٩٦٥  |
| ٥٧٤٨١٢٤٤٠٠    | ١٠٤٣٩٩٤١٠٠ | ٦٨٤٢١١٤٥٠٠ | ١٩٦٦  |
| ٤٣٤٧٢٠٤٩٠٠    | ١١٤٣٢٦٤٨٠٠ | ٥٥٤٠٤٧٤٧٠٠ | ١٩٦٧  |
| ٤٢٤٢٤٩٤٢٠٠    | ١٤٤٢٦٢٤٥٠٠ | ٥٧٤٤٩١٤٧٠٠ | ١٩٦٨  |
| ٥٣٤٠٠٣٤٢٠٠    | ١٤٤٧٤٨٤٦٠٠ | ٦٧٤٧٥١٤٨٠٠ | ١٩٦٩  |
| ٥٣٤٧١٢٤٢٠٠    | ١٢٤١٦٦٤٨٠٠ | ٦٥٤٨٨٢٤٠٠  | ١٩٧٠  |

( ٣ ) محاولة تسديد الديون عن طريق زيادة الضرائب : يغلب على النظام الضريبي في الأردن الضرائب غير المباشرة « أي زيادة اسعار السلع والخدمات » ، والنوع هذا من الضرائب تتحمله اوسع الطبقات الجماهيرية في الأردن عند الاستهلاك ، ويتحمله بشكل خاص أفراد الطبقات الفقيرة والمتوسطة الدخل والذين إما أن يخفضوا من مستوى

معيشتهم بتقليل شراء السلع أو يغادرون البلاد بحثاً عن العمل ، وكلا التصرفين لا يحدم الصالح العام ولا هدف الحكومة هذا . اما الضرائب المباشرة على الدخل ( الأرباح والشركات ) في ظل الأزمة الاقتصادية الراهنة وغياب التصنيع المحلي وفقدان تشجيع الانتاج الوطني فترفع من مستوى الاعباء والتكاليف الانتاجية مما يعيق التنمية الاقتصادية ويجعل الدولة بحكم نهج تفكيرها الرجعي بحاجة مستمرة للتعويض عن الديون بطلب المزيد من المساعدات الامبريالية والرجعية العربية . للاسباب السابقة تتراكم الديون الخارجية مضافا اليها قيمة الفوائد وهذا يعني انتقال الثروة القومية الى بلد آخر مستقبلا وعند السداد حتى الجزئي .

باختصار يمكن القول ان الاقتصاد الاردني ارتكز بشكل شبه كلي على تدفق الراسمائل والمعونات من الخارج ولم يعد بإمكان الحكومة - في ظل النظام الاقتصادي المتبع - التخلي عن ذلك الا باتباع سياسة وطنية اقتصادية وسياسية وطنية . وهذه فرضية مستحيلة بحكم التركيبة القطاعية - البرجوازية للنظام الاردني ، مما يبقيها باستمرار في وضع تعمي للسوق الامبريالية العالمية، حتى يمكن الحفاظ على مستوى الانفاق المرتفع للاجهزة العسكرية .

ان عدم تشجيع الادخار القومي وهروب راس المال الوطني - نتيجة للحالة السياسية وعدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في البلاد - لاعتماد الاقتصاد على القطاع الخاص واهمال القطاع العام وتوجيه استيراد المواد الأولية من الدول الرأسمالية - بفض النظر عن الاسعار - وعدم اعتماد الحكومات الاردنية سياسة تشجيع الصناعات المحلية وتنمية الزراعة وزيادة انتاجها أدت الى فقدان الثقة بين قوى الانتاج والدولة فربطت الدولة مستقبلها الاقتصادي بالتبعية للسوق الرأسمالية العالمية ومستقبلها السياسي بقوى الامبريالية مما فرض عليها اتخاذ مواقف سياسية مضادة لقضايا الجماهير اليومية فبرزت نتيجة لذلك كله حالة اجتماعية واقتصادية مظهرها الاساسية الاستغلال الكامل لجماهير الشغيلة والعمال وتقييد الحركة الاقتصادية العالية للبلاد . فارتفعت تكاليف المعيشة وانتشرت البطالة وازداد الوضع الاقتصادي تارماً ولم تجد الدولة امامها للخلاص من هذه الازمة الا المزيد من اللجوء لصدقات الامبريالية واعانتها مقابل التنفيذ الكامل لسياسة الدول الامبريالية وبرايمها وشروطها السياسية .

**العامل الثاني :** يغزو الاقتصاد الاسرائيلي تدريجيا اسواق الضفة الشرقية من الاردن ، مستفيدا من التعامل التجاري وحركة مرور البضائع والاموال والافراد والخدمات عبر الجسور المفتوحة بين الضفتين ، مباشرة من خلال اعتماد منتوجات تصدير الضفة الغربية على المواد الأولية والخدمات الاسرائيلية والتي تمثل نسبة عالية من تكاليف الانتاج ، وبشكل غير مباشر عن طريق احلال مستوردات الضفة الغربية من اسرائيل مكان المصدرات للضفة الشرقية بفرض الاستهلاك المحلي .

فبالنسبة لاعتماد منتوجات تصدير الضفة الغربية على المواد الاسرائيلية المنبع والانتاج - واذا ما استثنينا حركة الافراد عبر الجسور المفتوحة وما ينقلونه معهم من النقد والاموال السائلة والتي تمثل مصدرا ايراديا للضفة الغربية يستخدم في عملية التبادل التجاري بين الضفة الغربية واسرائيل - فان المواد الاساسية التي تمر عبر الجسور المفتوحة وتشكل الميزان التجاري بين الضفتين هي البضائع الصناعية والزراعية . ومع ان المنتوجات الزراعية المستوردة من الضفة الغربية لا تحتوي على مواد اولية اسرائيلية في تركيبها الظاهري ، الا أننا لا نستطيع ان نوافق على الحجة الاردنية التي تدعي بان المنتوجات المستوردة من الضفة الغربية ذات تركيبة وتكاليف عربية مئة بالمئة . لان اسعار هذه المنتوجات تتحدد بالاساس في ضوء تكاليف انتاجها . واذا ما حللنا تكاليف انتاج بضائع الضفة الغربية لوجدنا ان نسبة عالية منها مشتراة من الاسواق الاسرائيلية .

بأنواع مختلفة مثل اجرة او استهلاك آلات ، ثمن الأسمدة والمواد الكيماوية ، ثمن تشغيل الطاقة الكهربائية والمائية والبتروولية . . الخ . فإذا علمنا ان اسرائيل تمنع تجار الضفة الغربية من استيراد الآلات الزراعية والصناعية عبر الجسور المفتوحة ( آلات الخراثة والحصاد والدراسة والعصر . . الخ ) ، نستطيع القول ان قيمة استهلاك او اجرة الآلات المستخدمة في الانتاج والتي تحبل المنتوجات بها كجزء من التكاليف تدفع في الاصل الى مالك الآلة او بائعها الاساسي في اسرائيل . كما ان الأسمدة والمواد الكيماوية اللازمة لمعالجة الاناث الزراعية تستوردها الضفة الغربية من اسرائيل ، وكذلك مصادر الطاقة المائية والكهربائية وبشكل أكثر وضوحا البتروولية . انطلاقا من ذلك كله نستطيع ان نؤكد ان جزءا أساسيا من تكلفة الإنتاج الزراعي للضفة الغربية تشتري من رأس المال الإسرائيلي . وفي الانتاج الصناعي تبرز هذه الناحية بشكل اكثر وضوحا . فبالإضافة لتكاليف استهلاك الآلة واجرتها و ثمن الطاقة والادوات الصغيرة « التعليب » فان المواد الأولية تتسرب للسلع الصناعية التجهزة المصدرة للاردن في ظل عدم توافر الخامات الأولية الكافية لمعظم الصناعات في الضفة الغربية ، وإضافة لكل ذلك تدخل في تكاليفها أدوات التغليف الضرورية لحفظها ، كصناعات الزيت واكياس الزيتون وأوراق اللب وصناديق الخشب والحديد التي تحمل بها البضائع . . الخ .

إذا ما استعرضنا المصانع الحالية القائمة في الضفة الغربية والتي تنتج سلع التصدير الصناعي للضفة الشرقية نستطيع ان نبين كيفية تداخل الاقتصاد الإسرائيلي بالمنتوجات التجهزة ، سواء بالمواد الأولية أم الخدمات الأساسية أو المساعدة : ( ١ ) مصنع تغليب البندورة - الخليل : يعتمد على المشتريات التالية من اسرائيل : الصناعات - المواد الكيماوية اللازمة للتغليب - أسمدة انتاج البندورة - طاقة تشغيل الآلات بالإضافة للضرائب المدفوعة للحكومة الإسرائيلية . ( ٢ ) مصانع الزيوت النباتية في نابلس : الصناعات - المواد الكيماوية - الأسمدة - الطاقة - الضرائب . ( ٣ ) صناعة المشروبات الروحية في بيت جالا : الزجاج - المواد الكيماوية - الأسمدة - الطاقة - الضرائب . ( ٤ ) صناعة المفروشات في بيت لحم : الخشب - المواد الكيماوية « الغراء » - الدهان - العدد الصغيرة ( مسامير ، براغي . . الخ ) - الطاقة - الضرائب . ( ٥ ) مصانع النسيج في غزة والضفة الغربية : المواد الخام - الطاقة - الضرائب - والآلات الجديدة . ( ٦ ) مصانع الأحذية في غزة والضفة الغربية : المواد الخام - الطاقة - الضرائب - العدد الصغيرة - المواد الكيماوية . ( ٧ ) مصانع البلاط في غزة والضفة الغربية : الطاقة - المواد الكيماوية - الآلات الجديدة - الضرائب . ( ٨ ) مصنع الشوكلاتة برام الله : سلفانا والمصانع الصغيرة في القدس ونابلس : مواد أولية مستوردة من الخارج عبر اسرائيل ( ككاو - سكر ) - مواد كيماوية - طاقة - ضرائب . ( ٩ ) مصانع الزجاج في الخليل : مواد كيماوية - طاقة - ضرائب . ( ١٠ ) الصناعات التذكارية والسياحية في بيت لحم : مواد كيماوية - ضرائب . ( ١١ ) مصانع البلاستيك في بيت ساحور والقدس : ( وهي أكثر الصناعات تصديرا ليس للضفة الشرقية فقط بل للبلاد العربية كذلك - الكويت مثلا - وأكثر الصناعات اعتمادا على البضائع والخدمات الاسرائيلية ) - الآلات حديثة ومستوردة عبر اسرائيل - المواد الاساسية الأولية الكيماوية وكلها مواد مستوردة من اسرائيل كذلك الطاقة والضرائب وأدوات التغليف . ( ١٢ ) مصانع الادوية في غزة والضفة الغربية : المواد الخام - الطاقة - الضرائب .

ويبقى خارج التعامل التجاري بين الضفتين مصنعان فقط : الاول مصنع التبغ والسجائر في القدس والثاني مصنع المرطبات في نابلس . اما الاول فلاهمية أنتاجه للأسواق الاسرائيلية والثاني لعدم قدرته على منافسة الصناعات المماثلة في الضفة الشرقية .

وأما بالنسبة لغزو الاقتصاد الإسرائيلي لاسواق الضفة الشرقية بشكل غير مباشر عن طريق استيراد الضفة الغربية للمنتوجات الإسرائيلية ذات الصفة الاخلاقية والسيئة المكلمة للمنتوجات المصدرة للضفة الشرقية فتظهر بشكل واضح من خلال تحليل تطور ميزان التجارة بين الضفتين خلال السنوات الثلاث الاولى من الاحتلال .

على الرغم من أن الضفة الغربية مثلت ٤٠ ٪ من الانتاج الزراعي و ٢٠ ٪ من الانتاج الصناعي فقط قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ من مجموع الانتاج الاردني السنوي (٨) الا ان ميزان التجارة الحالي بين الضفتين يميل وياتساع كبير لصالح الضفة الغربية وتتشكل بنوده من منتجات استهلاكية محلية في الضفة الشرقية اكثر منها سلعا تصديرية . فبينما بلغت قيمة ما صدرته الضفة الشرقية للضفة الغربية ٢٤٤٩ مليون ليرة اسرائيلية نجد انها استوردت ما قيمته ٦٩ مليون ل. ا. من الضفة الغربية عام ١٩٦٩ . اي يفوق لصالح الضفة الغربية مقدارها ٤٤٤١ مليون ل. اسرائيلية تساوي نحو ٥٤٥ مليون دينار اردني ( الجدول رقم ٤ ) الا ان الخطورة لا تكمن بالقيمة الاجمالية هذه بل بنوعية السلع المتبادلة بين الضفتين حيث يغلب على سلع الاستيراد من الضفة الغربية السلع الصناعية . فعلى الرغم من سياسة الحكومة في عمان والتي عملت على مركزه اهمية الصناعات الاردنية في الضفة الشرقية وعلى الرغم من ان الضفة الغربية كانت المستهلك الدائم وليس المصدر للصناعات في الضفة الشرقية اجمالا الا اننا نلاحظ ان ميزان التبادل التجاري الصناعي هو في صالح الضفة الغربية بعد ١٩٦٧ . مما قلب موازين حركة تنقل السلع الصناعية لصالح الانتاج الصناعي في الضفة الغربية وبالتالى اسرائيل . ومن هنا باتت اسواق الضفة الشرقية مركزا لتسويق البضائع الصناعية تحت الاسرائيلية مما ساعد على توقف او خسارة العديد من المشاريع المشابهة في الضفة الشرقية كمصانع التريكو والاحذية والزجاج والمنسوجات والصابون في عمان والزرقاء . ان التدقيق في ميزان التجارة بين الضفتين للسنوات ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ والذي يمكن الحصول عليه من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي لعام ١٩٧٠ ( لغيات الاحصاءات الاردنية ) يبين مجموعة من الظواهر والنتائج التالية :

١ - يميل ميزان التجارة لصالح الاراضي العربية المحتلة بعد ٦٧ وبنسبة متزايدة سنويا مما يفسح المجال لتسرب المنتوجات الاسرائيلية لاسواق الضفة الشرقية نتيجة لتداخل المواد الاولية وتكاليف الانتاج الاسرائيلية في سلع الاستيراد الزراعية والصناعية ولان الاراضي العربية المحتلة تستهلك سلعا اسرائيلية بديلة للسلع التي تستوردها الضفة الشرقية خاصة وان الضفة الغربية لا تعتبر بلدا صناعيا بل على العكس من ذلك لا تزال تستورد السلع الصناعية الاولية . فبالنظر لميزان التجارة بينها وبين اسرائيل نجد انها تستورد بالدرجة الاولى المنتوجات الصناعية الاسرائيلية . فمن اجمالي مستوردات الضفة الغربية البالغ ٢٩٥٤٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ هناك ٢٣٦ مليون ل. ا. قيمة المستوردات من اسرائيل منها ١٩٧٤١ مليون ل. ا. سلع وبضائع صناعية (٩) .

٢ - ان اسرائيل تركز على غزو اسواق الضفة الشرقية بالسلع الصناعية عن طريق تشديد القيود على المنتجات الزراعية وتخفيف شروط تصدير المنتجات الصناعية مما ادى الى تزايد تصدير الضفة الغربية الى الضفة الشرقية من البضائع الصناعية من ٢٣٤٢ مليون ل. ا. سنة ١٩٦٨ الى ٣١٤٤ مليون ل. ا. سنة ١٩٦٩ ، وتناقص في تصدير السلع الزراعية من ١٣ مليون ل. ا. عام ٦٨ الى ١٢٤٧ مليون ل. ا. عام ١٩٦٩ ( جدول رقم ٢ ) .

٣ - في الوقت الذي تعتبر فيه اسواق الضفة الشرقية اهم الاسواق لبضائع التصدير في الضفة الغربية فان الاقتصاد الاردني لا يستفيد من اسواق الضفة الغربية تصديرا الا بنسبة ضئيلة لا تتناسب مع القدرة الاستهلاكية للضفة الغربية او حركة الاستيراد منها .

فقد مثلت مستوردات الأراضي المحتلة من الضفة الشرقية للاردن ٨٪ فقط من مجموع المستوردات السنوية في المتوسط . حيث بلغت نسبة المستوردات من الضفة الشرقية ١٤٢٪ ، ٧٦٦٪ ، ٨٤٤٪ فقط في السنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ وشكلت السلع الزراعية الحجم الاكبر من هذه المستوردات فبلغت ٧٣٤٣٪ ، ٦٨٤٢٪ في السنوات ٦٨ ، ٦٩ . وفي المقابل كانت نسبة صادرات الضفة الغربية لاسواق الضفة الشرقية ٥٠٪ من مجموع الصادرات في المتوسط ، فقد بلغت نسبة التصدير ٧٩٤٤٪ ، ٤٦٤١٪ ، ٥٠٤١٪ من كل صادرات الأراضي العربية المحتلة بعد ٦٧ للسنوات نفسها ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ وكانت البضائع الصناعية تمثل الجزء الاكبر منها فبلغت ٥١٤٦٪ ، ٥٧٪ للسنتين ٦٨ ، ١٩٦٩ . ( الجدول رقم ٢ ) . ان عدم التناسب الكبير في حركة التبادل التجاري بين الضفتين يكاد يجعل الاتجار من جانب واحد - استيراد كبير من الضفة الغربية وتصدير قليل القيمة لها » . واذا ما استخرجنا الفرق بين صادرات وواردات الضفة الشرقية مع الضفة الغربية لوجدنا ان العجز يساوي نحو ٢٠٪ من قيمة عجز ميزان التجارة الخارجية الاردني عام ١٩٦٩ حيث بلغ قيمة العجز نحو ٥٣ مليون دينار اردني ( الجدول رقم ١ ) .

٤ - لم تساعد الجسور المفتوحة فقط الاقتصاد الامرائيلي على غزو اسواق الضفة الشرقية بل ونتيجة لتطبيق السياسة الاقتصادية الاسرائيلية لحركة التبادل التجاري عبر الجسور فقد اغلقت في وجه البضائع الصناعية الاساسية الاردنية اسواق الضفة الغربية الواسعة ، فقبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ كانت الضفة الغربية تستهلك ٦٠٪ من انتاج الاسمنت و ٤٠٪ من انتاج البترول والاقمشة وهذه السلع على رأس قائمة المنوعات من اجتياز الجسور . وبدأ تأثرت صناعة الاسمنت والصناعات المكملة (البناء والدهان . . . الخ ) وصناعة الاقمشة بشكل كبير . وكان لعدم قدرة هذه الصناعات على التسويق في الضفة الغربية اثر رئيسي في تعطيل العديد من المصانع في الضفة الشرقية وتوقفها ، فقد ساعد ذلك على اغلاق شركات المقلولة والبناء المذكورة وتسريح عمالها مما ادى الى شيل الدورة الصناعية وانتشار البطالة في الاردن .

## الجدول ٢

### الميزان التجاري لتجارة الأراضي العربية المحتلة مع الضفة الشرقية للاردن

للسنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ (١٠)

(( بملائين الليرات الاسرائيلية ))

| السنة   | البيان                            | التصدير | الاستيراد | فائز التصدير عن الاستيراد |
|---------|-----------------------------------|---------|-----------|---------------------------|
| من ١٩٦٧ | الشهور الاربعة الاخيرة سلع صناعية | ٢٢٤٩    |           |                           |
|         | سلع زراعية                        | ١١٤٧    |           |                           |
|         | المجموع                           | ٢٤٤٦    |           |                           |
| ١٩٦٨    | سلع صناعية                        | ٢٨٤٠    | ٤٤٨       | ٢٣٤٢                      |
|         | سلع زراعية                        | ٢٦٤٢    | ١٣٤٢      | ١٣٠٠                      |
|         | المجموع                           | ٥٤٤٣    | ١٨٤١      | ٣٦٤٢                      |
| ١٩٦٩    | سلع صناعية                        | ٢٩٤٣    | ٧٤٩       | ٢١٤٤                      |
|         | سلع زراعية                        | ٢٩٤٧    | ١٧٤٠      | ١٢٤٧                      |
|         | المجموع                           | ٦٩٤٠    | ٢٤٤٩      | ٤٤٤١                      |

**العامل الثالث :** قطع بعض الدول العربية ( سوريا وليبيا والجزائر ومصر واليمن الديمقراطية ) علاقاتها الاقتصادية مع الأردن ، وأعلن بعضها إغلاق الحدود في وجه التجارة الخارجية الأردنية . كما جمدت كل من الحكومة الليبية والحكومة الكويتية المساعدات المالية التي كانت تدفعها سنويا لدعم الاقتصاد الأردني ، بعد هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، احتجاجا على السياسة التي مارستها السلطات الأردنية ضد الشعب الأردني ، والحركة الوطنية الأردنية وقوى حركة المقاومة الفلسطينية ، وتحديدًا بعد مجازر ايلول ١٩٧٠ ، وأحداث جرش ١٩٧١ . وادى ذلك الى تفاقم الأزمة الاقتصادية وإلى خسارة الاقتصاد الأردني لجزء مهم من موارده أهمها :

اولا : خسارة ميزان التجارة بنسبة تعادل ٣٣٪ من قيمة الصادرات الوطنية العاملة و ٢٥٪ من المستوردات الاجمالية أي ما يعادل ٤٤٪ من مجموع قيمة الصادرات للدول العربية و ٧٥٪ من المستوردات من الدول العربية(١١) . فقد شكلت اسواق الدول العربية المجالات الأساسية الأكثر حيوية لتصريف المنتجات الأردنية من سلع وخدمات . فقد بلغت نسبة الصادرات الأردنية للدول العربية ٦٤٪ ، ٦٧٪ ، ٧٠٪ من مجموع الصادرات و ١٩٪ ، ١٩٪ ، ٢٠٪ من مجموع قيمة المستوردات للسنوات ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٨

### الجدول ٣

التجارة مع أهم الدول العربية للسنوات ١٩٦٦ - ١٩٦٨ - ١٩٧٠ (١٤)

( بالدينار الأردني )

| القطر                                    | ١٩٦٦       |             | ١٩٦٨      |            | ١٩٧٠       |             |
|--|------------|-------------|-----------|------------|------------|-------------|
|  | الصادرات   | المستوردات  | الصادرات  | المستوردات | الصادرات   | المستوردات  |
| مجموع الدول المقاطعة والمتأثرة بالمقاطعة |            |             |           |            |            |             |
| سوريا                                    | ١٤٣.٨٤١٧٦  | ٣٤٣٤٨٤٣٢١   | ٨٦٨٤٢٨    | ٢٤٨٧٤١٦٥   | ١٤٤٧٧٤٥٤٩  | ٣٤١٩١٤٩٢٣   |
| لبنان                                    | ١٤١٤٣٤٤٥٤  | ٣٤٧٧٢٤٩٨    | ١٤٤٢٦٤٨٣٦ | ٤٤٢٣.٤٢٣٦  | ١٤٤٣٣٤٨٤٦  | ٤٤٤.٩٤٠.٦٤  |
| مصر                                      | ٧٨٨        | ١٤٢٨٥٤٠٠٧   | ١٤٤٩٨٩    | ١٤١٢.٠٤١٤٥ | ٢١١٤٤٠٠    | ٢٤.٥٢٤.٥٦   |
| اليمن الديمقراطية                        | ٦٨٨        | ٥٧٤٩٨٦      | ١١٤١٧٥    | ٢٤٤٧١٩     | ١٦٤٦٢٥     | ٢٤٢١٦       |
| الجزائر                                  | ١١١        | ٥١٤٥٥٦      | ٣٢٢       | —          | ٥          | ٤٢٤.٤٠      |
| ليبيا                                    | ٩١١        | ١٩٤         | ٢٧٤٥٣٩    | —          | ١٤٦٩٤      | ٣٥          |
| المجموع                                  | ٢٤٤٥٤٤١٢٨  | ٨٤٥١٦٤.٦٦   | ٢٤٢٤٨٤٩٦٧ | ٨٤٢٢٤٥٥٨٧  | ٣٤١٩٤١١٩   | ١٤٦٩٨٤٣٥٤   |
| الدول الأخرى                             |            |             |           |            |            |             |
| السعودية                                 | ٧٩٤٤٩٢٢    | ٢٤٤٣٦٤٠٠    | ١٤٥٣٩٤٥٩  | ٢٤٦٨٤٩٧٢   | ١٤٢٣٤٤١٣٧  | ٢٤٥٤٢٤١٢٢   |
| العراق                                   | ١٤٢٨٦٦٩١   | ١٤٧٢٧٤١.٦   | ١٤٧٩٦٤٢٨١ | ٣٦٥٤٤٣٣    | ١٤٢١٢٤٢١٩  | ٣٦٩٤٢٧٧     |
| السودان                                  | ٤٤         | ٣٧٣٤٦.٦     | ١٩٤٢٩٥    | ١٣٢٤٥٦٨    | ٤٢         | ٣٢٩٤١٧٨     |
| الكويت                                   | ١٤٠.٧٧٤٦٩٦ | ٢٨٤٢٣٢      | ٢٤٣٨٥٤٩٩  | ٢١٢٤٢٧٢    | ١٤٣١٨٤٣٥٤  | ١٩٤٤٢٢٨     |
| المغرب                                   | ٣          | ١٠.٤٤٧٩     | —         | ١٠.٤٥٠٠    | ٢٠         | ١٤٦٤٩٩٨     |
| مجموع الدول العربية                      | ٥٤٦٤٦٤٢٥٧  | ١٣٤١٨٢٤٣٤٣٤ | ١٤٢١١٤.٣٥ | ١١٤٠٤٣٤٤٧٧ | ٧٤١٧٠.٤٥٧٨ | ١٣٤١٠.٦٤٣٨٦ |
| نسبة الدول العربية للمجموع العام         | ٦٤٪        | ١٩٪         | ٦٧٪       | ١٩٪        | ٧٧٪        | ٢٠٪         |

١٩٧٠ على التوالي . وكان نصيب الدول التي أعلنت المقاطعة والتي تأثرت بالمقاطعة (مثل لبنان) (١٢) ٦٤ ٪ - في الفترة الأولى وانشاء اشترك الحكومة العراقية بقرار المقاطعة - و ٤٤ ٪ حتى حزيران ١٩٧٢ من مجموع الصادرات للدول العربية و ٧٤ ٪ من مجموع المستوردات العربية (١٣) وبنسب أكثر انخفاضاً في الفترة الحالية نتيجة تراجع بعض الدول العربية وتخفيف شروط المقاطعة الاقتصادية (الجدول رقم ٣) . ساهمت خسارة هذا القطاع من التجارة الخارجية بدرجة كبيرة في الأزمة الاقتصادية الراهنة ، وترتب في ضوء ذلك مجموعة من النتائج :

النتيجة الأولى : زيادة قيمة العجز في ميزان التجارة الخارجية وميزان المدفوعات ، والفشل في تحويل الصادرات نحو أسواق جديدة : تركيبة ونوعية السلع الصالحة للتصدير ، تشكل في معظمها من المزروعات الطازجة (خضار وفواكه) ، وتتطلب لتسويقها أسواقاً قريبة وفترة زمنية قصيرة ، مما لا يساعد على تحويل الانتاج الزراعي الى الأسواق الخارجية البعيدة ، إضافة لتوفر سلع بديلة لسلع التصدير في الأسواق الخارجية وضعف قدرة البضائع الأردنية على المنافسة في الأسواق العالمية لارتفاع أسعارها نتيجة لزيادة تكاليف نقلها . ونظرة أولية لأنواع سلع التصدير وقيمتها النقدية تبين لنا الى أي مدى يفقد نظام التصدير القدرة على الحركة والتحول الى خارج أسواقه العادية العربية . فاذا اعتدنا جداول التصنيف السلمي لتجارة الأردن - سوريا (الجدول ٤) والأردن - لبنان (الجدول ٥) فإنا نخرج بالملاحظات التالية :

١- تمثل السلع الصناعية ١٨ ٪ فقط من سلع التصدير لسوريا و ٣١ ٪ من سلع التصدير للبنان . كما أن نوعية السلع الصناعية استهلاكية في غالبيتها اولا ولا تتمتع بأي ميزة احتكارية ثانياً ومن السلع ذات التكاليف المرتفعة للنقل ثالثاً . ولا يمكن ان تتمتع بالأسواق الاجنبية بالاعفاءات الجمركية وشروط التسويق التي نظمتها اتفاقية الترانزيت والتجارة العربية ، مما يولد صعوبات عديدة في تصريفها في الأسواق الخارجية الأخرى .

## ٤ الجدول

التجارة الخارجية حسب السلعة والبلد/سوريا ١٩٧٠ (١٥) و(١٦)

(بالدينار الأردني)

| القيمة     | المنشأ    | القيمة     | المنشأ                      |
|------------|-----------|------------|-----------------------------|
| المستوردات | المنشأ    | المستوردات | المنشأ                      |
| القيمة     | المنشأ    | القيمة     | المنشأ                      |
| المنشأ     | المنشأ    | المنشأ     | المنشأ                      |
| ١٠٥٤٣٢٧    | أبقار     | ٥٣٤٤٦٨     | أدوية الطب البشري           |
| ٦٧٤٤٥١٣    | ضان       | ٣٦٤١٦٥     | الاسمنت                     |
| ٦٥٤٤٦٦٩    | ماعز      | ٣٥٤٧٦٦     | السجائر                     |
| ١٢٤٤٨٣٥    | شعير      | ٣٧٤٣١٦     | زرق كرفيت لاكياس التعبئة    |
| ٢٢٣٤٧٧٦    | منسوجات   | ٢١٤٩٥٨     | جماعات كهربائية ٦ فولت      |
| ١٤٢٩٨٤٧٦٢  | مواد أخرى | ١٩٤٣٩٠     | جلود خام                    |
|            |           | ١٩٤٥٢٩     | مركبات اعلاف واعلاف         |
|            |           | ١١٤٥٨٨     | فوسفات واحجار زملية وصوانية |
|            |           | ٢٠٤٤١٣     | منسوجات وجوارب وصابون       |
|            |           | ٢٥٥٤٥٩٢    | مجموع السلع الصناعية        |

|           |                                   |
|-----------|-----------------------------------|
| ٤٦١٤٩٩٣   | بندورة                            |
| ١٥٥٤٩٠٧   | بافنجان طازج                      |
| ٢٥٥٧٨٢    | فول أخضر                          |
| ١٣٤٦٨٧    | بصل للاكل                         |
| ١٠٤٤٥٧٧   | كوسا طازجة                        |
| ١١٤٠٤٩    | فلفل أخضر                         |
|           | فاصوليا خضراء وزهرة               |
| ٩٤٩٨٣     | وخضروات اخرى                      |
| ٦٩٢٤٩٧٨   | مجموع الخضروات                    |
| ٢٥٠٤٠٨٨   | برتقال                            |
| ٧٣٤٤٠٤    | موز                               |
| ٤٧٤١١١    | ليمون حامض                        |
| ٣٠٤٦٤٠    | بطيخ                              |
| ١١٤٧٥٤    | لوز                               |
|           | مندليينا وكريبرفروت وكلمنتين ولوز |
| ١٥٤٩٨١    | مقشر وبذر يانسون                  |
| ٥٢٨٤٩٧٨   | مجموع الفواكه                     |
| ١٠٦١٢١٢١٢ | مجموع المواد الزراعية             |
| ١٤٤٧٧٤٥٤٩ | المجموع العام                     |

١٤٤٧٧٤٥٤٩

المجموع العام

### الجدول ٥

### التجارة الخارجية حسب السلعة والبلد/لبنان ١٩٧٠ (١٧)

| القيمة    | الصف                          | الصادرات  | القيمة                      | الصف                 |
|-----------|-------------------------------|-----------|-----------------------------|----------------------|
|           | المستوردات                    |           |                             | السلع الصناعية :     |
| ٥٢٢٤١٧٢   | بيض                           | ٢٧٣٤٤٩٣   | نوسفات واحجار رملية وصوانية |                      |
| ٤١٧٤٣٠٣   | بطاطا                         | ١٤٦٤٧٩٨   | جلود خام                    |                      |
| ١٠٩٤٤٩٢   | عنب                           | ٩٤٦٣٨     | جماعات كهربائية ٦ فولت      |                      |
| ٣٧٨٤٨٢٤   | تفاح                          | ٢٤٤٧٣٨    | مواد صناعية اخرى            |                      |
| ٢٧٠٤٧٠٩   | زيوت تشحيم                    | ٤٥٤٤٦٦٧   | مجموع السلع الصناعية        |                      |
| ٢٤٧٠٤٥٥٤  | مواد اخرى                     |           |                             | السلع الزراعية :     |
|           | « اسماك ، ومنتجات مخازن فاخرة |           |                             | بندورة               |
|           | وزجاج وصفائح ومواسير وزجاج    | ٢٠٦٤٧٠٣   |                             | بافنجان طازج         |
|           | طبي واجهزة صحية وكلمنتين      | ٧٣٤٤٥٨    |                             | بصل للاكل            |
|           | واسنت وكبريت ... الخ »        | ١٥٤٧٩٠    |                             | خضروات وفواكه اخرى   |
|           |                               | ٦٨٣٤٢٢٨   |                             | مجموع السلع الزراعية |
|           |                               | ٩٧٤١٧٩    |                             | المجموع العام        |
| ١٤٤٧٧٤٥٤٩ | المجموع العام                 | ١٤٤٣٣٤٨٤٦ |                             |                      |

٢ - السلع الزراعية الطازجة تشكل ٨٢٪ من سلع التصدير لسوريا و ٦٩٪ من سلع التصدير للبنان ، كما ان هذه السلع لا يمكن حفظها بالبرادات لفترة طويلة ( الخضروات )



أولاً ، والفواكه الأردنية عاجزة عن دخول أسواق المنافسة الخارجية لتوفر الفواكه الأكثر جودة وأقل سعراً في هذه الأسواق (منتجات إسبانيا وإيطاليا وإسرائيل . . . ) ، نانياً ، ومصانع تعليب وحفظ المنتجات الزراعية محدودة ، ثالثاً ، مما يؤدي بالنتيجة إلى تلف المزروعات المنتجة ويخلق العوائق أمام تسويقها .

٣ - تتميز السلع المستوردة من الدول العربية بانخفاض الأسعار بالنسبة للأسعار العالمية لتمتعها بالاعفاءات التي نظمتها الاتفاقيات الجماعية والثنائية العربية واتفاقية السوق العربية المشتركة ، وانخفاض تكاليف النقل لقرب المسافة . فاسعار المواشي والحيوانات منخفضة بالنسبة للأسعار العالمية لقربها من المراعي التركية وتوفرها في الجمهورية العربية السورية وتمثل ٤٧٪ من المستوردات من سوريا ( الجدول ٥ ) ، كما تتمتع اسعار البيض والصفائح والزجاج والأسماك والكلس والزيتون والتفاح والعنب المستوردة من لبنان بانخفاض الأسعار وتشكل ٧٥٪ من المستوردات في لبنان ( الجدول ٣ ) . ان التحول نحو استيراد السلع نفسها من الأسواق الخارجية سيؤدي الى ارتفاع اسعارها في الأسواق الأردنية بنفس نسبة ارتفاع تعرفه النقل من الأسواق الخارجية .  
٤ - قيمة الرسوم والاعفاءات الجمركية .

**النتيجة الثانية :** انخفاض الانتاج الزراعي والصناعي ، وخسارة الشركات الصناعية وسيادة البطالة بين العمال :

١ - انخفاض العائد على الانتاج الزراعي لخسارة المزارعين اثمان المنتجات الزراعية المعدة للتصدير للدول العربية بعد تعديل نظام المحاصصة بين الملاكين والمزارعين الذي فرضه كبار ملاكي الأراضي بحيث يتحمل المزارع خسارة مالك الأرض فقد « كان ملاكو الأراضي الزراعية في الاغوار منذ ما قبل عدوان ٦٧ وحتى العام الماضي ١٩٧١ يؤجرون اراضيهم للمزارعين الصغار ( العاملين بالمحاصصة ) بالنسب التالية : الأرض السقي - للملاك ٤٠٪ من الانتاج وللمزارع ٦٠٪ منه - ، الأرض البعل : للملاك ٢٥٪ - ٣٠٪ من الانتاج وللمزارع ٧٠ - ٧٥٪ منه غير ان ملاكي الأرض هذا العام فرضوا نسبة اخرى فأخذوا يتقاضون من الأرض السقي ٥٠٪ من الانتاج ومن الأرض البعل ٤٠٪ من الانتاج » (١٨) . أما ملاكو الأراضي الصغار فقد كثر اقبالهم على بيع اراضيهم والتوقف عن الانتاج والتحول نحو البناء في احسن الاحوال . فنشطت حركة بيع الأراضي وتجارة شركات العقارات . وامتألت الصحف باعلانات الشركات العقارية التي عرضت ببيع مساحات واسعة من **الأراضي الزراعية** وفي مناطق زراعية مختلفة من الأردن ( انظر مثلاً صحيفة الرأي من ٦/٣ - ١٩٧١/٧/٢١ حيث نعثرت على عشرين اعلاناً لبيع الأراضي في مناطق صويلح ، غور كبد ، وادي السير ، ناعور ، ابو علندا ، ماركا ، الحمر ، البقعة ، وادي الضليل ، الفحيص ، اربد ) .

ساهم الانتاج وتغير نظام المحاصصة وبيع الأراضي الزراعية في زيادة حدة الأزمة الاقتصادية على الفئات الشعبية الفقيرة والمحدودة الدخل ، التي انخفض دخلها الحقيقي بارتفاع تكاليف المعيشة مع تناقص الدخل ، وانتشرت البطالة بين صفوف العمال الزراعيين الذين يشكلون نسبة كبيرة من قوى العمل في الأردن .

٢ - انخفاض العائد على رأس مال الشركات الصناعية وتحقيق خسائر كبيرة في موازنتها وتوقف بعضها عن الانتاج :

ان تراكم المخزون وعدم تصريف المنتجات التصديرية الصناعية في اسواق الدول العربية والأراضي العربية المحتلة وارتفاع اسعار المواد الأولية المستوردة من اسواق الاحتكارات الامبريالية أدى الى تحقيق خسائر كبيرة نسبياً في موازنة معظم الشركات الصناعية الكبيرة . فقد اظهرت ميزانية شركة الفوسفات العمومية للسنة المنتهية في

٧١/١٢/٢٨ حسارة مخففة مقدارها ١٧٧٠٠٠٠ ديناراً اردنيا منها ٢٤٠٠٠٠ ديناراً  
 حساباً مرحلة من العام السابق (١٩). والميزانية العمومية لشركة التبغ والسجائر  
 الاردنية للسنة المنتهية في ٣١ كانون الاول ١٩٧٠ ١٩٧٠ ٨٧٤٦٩٩ ديناراً اردنيا (٢٠). أما شركة  
 اللبان الاردنية فقد اظهرت ميزانيتها العمومية المنتهية في ٣١ كانون الاول ١٩٧٠ حساباً  
 محققة مقدارها ٣٧٩١ ديناراً اردنيا (٢١). واحيلت شركة الورق والكرتون الى لجنة  
 الامن الاقتصادي لدراسة اوضاعها المالية المتدهورة (٢٢). وصفت اكبر شركات المقاولات  
 والبناء اعمالها وصرفت اكثر من ٩٠ ٪ من عمالها وتأثرت جميع الشركات  
 المرتبطة بشركات البناء كشركات الدهان « شركة دهان الرصيفة » ومتاجر بيع أدوات  
 البناء والنجارة والاثاث والحدادين يتوقف العمل في شركات المقاولات . وادى ذلك كله  
 بالضرورة الى ازدياد عدد العمال العاطلين عن العمل والمسرحين من العمال الصناعيين  
 والعمال الحرفيين وبالتالي الى انخفاض دخول افراد الطبقة العمالية الفقيرة . فقد بلغ  
 عدد العمال المسرحين من شركة البناء والمقاولات العربية ٤٩٥ عاملاً من اصل ٥٠٠ عامل  
 او في شركة شاهين للمقاولات ٦٦٠ عاملاً من اصل ٧٠٠ عامل ، وفي شركة ريم للمقاولات  
 ٤٨٥ عاملاً من اصل ٥٠٠ عامل ، وفي شركة العماد « مظفر ابو السعود » ٩٨٠ عاملاً  
 من اصل ١٠٠٠ عامل ، وفي شركة دلقا ٣٨٢ عاملاً من اصل ٤٠٠ عامل (٢٣) .

ثانياً : فقدت الموازنة الاردنية جزءاً مهماً من وارداتها المالية نتيجة لتجميد المساعدات  
 العربية لليبية والكويتية والتي تبلغ نحو ٢٦ مليون دينار اردني سنوياً . وساعد ذلك  
 على خلق الازمة المالية والاقتصادية الراهنة التي تعاني منها الاردن . خاصة ان هذه  
 المساعدات كانت تغطي جزءاً كبيراً من بنود الانفاق في الموازنة لا تستطيع الحكومة  
 الاردنية تغطيتها بالواردات المحلية نتيجة لسياستها الاقتصادية غير الوطنية ، مما يؤدي  
 الى زيادة العجز السنوي في الموازنات الاردنية التالية لقرار التجميد .

بناءً على مشروع الموازنة ١٩٧٢/٧٢ تشكل المساعدات الكويتية المجمعة ما قيمته  
 ٣٢٤٥٦٠٠٠٠ دينار اردني وتمثل بذلك ٢٦ ٪ من مجموع بنود الانفاق  
 ولضعف قدرات البلاد الانتاجية ومواردها المحلية عن تغطية قيمة هذا المبلغ - الذي  
 يمكن ان يبقى مجمداً امام استمرار سياسة النظام الاردني الحالية - كما اعترف بذلك  
 وزير المالية الاردني في خطابه امام مجلس النواب في معرض طرحه لمشروع الموازنة  
 ولتوقف المساعدات الليبية بشكل كامل ( الغيت قيمة المساعدات الليبية من مشروع  
 الموازنة ) ، فاننا نستطيع القول ان حالة الانهيار الاقتصادي ستتضاعف وستحاول  
 الحكومة مواجهة الانهيار هذا - كما عودتنا دائماً - بالجوء الى المساعدات الامبريالية  
 مقابل مزيد من الاستسلام لسياسات الامبريالية الامريكية ومخططاتها في المنطقة . . .

- ٦ - كتاب الاحصاء السنوي الاردني - التجارة  
 الخارجية - ١٩٧٠ .
- ٧ - المرجع السابق - التجارة الخارجية -  
 ١٩٧٠ .
- ٨ - فؤاد حمدي بيسو « الآثار الاقتصادية  
 لسياسة الجسور المنفوحة « شؤون فلسطينية » ،  
 العدد ٢ ، ايار ١٩٧١ .
- ٩ - كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي -  
 ١٩٧٠ .
- ١٠ - المرجع السابق .
- ١١ - استخرجت النسب باعتماد النسب المرجحة

- ١ - فؤاد حمدي بيسو « الآثار الاقتصادية  
 لسياسة الجسور المنفوحة « شؤون فلسطينية » ،  
 العدد ٢ ، ايار ١٩٧١ .
- ٢ - الراي ، ١٢/٥/١٩٧٢ « تصريح النيسن  
 العشر وزير المالية الاردني » .
- ٣ - الراي ، ١٩/٥/١٩٧٢ .
- ٤ - حول هذا الموضوع انظر كتاب المقاومة  
 الفلسطينية والنظام الاردني ، مركز الابحاث في  
 م. ت. ف. ، ايلول ١٩٧١ قسم التعبئة في  
 الريف وتشكيل الجيش الشعبي من ١٢٢ .
- ٥ - المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

- ١٥ - المرجع السابق بيان رقم ٥ وبيان رقم ٧ .  
 ١٦ - تم اختيار مبلغ المستوردات التي تزيد  
 قيمتها عن ١٠٠ الف دينار وجمعت ارقام  
 الصادرات التي تقل عن ١٠ الاف في بنود  
 موحدة .  
 ٦٧ - كتاب الاحصاء الاردني السنوي - التجارة  
 الخارجية - ١٩٧٠ بيان رقم ٥ وبيان رقم ٧ .  
 ١٨ - الجواهر « نشرة تصدرها اللجنة المركزية  
 للحزب الشيوعي الاردني » السنة ٢٤ ، العدد  
 ١ - كانون الثاني ١٩٧٢ .  
 ١٩ - الرأي ، ٢٩ ايار ١٩٧٢ .  
 ٢٠ - الرأي ، ٢ حزيران ١٩٧١ .  
 ٢١ - الرأي ، ١٧ حزيران ١٩٧١ .  
 ٢٢ - الوطن « نشرة شهرية تصدرها الجبهة  
 الشعبية الديمقراطية - فرع الاردن » - السنة  
 الاولى - العدد الثاني ١٩٧٢ .  
 ٢٣ - الجواهر « نشرة تصدرها اللجنة المركزية  
 للحزب الشيوعي الاردني » السنة ٢٤ -  
 العدد ١ - كانون الثاني ١٩٧٢ .

- لارغام الصادرات والمستوردات الظاهرة في  
 الميزان التجاري الاردني للسنوات ٦٦ ، ٦٨ ،  
 ١٩٧٠ .  
 ١٢ - لم يعلن لبنان مقاطعته الاقتصادية للاردن ،  
 الا انه تأثر بالمقاطعة السورية التي منعت مرور  
 البضائع التجارية عبر اراضيها ولعدم وجود  
 حدود مشتركة بين لبنان والاردن ولضخامة  
 تكاليف النقل الجوي وقد بلغ تأثر التجارة  
 الخارجية مع لبنان ما نسبته نحو ٧٠٪ من  
 الصادرات اي قيمة الصادرات الزراعية التي  
 توقفت تماما بينما استمر التعامل بـ ٣٠٪ فقط  
 وهي قيمة الصادرات الصناعية التي نصت عليها  
 اتفاقية السوق العربية المشتركة والتي بحكمها  
 لا تتأثر بعض السلع الصناعية « كالفوسفات »  
 بالمقاطعة .  
 ١٣ - اعتمدت النسبة على اساس سنة ١٩٧٠  
 اساس للنسب .  
 ١٤ - كتاب الاحصاء الاردني السنوي - التجارة  
 الخارجية - ١٩٧٠ بيان رقم ١ .

## المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني

دراسة تحليلية لهجمة البلول

بقلم

خليل هندي وغؤاد بوارشي وشحادة موسى

اشراف

الدكتور نبيل علي شعث

من منشورات مركز الابحاث في م. ت. ق.

ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

٥٠٠ صفحة

٨ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي  
 ٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

## لانسكي ولييسكي واستغلال قانون العودة

الدكتور اسعد رزوق

كانت « شؤون فلسطينية » قد طلبت من الدكتور اسعد رزوق استعراض قضيتي لانسكي ولييسكي في اسرائيل بهدف اظهار محاولات استغلال قانون العودة الاسرائيلي من قبل المجرمين والاحتالين . ورغم ان ايا منهما لم يزل ما حاول الحصول عليه بسبب افتضاح قضيتهما بشكل يلحق باسرائيل سمعة سيئة جدا في اوروبا وامريكا ، الا ان مجرد لجوءهما الى اسرائيل واقامتهما كل هذه المدة الطويلة ، دليل على عيوب قانون العودة وعنصريته .

التحرير

تهدف هذه المقالة الى عرض قضيتين متشابهتين الى أبعد حدود التشابه ، لكي تضع كل قضية منهما في اطارها الصهيوني والاسرائيلي الاوسع . ونعني بهاتين القضيتين ما يلي : قضية ماير لانسكي ، الذي تلاحقه السلطات القضائية الامريكية بشتم التهم قبل ان يظهر بصورة مفاجئة في اسرائيل منذ تموز ( يوليو ) ١٩٧٠ - حيث لا يزال مقيما حتى الآن . وقضية رجل الاعمال اليهودي الفرنسي ، كلود لييسكي ، الذي اختفى من فرنسا عقب افتضاح امر النشاطات المالية الاحتيالية التي كان يمارسها عبر شركاته ومؤسساته ، لكي يتبين للسلطات القضائية الفرنسية انه وصل الى اسرائيل بتاريخ ٢٨ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧١ . فالقضية الاولى ما زالت « عالقة » رغم الادانات والاحكام الصادرة بحق بطلها ماير لانسكي ، والسلطات الاسرائيلية لم تتشأ حتى الآن العثور على المسوغات القانونية لتسليم المطلوب الى سلطات بلاده او اخراجه من اسرائيل . كما ان لانسكي لم يتع خياره على اللجوء الى اسرائيل عينا ، بل جاء يحتفي في ظل « قانون العودة » الذي يمنح لكل شخص يهودي الحق في التوطن داخل اسرائيل وفي الحصول على الجنسية الاسرائيلية تحت ستار التأشيرة الممنوحة له بصفة « مهاجر عائد » . والقضية الثانية بقيت عرضة للجدل ، والاخذ والرد ، طيلة الشهور الماضية ، فلم تعمد السلطات القضائية الاسرائيلية الى تسليم كلود لييسكي الا بعد ان سارع مجلس الشيوخ الفرنسي الى ابرام اتفاقية تبادل المجرمين بين فرنسا واسرائيل ، حيث أعيد لييسكي الى باريس في صبيحة الثالث والعشرين من آذار ( مارس ) ١٩٧٢ .

ولا بد لنا ، قبل الانتقال الى عرض الملابس التي احاطت بكل من القضيتين وما زالت تحيط بهما - وتنتظر القضايا المماثلة لهما - من التذكير بمضمون « قانون العودة » الذي اقره الكنيست الاسرائيلي في ٧ تموز ( يوليو ) ١٩٥٠ . فالمعروف ان البند الاول من بنود هذا القانون ينص على انه « يحق لكل يهودي المגיע الى اسرائيل بصفة مهاجر » . ثم يحدد البند التالي طبيعة تلك الهجرة على اساس التأشيرة التي تمنح لكل يهودي يعرب

عن رغبة في التوطن بإسرائيل . على أن يعود لوزير الداخلية أمر البيت بالطلب المقدم شريطة مراعاة الاعتبارات والتحفظات التالية : القيام بنشاط ضد الشعب اليهودي . احتمال تشكيل الخطر على الصحة العامة أو تهديد أمن البلاد وقيامها ، الماضي الاجرامي الذي يمكنه أن يهدد الأمن العام في البلاد (١) .

والخلافاً التي نشبت في اسرائيل بالنسبة لتطبيق القانون المذكور ، وادت بدورها الى قيام ازمات داخلية على صعيد التحالفات السياسية بين شتى الفئات والاحزاب ، كانت تدور في معظمها حول كيفية تفسير الصفات اللازمة لاعتبار الشخص يهوديا من زاوية الدين والقبولية ، على حد سواء . فالجدل المستمر داخل اسرائيل حول تعريف « اليهودي » والاحابة على سؤال « من هو اليهودي ؟ » يمت بصلة وثيقة الى قانون العودة ، مع العلم بأن النص الاصلي للقانون يتحاشى الدخول في مسألة من هذا القبيل . وقد جاءت التعديلات التي اقراها الكنيست بتاريخ العاشر من آذار ( مارس ) ١٩٧٠ على الصيغة الاصلية لقانون العودة - وابان نشوب أزمة متكررة الحدوث حول تعريف اليهودي - لتؤكد على الرابط العضوي بين القانون المذكور والتعريف الاسرائيلي - الصهيوني لـ « من هو اليهودي ؟ » . لذا نكتفي هنا بايراد المسائل التي استحدثتها التعديلات ، وعلى سبيل علاقتها بموضوع مقالتنا ، لا سيما متى علمنا بأن لانسكي تقدم بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية بموجب « قانون العودة » والحق الذي يمنحه هذا القانون لكل يهودي باعتبار نفسه مهاجرا عائدا الى اسرائيل . بينما أكد وزير الداخلية الاسرائيلي بتاريخ ٤ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧١ ان كلود ليبسكي طلب الحصول على الجنسية له ولعائلته بموجب قانون « المهاجرين الجدد » ، لئلا يتعذر عليه ان يستفيد من قانون العودة وخوفا من عدم انطباق المعايير الرسمية لتعريف اليهودي على قضية انتماه هو لليهودية (٢) .

فالمقصود بقانون « المهاجرين الجدد » ليس الا الصيغة المعدلة لقانون العودة منذ اواسط آذار ( مارس ) ١٩٧٠ . والمواد التي جرى تعديلها في معرض التصديق على تعريف قديم - جديد لمن هو اليهودي تدل بوضوح على امرين متلازمين بنظر المنطق الصهيوني لدولة اسرائيل : الامر الاول يتم عن الحرص على استرضاء الفئات والاحزاب المتدينة ، بحيث ينص التعريف « المعدل » على ما يلي : « طبقا لافراض هذا القانون ، ان اليهودي هو المولود من ام يهودية او المهتدي الى الدين اليهودي ، والذي ليس على دين آخر » . لكن الامر الثاني يتجاوز حدود هذا التعريف وشروطه لكي يقدم التسهيلات للمهاجرين الذين يعتبرهم الشرع التلمودي غير يهود اقحاح . فقد أقر الكنيست في الوقت ذاته منح الجنسية الاسرائيلية بصورة آلية وعلى الفور لجميع افراد الاسرة المهاجرة ، وبغض النظر عن يهودية الزوج أو الزوجة (٣) . وهذا ما استند اليه ليبسكي عندما تقدم بطلب للحصول على الجنسية والحيولة دون تسليمه الى السلطات القضائية الفرنسية .

اراء هذه الخلفية السريعة التي يجدر بنا تذكرها في اطار القضيتين ، نستطيع الانتقال الى سرد الحقائق وابرار الوقائع بالنسبة لكل منهما . ولا غرو فان قضية لانسكي او ليبسكي ليست فريدة من نوعها بالنسبة الى احتفاء المطلوبين من العدالة في ظل النص الحرفي لقانون العودة الاسرائيلي ولجؤهم الى الاستفادة من « التسهيلات » والخدمات التي يعرضها القانون المذكور على يهود العالم .

**من هو ماير لانسكي ؟**

مواطن يهودي امركي ، ابصر النور في غرودنو ( ماير سوخوفلانسكي ) من اعمال بولونيا عام ١٩٠٢ ، وهاجر الى الولايات المتحدة لكي تقدر ثروته بعد ٦٩ عاما بما لا يقل عن ٢٠ مليون دولار . اعتبرته مجلة « وول ستريت » بمثابة « العبقرى المالي في عالم

الاجرام» . وسجلته بطاقتات « مكتب التحقيقات الفدرالي » ( اف . بي . اي ) من جانب  
الاعضاء السابقين لاحدى شركات القتل المعروفة بسـ Murder Inc . يبدو من معلومات  
الصحف عنه ؛ ومن اقواله بالذات ؛ ان لانسكي طويل النباع وذو ماض عريق في ميدان  
الجريمة والابتزاز . فالاوساط المقربة منه تطلق عليه ثمنى الالقاب والتسميات : « ماير  
انصفر » ، و « ماير البرغوث » و « جوني اغز » و « موريس ليبرمان » . والرجل الذي  
اختار « ميامي » لاقامته كان من أبرز الزعماء اليهود في عصابة المافيا الذائعة الصيت  
حتى ان مجلة « تايم » الامريكية نقلت عنه في معرض سردها لقصة الغلاف عن « عصابة  
المافيا ضد اميركا » . نأته « الساحر المالي الأكبر » داخل العصابة . ثم علقت على قوله  
« نحن أكبر من شركة الفولاذ الامريكية » ( ١٩٦٦ ) بقولها ان لانسكي اطلق هذا الكلام على  
سبيل التبعج ، بينما هو في الواقع ليتمادى في تواضعه الى درجة الافراط (٤) .

ومما تجدر ملاحظته ان عراقاة لانسكي في عالم الاجرام والنشاطات المحسوبة عليه  
والمنسوبة اليه لم تترك للسلطات القضائية الامريكية فرصة توجيه الاتهامات الى احد  
كبار رجال العصابات او مجال ادانته . فلم يصدر بحق ماير لانسكي طيلة نصف قرن من  
النشاط الاجرامي سوى حكم واحد يقضي بسجنه لمدة ثلاثة اشهر لحيازته على قنبلة  
زمنية . وقبيل اختفائه من اميركا جرى اعتقال لانسكي في آذار ( مارس ) ١٩٧٠ بتهمة  
حيازة المخدرات من دون ترخيص ، ثم اطلق سراحه لقاء كفالة مالية بقيمة ٥٠ الف  
دولار (٥) .

لكن مؤلف سيرة حياة لانسكي — هناك مسيـك — يقدم التفسير التالي لاختراق العدالة  
الامريكية في ملاحقة زعماء العصابات من امثال لانسكي عن طريق لجوئها الى « السلاح  
السري » واتهام هؤلاء بالتهرب من دفع الضرائب والنحائل على دائرة الضريبة والدخل  
يقول مسيـك في كتابه عن لانسكي ما مفاده ان رجل العصابات هو الذي « اكتشف  
ريتشارد نيكسون ، ذلك المحامي الشاب والطموح » . ثم يؤكد بان كافة الاجراءات ضد  
لانسكي قد تم تجديدها ، بعد ان قام الرئيس نيكسون بتعيين ميتشل على رأس وزارة  
العدل الامريكية (٦) . ونحن ننقل هذه المعلومات من مصادرها بدون تعليق ، لكي نلاحظ  
أمرين :

اولا — في ٢٥ آذار ( مارس ) ١٩٧١ ، وبعد انقضاء عدة شهور على وجود لانسكي في  
اسرائيل ، ادين السائح الامريكي باتهامات تتعلق بنشاطات القمار غير المشروع في أوتيل  
فلامنغو بمدينة لاس فيغاس .

ثانيا — أعلن وزير العدل الامريكي بالوكالة ، ريتشارد كلايندينست ، في واشنطن خلال  
الاسبوع الاول من حزيران ( يونيو ) ١٩٧٢ بان محكمة التحقيق في ميامي وجهت الى كل  
من لانسكي ودينو تشليني ( البالغ ٥٧ عاما من العمر ) تهمة تقديم بيانات كاذبة عن  
ضريبة الدخل . وجاء في التبا ان التهمة الموجهة الى الرجلين تتعلق بقبض حوالي ٢٠٠  
الف دولار عن طريق احدى اندية القمار في لندن . كما وردت الاشارة الى اتهام لانسكي  
مرتين سابقتين بالتهمة اياها ؛ التهرب من دفع الضرائب (٧) .

ان هذه الادانات والاتهامات اخذت تتوالى بعد مغادرة لانسكي ومجيئه الى اسرائيل في  
صيف ١٩٧٠ بصفة سائح امريكي يهودي . ولم تتقدم السلطات الامريكية من اسرائيل  
بطلب تسليم لانسكي ، هذا مع العلم بوجود اتفاقية مبرمة بين البلدين لتبادل المجرمين  
كما ان الدوائر المسؤولة في اسرائيل بشخص وزير الداخلية لم تتردد في تجديد اقامته  
لانسكي وتهديدها الا عندما امتنع الوزير يوسف بورغ بتاريخ ٢٩ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧١  
عن تمديد الاقامة للمرة السابعة . أي ان ماير لانسكي تمكن من تجديد اقامته مرات  
طيلة ١٤ شهرا قضاها في اسرائيل منذ دخوله الى البلاد كسائح . والقضية لم تنته عند

هذا الحد ، لان لانسكي بدوره اعرب عن رغبته في التوطن داخل اسرائيل وتقدم بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية . لتتابع هذه القضية من زاوية اخرى بغية تسليط الضوء على الجوانب الصهيونية والاسرائيلية منها .

### السائح « المقيم »

مما لا ريب فيه ان لانسكي لم يتوجه عبثا الى اسرائيل . فقد سبقه الى هناك أحد زعماء المافيا اليهودية في نيويورك جو ستاتشر . ويعرف الجناح اليهودي في عصابة المافيا تحت اسم « كوشير نوسترا » تميزا له عن التسمية الايطالية « كوزا نوسترا » . كما تجدر الإشارة هنا الى الخدمات المالية التي أسداها ماير لانسكي دون تباطؤ أو تقاعس بالنسبة لعمليات جمع التبرعات والاموال من يهود اميركا . فقد جاء في التحقيقات الصحفية التي كتبها المراسلون الغربيون من اسرائيل ان لانسكي « ابان وجوده في اميركا دليل على كونه من الأشخاص الذين دعموا الصندوق القومي اليهودي بكل إخلاص ، ولم تترك تبرعاته مجالا لطلب المزيد . كما انه استجاب على الدوام وفتح حافظة نقوده لطلبات ورغبات شتى المنظمات اليهودية في اسرائيل » (٨) .

ولدى وصول السائح الاميركي لانسكي ترافقه زوجته الثانية الى مطار اللد ، منحتة السلطات تأشيرة اقامة مدتها ثلاثة شهور . فانتقل « صاحب الايدي البيضاء » الى شقة فخمة في أحد الفنادق بمستعمرة هرتزليا ، ثم قام السائح بزيارة لقيور أجداده فوق منحدرات جبل الزيتون بالقدس ، وكأنه يتعمد اعطاء الدليل لمن يهيمه الامر على صدق ولأنه الصهيوني . وسرعان ما أخذ « السائح » يفتش عن منزل للاقامة الدائمة في إحدى ضواحي تل ابيب ، فوقع نظره على شقة في العمارة التي يسكنها وزير المواصلات شمعون بيريز في رامات أفيف . كما بادرت الزوجة الى اقتناء سيارة ثينة ، واستطاع لانسكي ان يشحن ما حملته ست شاحنات من الفيلا الفخمة التي يملكها في ميامي الى اسرائيل .

لكن السلطات الاسرائيلية لم تحرك ساكنا طيلة ١٤ شهرا قضاها لانسكي في البلاد . فقد صدر أمر بالقضاء القبض على لانسكي في اميركا يتعلق بتهمة العاقب القمار الممنوعة ( ربيع ١٩٧١ ) . وانتظر وزير الداخلية الاسرائيلي حتى ٢٩ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧١ لكي يمتنع عن تمديد اقامة الثري الاميركي واليهودي لمرّة سابعة . بينما تسارع لانسكي الى التقدم من جانبه بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية ، في ظل قانون العودة واستنادا الى ماضيه في حقل التبرع المالي لعمليات الجباية اليهودية . ومن الملاحظ ان الاسرائيليين عندما تقول مجلة « دير شبيغل » - تخوفوا لثلاثين عاما لانسكي الى ممارسة اشغاله واعتقاله المعروفة انطلاقا من الشرق الاوسط . فسارعوا الى ابعاد ثلاثة من زملاء لانسكي ينتمون مثله الى عالم الاجرام عقب ظهورهم في تل ابيب بقصد « اجراء مباحثات مع لانسكي تتعلق بالاعمال » . وهؤلاء الثلاثة هم : بنجامين شبيغلبلوم ، برنارد روزا وجاكوب ماركوس (٩) . بينما تفيد ابناء أخرى ان زملاء لانسكي لم يبارحوا مبنى المطار ، بل أعيدوا على متن أول طائرة من حيث أتوا . ومهما يكن الامر ، فان ماير لانسكي لم يبق مكتوف اليدين ازاء امتناع وزير الداخلية عن تمديد اقامته . لابل سبق له في وقت مبكر ان تقدم بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية طمعا في حمل السلطات المسؤولة على الاعتراف بحقه كيهودي في الاستفادة من قانون العودة والاحتفاء خلف النص الحربي للقانون المذكور . وعهد الى تحدي قرآن وزير الداخلية متسلحا بالحق الذي يمنحه قانون العودة لكل شخص يهودي !

### « تسييس » القضية

في مطلع العام ١٩٧١ أشارت الأنباء الصادرة عن اسرائيل الى انهماك السلطات

المسؤولة بالبحث عن بند في قانون العودة يتيح لها فرصة ابتعاد «السناج» الذي يحكم  
يطلب حق التجنس بموجب انتبائه الى اليهودية واستنادا الى خدماته الجلى في حقول  
التبرع والجنباية المالية . لكن بنود القانون لا يسري مفعولها على ماير لانسكي . فهو  
ليس مصابا بمرض يتهدد الصحة العامة ، ولا يشكل خطرا على أمن الدولة . وعندما  
اقتدمت احدى الصحف الاسرائيلية (يديعوت احرانوت) على نشر سلسلة من المقالات  
عن لانسكي وماضيه الاجرامي ، وجد الهارب من قبضة العدالة فرصته الذهبية لرفع  
دعوى ضد الصحيفة مطالبا اياها بتعويض قدره مليون ليرة اسرائيلية لانها « مرغت  
سمعته الطيبة في الوحل ، واخذ الكثيرون منذ ذلك الحين يشبهون به » (١٠) . فجاء رد  
الصحيفة يؤكد للمحكمة ان الدعوى التي تقدم بها لانسكي تنطوي على السخف ، لان  
سمعته سيئة بمعزل عن المقالات ولا يعقل ان تؤدي المقالات الى الحاق السوء بها .

بيد ان الدافع وراء دعوى لانسكي على صحيفة « يديعوت » ليس تغريمها بقدر ما هو  
« تنظيف سجل » الرجل عن طريق محكمة اسرائيلية ، لكي يتسنى له الحصول على  
تمديد اقامته بواسطة وزارة الداخلية . فقد ظهر لانسكي في مقابلة تلفزيونية ليزعم انه  
« ضحية حملة تشن ضده » . واعلن ان هذه الحملة يرجع تاريخها الى عشر سنوات ،  
اذ شنها عليه الصحفيون الامريكويون ، وتحولت فيما بعد الى حملة تشهر واسعه  
النطاق . ثم قال « . . . ولا أدري الى اي حد سوف يصل هذا الامر » (١١) . وادعى انه  
« ضحية المناورات السياسية » . كل ذلك في سبيل اقتناع المترددين بوجود منحه  
الجنسية الاسرائيلية ، واخذ تبرعاته السخية للصناديق والمنظمات اليهودية بعين  
الاعتبار . ولم يكتف لانسكي بهذا القدر ، بل رفع قضية ضد وزارة الداخلية للحيلولة  
دون ابعاده ، واوكل امر الدعوى الى واحد من كبار المحامين في اسرائيل ، يورام  
آلروي (١٢) .

وسرعان ما تمكن الثري الامريكوي الذي جاء يحتمي بقانون العودة من استقطاب بعض  
الآراء المؤيدة لدعواه . فالانبياء الواردة في اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ تقول ان وزير  
المالية - سابير - ووزير العدل - شابيرا - يضعان بثقلهما للحيلولة دون الاعتراف  
بكون لانسكي من فئة المهاجرين العائدين . وتؤكد ان وزير الداخلية الاسرائيلي - يوسف  
بورغ - انصاع لرغبة الزميلين وتمسك بموقفه المتصلب . لكن الاوساط المؤيدة لبقاء  
لانسكي سارعت بدورها الى تقديم التغطية اللازمة . فعمد الكاتب الساخر ، افرايم  
كيشون ، الى التعليق حول الموضوع في زاويته الاسبوعية بصحيفة « معاريف » مؤكدا  
ان ما قاله وزير العدل عن « انعدام الرغبة في تجميع حثالة اليهود داخل اسرائيل » هو  
امر يدحضه الواقع تماما . واثار الى ان التجميع غير المرغوب فيه قد حصل ، ثم راج  
يتحدث عن ازدهار الاجرام في اسرائيل ، مؤكدا للقراء ما يلي : « ان ماير لانسكي لا  
يستطيع البقاء داخل البلاد ، بسبب ما يشاع عن ماضيه السلبي . بينما يزدهر الاجرام  
المنظم في تل ابيب على الاقل » . وانتهى كيشون الى القول : « هل يعقل وجود عضو  
سابق للمافيا بين ظهرانييننا ؟ ان خبساء الكسب السريع يرفعون انظارهم  
ضوب السماء ، واسياد الرشوة في حوض البحر المتوسط يلوحون بسبابتهم محفرين  
والدمنون على تعاطي الحشيش اصبوا بصدمة مذهلة ، والحكومة تطلق الصوت من  
عليانها قبالة : يجب علينا تفسير قانون العودة وفقا لنصه الخرفي الدقيق » (١٣) .

ويبدو ان كيشون لم يرفع لواء الدفاع عن لانسكي بمفرده . اذ سرعان ما تبين ان الدعوى  
التي تقدم بها محامي الرجل لها حظ وافر بالنجاح . ففي تشرين الاول (نوفمبر) كانت  
الحكومة الاسرائيلية على استعداد لحمل الكنيست على استصدار تشريع خاص  
بمثابة « قانون لانسكي » (Lex Lansky) ، بقصد الحيلولة دون « توافد المجرمين في يوم  
من الايام من كافة انحاء العالم على دولة اسرائيل » (١٤) (دير شبيغل ، ١١/١٠/٧١)



معنى ذلك : السكوت عن بقاء لانسكي بحجة استصدار التشريع الكفيل بعدم اتخاذ هذه القضية كسابقة قانونية ، والسحاح لزعيم الاجرام المنظم بتقديره المزيدي من التبرعات والأموال ، وربما افساح المجال أمام توظيف أمواله والاستفادة من خدماته — دون ان يتناقى ذلك مع منطوق قانون العودة الاسرائيلي — الصهيوني .

بالادانة التي صدرت مؤخرا بحق ماير لانسكي في الاسبوع الاول من حزيران ( يونيو ) ١٩٧٢ لم تدفع السلطات الامريكية حتى الان الى المطالبة بتسليمه عملا بنصوص اتفاقية تبادل المجرمين بين اسرائيل والولايات المتحدة . ومما لا ريب فيه ان لانسكي قد استطاع خلال المدة التي انقضت على اقامته « السياحية » في اسرائيل ان يستقطب العديد من القوى وأصحاب النفوذ الى جانبه ، فضلا عن التذكير به له من « ايداء مالية بيضاء » على الصناديق القومية اليهودية .

لننتقل من لانسكي الى قضية ليبسكي ، التي شغلت السلطات القضائية الفرنسية طيلة الشهور الماضية ، وانتهت باحراج المسؤولين الاسرائيليين وحملهم على تسليم الرجل المطلوب الى سلطات بلاده .

### ليبسكي يقضي الاثر

مما ان شعر كلود ليبسكي — وهو المدير المالي لشركة عقارية فرنسية تدعى — "Patrimoine Foncier" — بأن القضاء الفرنسي على ووشك اصدار مذكرة توقيف بحق ، حتى يبادر الى الاختفاء لكي يتبين للسلطات الباحثة عنه ان الهارب قد التجأ الى اسرائيل منذ ٢٨ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧١ . والمعروف ان التهمة الموجهة ضد كلود ليبسكي تتعلق بالاحتيال واساءة الامانة . كما يستفاد من التحقيقات التي تابعت صحيفة « لوموند » نشرها منذ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧١ وحتى اواخر شهر آذار ( مارس ) ١٩٧٢ ، بأن الشركة العقارية التي يدير اعمالها المالية كلود ليبسكي ليست سوى واحدة بين مجموعة من الشركات التي تمارس مختلف الاعمال والنشاطات وتخضع كلها لادارة الرجل الهارب من وجه العدالة . والشركة ذاتها — كما كشفت التحقيقات — مسؤولة عن اختلاسات مالية تصل الى حدود الملايين وتلحق الضرر بما لا يقل عن ٨ آلاف شخص من المكتتبين في أسهمها . ثم أخذت القضية تتسع وتتشعب حتى بلغ نطاق القضية حدودا تفوق التصور .

وتبين في معرض المراجعة لنشاطات ليبسكي وصفقاته المالية — على حد قول « لوموند » — انه ابتاع كميات كبيرة من مخلفات الجيش الفرنسي بعد حرب الجزائر لكي يقوم ببيعها الى كل من الجمهورية العربية المتحدة والاردن وليبيا وسوريا ويوغوسلافيا والارجنتين أو البرتغال (١٥) لكن الامر الذي يعنينا من زاوية هذه المقالة يتعلق بكيفية اقدام ليبسكي على الاستفادة بدوره من القوانين الاسرائيلية التي تفسح المجال أمام يهود العالم للحصول على الجنسية والتخلص من الملاحقات القضائية في الخارج . فقد التجأ ليبسكي الى أحد أصدقائه الاسرائيليين في عسقلان ، حيث يملك مضيفه معملا لصنع الكراسي . وفي ١٢ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧١ ادلى بتصريح الى صحيفة « هارتس » زاعما فيه بانه على اقتناع لوقوع ضحية العداء للسامية (١٦) . أما السبب الذي حدا به الى اتهام السلطات القضائية التي تلاحقه بجرائم الاحتيال المالي وسوء الامانة فلا يعدو كونه محاولة للاستنجاد بقانون العودة تحت ستار الزعم بان الملاحقة تنم عن العداء لانتماه اليهودي وبذلك يتسنى له طلب الجنسية الاسرائيلية والتمتع بالحماية والاطمئنة الدائمة . كما انه يستطيع الاحتماء بالقانون الاسرائيلي الذي ينص على ما يلي : « لا يمكن تسليم اي شخص ( لسلطات بلاده ) متى توافرت اسباب وجيهة تحمل على الاعتقاد بانه سوف يحاكم على آرائه أو بسبب انتماه العرقي أو الديني » (١٧) .

وعندما أحس المدافعون عن ليبسكي بسخف الذريعة التي لجأ إليها ، أدانهم المخابرات الفرنسية بملاحقته على صعيد العداء للسامية ، عمدوا إلى التخفيف من هذه الملاحقة واتهام الصحف بتحريف التصريحات وتفسيرها على محمل الخطأ . كما بادر ليبسكي إلى الإعلان بقوله : « أنا لا اعتقد بأن البوليس الفرنسي يجمل العداء للسامية » . وانجبت الأنظار إلى الاستعانة بمواد قانون المهاجرين الجدد ، طمعا بالحيلولة دون تطبيق المقاييس الدينية الصارمة على كلود ليبسكي بغية التأكد من يهوديته وفقا للتعريف الرسمي .

لقد زعمت السلطات الإسرائيلية ، مثلا ، أن مذكرة التوقيف الصادرة بحق ليبسكي في فرنسا تحمل تاريخ ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ ، وأن الرجل وصل إلى إسرائيل في ٢٩ منه ، قبل أن يتم تبليغها الأمر عن طريق الانتربول . وحين تأكد للمحاميين الذين تولوا الدفاع عن ليبسكي مغية الادعاء بأن موكلهم هو ضحية الاضطهاد القائم على معاداة السامية ، وأن السلطات الفرنسية جادة في إبرام اتفاقية تبادل المجرمين مع إسرائيل لكي تضمن الشروط الكفيلة بتسليمه إلى القضاء ، عمدوا بدورهم إلى الاستناد بقانون المهاجرين الجدد لتأمين حصول الرجل الملاحق قضائيا ، بعد أن التحقت به عائلته ، على الجنسية الإسرائيلية . ثم كان مثول ليبسكي في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ أمام قاضي التحقيق الإسرائيلي في مدينة عسقلان ، لكي يطلب الهارب من وجه العدالة رفع الحظر عن مغادرته الأراضي الإسرائيلية . بينما صدر التأكيد في اليوم نفسه عن وزير الداخلية الإسرائيلي بأن ليبسكي طلب اعتباره من فئة المهاجرين الجدد وتطبيق مفعول القانون عليه وعلى زوجته وأولادها الثلاثة . لكن اشتداد المطالبة الفرنسية أدى إلى حمل القاضي في عسقلان على اطلاق سراح ليبسكي لقاء كفالة مالية بقيمة ٢٥ ألف ليرة إسرائيلية ، والاحتفاظ بجواز سفره لدى المحكمة بانتظار دفع الكفالة (١٨) . فاستجاب ليبسكي تم بناء على طلب السلطات القضائية الفرنسية ، والرجل الملاحق خرج من قاعة المحكمة ، كما أدخلها : سألحا .

وفي العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ وافق البرلمان الفرنسي على معاهدة تبادل المجرمين التي بقيت معلقة منذ عام ١٩٦٠ ، بعد أن ردتها لجنة تابعة لمجلس الشيوخ . بينما أعلن ليبسكي في مقابلة إذاعية بثها راديو إسرائيل بتاريخ ١٩/١١/١٩٧١ بأنه كان دوما على استعداد للمثول أمام قاضي التحقيق شرط اطلاق سراحه ، بعكس ما هي عليه الحال في فرنسا . ولدى سؤاله عما ينوي فعله إذا ما جرى إبرام اتفاقية تبادل المجرمين بين فرنسا وإسرائيل ، أجاب كلود ليبسكي بقوله : « سوف نرى ، لكنني أمل على أية حال في إمكانية البقاء داخل إسرائيل » (١٩) . ثم راح المدافعون عن ليبسكي يبدون استغرابهم لهذا التصميم من جانب الحكومة الفرنسية على التسجيل في إبرام الاتفاقية والتقدم بطلب استرداد موكلهم . وحاول أحد المحامين الإسرائيليين الإيحاء بوجود دوافع سياسية وراء الأصرار على استرداد ليبسكي مهما كان الثمن . فأدلى بتصريح إلى صحيفة « هآرتس » مؤكدا فيه أن ملاحقة الرجل تتم لعوامل سياسية أكثر منها لأسباب تتسم بطابع الاحتياط المالي (٢٠) . واتضح للوساط المعنية بملاحقة القضية أن المسألة لن تنتهي عند حد إبرام الاتفاقية ، والتقدم من الحكومة الإسرائيلية بطلب الاسترداد . بينما بادر أصحاب الاطلاع إلى القول بأن الاتفاقية تنطوي على مفعول رجعي ، حتى ولو استحصل ليبسكي على الجنسية الإسرائيلية . وفي الرابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ أبرقت السلطات القضائية الفرنسية إلى قيادة الشرطة في إسرائيل عن طريق الانتربول مطالباها بتوقيف « المسائح » كلود ليبسكي على سنبل الاحتياط ، بانتظار وصول ملف استرداده من جديد .

ثم قررت محكمة الصلح في تل ابيب ، بتاريخ ١٦/١١/٧١ ، ترك ليبسكي يتمتع بحريته

مشروطة ، لقاء كفالة مالية قدرها ٧٥ الف ليرة اسرائيلية . فصادرت منه جواز السفر ، وطلبت منه اثبات وجوده مرة كل يومين لدى اقرب مركز للشرطة . بينما كان ليبسكي يرفض دوما الإجابة عن الأسئلة المطروحة عليه ، متذعرا بأنه يفعل ذلك طالما أنه يجهل محتوى الملف المتعلق بقضيته . وفي تلك الاثناء تبين ان والد ليبسكي ، موريس ، قد لحق به الى اسرائيل . واكتشف المشرفون على ملاحقة الفضيحة قضائيا بأن الاب يشغل مسؤوليات في شركتين من الشركات التابعة في رأسمالها الى كلود ليبسكي . فهو يشرف على « مؤسسات ليبسكي » عبر شركة تابعة للأسرة وتقوم على تعاظمي تجارة المواد المعدنية المستعملة ، ولا سيما شراء مخلفات الجيش الفرنسي غداة انتهاء حرب الجزائر . وهذه الشركة يديرها ابنه كلود . كما هناك شركة اخرى مغلقة ، انشئت عام ١٩٦٥ برأسمال صاحبه كلود ليبسكي ، لبيع مواد البناء ومواقع الاشغال العامة (٢١) .

### الماطلة وكسب الوقت

لجأ كلود ليبسكي بمساعدة محاميه في اسرائيل الى حيلة اخرى لاجباط طلب استرداده من جانب السلطات القضائية الفرنسية . فتقدم من محكمة العدل العليا باسرائيل طالبا تقديمه للمحاكمة امام محكمة اسرائيلية قبل اتخاذ قرار بتسليمه الى القضاء الفرنسي . لكن المحكمة العليا رفضت هذا الطلب في ١٣ شباط (فبراير) ١٩٧٢ ، وأشارت الى كون قرارات التسليم هي من صلاحية وزير العدل الاسرائيلي . فهو الذي يستطيع ارسال ملف القضية الى محكمة محلية مرفقا بطلب الاسترداد . واتخاذ القرار يرجع الى مثل هذه المحكمة بالذات . بينما يستطيع ليبسكي ان يستأنف قضيته امام محكمة العدل العليا .

هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، بادرت الجمعية الاسرائيلية لمكافحة النازية الى اتهام المحامي الفرنسي الذي يدافع عن ليبسكي بالتعاون مع النازيين خلال الحرب العالمية الثانية ومع حكومة فيشي . كما اتهمته بالعمل في حقل الدعاية المناوئة للسامية ، وتاليف كتاب عن اليهود بعنوان « الوضع العام والخاص لليهود في فرنسا » ، يؤيد فيه تطبيق القوانين النازية ضد اليهود في فرنسا . وطالبت الشرطة الاسرائيلية باعتقال المحامي الفرنسي لدى وصوله الى اسرائيل واحالته الى القضاء (٢٢) . مما أدى الى تخلي المحامي عن القيام بمهمة الدفاع عن موكله ، وإعلانه ان القرار الذي اتخذته بالتخلي هو في مصلحة كلود ليبسكي . وهكذا تولى القضية عدد من المحامين الاسرائيليين .

إكن الضغوط الفرنسية وامتضاح أمر القضية على صفحات الجرائد في كافة انحاء العالم حالت بدورها دون المضي في الأجراء والتسويق والماطلة . ففي صبيحة السابع عشر من شباط (فبراير) ١٩٧٢ أمرت محكمة تل أبيب باعتقال كلود ليبسكي وأعطته مهلة ٢٤ ساعة لاستئناف دعواه امام محكمة العدل العليا . وجاء هذا القرار نظرا لجلسة المحكمة التي سوف تخصص للنظر في طلب الاسترداد من جانب الحكومة الفرنسية ، ولئلا يستفيد ليبسكي من اطلاق سراحه للاختفاء والفرار . كما رفض القاضي استئناف محامي ليبسكي بالامتناع عن توقيفه بناء على وعد قطعه بعدم مغادرة البلاد . وابلغ ليبسكي ان باستطاعته اختصار الاجراءات لو اقدم على الرجوع الى فرنسا ببلء ارادته .

بيد أن المحامي الاسرائيلي اخبر المحكمة ان موكله لا ينوي التهرب من المثل امام القانون أو الهرب من البلاد . فهو على استعداد للوقوف أمام قوس المحكمة ، لكنه يخشى الاينال محاكمة عادلة في فرنسا ، بسبب « اعتبارات سياسية ودينية وعرقية » (٢٣) . ورد النائب العام على مطالعة محامي الدفاع برفض الادعاء القائل ان ملاحقة ليبسكي في فرنسا تتم لأسباب سياسية ، مؤكدا ان الرجل لم يأت الى اسرائيل بحثا عن اللجوء السياسي . ثم اعلن أخيرا بأن كلود ليبسكي ليس مطلوباً في فرنسا لكونه يهوديا ، بل

هو ملاحق بنهمة الاحتيال على ٨٦٥٠٠ شخصين بتلايين الفرنكات (١٤).

ثم عمدت محكمة العدل العليا في اسرائيل الى رفض الاستئناف الذي تقدم به محامي ليينسكي ، واخبرته بأن وزير العدل يملك الصلاحيات الكاملة لاصدار امر بمثولته اجام محكمة محلية لتابعة استجوابات الاسترداد . ولم تأخذ بادعاء المحامي القائل ان موكله يعتبر اصله اليهودي بمثابة الدافع الرئيسي وراء ملاحقة العدالة الفرنسية له . فقد درج كلود ليينسكي على « اشتراط » المعاملة بالمثل لكي يبادر على الفور الى مواجته القضاء الفرنسي .

وفي مطلع آذار ( مارس ) ١٩٧٢ بعث ليينسكي برسالة الى لجنة الدفاع عن قضيته يقول فيها « ان الوضع الاقتصادي للشركة العقارية - المالية لحظة قيام الحملة الصحفية المفرضة التي وجهتها وزارة المالية الفرنسية ، كان على خير ما يرام » . كما توهم بتسديد الاموال الموضوعة تحت عهده بالامانة « فرنكا فرنكا » . بينما سارع محاميه ليينسكي الى ابلاغ المحكمة الاسرائيلية ان موكله يرغب في اتمام معاملات استرداده لكي يعود الى فرنسا « من تلقاء نفسه » ويواجه التحقيقات ، بقصد انقاذ سمعته وتخطيت سجله ! وصرح المحامي اياه امام بعض المراسلين بأن التخلي عن معارضة الاسترداد لا يعني مطلقا اقرار المتهم بذنبه . فالسيد ليينسكي ينوي تقديم الدليل على براءته في فرنسا . فما كان من وزير العدل الاسرائيلي الا التوقيع على طلب التسليم بتاريخ (١١) آذار ( مارس ) ١٩٧٢ ، بانتظار وصول بعثة الشرطة القضائية الفرنسية التي رافقت ليينسكي الى باريس صبيحة يوم الخميس في ٢٣ آذار ( مارس ) من هذا العام . ومن عجب المفارقات ان كلود ليينسكي لم يشأ الا الاعلان عقب استرداده من جانب السلطات الفرنسية « بانني لم اهرب مطلقا من وجه العدالة في بلادي » .

ان القضيتين المعروضتين فيها تقدم هما على سبيل المثال فحسب . اذ سبقتهما عدة قضايا مماثلة طيلة السنوات التي انتقضت في ظل قانون العودة الاسرائيلي . فالسلطات المسؤولة في اسرائيل قد تعترف احيانا بوجود ثغرات في « سياج » القانون المذكور ، لكن هذا الاعتراف لا يمنع من تشجيع كل شخص ينتمي الى الدين اليهودي في شتى انحاء العالم لحمله على الاستفادة من الامتيازات التي يمنحه اياها قانون العودة الصهيوني . خاصة متى كان الشخص الذي ينشد الاجتماء في كنف هذا القانون قادمسا من الولايات المتحدة الامريكية ، ويحمل معه ما فيه الكفاية من الاموال ، بالاضافة الى ماضيه ليس في ميدان الجريمة - بل في حقل الاربحية اليهودية والتبرع دونما تردد لكافة الصناديق الصهيونية .

فالاشخاص الهاربون من وجه العدالة في بلادهم ، متى كانوا ينتمون الى السديانات اليهودية ، باستطاعتهم اللجوء الى حمى ذلك القانون والاستفادة من امتيازاته . ومن الصعب رد طلبهم بناء على الاعتبارات التي يشترطها القانون في بنوده وينيطها بوزيرة الداخلية . فرييس عصابات الاجرام المنظم ، وصاحب الضيت الذائع ، ماير لانسكي - مثلا - يتحين الفرصة للتقدم بدعوى ضد صحيفة ما متها اياها بتحقيقه والتشهير باسمه ، لا شيء الا لكي يستحصل على « براءة » من المحكمة في اسرائيل تؤهله للتفحج بسجله النظيف وتفتح امامه ابواب الجنسية والاقامة الدائمة . وكلود ليينسكي يخاول الضرب على وتر العدا للسلامية ، زاعما ان السلطات القضائية الفرنسية تلاحقه لاسباب تتعلق باصله اليهودي ، وليس لحاكمته على ما ارتكبه من الاحتيال وسوء الامانة بأموال الغير ، والبالغ عددهم ٨٦٥٠٠ مكتب .

فالقضيتان الوارد ذكرهما أعلاه - قضية لانسكي وقضية ليينسكي - تظهران احدي النواحي البارزة في قانون العودة الاسرائيلي ، كما في قانون المهاجرين الجدد ( ١٩٧٠ ) .

الذي جرى التصديق عليه كجزء من التعديلات التي أدخلها الكنيست على تعريف من هو اليهودي . وفي الحالتين - حالة التشدد والتمهينك بالتعريف الشرعي لليهود ، وحالة التساهل مع المهاجرين الجدد لتشجيعهم على القدوم والاستفادة من « امتيازات » قانون العودة - نجد المجال رحبا أمام الفارين من وجه العدالة وأصحاب السوابق في عالم الاجرام ، متى كانوا ينتمون الى الدين اليهودي - سواء كان انتماؤهم لجهة الأب أو الأم - ولا سيما متى بادر هؤلاء الى الاعراب عن ولائهم الصهيوني بواسطة السخاء في التبرع واستطاعوا استقطاب بعض القوى السياسية في اسرائيل التي جانبهم . فالمعروف ، مثلا ان « عصابة الدفاع اليهودية » التي يتزعمها الحاخام مئير كاهانا تقيم علاقات تعاون وثيق مع الهيئات الايطالية - الامريكية التابعة لعصابة المافيا . وتلقى عصابة كاهانا في اسرائيل الدعم السياسي من جانب حركة « حيروت » وكتلة « غاغل » . مما يتيح المجال لتأمين عملية استقطاب على الصعيد الداخلي الاسرائيلي وضمن الحماية الكافية لكل شخص يستنجد بقانون العودة على غرار ما فعله ماير لانسكي . والسلطات الاسرائيلية لا تتع في الاحراج الا عندما تصر الدولة التي تلاحق الشخص على المطالبة بتسليمه واسترداده - رغم كل العراقيل والاساليب التي يبرع فيها المحامون الاسرائيليون ايما براعة بغية الماطلة والتأجيل ، طمعا في العثور على ثغرة يمكن النفاذ منها الى حمى « العودة » وظل « الجنسية » المنوحة بصورة آلية لكل يهودي يعرب عن رغبته في اعتبار نفسه مهاجرا عائدا !

- ١٠ - راجع صحيفة سود دويتشه تزايتونغ ، العدد ١٦٧ ، في ١٤ تموز ( يوليو ) ، ١٩٧١ .
- ١١ - المصدر نفسه ، ٦ ايلول ( سبتمبر ) ، ١٩٧١ - العدد ٢١٢ .
- ١٢ - دير شبيغل ، المصدر السابق .
- ١٣ - سود دويتشه تزايتونغ ، ٢٥ - ٢٦ / ٩ / ١٩٧١ .
- ١٤ - دير شبيغل ، المصدر السابق .
- ١٥ - انظر لوموند ، ١١ / ٢٦ / ١٩٧١ .
- ١٦ - المصدر نفسه ، ١٩ / ١٠ / ١٩٧١ .
- ١٧ - المصدر نفسه ، ١٢ / ١١ / ١٩٧١ .
- ١٨ - لوموند ، ٦ / ١٢ / ٧١ .
- ١٩ - المصدر نفسه ، ١١ / ١١ / ٧١ .
- ٢٠ - المصدر نفسه ، ١٢ / ١١ / ٧١ .
- ٢١ - المصدر نفسه ، ١٨ / ١٢ / ٧١ ، ص ١٥ .
- ٢٢ - المصدر نفسه ، ١٥ / ٢ / ١٩٧٢ ، ص ١٨ .
- ٢٣ - المصدر نفسه ، ٢٠ - ٢١ / ٢ / ٧٢ ، ص ١٤ .
- ٢٤ - وانظر ايضا الدايلى ستار ، ١٩ شباط ( فبراير ) ، ١٩٧٢ .
- ٢٤ - الدايلى ستار ، المصدر السابق .

- ١ - انظر المصدر التالي  
H. E. Baker, *Legal System of Israel*,  
(Israel University Press, 1968), p. 39.
- ٢ - راجع صحيفة لوموند ١١ / ١١ / ١٩٧١ .
- ٣ - المحقق الاسبوعي لصحيفة الجيروسالم بوست ( رقم ٤٩٠ ) ، ١٦ / ٢ / ١٩٧٠ .
- ٤ - مجلة تايم الامريكية ، ٢٢ اب ( اغسطس ) ، ١٩٦٩ ، ص ١٦ .
- ٥ - انظر دير شبيغل ، عدد ٤٢٣ ، ١٠ / ١١ / ١٩٧١ ، ص ١٦١ .
- ٦ - نقلا عن المصدر نفسه .
- ٧ - راجع الانترناشيونال هيرالد تريبيون ، ١٩٧٢ / ٦ / ٨ . و سود دويتشه تزايتونغ ( العدد ١٢٩ ) ، والتاريخ نفسه .
- ٨ - انظر المقالة التي بعث بها من اسرائيل مراسل صحيفة سود دويتشه تزايتونغ تحت عنوان « زعيم المانيا لا يهدأ له بال » ، بتاريخ ٢٥ / ٢٦ / ايلول ( سبتمبر ) ، ١٩٧١ ( العدد ٢٢٠ ) .
- ٩ - دير شبيغل ، المصدر نفسه .

## القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين

مايكل جانسن

هناك ثلاثة قرارات لاربعة رؤساء امريكيين مختلفين شكلت الاساس لاكثر من خمسين عاما من سياسة الولايات المتحدة تجاه المسألة الفلسطينية ، وقد وضعت هذه القرارات الرئيسية ، التي اتخذها ثلاثة رؤساء ديمقراطيين « متحررين » ورئيس جمهوري محافظ ، اسس الدولة الصهيونية في فلسطين ، وحددت علاقتها باليهود المقيمين في مختلف أنحاء العالم ، ومكنت الدولة الصهيونية من امتلاك السطوة العسكرية في الشرق الاوسط . وقد اتخذ الرئيس ولسون عام ١٩١٧ اول وأهم هذه القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة . ولا يذكر ودر ولسون بسبب عمله هذا تجاه القضية الفلسطينية بل يعتبر ، على العكس ، محررا عظيما للشعوب . فلقد كان ولسون هو الذي ارسى مبدأ حق تقرير المصير لشعوب الامبراطوريتين المنحلّتين : النمساوية - الهنجرية ، والعثمانية . ومع ذلك وافق ولسون فيما بعد على الاقتراح القائل بان قاعدة حق تقرير المصير يجب ان لا تطبق على فلسطين . لقد قرّر ولسون ان فلسطين يجب ان تعطى لليهود الذين كانوا يشكلون آنذاك اقل من عشرة بالمائة فقط من مجموع سكان البلاد .

واتخذ القرار الثاني فرانكلين دي . روزفلت عندما حث الحكومة البريطانية عام ١٩٤٣ — وهي السلطة في فلسطين آنذاك — على ان تسمح بدخول مائة الف لاجيء يهودي الى فلسطين . وكان هؤلاء هم مائة الف اللاجئ انفسهم الذين سبق ان رفض دخولهم الى الولايات المتحدة . وبهذا القرار ربط روزفلت مصير اللاجئين اليهود الاوروبيين بمستقبل فلسطين مصادقا بذلك على الادعاء الصهيوني بان يحتفظ بفلسطين كملجأ نهائي لليهود العالم .

واتخذ الرئيسان هاري اس . ترومان ودوايت دي . ايزنهاور القرار الرئيسي الثالث وعلى عكس الاعتقاد الشائع ، لم يكن ترومان هو الرئيس الاميركي الذي لعب الدور الاهم في تأسيس اسرائيل ، كما لم يكن قراره الرئيسي هو الاعتراف الفوري باسرائيل ، الدولة الصهيونية المعلنة ذاتيا في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ . لقد كان قرار ترومان الحقيقي هو ان الولايات المتحدة لن ترسل قوات اميركية مسلحة لمساعدة الصهيونيين على انشاء دولتهم في فلسطين ، وهو قرار لا يعتبر مؤيدا للصهيونية على الاطلاق . ولكن هذا لم يكن الا القسم الاول من القرار الاميركي الرئيسي الثالث . فقد اتخذ الرئيس ايزنهاور ، وهو المعتبر « صديق » العرب ، بسبب موقفه المعارض للعدوان الانجلو فرنسي — الاسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ ، القسم الثاني المؤيد للصهيونية من القرار . فان الرئيس ايزنهاور ، بسبب عدم مقدرته على تزويد اسرائيل بضمانة لعون عسكري مباشر في حالة هجوم عربي على الدولة الصهيونية ، قرر عام ١٩٥٧ ان يزود اسرائيل بمعونة عسكرية لها وزنها بقصد اقامة عدم توازن استراتيجي في القوات لصالح اسرائيل في الشرق الاوسط . ان مثل هذا التفوق العسكري الاسرائيلي المسبق سوف يوفر الحاجة لعون اميركي عسكري مباشر ، ويجنب الرئيس الاميركي الصعوبات التي قد يخلقها

التدخل ، وخاصة منذ التجربة الفيتنامية .

لقد انبثق اول التزام الولايات المتحدة بالقضية الصهيونية في فلسطين اثر اتفاق بين شخصيات امريكية مهمة شعرت ان السياسة يجب ان تبني على تقدير موضوعي لمصالح بلادهم في الشرق الاوسط وبين صهيونيين ( نافذين ) قدموا رغبتهم في الدولة اليهودية على مصالح الولايات المتحدة . وهذه كانت القضية التي كان مسؤولا عنها ودرو ولسون . في حالة القرار الثاني الذي اتخذه فرانكلين روزفلت ، لم يكن هناك خلاف بين الصهيونيين والقوميين الاميركيين . ولكن الصهيونيين حصلوا في هذه المرة على ما يريدون ايضا . واما في حالة القرار الثالث الذي اتخذه على خطوتين كل من ترومان وايزنهاور ، فيمكن القول ان الحالة السياسية الامريكية الداخلية ( الرغبة في عدم التورط بحروب اجنبية ) ، والالتزامات الرئاسية السابقة نحو الصهيونيين هي التي قادت الى سياسة التفوق العسكري الاسرائيلي .

وسوف نتفحص هذه الدراسة تلك القرارات ونتائجها . كما ستحاول ان توضح مفاهيم خاطئة شائعة للالتزام الاميركي باسرائيل — وخاصة فيما يتعلق بالانحياز الاميركي الاولي للبرنامج الصهيوني في فلسطين ، والدور الحاكم لودرو ولسون الذي دشّن خط الرؤساء روزفلت وترومان وايزنهاور ، بالاضافة الى السياسة الامريكية الكلية التي نجمت عن ذلك ازاء فلسطين .

### ولسون وسياسة الوطن القومي اليهودي

لقد انبثق القرار الحاسم للرئيس ولسون عن الادعان للقوى المحيطة به لا عن ايمان راسخ بخط معين للعمل . وحدث ذلك لان ولسون لم يكن في الواقع قائدا ديناميكيًا لانه لم يكن مهتمًا بالعالم العربي ، ولانه كان ملتزمًا بالتزامًا شخصيًا عميقًا تجاه صهيوني فعال . لقد كان قرار ولسون الرئيسي يتألف في الحقيقة من ثلاثة قرارات اقل اهمية كانت جميعها نتيجة لادعان الرئيس المسالم .

كان قرار ولسون الاول ان يحدد كونه هو نفسه — والولايات المتحدة — في جانب تصريح الحكومة البريطانية الذي يحذ اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . ولم يتخذ الرئيس هذا القرار الا بعد تدخل احد مستشاريه الحميين ، عضو المحكمة العليا القاضي لويس برانديس الذي كان صهيونيا متألقا (١) . ولقد كانت مساهمة برانديس بدور فعال في الحركة الصهيونية مواكبة لالتزامه بالحملة الرئاسية لولسون في العام ١٩١٢ . وهكذا ارتبط برانديس ، الذي كان آنذ محاميا لامعا و « ليبراليا » ومصالحا اجتماعيا معروفا ، بولسون لزمّن طويل بعد ذلك . يقول كريستوفر سايكس في كتابه « دراستان في الفضيلة » (٢) ان « ولسون كان مرتبطا مع برانديس بروابط وثيقة جدا لان مستقبل الرئيس في اولى ايامه كان ، كما يروى ، قد انقذ على يدي برانديس وذلك بتلافي ظهوره بثوب حمامة ممزق . وقد قيل ان ولسون كان يعتبر برانديس الرجل المدين له بمستقبله » . وقوبل تعيين ولسون لبرانديس كعضو في حكومته الاولى بمعارضة شديدة الى الحد الذي اضطر الرئيس الى سحب اسمه ، ولكن ولسون نجح عام ١٩١٦ في تأمين مقعد لبرانديس في المحكمة العليا ، وكان برانديس آنذاك هو رئيس اتحاد الصهيونيين الاميركيين .

في هذه الفترة كان الصهيونيون البريطانيون بزعامة وايزمن يتطلعون الى الولايات المتحدة والتجمع اليهودي الاميركي طلبا للمساعدة . فقد كان وايزمن قد حصل على رد فعل ايجابي للاقتراح المطروح آنذاك امام الحكومة البريطانية بصدّد تعاون صهيوني — انجليزي يستهدف اقامة وطن يهودي في فلسطين . وكان وايزمن يحتاج الى دعم سيادة بريطانية على فلسطين ليصبح البرنامج الصهيوني ممكن التنفيذ . كان وايزمن على اتصال مستمر

مع برانديس الذي كان يمكن الاستغناء عنه، وأثبتت صحة ذلك فيما بعد، أن يكون ذلك عظيم في الولايات المتحدة. ولم تكن وزارة الخارجية ووزيرها يؤيدان البرنامج الصهيوني كما أن الرئيس رغم كونه « متعاطفا بشكل مبهم » لم يظهر « أي ميل لفرض نفسه » لجانب مصلحة الصهيونيين . في الثامن من نيسان ( أبريل ) ١٩١٧ كتب وايزمن إلى برانديس طالبا منه ومن « سادة آخرين متصلين بالحكومة تصريحاً مؤيذاً للفلسطين يهودية تحت حماية بريطانية » الأمر الذي « سوف يقوي قبضتنا إلى حد بعيد » (٢) . وفي الثاني والعشرين من نيسان ( أبريل ) ١٩١٧ وصل وزير الخارجية البريطانية آرثر بلفور إلى واشنطن . وخلال هذه الزيارة أجرى بلفور عدة محادثات مع برانديس أثرت على تقوية قرار بلفور بمساعدة الصهيونيين من جهة ، وعلى اقتناع برانديس بتنمية التحالف الصهيوني - الإنجليزي في أميركه من جهة أخرى . وفي أوائل أيار ( مايو ) اتفق برانديس إلى لندن بموافقته على البرنامج الصهيوني ، وتباحث مع الرئيس وللسون مرتين حول الموضوع خلال ذلك الشهر ، كما قدم نسخة من البرنامج الصهيوني التي وزارة الخارجية .

ولكن اهتمام وللسون بالصهيونية لم يكن قويا بما يكفي لدفعه لاتخاذ أية خطوات رغم أن ذلك لم يعن اطلاقاً أنه كان لا مباليا سواء أزاء مصرير التجمع اليهودي الفلسطيني أو تجاه التأثير الصهيوني بين اليهود الأميركيين . فقد كانت الولايات المتحدة قد ورطت نفسها في الواقع بشكل مباشر ، ولو عن بعد ، في حياة الطائفة اليهودية الفلسطينية الصغيرة عام ١٩١٤ حين طلب اليهود الفلسطينيون الحماية من المسؤولين القنصلين الأميركيين لان الولايات المتحدة غير مشتركة في الحرب . ثم عممت المساعدات السياسية لولسون ، خلال معركة الرئاسة لعام ١٩١٦ ، اهتمام الرئيس بالطائفة اليهودية الفلسطينية فوجه ، لأول مرة ، نداء إلى الناخبين اليهود على أساس اهتمامهم المفترض بالصهيونية . وفي هذه الانتخابات ادخل ما يسمى بـ « التصويت اليهودي » في السياسات الأميركية الداخلية (٤) .

في ايلول ( سبتمبر ) ١٩١٧ استطلعت الحكومة البريطانية وجهات نظر وللسون بخصوص نية بريطانيا في ايجاد تعاون انجلو - صهيوني في فلسطين . وكان رد فعل وللسون بارداً . ويعتقد ليونارد شتاين ، وهو المرجع الأساسي حول تصريح بلفور ، أنه من المحتمل ان برانديس لم يعلم بالتوجه الأول لولسون . ولكن من المؤكد أنه لم يكن مطلقاً فقط بل وضالماً أيضاً في التوجه الثاني من قبل الحكومة البريطانية لولسون بعد بضعة أسابيع . في هذه المرة لم يذهب برانديس إلى وللسون بل إلى اقرب مستشاريه الكولونيل هاوس ، وهو الذي كان وللسون قد تباحث معه قبلاً ان يرسل رده على الاستمزاغ البريطاني الأول . وقد كان رد فعل وللسون ، الذي ارسل بواسطة هاوس ، ايجابياً هذه المرة . ومن الواضح ان برانديس قد اقتنع هاوس ان تغييراً حقيقياً بالنسبة للاقتراح البريطاني سيكون عملاً لصالح الرئيس سياسياً . ومن المثير ان نلاحظ ان الرئيس لم يتم بالاتصال الثاني مباشرة بل تم من خلال مستشاره . ولعل وللسون لم يكن سعيداً تماماً بوجهات نظره الثانية . ويعتقد ليونارد شتاين ان رد الفعل الثاني لولسون كان حاسماً إلى درجة أنه كان من المحتمل ان لا يصدر تصريح بلفور اطلاقاً فيما لو حافظ وللسون على عدائه الأصلي للاقتراح .

في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ كتب بلفور إلى لورد روتشيلد الذي كان يمثل الاتحاد الصهيوني البريطاني قائلاً ان الحكومة البريطانية تنظر « بعين العطف إلى اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين » واعدت ان الحكومة البريطانية سوف « تبذل افضل جهودها لتسهيل هذه الغاية » . هذه الرسالة التي أصبحت تعرف بـ « تصريح بلفور » كانت حجر الأساس للدولة الصهيونية في فلسطين . وبناء على ذلك فان ودرو وللسون



يتحمل قسما من المسؤولية في تأسيس هذه الدولة . كذلك فان دور برانديس يجب ان لا ينسى . ان الطريقة التي خاطب بها الصهيونيون البريطانيين القاضي برانديس ، وهو الذي لم يكن مقتنعا تماما بصواب التحالف الانجلو - صهيوني ، اكتسبته الى جانب وجهة نظرهم ، واقتنعه باستخدام نفوذه لدى ولسون . ولقد كانت تلك الطريقة مقياسا لحسن تصرفهم وصواب محاكمتهم للامور . ومنذ ذلك الوقت اصبح برانديس « رجل الظل » الذي كان يبقي ولسون امينا لخطه الموالي للصهيونية حيثما كان الرئيس يسدو مترددا .

لم يتخذ ولسون اثر موافقته على تصريح بلفور في تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩١٧ اية خطوة لجعل دعمه للبرنامج الصهيوني علنيا . وعلى المرء ان يتذكر ان التصريح كان في الواقع تفاهيا عقد سرا بين الحكومة البريطانية والاتحاد الصهيوني الانجليزي ( نشر الصهيونيون نص التصريح في ٩ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩١٧ ) . وقد وردت اول اشارة الى ان بريطانيه قد حصلت على موافقة الطفء على التصريح في البرلمان البريطاني في ١٢ كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩١٧ وذلك حين سئل وزير الخارجية « فيما اذا كان هناك اتفاق [على سياسة التصريح] » بحيث يكون الحلفاء « عاملين معا في القضية » . وقد اجاب بلفور « اجل ، اننا نعمل باتفاق كامل » (٦) . ومع ذلك ، اعتبر الصهيونيون الاميريكيون احجام ولسون عن ان يعلن وقوفه علنا مع المشروع الانجلو - صهيوني مخيبا جدا للامال حقا ، وضغطوا عليه من اجل تصريح علني .

في ١٣ كانون الاول ( ديسمبر ) وجه وزير الخارجية لانسفغ رسالة الى الرئيس طالبا منه ان يتحاشى اي التزام علني نحو الصهيونيين . وقد كانت حجة وزير الخارجية ان الولايات المتحدة « لم تكن في حرب مع تركيه ، ولذا يجب ان تتحاشى اي مظهر للاستيلاء على قطعة من تلك الامبراطورية بالقوة . . . وليس اليهود ، بأية حال ، متحدين في رغبتهم لاعادة بناء جنسهم كشعب مستقل » ، كما ان « كثيرا من المذاهب المسيحية والافراد » سوف يعارضون اقامة وطن يهودي في فلسطين . واختتم لانسفغ رسالته بقوله « لست اظن اننا يجب ان نعطي اي سبب اخر غير السبب الاول ذلك انه يشكل اساسا كافيا لرفض اعلان اية سياسة بخصوص التخلي النهائي عن فلسطين » . واستقدا الى لانسفغ فان الرئيس اجاب على رسالته شفويا في اجتماع لمجلس الوزراء في ١٤ كانون الاول ( ديسمبر ) « قائلا انه مضطر ضد ارادته تماما لان يوافقني . ولكنه قال ان لديه انطبعا باناه قد وافق على التصريح البريطاني بخصوص اعادة فلسطين الى اليهود » (٧) . ويستطيع المرء ان يستنتج من هذا الحوار ان التزام ولسون بالصهيونيين لم يكن راسخا او قلبيا ، اذ انه كان مستعدا للموافقة مع لانسفغ على نصيحته بخصوص مسألة التصريح العلني حول القضية . وقد يكون ولسون قد عمل فعلا بنصيحة لانسفغ بهذا الشأن اذ انه اخر التصريح العلني بتأييده للبرنامج الانجلو - صهيوني مدة تسعة اشهر اخرى . وفي هذه الفترة من الموافقة السرية والصمت العلني اعلن ولسون مبادئه الشهيرة التي قامت عليها التسوية السلمية .

لقد صنع الرئيس شهرته الدولية في ٨ كانون الثاني ( يناير ) ١٩١٨ حين قدم الى الكونجرس الاميركي « نقاطة الاربعة عشرة » التي رفض فيها حق الحصول على المكاسب الاقليمية ، وادان عقد الاتفاقات السرية ، واعلن مبدأ حق تقرير المصير للشعوب . وقد نصت النقطة ١٢ بالتحديد على ان « القوميات غير التركية » للامبراطورية العثمانية يجب ان يضمن لها « فرصة كاملة غير منقوضة للتطور المستقل » . وفي خطاب موجه في ١١ كانون الثاني ( يناير ) قال الرئيس ان « الشعوب والاراضي لا يجوز ان تنتقل بالمقايسة من سيادة لاخرى كما لو كانت مجرد اثار او احوار في لعبة حتى لو كانت اللعبة الكبيرة لتوازن القوى التي اصبحت شائنة الان . . بل على العكس ، فان كل

تسوية اقليمية تتعلق بالحرب يجب ان تكون لمصلحة السكان ذوي العلاقات وفائدتهم « (٨) . وفي خطاب ثالث في « ماونت مرنون » في ٤ شباط (فبراير) ، نادى ولسون بتسوية سلمية مبنية على « القبول الحر للشعوب ذات العلاقة » مطبقا هذه القاعدة من مبدأ حق تقرير المصير على الشرق الاوسط كما على اوروبه (٩) . وقد وعد الحلفاء بجعل مبادئ ولسون اساس التسوية .

ويصف ارنولد توينبي مكانة ولسون في اوروبه في ذلك الوقت بانها « مذهلة » ، واعتبرها « مقياسا لامال عالمنا » (١٠) . اما شعوب العالم العربي التي كانت تنتظر مكافأتها الموعودة بالاستقلال مقابل القتال بجانب البريطانيين ضد تركيه ، فقد كانت تطفح حماسا واملًا بقدر شعوب اوروبه تماما . وهكذا سيطرت شخصية رئيس المدرسة السابق على مؤتمر باريس للسلام الذي افتتح في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ . لقد كان لكلماته صدى عالمي وقوة ادبية وسياسية مهمة ، كما كان له تأثير كامن عظيم على نتائج محادثات باريس . ويمكن ان يثار ان ولسون ربما شعر ان التجاوب الحماسي العام مع نقاطه الاربعة عشرة سيصرف جانبا المطالب القومية الضيقة للتسوية الاوروبية المتحالفة في المناطق السابقة من الامبراطورية العثمانية ، كما سيصرف كذلك المطالب المتضاربة للرعايا العثمانيين السابقين بدول مستقلة . ولكن كلاما من الحلفاء والوطنيين استغل تلك السنة ما بين اعلان النقاط الاربعة عشرة وافتتاح مؤتمر السلام للبحث عن سند لادعاءاتهم ومطالبهم . ومن الحقائق الثابتة ان ولسون قد اذعن لتحركات مجموعتين من الائتليات هما : الارمن واليهود . وهكذا لعب ودرو ولسون ، وهو الاب الروحي لتقرير المصير ، دورا اساسيا في انكار حق تقرير المصير بالنسبة لغالبية الشعوب في المناطق التي ادعاها الارمن واليهود الصهيونيون .

لقد كان ولسون مهتما شخصيا بالقضية الارمنية ، وقليل من الاقتناع كان كافيا لكسب دعمه لانشاء ارمينيا مستقلة في مساحة واسعة من الاناضول . اما الصهيونيون فقد كانت امامهم مهمة اصعب . وكانت هذه المهمة بالنسبة لهم مهمة عاجلة ذلك انهم ارادوا القبض على زمام الحالة قبل انعقاد مؤتمر السلام . ويبدو انهم قد ذعروا بشكل خاص من التقارير القائلة بان هيئة اميركية يهودية غير صهيونية تد اقامها هنري مورجنثو سفير الولايات المتحدة السابق الى تركيه ويهود امريكيون نافذون آخرون . وقد سمي ستيغان وايز رئيس اللجنة الاميركية المؤقتة للشؤون الصهيونية العامة ( سابقا اتحاد الصهيونيين الاميركيين الذي خلف برانديس الذي استقال اثر تعيينه في المحكمة العليا واصبح رئيسا فخريا ) الى استباق امتلاك المعادين للصهيونية ، وقام بتوجهات مبكرة نحو الرئيس . في ٢٧ اب ( اغسطس ) ١٩١٨ اجتمع وايز الى ولسون وتبع اللقاء تبادل رسائل . وقد حاول وايز ان يطمئن ولسون مذكرا اياه بان برنامج بازل الصهيوني « لا يتضمن اية اشارة الى طبيعة السيادة التي قد يوكل لها الامر » . وقال « ان تصريح بلفور كان بدوره ضامتا حول هذه الناحية ، وهو لا يتضمن اي تحد للسيادة الراهنة بل يترك ذلك ليتقرر حول مائدة السلام » (١١) . واذا اعتبرنا ان الصهيونيين اقد شعروا انهم كانوا يملكون وعدا ثابتا بأرض في فلسطين ، فان وايز كان يحاول طمأنة ولسون بان شيئا لا يقف في طريق المناقشة والعمل بحرية في مؤتمر السلام لبحث مسألة السيادة لا مسألة تقرير المصير على الاقل ، ذلك ان تصريح بلفور واذعان ولسون كانا قد انهما هذه القضية .

وقد رد ولسون على وايز برسالة بتاريخ ٣٠ اب ( اغسطس ) تحاشى فيها بدقة فائقة أي التزام رسمي لحكومة الولايات المتحدة بالبرنامج الانطو - صهيوني ، ولكنه اعطى الصهيونيين تأكيدات عن « رضاه » الشخصي بشأن « تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة وبلدان الحلفاء منذ تصريح السيد بلفور بالنيابة عن الحكومة

البريطانية» (١٢). وفي ليلة مؤتمر السلام نفسها في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، سعى الصهيونيون للحصول على تأكيدات نهائية من ولسون . وقد استقبل الرئيس وايزمن الذي انصرف من المقابلة مدركا ان الصهيونيين قد حازوا مساندته الشخصية (١٣) .

لقد حاول ولسون دوما في تعامله مع القادة الصهيونيين ان يؤكد ان تأييده لقضيتهم كان تأييدا شخصيا بحتا ، وان مثل هذا الدعم لا يلزم حكومة الولايات المتحدة ، باي شكل من الأشكال ، بسياسة معينة . وكان موقف ولسون هذا ساذجا ومنافقا بأن واحد . وربما كان ولسون قادرا على اجراء هذا التمييز بين ودرو ولسون كمدير مدرسة سابق وودرو ولسون كرئيس تنفيذي للولايات المتحدة فيما لو كان قد رفض ان يعطي في ايلول (سبتمبر) - تشرين الاول (أكتوبر) اي رأي سواء ضد او مع تصريح بلفور . عندئذ كان بإمكانه ان يبلغ الصهيونيين بضمير مرتاح ، « اني اهبكم تأييدي الشخصي بما يمثل هذا التأييد » . ولكن ولسون اختار ان يربط نفسه والولايات المتحدة بتصريح بلفور . وقد كان تصرفه هذا تصرفا شخصيا لا سياسيا . كان الصهيونيون واثقين ان عطف ولسون الشخصي يمكن ان يعني مكاسب سياسية افضل لقضيتهم ، ولهذا تتبعوا هذا الرجل الخفلات بلا هوادة . ولم يثبت خطأهم .

وجاءت موافقة ولسون على تصريح بلفور ، ورسائلته التي وايز ، وتأكيداته لوايزمن ، والتي كانت قد اصبحت علنية في الوقت الذي افتتح فيه مؤتمر السلام ، لترفع من مستوى التزام رئيس الولايات المتحدة بالمشروع الأنجلو - صهيوني في فلسطين . لقد كان مجرد قبوله بالتصريح خرقا لمبادئه الخاصة يناقض ادانته للمعاهدات السرية وينفي مبادئه بان التسوية في الشرق الاوسط سوف تبني «على القبول الحر للشعوب المعنية» . وبالزامة نفسه والولايات المتحدة بالصهيونيين حتى قبل انعقاد مؤتمر السلام ، فان ولسون قد ابعدهم فلسطين في الواقع عن دائرة البحث ، واكد ان الشعب الفلسطيني لن يعطى مطلقا حق تقرير المصير .

### ولسون وسياسة فلسطين كدولة يهودية

حدث ادعان ولسون الثاني في مؤتمر السلام في باريس . فقد اثرت مسألة التسوية التركية حالما وصل الوفد الأمريكي الى باريس ، ذلك ان اغنام الحرب كانت موجودة في آسيا الغربية لا في اورويه . وقد افتتح المؤتمر يوم ١٨ كانون الثاني (يناير) . وفي ٢١ منه قام مستشارو الرئيس في قسم الاستخبارات الملحق بالبعثة الأمريكية الى مفاوضات السلام بتسليم الرئيس سلسلة من التوصيات . واقتُرحت التوصيات ، فيما يخص فلسطين ، اقامة دولة منفصلة باشراف الانتداب البريطاني ، واوصت « بان يدعى اليهود للعودة الى فلسطين للاستقرار هناك على ان يضمن لهم المؤتمر بهذا الصدد كل مساعدة ممكنة تكون منسجمة مع حماية الحقوق الشخصية ( وخاصة الدينية ) وحقوق الملكية للسكان غير اليهود ، وان يؤكد لهم فضلا عن ذلك ان سياسة عصبة الأمم ستكون الاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع » (١٤) . وقد اصبحت هذه التوصية هي برنامج عمل الوفد الأمريكي والرئيس ولسون . وبصدد المسألة الفلسطينية اعطت المذكرة الصهيونيين كل ما ارادوا - واكثر بكثير . لقد كانت توصية صريحة باعطاء فلسطين هدية للصهيونيين بلا ادنى اعتبار لحق شعب فلسطين بموجب مبادئ ولسون نفسه حول تقرير المصير ، والتي كان الحلفاء قد قبلوا بها وشكلت التوصية بان يقدم « المؤتمر » للصهيونيين « كل مساعدة ممكنة » في الواقع اقتراحا بان يوسع التعاون الأنجلو - صهيوني في فلسطين ليصبح تعاونا دوليا بين الحلفاء . ثم جاءت أكثر هذه التوصيات دلالة وهي القائلة بان فلسطين يجب ان يعترف بها « كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع » . وقد تجاوزت هذه التوصية تصريح بلفور

بناخيتين : الأولى ، أنها اعطت الصهيويين فلسطين بأكملها بينما ترك تصريح بلفور الالتزام الاقليمي لليهود غامضا - « بان يبنى في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي » وثانيا ، اعادت المذكرة تعريف الهدف المحدد للصهيونية في فلسطين فتحوته من خلق « وطن قومي » الى بناء « دولة يهودية » . لقد جعلت هذه المذكرة امرا ملموسا ما كان تصريح بلفور قد تركه ، غامضا عن عمد .

وكانت الحكومة البريطانية قد اصرت على ان صياغة تصريح بلفور يجب ان تبقى غامضة لان البريطانيين لم يشاؤا ان يلهبوا الراي العام العربي ضدهم ، ولم يشا البريطانيون ان يعدوا بشيء قد لا يكونون قادرين او مهياين لتنفيذه في المدى البعيد . لقد كان على البريطانيين ان يفكروا دوما بمركزهم ومصالحهم في الشرق الاوسط ، بينما لم تكن الولايات المتحدة مضطرة لذلك ، وكان بإمكانها بالنتيجة ان تقترح سياسات بعيدة الاثر ومكروهة ، سياسات موجهة ضد شعب الشرق الاوسط . ويبدو ان بلفور نفسه كان مستعدا لقبول الصيغة الصهيونية التي طالبت بـ « اعادة بناء فلسطين كوطن قومي لليهود » (١٥) . بينما اثر بقية الوزراء الصياغة الاقل تجسيدا والتي جرى تبنيها في النهاية ، وقد اعادت الحكومة البريطانية ، حتى الى ما بعد منتصف عام ١٩٢٣ ، تأكيد نيتها بخصوص مسائل المنطقة و « السيادة » على الوطن القومي اليهودي . وقد قال وزير المستعمرات آنذاك ، دوق ديفونشاير ، مخاطبا مجلس اللوردات « لقد ذكر المرة تلو الاخرى ان النية كانت منذ البداية ان يقام لليهود وطن قومي ، ولكن اتخذ كل احتياط للحيلولة دون تحوله ، بأية حال ، الى دولة يهودية تحت سيطرة يهودية » (١٦) .

وهذه المذكرة وثيقة ذات دلالة فهي اشارة الى المواقف والتوقعات التي تم التوصل اليها في البعثة الاميركية لمفاوضات السلام . فلم تكن هذه التوصيات فجأة فحسب لان المؤتمر لم يكن قد قطع شوطا حين وضعت ، ولكنها كانت ايضا متحيزة بقوة ضد تقرير المؤتمر الموضوعي لقضية فلسطين . وقد اظهرت المذكرة ان الاميركيين لم يفكروا ضمن نطاق تشجيع خلق وطن قومي يهودي في فلسطين ، بل ضمن اطار سياسة تفضل « اعادة بناء » ( حسب التعبير الصهيوني ) فلسطين كدولة يهودية . ولان ولسون قبل هذه المذكرة برنامج عمل وفده ، فان نمط التفكير الكامن وراء التوصيات قد استمر وما زال هو اساس سياسة الولايات المتحدة اليوم . ولكن هذه لم تكن الا الحادثة الاولى التي سمح فيها ولسون لمثل ذلك التفسير المهم بان يمر بهدوء .

فقد خضع ولسون مرة ثانية مبيحا للصهيونيين ان يعطوا تفسيرهم الجديد الخاص ، الاكثر موافقة ، لتصريح بلفور . في ٣ اذار (مارس) ١٩١٩ استقبل ولسون ، بينما كان في زيارة قصيرة للولايات المتحدة ، ممثلي المؤتمر اليهودي الاميركي المؤيد للصهيونية ، الحاخام وايز ولويس مارشال . وعلى الرغم من ان الرئيس لم يصدر اي تصريح رسمي عن اللقاء ، فقد سمح بان ينقل عن لسانه قوله « انني مقتنع بان الأمم المتحالفة متفقة ، بالرضا الكامل من حكومتنا وشعبنا ، بانه سوف توضع في فلسطين اسس كمنلوث يهودي » (١٧) . وفي ١٣ نيسان (ابريل) استوضح وزير الخارجية لانسنغ الرئيس ولسون فيما اذا كان كلامه قد اقتبس بدقة . ورد ولسون على لانسنغ في ١٦ نيسان (ابريل) انه لم يستخدم « ايا من الكلمات المنقولة رغم انه استخدم جوهرها » . وقال ولسون ايضا ان التصريح المنسوب اليه قد ذهب ، حسب كلماته ، « ابعد قليلا مما كان ينوي » . لقد عنى ( ان نعزز قبولنا المعلن بموقف الحكومة البريطانية بخصوص مستقبل فلسطين » (١٨) . اي ، بكلمات اخرى ، اعادة التصديق على تصريح بلفور . ويؤكد ستاين ان هذه الحادثة « توحى بان ولسون لم يكن يعطي المسألة الصهيونية تفكيرا جديا . والتفسير الواضح هو انه بحكم مشاغله السابقة بقضايا اخرى كانت تهمة اكثر ، كان مستعدا لان يسمح بان توضع الكلمات في فمه » (١٩) . ومن الجائز ان ولسون

لم يستعمل كلمات « كمنولث يهودي » التي كانت خاصة بالصهيونيين ، بل انه صاغ تصريحه مستخدما كلمات مثل « دولة يهودية » ، او « الوطن القومي اليهودي » التي كانت شائعة بين الامريكين في باريس . وأيما كان قول ولسون ، فلا شك الازم نفسه نهائيا بالموقف الصهيوني ولم ينكر او يبذل أي جهد لتصحيح الرواية الصهيونية لرسالة تاييده . وقد شكّل هذا استسلاما كليا للصهيونيين . لقد فقد ولسون سيطرته على السياسة الامريكية حول المسألة الفلسطينية كنتيجة لخضوعه الثاني . ومن هنا فصاعدا أصبحت المبادرة مع أولئك الامريكين الذين كانوا يفسرون المحاولة الصهيونية في فلسطين على انها اقامة دولة يهودية او خلق كمنولث يهودي . وقد أصبحت هذه هي السياسة الامريكية الرسمية لتحويل فلسطين الى دولة يهودية .

### ولسون ومسألة تقرير المصير للفلسطينيين

ابان مؤتمر السلام اثر الموضوع المرحج المتعلق بتقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وتعرض ولسون لضغوط مؤيدة ومعادية للصهيونية على حد سواء . وكان المعادون للصهيونية يؤلفون فريقا ذا نفوذ من الرسائلات ورجال الاعمال الامريكين الذين يملكون خبرة طويلة في الشرق الاوسط . وقد شمر هؤلاء الرجال ان التحالف الانجلو - صهيوني لم يكن من المصلحة الامريكية القومية اذ ان هذا التحالف سوف يجد معارضة قوية في النهاية من قبل شعب الشرق الاوسط .

في ٣٠ كانون الثاني (يناير) أقر المؤتمر ، من حيث المبدأ ، ان قوى معينة من الحلفاء (تجديدا-بريطانية وفرنسية) يجب ان تعطى الانتداب في المناطق العثمانية السابقة للسير بشعوب هذه المناطق نحو الاستقلال الكامل . وقد سمعت بريطانياه بالطبع لان تعيين الدولة المنتدبة على فلسطين . ولكن في ٢٠ آذار (مارس) اقترح ولسون ان تعيين هيئة مشتركة من الحلفاء لاكتشاف رأي شعوب المناطق ذات العلاقة . واقترح ولسون ان تتألف هذه الهيئة من ممثلين عن بريطانياه وفرنسته وايطاليه والولايات المتحدة ، ولكن حين وصل الامر الى تعيين المفوضين فعلا لم يتقيد بذلك سوى الولايات المتحدة . واحساسا بخطر احتمال فقدان كل ما وعدوا به لم يضع الصهيونيون أي وقت . في ٢٦ آذار (مارس) زار البروفيسور فيليكس فرانكفورت من كلية القانون في هارفارد الكولونيل هاوس في باريس ممثلا للمنظمة الصهيونية . وكان هدف هذه الزيارة الحصول على تأكيدات هاوس حول موقف ولسون . كتب هاوس : « يعتقد اليهود ان بعثة الحلفاء المشتركة التي ستسافر الى سورية تخدع يهود فلسطين » . وقد اعطى هاوس فرانكفورت تأكيدات مفادها انه « ليس هناك مثل هذه النية » ، مشيرا الى ان تصريح بلفور لم يزل اساس السياسة الامريكية ، وخرج فرانكفورت من لقائه مع هاوس بالانطباع ان البعثة لم تكن سوى مجرد طريقة لتأجيل القرار (٢٠) . وبعد تأخير كبير ومناقشة طويلة قرر ولسون ارسال الممثلين الامريكين هنري تشرشل كينج وتشارلز كرين الى الشرق الاوسط . وكانت دوافع ولسون من وراء ارسال البعثة كما يلي :  
اولا ، تأجيل القرار النهائي حول الانتداب على فلسطين بتعيين بعثة استطلاع ، وهو تكتيك نموذجي مستخدم من قبل السياسيين . ثانيا ، الانحاء لرغبات الامريكين النافذين المعادين للصهيونية . وثالثا ، اعطاء نفسه الرضا بأنه على الاقل قد استشار رأي شعب فلسطين .

زارت بعثة كينج - كرين فلسطين بين ١٠ و ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩١٩ ، ثم تابعت زيارتها الى سورية وتركيه . وكتبت البعثة تقريرها ابان آخر اسبوع من آب (اغسطس) ، وفي ٣٠ آب ابرقت بخلاصة للنتائج التي توصلت لها . وبصدد فلسطين اوصت برقية كرين بان فلسطين يجب ان لا تفصل عن سورية (كما كان يريد البريطانيون

والصهيونيون) ، «وبأن البرنامج الصهيوني المتطرف» يجب أن «تعدل جدوا» ، «وبأن على أميركا أن تقبل الانتداب على سورية المتحدة» ، «وبأن يعطى الانتداب لبريطانيا في حالة الرفض الأميركي» (٢١) . وقد كان الممثلان في تقريرهما متشددتين حول مسألة «تعديل البرنامج الصهيوني المتطرف بشأن فلسطين» والذي يتضمن «الهجرة غير المحدودة لليهود» بقصد «جعل فلسطين دولة يهودية متميزة» ، وأكد المفوضان أن «وطننا قوميا للشعب اليهودي ليس معادلا لجعل فلسطين دولة يهودية» ، كما لا يمكن تحقيق خلق مثل هذه الدولة اليهودية بغير امدح تعد على الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة ... » . ومن خلال لقاءات البعثة مع الممثلين اليهود ، تكررت بجلاء حقيقة ان الصهيونيين كانوا يتطلعون عمليا الى اخلاء كامل للسكان الراهنين غير اليهود في فلسطين وذلك بأشكال الشراء المتنوعة . وقد كان المفوضان واضحين تمام الوضوح بصدد رأي تسعة اعشار سكان فلسطين ، «السكان غير اليهود» ، الذين قال التقرير انهم كانوا «معادين بكل حزم للبرنامج الصهيوني» (٢٢) .

لقد اشعرت برقية كرين الرئيس ولسون مقديا بمحتوى توصيات البعثة . ولكن الرئيس لم يقرأ التقرير مطلقا ، وظلت هذه الوثيقة ، لاكثر من ثلاث سنوات ، مرمية في ملفات وزارة الخارجية في واشنطن . وقد شعر كل من كينج وكرين ان المعارضة الصهيونية ربما كانت عاملا في رفض ولسون اعلان التقرير (٢٣) . ومرة أخرى ترجمت عواطف ولسون الشخصية (أو متطلباته السياسية) الى سياسة أميركية قومية . ولكن يبدو أنه لم تكن لدى ولسون النية لان ينظر جدوا الى توصيات بعثته . ان مقابلة هاوسن - فرانكفورتر التي حدثت قبل ثلاثة أشهر من ارسال البعثة الى فلسطين ، وقيل خمسة أشهر من اكتمال تقرير كينج - كرين ، قد أكدت بدقة ان نوايا الرئيس كانت : ان يتابع سياسته المؤيدة للصهيونية دون أي اعتبار للنتائج التي توصلت لها بعثة كينج - كرين . ومن الجلي ان ولسون لم يعتبر قط ان قاعدة تقرير المصير يجب أن تطبق على فلسطين . وهكذا كانت المقابلات التي نظمتها بعثة كينج - كرين في فلسطين وسوريه مجرد مسرحية أو مشهد للتأثير على «الوطنيين» في فلسطين ، ولتهدئة المعادين للصهيونية .

### ودرو ولسون ، المحرر الاعظم أم المخادع الاكبر ؟

يمتلك الرئيس ولسون سمعة بأنه المثالي الاكبر بين الرؤساء الاميركيين . ولا شك ان ولسون لم يظهر بصدد المسألة الفلسطينية اية مثالية . فلم تكن لديه الرغبة في أن يطبق مبداه في تقرير المصير على الشعب الفلسطيني ، وكان أيضا بأن يبيع لبريطانيا والصهيونيين ممارسة سياسة صممت بوضوح لحرمان الفلسطينيين من وطنهم بأكمله - فضلا عن حرمانهم حق تقرير المصير . وقد رأينا ، بالإضافة لذلك ، ان قرارات ولسون حول القضية الفلسطينية كانت مبنية على علاقته الشخصية مع برانديس (والصهيونيين) فضلا عن حقائق السياسات العملية في الولايات المتحدة . لقد كان طموح ولسون الاكبر ان يلعب دورا عالميا . وبحكم كونه «ليبراليا» فقد وجد فكرة أن يصبح حاميا الاقلية والشعوب المضطهدة فكرة ذات جاذبية خاصة . وقد قادت هذه الاهتمامات الرئيس لان يورط نفسه في شؤون اقليتين شرق - اوسطيتين : الارمن في اناضول تركيا ، واليهود في فلسطين . وقد جر تورط ولسون في شؤون هاتين الطائفتين الى كارثة للشرق الاوسط : ففي حالة الارمن ، فان الاكثريه التركية في اناضول نبحت وطردت هؤلاء السكان من المنطقة ذات العلاقة ، وفي حالة فلسطين طرد الصهيونيون الفلسطينيين من موطنهم . وهكذا في الحالة الاولى انتهى الشعب الذي آثره ولسون الى كارثة ، بينما في الحالة الثانية سبق الشعب الذي نسيه ، الشعب الفلسطيني ، الى المنفى .

في اوروبه طبقت قاعدة تقرير المصير بنجاح على الرعايا السابقين للامبراطورية

النمساوية - الهنغارية والامبراطورية العثمانية . وأعيد رسم حدود أوروبا بحيث ان ٣٪ فقط من شعوب أوروبا أصبحت تعيش تحت حكم اجنبي . ولكن العكس كان هو الصحيح في الشرق الاوسط . لقد اعيد رسم الحدود ولكن لم تعط شعوب العالم العربي حق تقرير المصير بحيث يمكن القول انه حين وضعت التسوية في باريس كان كل الشعب العربي ، باستثناء ٣٪ ، تحت السيطرة الاجنبية . وفي الواقع فإن مصر الرعايا العرب السابقين للامبراطورية العثمانية القديمة كان قد قرر حتى قبل اجتماع مؤتمر السلام : لقد أنكر عليهم ابداء أي رأي بمصيرهم وقسمت أراضيهم واحتلتها فرنسه وبريطانيه العظمى . ولكن اكثر نواحي تلك المناقشات التي جرت في باريس اثاره للدهشة كان استمرار الرئيس ولسون الشخصي في ربط نفسه مع ذلك الاتفاق « السري » الاخر ، تصريح بلفور ، والمشروع الانجلو - صهيوني في فلسطين .

ومن الممكن ان يجادل دفاعا عن ولسون انه لم يكن مطلعاً على حقائق المسألة الفلسطينية : ولكن لم تكن الحال كذلك . فالحجج ضد البرنامج الصهيوني كان قد قدمها مباشرة وبشكل كامل الى الرئيس شخص في وزن روبرت لانسنغ وزير الخارجية ، وهنري مورجنتو وهوارد بليس رئيس الكلية السورية البروتستانتية (جامعة بيروت الاميركية فيما بعد) . واذا كان الرئيس يمكن ان يدعي الجهل في خريف ١٩١٧ حين اعطى موافقته على تصريح بلفور ، فلم يكن لديه مثل هذا العذر في يناير ١٩١٩ حين انتهك كل مبادئه لدعم الصهيونيين في فلسطين .

كذلك يمكن ان يقال دفاعا عن ولسون انه ، ببساطة ، اذعن للامر الواقع المتمثل بالاحتلال البريطاني والفرنسي للشرق وما بين النهرين . وقد قيل ان الحلفاء لم يكن امامهم الخيار الا ان يسمحوا باقامة الدولة البولونية والتشيكية ودول اوروبية قومية اخرى لان القوى المتحالفة لم تكن في وضع يمكنها من رفض طلب أي من قوميات الامبراطوريات المقطعة الاواصل . اما في الشرق الاوسط ، فان القوات الفرنسية والبريطانية كانت في المنطقة منذ مدة ، ولم تكن شعوب المنطقة بقادرة على مقاومة الاحتلال . وبناء عليه يمكن ان يجادل بأن اعلان ولسون المثالي للنقاط الاربعة عشرة لم يكن ليحدث أي تأثير على الوضع السياسي الذي ساد اثر الحرب العالمية الاولى ، وان التسوية السلمية باكملها قد املتها « السياسة الواقعية » اكثر مما املتها المبادئ . فلكي نقبل مثل هذه الحجج ، علينا ان نضع جانباً واقع مكانة ولسون العظيمة بعد الحرب ، والذعر الواضح الذي أحدثه اعلان الرئيس عن تأليف بعثة الحلفاء المشتركة في المعسكر الصهيوني (البريطاني والفرنسي) . وان تعليق الكولونيل هاوس على زيارة فرانكفورت له بعد اسبوع واحد من اقتراح ولسون لتشكل البعثة « ان اليهود يعتقدون ان بعثة الحلفاء المشتركة ... مستخدم يهود فلسطين » يظهر ما الذي كان يخشى الصهيونيون ان يفعله هذا الرئيس الاميركي المثالي ذو المبادئ السامية . ولم يكن الصهيونيون بحاجة لان يقلقوا في الواقع ، فقد كان ولسون مديناً بالفضل لبرانديس الصهيوني العميق الالتزام .

وهكذا ، بالنسبة للعرب ، لم تكن مبادئ ولسون الصداحة بسوى كلام كثير ، كما جلبت سياسته الواقعية بالنسبة للفلسطينيين الكوارث . ان ولسون لم يكن في الواقع « المحرر الاعظم » بل « المخادع الاكبر » .

### روزفلت وفلسطين كملجا نهائي لليهود

كان اثر تورط ولسون مع الصهيونيين ان ترك الولايات المتحدة ملتزمة بالاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع . كان على ولسون ان يتصرف ازاء المطلب الصهيوني من أجل الارض . وكاتت الخطوة المنطقية الثانية ان يفي بحاجة الصهيونيين الى البشر للاستيطان في تلك الارض لكي يكون بإمكانها ان تصبح « دولة

يهودية في الواقع» . وفي هذا الصدد كان الرئيس فرانكلين روزفلت مجبرا على ان يستسلم لمتطلبات الصهيونيين .

لقد نجم تورط روزفلت مع الصهيونيين عن عطفه الكبير على الضحايا اليهود نتيجة سياسات هتلر العنصرية . وبعد خمس سنوات من صعود هتلر الى السلطة في المانيا ، وقبل عدة سنوات من اكتشاف العالم للنتائج الرهيبة لسياسات هتلر ، اتخذ روزفلت المبادرة في الدعوة الى مؤتمر للبحث في كيفية التصرف ازاء مشكلة اضطهاد اليهود في المانيا . ومثأثرا الى حد معين بـ «دعاية جودا ماجنيس ( عميد الجامعة العبرية )» (٢٤) دعا روزفلت الى مؤتمر في حزيران ( يونيو ) ١٩٣٨ يحضره ممثلون من الامريكيتين وأوروبا ، باستثناء المانيا . وكان روزفلت آنذاك قليل الاطلاع على الصراع حول فلسطين . وقد قدر ان المؤتمر « سوف يبين للعالم غير الاوروبي الحاجة الماسة للمهاجرة وبشكل رئيسي الى فلسطين » (٢٥) . اما الحكومة البريطانية التي كانت منهكة آنذاك بقمع تمرد فلسطيني عربي ، فقد اقلقتها التفكير في كيف يمكن لمثل هذا المؤتمر ان يؤثر في أحداث فلسطين . وقد جادل البريطانيون بان المؤتمر يجب ان يهتم بجميع اللاجئين لا يهود المانيا فقط ، وان الدعوة يجب ان توجه فقط لممثلي البلدان المستعدة لقبول مهاجرين ، وان فلسطين يجب ان لا تناقش . وقد وافق روزفلت على الشروط البريطانية وعقد المؤتمر في ايفيان في فرنسا يوم ٦ تموز ( يوليو ) ١٩٣٨ . وباقتراح هذا المؤتمر انعش روزفلت آمال اقلية مضطهدة عديدة سمعت للخلاص من الاضطهاد في مواطنها وللوصول الى الابواب المفتوحة للبلدان التي يمكنهم اللجوء اليها . وقد بدا ، لوهلة ، ان الولايات المتحدة تخرج من عزلتها وتهتم بمشاكل العالم . ولكن انضح بعيد افتتاح المؤتمر ان معظم الممثلين الحاضرين بمن فيهم ممثلو الولايات المتحدة ، لم يكونوا مغوضين بتقديم أية مقترحات اساسية . وكان ممثل جمهورية الدومينيكان الشخص الوحيد الذي عرض ، بالنيابة عن حكومته ، دخول عدد كبير من اللاجئين . وقد وافقت بلاده على استقبال ١٠٠٠٠٠ لاجيء يهودي من المانيا والنمسا . اما الدول الثلاثون الاخرى التي كانت تحضر مؤتمر ايفيان فلم تقترح سوى ان تضيف بضعة آلاف اخرى الى كوتا الهجرة لديها .

ونظر الصهيونيون الى مؤتمر ايفيان بـ « لا مبالاة عدائية » . لقد كان من الممكن ان يتحمسوا فيها لو بني المؤتمر على اقتراح روزفلت الاصلي . ولكن ، حسب تعبير كريستوفر سايكس ، « الحقيقة ان ما جرت محاولته في ايفيان لم يكن متجانسا مع روح الصهيونية وليس السبب بخاف . فلو قامت الدول الواحدة والثلاثون بواجبها وظهرت حسن ضيافتها « لليهود الالمان المضطهدين » ، لكان التاكيد على الوطن القومي والحساس المتصاعد للصهيونية قد خفا » (٢٦) . لقد كانت حرية المهاجرة لليهود آخر شيء يريده الصهيونيون . فقد كان من المهم لمشروعهم ان لا تسمح امم العالم الديمقراطية بالهجرة اليهودية . فالصهيونية تستند الى حاجة اليهود المزعومة الى ملجأ . وكان البرنامج الصهيوني يتطلب ان تكون فلسطين البلد الوحيد الذي يستطيع اليهود ان يذهبوا اليه ويشعروا فيه بالترحاب : « فاذا كانت سياستهم تستلزم العذاب فذلك هو الثمن الذي يتوجب دفعه لانقاذ الروح اليهودية » (٢٧) .

وعلى الرغم من ان روزفلت كان قد تأثر بالصهيونيين في دعوته للمؤتمر ، الا انه لا يبدو ان الصهيونيين بذلوا اية محاولة للتأثير على نتيجة اجتماع ايفيان . ولم تكن بهم حاجة لذلك . فقد تسببت المصالح الانانية ، وليس الضغط الخارجي ، للدول الحاضرة ، باستثناء جمهورية الدومينيكان بفشل مؤتمر ايفيان . ولم يذهب هذا الدرس هدرًا بالنسبة لروزفلت الذي وضع كل وزنه وراء اجتماع ثان عقد في برمودا في ابريل ١٩٤٣ . « لقد كان واحدا من اكبر آمال روزفلت ان ترفع حواجز الهجرة ضد اليهود من قبل جميع الامم



كذلك كان الرئيس قد أصبح أكثر تعقدا في تعامله مع المشكلة الشائكة للهجرة اليهودية الى فلسطين : « فقد بدا من غير الامانة بالنسبة لروزفلت ان يطلب من العرب امتيازات للهجرة بينها كانت الولايات المتحدة تحتفظ بقوانينها الانتقائية الصارمة للكوتا » (٢٩) . وكان هذا طبعا مناقضا على خط مستقيم للدعاء الصهيوني بأن النحل الوحيد للتشرد اليهودي يمكن في خلق دولة يهودية في فلسطين . كان روزفلت يعرف جيدا متطلبات الصهيوينيين ولكن كان على الرئيس روزفلت عام ١٩٤٣ ، بخلاف ولسون عام ١٩١٧ و١٩١٩ ، ان يأخذ بعين الاعتبار المصالح الاميركية في الشرق الاوسط . ولم يكن روزفلت ليستطيع ان يؤدي مركز الولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى في العالم العربي لكون هذه المنطقة مسرحا حريبا للطفاء . بالإضافة الى ذلك كان قد أصبح للولايات المتحدة مصالح اخرى في الشرق الاوسط عام ١٩٤٣ : نفط ، تجارة ، سياسة ، وجغرافيا استراتيجية . ولم يشأ روزفلت ان يهدد ايا من هذه المصالح بكسب عداة العرب بشأن فلسطين .

لقد كانت مسألة الهجرة اليهودية الى فلسطين وثيقة الارتباط باستقرار الشرق الاوسط وبالجهود الحربية للطفاء . وقد جعلت الثورة العربية الفلسطينية الحكومة البريطانية تعدل ، الى حد ما ، برنامجها القائم على البناء التدريجي لإكثرية يهودية في فلسطين بقصد الوصول الى حق تقرير مصر يهودي في ذلك البلد . لقد حدد الاقتراح الاساسي للكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ الصادر عن الحكومة البريطانية كوتا مقدارها ٧٥٠٠٠ لاجيء يهودي للسنوات الخمس التالية (كوتا اولية مقدارها ٢٥٠٠٠ لاجيء ثم ١٠٠٠٠ مهاجر يهودي سنويا) . ونص على ان أية هجرة يهودية اضافية بعد ذلك يجب ان تنال موافقة عرب فلسطين . وقد كان تنفيذ مثل هذه السياسة يعني بالنسبة للصهيوينيين انه لن يكون بالامكان بناء أية اكثرية يهودية ، وان فلسطين لن تصبح مطلقا «دولة يهودية في الواقع» . وقد وافق روزفلت على السياسة البريطانية ( وتجدد ذلك في قبوله لاعادة تفسير بريطانيا للهجرة قبل مؤتمر ايفيان ) ، كما وافق ان سيلا من اللاجئين اليهود في فلسطين سيفرض تسوية نهائية في فلسطين (لقضية تقرير المصير اليهودي) قبل ان يتمكن الحلفاء من الجلوس في مؤتمر السلام وتقرير ما يتوجب عمله .

كان عدم التدخل في القضايا السياسية هو المبدأ الموجه لمؤتمر برمودا . فقد ادعى انه كان للمؤتمر دور انساني بحث يقوم به ، وبناء عليه لم يناقش الممثلون الذين اجتمعوا في برمودا قضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فهي قضية سياسية جدا حقا . ولكن نظرا لاهمية الهجرة اليهودية الى فلسطين بالنسبة للصهيوينيين ، فان قرار القائدين روزفلت وتشرنل الذين دعيا للمؤتمر لبحث مسألة اللاجئين اليهود في اوروبه كجزء لا يتجزأ من مشكلة اللاجئين الكلية ، كان قرارا سياسيا ذا أهمية حاسمة . كذلك كان تهديدا رئيسيا للصهيوينيين . وهكذا تعرض المؤتمر لنقد مستمر مزير من الدوائر الصهيونية ، كما ان ادارة روزفلت نفسها انقسمت حول القضية .

\* اتبعت الولايات المتحدة سياسة تقوم على حرية الهجرة من ١٩٢٣ - ١٩٢٤ حين اصدر الكونجرس قوانين هجرة جديدة قيدت الى حد كبير الهجرة ولا سيما بخصوص اليهود والشعوب الملونة . وقد فصلت قوانين الهجرة هذه للحفاظ على التوازن العنصري القائم في الولايات المتحدة عام ١٩٢٣ . أخذين هذه القوانين بعين الاعتبار من المقرر ان نلاحظ ان عدد التجمع السكاني اليهودي الاميركي ارتفع بين ١٩٠٠ و١٩١٤ من ١ الى ٢ ملايين ، وبين ١٩١٤ و١٩٢٨ (بعد أربع سنوات من التقييد) الى ٤٤٢ مليون ، وبين ١٩٢٨ و١٩٤٣ الى ٥٤٢ مليون . انظر

Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism*, Detroit, 1961, p. 47.

لقد شعر الرئيس بعد مؤتمر يرمودا ان مشكلة المهاجرة اليهودية يمكن ان تحل فيما اذا رحت القوى الكبرى بأعداد مهمة من اللاجئين . وأجس ان الأمم الأخرى سوف تحثي مثال هذه المبادرة الكريمة . ولكن روزفلت عرف ان الكونجرس الأمريكي سيكون ضد ان تقدم الولايات المتحدة العرض الاول ، ولهذا أرسل موريس ارنست ، وهو يهودي يهودي ، مبعوثا الى لندن لتأمين موافقة تشرشل بشأن هجرة ١٠٠.٠٠٠ يهودي الى بريطانيا . وقد شعر روزفلت انه قد يكون بإمكانه ، اذا وافق تشرشل ، ان يقنع الكونجرس بأن يصادق على دخول مئة ألف آخرين الى الولايات المتحدة . فقد حث الرئيس ان الكونجرس لا يستطيع التمسك بسياساته التضييقية بصدد الهجرة في وجه التبرير البريطانية الحسنة نحو اللاجئين اليهود . لقد كافح روزفلت من اجل رفع جميع حواجز الهجرة . وكان يعتقد ان جميع الناس يجب ان يقبلوا بغض النظر عن العنصر واللون والدين . « ولكن حين قرر روزفلت تنفيذ هذا البرنامج اكتشف ان الصهيونيين كانوا ضده » (٢٠) .

ونجحت مهمة موريس ارنست ، فقد وافق تشرشل على قبول المائة ألف ، ولكن روزفلت لم يستطع مجازاة العرض البريطاني وأهمل الاقتراح . وقد أرجع ارنست فيما بعد فشل بادرة روزفلت الى الصهيونيين مباشرة : « ... وبدأ بالنسبة لي ان فشل المجموعات اليهودية [ الأمريكية ] القائدة في مساندة برنامج الهجرة هذا بحماس ، ربما قد دفعت الرئيس آنذاك لعدم الضغط للسمر عندما بذلك البرنامج » (٢١) . ويجب الافتراض ، على كل حال ، بأن روزفلت نفسه تأثر الى حد كبير بالمعارضة الصهيونية لاقتراحه . ففي هذا الموقف ، توافقت مصالح المشرعين الأمريكيين في الكونجرس مع متطلبات الصهيونيين فكلا الفريقين كان يريد استمرار القيود على الهجرة . ولو ان الصهيونيين اختاروا ، بدلا عن ذلك ، ان يمارسوا تأثيرهم في الكونجرس ، والذي لم يكن ليستهان به ، لمصلحة امتيازات اللاجئين اليهود ، لكان هناك فرصة كبيرة لان يدعم الكونجرس الرئيس . ولكن سياسة الصهيونيين كانت فلسطين او لا شيء .

ومن الظلم القول ان اذعان روزفلت في مأزق الهجرة شكل « قرارا » بالمعنى الذي شكله اذعان ولسون في تصريح بلفور . فروزفلت انحنى لفتوة كبرى ، بينما كان لدى ولسون افكار أخرى اثارها وحركها تدخل صهيوني نافذ . ولكن قبول روزفلت للحالة شكل « قرارا » لان روزفلت لم يثر بعد ذلك مسألة اصلاح قضية الهجرة في الولايات المتحدة ، ومسألة اتباع سياسة عامة دولية تقوم على الأبواب المفتوحة فيما يختص باليهود . وتجنبته هزيمة روزفلت في سياسة فلسطين كملجأ نهائي للشعب اليهودي . وقد كانت هذه سياسة عالمية لا سياسة الولايات المتحدة فحسب ، وظهورها بسبب المصالح الانانية للدول المعنية ، كان ضربة كبرى لمصلحة الصهيونيين . ولا يمكن القول ، مع ذلك ، ان الصهيونيين هم الذين صمموا هذه الضربة بقدر ما انهم ساندوها فقط واستفادوا منها . ومنذ ذلك الوقت وما تلا اصبح بإمكان الصهيونيين ان يقولوا ، بصدق ، ان فلسطين كانت هي اللجأ الوحيد لليهود ، المكان الذي يمكن ان يرحب بهم فيه بين انباء جلدتهم وقد كانت هذه هي « الرافعة الصهيونية » ضد القيود البريطانية للهجرة في فلسطين وبالانجرار خطوة أخرى بدافع الصهيونيين ( المدعومين من الدول التي كانت ما تزال لا تريد اعدادا كبيرة من المهاجرين اليهود ) ، أصبحت تلك هي سياسة « فلسطين هي اللجأ النهائي لليهود » ( الذين يمكن ان يتعرضوا للاضطهاد وهم يحتاجون مثل هذا اللجأ ) . دام ليس هناك احد آخر يقبل بهم ) . فبالنسبة للصهيونيين ومؤيديهم كانت الهجرة الى فلسطين تقدم ، آنذاك ، الحل النهائي « للمشكلة اليهودية » . ولهذا يشكل « قرارا » روزفلت او اذعانه واحدا من القرارات الأمريكية الرئيسية حول المسألة الفلسطينية . وتدل ارقام الهجرة اليهودية على مدى اهمية ذلك بالنسبة للصهيونيين من اجل بناء

دولتهم . فقد كانت الهجرة اليهودية الى فلسطين ادنى بكثير من مستوى رقم ١٠٠٠٠٠ سنويا الذي حدد في الكتاب البريطاني الابيض لعام ١٩٣٩ . فقد بلغت ٨٦٣٩٨ عام ١٩٤٠ ، و ٥٤٨٨٦ عام ١٩٤١ ، و ٣٧٣٣٣ عام ١٩٤٢ ، و ٨٦٥٠٧ عام ١٩٤٣ ( وهو عام هزيمة روزفلت ) . ولكن عدد المهاجرين ارتفع بشكل ملحوظ الى ١٤٤٤٦٤ عام ١٩٤٤ و ( ١٣١٢٠٠ عام ١٩٤٥ ، و ١٧٠٧٦١ عام ١٩٤٦ ، و ٢١٤٥٤٢ عام ١٩٤٧ . ثم ارتفعت الهجرة اليهودية بين ١ كانون الثاني (يناير) و ١٤ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وهي الاشهر الاخيرة للانتداب البريطاني ، الى ١٧٠١٦٥ ، ثم اصبح الرقم بين ١٥ ايار (مايو) و ٣١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، بعد اعلان اسرائيل ، ١٠١٤٨٢٨ . وان تدفق المهاجرين مباشرة بعد اقامة الدولة الصهيونية هو دليل على النجاح الذي حققته سياسات وضغوط المهاجرة الصهيونية . فما ان فتحت ابواب فلسطين ( بينما ظلت الابواب الاخرى محكمة الاغلاق ) حتى تدفق اليهود ، الذين لم يكن ليقبلهم احد آخر ، الى فلسطين . ولا شك ان ما حدث بعد ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ قد بدأ للصهيونيين كتزكية كاملة لسياستهم ، هذا بينما كان تدفق اليهود بالنسبة للفلسطينيين الذين طردوا من منازلهم يعني استبدالهم الدائم . ( وجددير بالذكر ان الوسيط الدولي للامم المتحدة الكونت برنادوت كتب في تقريره في ١١/٩/١٩٤٨ محذرا من مثل هذه النهاية بعد طرد الفلسطينيين ١٩٤٨ ) .

### روزفلت وسياسة فلسطين كدولة يهودية

تجاوزت مجابهة روزفلت مع الصهيونيين قضية الهجرة . فقد كان كذلك تحت ضغط متواصل لتصديق البرنامج السياسي للصهيونيين الاميركيين الذي تمثل « برنامج بيلتمور » كما دعي نسبة للمؤتمر الذي اصدر البرنامج وانعقد في ايار (مايو) ١٩٤٢ في فندق بيلتمور بمدينة نيويورك . تقول الفقرة الاساسية من هذه الوثيقة المهمة : « يحث المؤتمر على ان تفتح ابواب فلسطين ، وان تخول الوكالة اليهودية الاشراف على الهجرة الى فلسطين ، وان تزود بالسلطة اللازمة لبناء البلاد بما فيها اراضيها الشاغرة وغير الخروثة ، وان تبني فلسطين ككمنولث يهودي يشكل جزءا صميميا في بناء العالم الديمقراطية الجديد » (٣٣) . ومن المثير ان نلاحظ ان كلمات « الكمنولث اليهودي » كان الصهيونيون قد استعملوها عام ١٩١٩ عندما اصدروا بيانهم حول اجتماع وايز ومارشال مع الرئيس ولسون . لقد كان استخدام كلمة « كمنولث » ذا اهمية كبرى للفكر الصهيوني لان هذه الكلمة حددت الهدف الصهيوني في فلسطين على انه اكثر من اقامة دولة يهودية . هذا الهدف كان في الواقع تأسيس وطن قومي او دولة ترعى مصالح جميع اليهود او يمكن ان يكون القيم على رفاه الطوائف اليهودية عبر جميع انحاء العالم . ونحن نقل عن لسان ولسون انه كان عام ١٩١٩ قد منح تأييده لفكرة الكمنولث اليهودي ، فان النتائج المترتبة على استخدام الصهيونيين لهذه الكلمات لم تكن واضحة . في العام ١٩٤٣ ، ولا سيما اثر هزيمة اقتراح روزفلت للهجرة ، كان معنى تعبير « الكمنولث اليهودي » واضحا جدا حقا . وقد اكد الصهيونيون انفسهم في برنامج بيلتمور ان تأسيس فلسطين ككمنولث يهودي سوف يحل مشكلة التشرذم اليهودي . وقد بدأ بالنسبة للرئيس روزفلت الذي احس بشدة بالحاجة لرفع الالام عن اليهود اللاجئين في اوروبه ، انه ليس هناك خيار الا ان يخطو خطوة باتجاه الصهيونيين . ولان روزفلت لم يكن رجل انصاف حلول ، فقد ذهب الى اخر الطريق لتلبية مطالب الصهيونيين . ولكن قبل ان يصوغ اقتراحه لتسوية المشكلة الفلسطينية ، اعطى روزفلت تأكيدات للعرب .

في نيسان (ابريل) و ايار (مايو) ١٩٤٣ ، كتب ابن سعود ملك العربية السعودية الى الرئيس يحذره من المترتبات التي سيخلفها في العالم العربي تبني الولايات المتحدة سياسة دعم الجهود الصهيونية في فلسطين . وطالب الملك الرئيس بنان لا يتخذ اية خطوات تصدد المسألة الفلسطينية قبل ابلاغه مقدما . وقد وعد الرئيس بنان « لا يجب التوصل

لاي قرار يغير الوضع الاساسي في فلسطين دون تشاور كامل مع كسل من اليهود والعرب» (٢٤). وقد رغبت وزارة الخارجية ان تتبع التزام روزفلت الخاص نحو الملك سعود بالتعاون مع الحكومة البريطانية في اصدار تصريح رسمي بأنه « لا يجوز ان يتخذ اي قرار نهائي بصدد فلسطين الا بعد الحرب ، والا بالتشاور الكامل آنذاك مع كل من اليهود والعرب » (٢٥).

ويبدو ان آمال روزفلت باتفاق عربي - يهودي انبثقت عن اجتماع كان قد عقده مع وايزمن وسرد فيه الاخير اقتراحا لسانت جون فيليب ، المستشار البريطاني للملك ابن سعود ، كان قد نال موافقة تشرشل . كان مشروع فيليب كما يلي : « تترك كل فلسطين لليهود ، ويوطن جميع العرب الذين اجلوا في مكان اخر على نفقة اليهود الذين يضعون عشرين مليون جنيه لهذا الغرض بتصرف الملك . ويعترف بجميع البلدان العربية في آسياه كبلدان مستقلة باستثناء عدن . وتقترح بريطانيا والولايات المتحدة هذه الترتيبات على ابن سعود وتضمنانها معا في حالة الموافقة العربية » (٢٦). وقد اعتقد فيليب ان العرب سيخدمون مصالحهم كأفضل ما يكون اذا « ... استهدفوا تعويضا يمكن احرازه على حساب حق لا يمكن انكاره » (٢٧) ، وهو حق الفلسطينيين بالعيش في وطنهم . ويبدو ان وايزمن قد فاتح تشرشل حين كان وزيرا للبحرية في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٩ ، كما ناقش القضية مع روزفلت في شباط (فبراير) ١٩٤٠ ، كذلك عرض فيليب القضية على ابن سعود عام ١٩٤٠ . ولكن لم ينتج شيء عن ذلك الاقتراح لان زعماء العالم كانوا اكثر انهماكا بادارة الحرب منهم بوضع تسوية لفلسطين ، ولم يبعث مشروع فيليب بعد ذلك حتى عام ١٩٤٢ . وقد رفض ابن سعود المشروع مباشرة ، كما رفض الترحيب باقتراح روزفلت بان يجتمع مع وايزمن او مسؤول اخر في الوكالة اليهودية لمناقشة القضية . وقال الملك انه « لا يستطيع التحدث باسم فلسطين فبالاجرى ان لا يستطيع تسليم ذلك البلد لليهود » (٢٨).

ومرة ثانية وجد روزفلت نفسه عاجزا عن التصرف . وقد اعيد طرح اقتراح تصريح انجلو - امريكي يؤجل قضية فلسطين الى ما بعد انتهاء الحرب وبعد تشاور كامل مع كل من العرب واليهود . ولكن ايمانويل سيلر رجل الكونجرس الصهيوني النافذ من نيويورك اتهم المسؤولين في الادارة بانهم « ساهموا في خيانة فلسطين » ، وهدد بالدعوة لتحقيق يقوم به الكونجرس « الا اذا اوقفت وزارة الخارجية معارضتها السخيفة لفلسطين كملجأ آمن لليهود » . ثم طالب سيلر بان يسعى روزفلت مع تشرشل في مؤتمر كوبيك ( آب ، اغسطس ، ١٩٤٣ ) « من اجل فلسطين كموطن لليهود » (٢٩) . وقد عاد تشرشل وروزفلت فتراجعا عما نويا التصريح به حول فلسطين وقررا ان يضعا سياساتهما على اساس احداث فلسطين من شهر لآخر .

وخلال عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ تعرض الرئيس لضغط صهيوني متواصل لاصدار بيان لمصلحة برنامج بيلتور . ولكن روزفلت كان ما زال يسعى لان يتقيد بالتزامه مع الملك ابن سعود بان شيئا لن يعمل قبل انتهاء الحرب وبدون تشاور مسبق مع الملك . وقد لعبت وزارة الخارجية دورا مهما في تأجيل اي قرار على الرغم من ان اثنين من مستشاري روزفلت المقربين وهما سمنر ولز وزير الخارجية ، وكوردل هل كانا كلاهما مؤيدين للصهيونية . خلال هذه الفترة حاول الرئيس جادا « ان تكون كسل الاشياء لكل الشعب » . ومهما يكن فان سياسته لم تنجح احيانا كما في حادثة الصهيونيين وايز وسيلفر حين صاغوا تصريحاً ليصدر عن الرئيس في اذار (مارس) ١٩٤٤ . وقد كان ذلك النص المقترح سيلزم الولايات المتحدة بالبرنامج الصهيوني كله بما فيه قبول فكرة الكمنولث اليهودي لو لم يتجاهل روزفلت البيان الصهيوني . وبدلا عن ذلك اصدر روزفلت تصريحاً عاما عن اللاجئين الاوروبيين . ولكن هذا زاد فقط الضغط الصهيوني ،

كما بدأ الصهيونيون يهددون روزفلت بخسارة « الأصوات اليهودية » في انتخابات تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ . وقد تجاوب كل من الحزبين الجمهوري والديمقراطي مع التحدي الصهيوني وذلك بأن ضمنا برامجهما الحزبية وعودا عريضة للصهيونيين في فلسطين . واحتذى روزفلت مثال حزبه فبعث في تموز (يوليو) رسالة الى السفاتور واجنر من نيويورك كان عليه ان ينقل محتوياتها الى المنظمة الصهيونية : « سوف تبذل الجهود لاجاد طرق ووسائل ملائمة لتنفيذ [سياسة الكمنولث اليهودي] حالما تصبح ممكنة التحقيق . وانا اعلم منذ متى وبأي حمية عمل اليهود وصلوا من اجل جعل فلسطين كمنولثا يهوديا حرا ديمقراطيا . واني لعلنى قناعة بان الشعب الاميركي يمنح تأييده لهذا الهدف ، واذا ما اعيد انتخابي فسوف اساعد على تحقيقه » (٤٠) . ووفقا لفرانك ايمانويل كان هذا البيان « ابتمادا مهما عن التحيزات الرئاسية السابقة للصهيونيين » (٤١) . فهو لم يكن مجرد تعبير عن التحبذ او المساندة للبرنامج الصهيوني بل وعدا بان يعمل اعلى تحقيقه .

ومهما يكن ، فان روزفلت عاد بعد الانتخابات الى سياسته « المستقلة » (٤٢) السابقة . بل انه طلب من الصهيونيين ان يوقفوا قرارات الكونجرس المقترحة لصالح البرنامج الصهيوني لفلسطين ، وفكر قبل ولايته الثالثة في « تقارب محتمل مع ابن سعود بخصوص مسألة فلسطين » (٤٣) . وقد قابل الرئيس الملك بعد مؤتمر يالطا وقتل ابنسوع واحد من وفاته حيث اعطى روزفلت تأكيدات اساسية جديدة لابن سعود . في ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ كتب روزفلت يقول انه « شخصيا كرئيس ، لن يفعل ابدا شيئا لم يكون معاديا للعرب » وان « حكومة الولايات المتحدة لن تجري اي تغيير في سياستها الاساسية في فلسطين دون تشاور مسبق وكامل مع كل من اليهود والعرب » (٤٤) .

على الرغم من ذلك فلا يمكن ان نعتبر اعمال روزفلت « قرارات » حقيقية بالشكل الذي يمكن ان نعتبر منه قبول ولسون لتصريح بلفور . لقد ساندت اعمال الرئيس روزفلت الخط الصهيوني القائل بانه يجب الاعتراف بفلسطين على انها الملجأ النهائي لليهود وبنائها كمنولث يهودي . ولكن اثر انعماس روزفلت في المسألة الفلسطينية لم يكن محسوسا ابان رئاسته بل بعد وفاته فقط ابان رئاسة هاري . اس . ترومان . والسبب في ان روزفلت لم يكمل قط اي شيء ابتداءه لمصلحة الصهيونيين كان انه لم يكن مقتنعا بان المصالح الصهيونية والاميركية كانت متوافقة في الشرق الاوسط . ان كاتبنا صهيونيا واحدا على الاقل ، هو جي . سي . هورويتز (٤٥) ، يعتقد ان روزفلت لو عاش لاتبع في الشرق الاوسط سياسة لا تهدد مصالح اميركة القومية في المنطقة . وهذا كان يعني القول « لا » للصهيونيين . وبالنسبة للصهيونيين فيمكن ان يكون موت روزفلت من حسن حظهم .

عند هذه النقطة ، يجب ان نناقش بايجاز الرئيتين المشابهين جدا والمختلفين جدا : ولسون وروزفلت . لقد كان الاثنان « لبيرالين » ، و« ديمقراطيين » ، و« انسانيين » ، ومثاليين . وكان لكل منهما قوة ادبية عظيمة . وكلاهما اذعن للصهيونيين في لحظات حاسمة من سعي الصهيونيين لاغتصاب فلسطين . وان ملاحظة توينبي بان ولسون شخص آمال عصر ما بعد الحرب العالمية الاولى تلخص بشكل فعال امكانية الرجل . ولكن اذعان ولسون كان شخصيا اكثر منه سياسيا ، ويستطيع المرء ان يستنتج بانه كان رجلا يفقد الجراءة الادبية .

لقد حقق روزفلت ، الى حد ما ، قدراته الكامنة خلال حياته ولم تظهر آثار تورطه مع الصهيونية الا فيما بعد . وكان الصهيوني المخلص ، ايمانويل نيومان ، حين كتب بعد بضعة سنوات من وفاة روزفلت هو افضل من استشف هذا السياسي « البراجماتي » ،

ورجّل الدولة بعيد النظر ، والاسبان المتفهم . ذكر نيومان ان صداقة الرئيظين الشخصية واهتمامه العظوف على « الشعب اليهودي » لم يعنيا انه كان لديه اي وقت للصهيونيين . وقال نيومان ان روزفلت كان لديه « شك عميق الجذور » بشأن « فلسطين يهودية » ، ووصف موقف روزفلت من المحاولة الصهيونية بانه « رافة غير متورطة » . كذلك اعترف نيومان ان الصهيونيين لم يتجرأوا ان يعملوا ضد هذا الرئيس الامركي القوي لسببين : الاول ، لان روزفلت كان بالنسبة « للشعب اليهودي » في جميع أنحاء العالم « صديقه الكبير ويطله » (٤٦) . والثاني ، لان روزفلت كان في السلطة وبدا ان سوف ينتخب وانه سيكون وجها بارزا في مؤتمر السلام . وهكذا كان على الصهيونيين في تعاملهم مع روزفلت ، ان يعملوا بحذر واع ، ولم يجراوا على اثاره غضبه بمعارضته سياسته بصياح عال . فمن جهة اولى نجد ان خوف الصهيونيين من روزفلت واحترامهم له اعطاه المقدرة على متابعة سياسات كان يشعر انها تخدم كافضل ما يكون المصلحة القومية الامركية . بينما نجد من جهة ثانية ان الصورة التي كانت عليها المتطلبات السياسية لروزفلت ( ولجزبه ) لم تمكنه من تجاهل مطالب الصهيونيين . ففي الميدان الاول الذي جبايه فيه روزفلت الصهيونيين ، وهو سياسة الهجرة ، هزمت سياسته معادية للصهيونية نتجت عن عدم رغبة الكونجرس في تبديل قوانين الهجرة التقيدية ، لا عن معارضة صهيونية . وفي هذه الحادثة اقتصر عمل المعارضة الصهيونية على مساندة موقف الكونجرس فقط . أما في الميدان الثاني ، وهو الحيلة السياسية ، فقد ادعى روزفلت مؤقتا للمطالب الصهيونية لكنه استأنف بسرعة سياسته المستقلة حالما اعتد انتخابه . والحادثة الغريبة المتمثلة بقبول روزفلت لاقتراح فيلبي الى الملك ابن سعود ، تظهر الى اي مدى يمكن ان يكون روزفلت مثاليا وسادجا . ومن الواضح ان الرئيس شعر ان ذلك المشروع يمكن ان يحل ، بأن واحد ، المشكلة الفلسطينية ومسألة ابن يمكن ارسال المهاجرين اليهود . لقد كان برانديس هو المفتاح لسياسة ونلسون ، ولكن روزفلت لم يكن ملتزما بالصهيونيين بروابط شخصية مماثلة . وهكذا كان روزفلت حرا في ان يبذل اقصى جهده على الرغم من ان حتى اقصى جهده لم يكن كافيا ، واصبحت الولايات المتحدة ملتزمة بسياسة « فلسطين الملجا النهائي لليهود » .

ان تنفيذ هاتين السياستين ، سياسة « فلسطين الدولة اليهودية » وسياسة « فلسطين الملجا النهائي لليهود » ، ترك لـ هاري اس. ترومان الذي كان ، بخلاف ونلسون وروزفلت ، مؤيدا راسخا للقضية الصهيونية . في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، ابلغ الرئيس ترومان باقامة دولة اسرائيل في فلسطين ، وبعد دقائق كان قد اعترف اعترافا واقعييا بالدولة اليهودية . حقا لقد اعترف بفلسطين « دولة يهودية حالما اعلنت دولة يهودية » على الرغم من ان ثلث سكانها فقط كان يهوديا آنذاك . وبين ١٥ ايار (مايو) و ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ دخل اسرائيل اكثر من ١٠٠٠٠٠ يهودي ، وابتداء ، بزخم ، تنفيذ سياسة الدولة اليهودية كملجا « الشعب اليهودي » . وقد تادت هذه السياسة الى الحل محل الفلسطينيين في وطنهم — طردهم من قبل القوات اليهودية في ١٩٤٨ . والى اكثر من عشرين عاما من النفي الفلسطيني .

### سياسة التفوق العسكري الاسرائيلي في الشرق الاوسط

لم يتبأ قسم الاستخبارات في البعثة الامركية لمفاوضات السلام في مذكرته بتاريخ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ بنتائج توصيته بان يعترف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع . لقد تصورت المذكرة تنفيذ عملية استبدال السكان الفلسطينيين العرب تدريجيا باليهود المهاجرين وخلق دولة يهودية في النهاية على اسس ايجاد اكثرية يهودية في فلسطين . ودفعت مقاومة الفلسطينيين لعملية اجلائهم التدريجية الصهيونيين الى اللجوء لاستخدام القوة للوصول الى هدفهم . ولان اسرائيل كانت قد ولدت بالقوة

على أرض فلسطين ، وجدت الدولة اليهودية انه يتوجب عليها حماية نفسها بالوسائل العسكرية في بيئة معادية . ولقد كانت الطريقة الوحيدة التي تستطيع اسرائيل ان تفعل فيها ذلك هي اما ان تحصل على التزام من قوة كبرى ، تحديدا الولايات المتحدة ، يضمن استمرار وجود الدولة اليهودية بوسائل التدخل العسكري لتلك القوة ، واما ان تمتلك اسرائيل التفوق العسكري على الدول العربية . لقد جوبه الرئيسان ترومان وايزنهاور بهذه المشكلة واتخذا ، بخطوتين ، القرار ببناء اسرائيل وجعلها القوة العسكرية المسيطرة في الشرق الاوسط .

كان قرار الرئيس ترومان انه لا يستطيع الزام القوات الاميركية بالقتال من اجل الصهيونيين في فلسطين . ولم يكن الرئيس على اي حال في وضع يمكنه من الزام قوات الكفاح الفلسطيني لان مثل هذه الخطوة كانت ستكون خطوة مكروهة جدا في الولايات المتحدة التي ارهقتها الحرب . وقد اضطر ترومان الى اتخاذ هذا القرار عام ١٩٤٥ بينما كان النقاش محتدما في الولايات المتحدة بشأن الهجرة اليهودية الى فلسطين : هل ان الولايات المتحدة مهياة ام لا لان تتحمل مترتبات الدفاع عن دخول ١٠٠.٠٠٠ لاجيء يهودي الى فلسطين ، وهي خطوة ستؤدي قطعاً الى صدام . وقد عبر الرئيس عن انطباعه علنا اثر عودته من مؤتمر بوتسدام ، بانه « يتطلب نصف مليون جندي اميركي لحفظ السلام في فلسطين » (٤٧). وفي النهاية لم تكن القوات الاميركية مطلوبة لاقامة الدولة اليهودية ، ولم تحل مسألة كيفية المحافظة على هذه الدولة الا في رئاسة دوايت دي. ايزنهاور .

عندما ابتدا الجنرال ايزنهاور حملته من اجل الرئاسة ، كانت اهم مشكلة تواجهه الولايات المتحدة هي الحرب الكورية . وقد خاض حملته على اساس انه سينهي الحرب في آسبه بأقصى سرعة ممكنة ويعيد الجنود الاميركيين الى وطنهم . ولم يكن هناك مجال لان يلزم ايزنهاور القوات الاميركية بأن تخوض حربا اخرى في آسبه ، ولو لمصلحة الصهيونيين ، على الرغم من ان الدولة الصهيونية الحديثة الولاة لم تكن تتطلب في الواقع تدخلا عسكريا مباشرا لصالحها ضد جيرانها . وعضا عن ذلك طالب الاسرائيليون والنواب الصهيونيون الاميركيون ، باستمرار ، ببعونة من الاسلحة الاميركية .

وعلى اية حال ، فلم تبدأ حكومة الولايات المتحدة الاميركية تدرس جديا احتمال تزويد الاسرائيليين بكميات كبيرة من السلاح الا في عام ١٩٥٥ . حدث هذا في عام ١٩٥٥ عندما رود الاتحاد السوفيياتي مصر بتجهيزات عسكرية بعد ان رفضت امركة ان تفعل ذلك . وأرعبت صفقة الاسلحة السوفيياتية - المصرية بشكل خاص وزير الخارجية الاميركية جون فوستر دالاس . ودفع هجوم القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية على مصر في اكتوبر نوفمبر ١٩٥٦ ، وزير الخارجية لان يعيد النظر في التوجه الاميركي بصدد عدم الاستقرار في الشرق الاوسط . في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧ ، قدم الرئيس ايزنهاور في رسالته الى الكونجرس مقترحات لسياسة امركية شرق - اوسطية جديدة . وطالب بقرار مشترك لمجلسي الشيوخ والنواب يخول الرئيس اتخاذ خطوات لحاربة « الرغبات المفترسة للشعبوية الدولية » في الشرق الاوسط . اما الاقتراح المتعلق بالعلاقات الاميركية - الاسرائيلية فقد اوصى بان تتكفل الولايات المتحدة بتقديم المعونة العسكرية لاي بلد يطلب مثل هذا العون . وقد وافق الكونجرس وظهر الى الوجود ما يسمى بـ « مبدأ ايزنهاور » . وبموجب مبدأ ايزنهاور بدأت الولايات المتحدة تزود اسرائيل بكميات هامة من التجهيزات العسكرية بقصد الحفاظ على « توازن القوى » في المنطقة ، وهو التوازن الذي كان يعني في الواقع اختلالا في التوازن العسكري لصالح المليونى اسرائيلي ضد المائة مليون عربي في الشرق الاوسط وشمال افريقيه .

وقد أصبحت هذه هي سياسة السيطرة الإسرائيلية العسكرية التي تابعها الرئيس جون اف. كينيدي الذي اعطى الاسرائيليين صواريخ « هوك » الأمريكية فضلا عن تجهيزات أخرى ، ثم تابعها الرئيس ليندون بي. جونسون الذي وعد اسرائيل بأحدث طائرات « فانطوم » الأمريكية المقاتلة القاذفة ، ثم تابعها الرئيس ريتشارد ام. نيكسون الذي سلم حتى الان طائرات «الفانطوم» واعطى قرضا بس ٥٠٠ مليون دولار للحفاظ على تفوق اسرائيل العسكري في الشرق الاوسط .

ولربما كان قرار ايزنهاور — دالاس عام ١٩٥٧ بتزويد اسرائيل بالاسلحة اكثر القرارات الأمريكية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين اهمية ، واكثرها خطورة قطعاً . والسدول العربية لا تستطيع ان تسمح لاسرائيل ، وهي الدولة الغربية ، بالسيطرة على الشرق الاوسط ، كما لا تستطيع الشعوب العربية ان تنسى ان اسرائيل قد اقيمت على حساب الشعب الفلسطيني . وهكذا ، وما دامت اسرائيل موجودة ، فان عليها ان تكافح لان تعيش في بيئة معادية ، وسوف يندلع القتال من وقت لآخر — كما حدث في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ — ، وسيكون على الولايات المتحدة ان تحافظ على السيطرة الاسرائيلية العسكرية في الشرق الاوسط .

لنتفحص الان بايجاز كيف اتخذ هذا القرار كي نقارنه بالقرارات المتخذة من قبل ولسون وروزفلت . لقد اتخذ قرار تنمية تفوق اسرائيل العسكري على خطوتين تفصل بينهما عشر سنوات ، واتخذته رئيسان مختلفان كانا عضوين في حزبين سياسيين مختلفين . في حالة ترومان ، لم تكن مساهمته في سياسة التفوق الاسرائيلي نتيجة مساندته للقضية الصهيونية في فلسطين بل لانه لم يكن في وضع يمكنه من ارسال قوات امريكية للقتال في آسيه . ويمكن الجدال في الواقع بأن ترومان كان من الممكن ان يلزم القوات الأمريكية بالقتال لصالح الصهيونيين فيها لو كان ذلك ممكناً آنذاك . اما في حالة ايزنهاور ، فقد جاء قراره ببيع الاسلحة لاسرائيل نتيجة خوف امركه من تزايد قوة السوفييات ونفوذهم في الشرق الاوسط ، لا بسبب كون ايزنهاور مؤيداً لاسرائيل بشكل خاص . ومن الوقت الذي قام فيه بمساهمته في سياسة التفوق الاسرائيلي العسكري ، كان الرئيس ايزنهاور منهمكاً في تأمين الانسحاب العسكري الاسرائيلي من سيناء المصرية . وهكذا يبدو ان النفوذ الصهيوني كان ضئيلاً جداً في حالة القرار الأمريكي الرئيسي الثالث بشمسان فلسطين .

### نتائج

حاولت في هذا البحث ان اصف القرارات الأمريكية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين التي اتخذها اربعة رؤساء امريكيين مختلفين ، وشكلت مقومات السياسة الأمريكية الفلسطينية . وبالنسبة لمرابي الوضع الراهن في الشرق الاوسط ، هناك نتيجتان رئيسيتان تستخلصان من هذا التحليل للتورط الأمريكي في مسألة فلسطين .

**النتيجة الاولى** ، هي ان التزام الولايات المتحدة بالدولة اليهودية يستند على فكرتين : اولهما ان فلسطين يجب ان « يعاد تشكيلها » كوطن قومي للشعب اليهودي ، وثانيتهما ان الحل الوحيد لمشكلة « التشرذم اليهودي » يوجد في فلسطين . وقد صرحت هاتان الفكرتان في السياسة الأمريكية من قبل الرئيسين ولسون وروزفلت لاسباب مختلفة جداً : ضمها ولسون لانه شعر انه كان مديناً لقاضي المحكمة العليا لويس برانديس الصهيوني الغيور ، وروزفلت لانه ظن انه لا توجد وسيلة أخرى لتخفيف آلام اللاجئين الاوروبيين اليهود الا بمساعدة هجرتهم الى فلسطين . واتخذ ترومان الخطوة الاولى نحو بناء اسرائيل على انها القوة المتفوقة في الشرق الاوسط لانه ، مثل روزفلت في مسألة الهجرة اليهودية ، ظن انه لا يوجد امامه خيار آخر . وكان ايزنهاور اكثر اهتماماً بمعادلة



ميزان القوى السوفياتي - الأميركي منه بمتطلبات إسرائيل العسكرية .  
 هكذا يجب ان نفهم الالتزام للاميركي باسرائيل كما هو بالفعل : التزام خاص اتخذه رؤساء افراد تجاوبا مع مطالب اللحظة . بالنسبة لولسون كان برانديس هو القوة المقررة . بالنسبة لروزفلت كان المفتاح هو رجال الكونجرس الاميركيين من حماة العزلة . وبالنسبة لثرومان وايزنهاور كان احجام اميركه عن القتال نيابة عن الشعوب الاخرى هو العامل الاهم . وفي اي من هذه الحالات لم تكن الكليشوهات القديمة مثل « الاصوات اليهودية » و « النفوذ الصهيوني في اوساط الاعلام » و « الصداقات » في البيت الابيض هي القوى وراء القرارات المتخذة . وقد وضع التزام ولسون الاولي بالصهيونيين ، نتيجة للنفوذ الصهيوني المباشر ، الولايات المتحدة على خطها الموالي للصهيونية في الشرق الاوسط ، وهو خط كان مستحيلا على الرؤساء اللاحقين تبديله . لقد كان النفوذ الصهيوني السياسي والمالي والاعلامي عاملا رئيسيا في ابقاء الرؤساء الاميركيين في المجري الذي رسمه ولسون ، ولكن يجب ان لا ننسى ان الصهيونيين لم يكونوا هم القوة وراء جميع القرارات الاميركية المتعلقة بالسياسة الفلسطينية . والحقيقة البسيطة المتمثلة بان هؤلاء الرؤساء ، ثلاثة ديمقراطيين « ليبراليين » وواحد جمهوري محافظ ، قد انحازوا الى الجانب الصهيوني يجب ان تكون كافية لتجعلنا نتوقف ونلقي نظرة ثانية على السياسة الاميركية .

**اما النتيجة الثانية** ، فهي ان السياسة الاميركية ازاء فلسطين لم تكن سياسة حقيقية في الواقع ، وانها شكلت سلسلة من القرارات السياسية الآتية اتخذها رؤساء افراد ، وان هذه القرارات قد بنيت على مصالح قصيرة الاجل وحتى شخصية ، وان توجه الولايات المتحدة الكلي بصدد فلسطين كان ضد المصلحة القومية الاميركية . وقد عالج هذا البحث طبيعة القرارات التي اتخذها الرؤساء الاميركيون وحاول ان يظهر كيف ولماذا اتخذت هذه القرارات ، ولكننا لم نتفحص المصلحة القومية الاميركية . واهم نقطة في هذا الصدد هي انه لا يمكن خدمة المصلحة القومية المتحدة في الشرق الاوسط اذا ما كان الرؤساء الاميركيون يساندون الصهيونيين ضد رغبات شعوب الشرق الاوسط ومصالحها . هذه النقطة برهنت عليها نتائج تأييد الولايات المتحدة للصهيونيين في فلسطين : انتفاضات واسعة في فلسطين ، ثلاث حروب محلية في الشرق الاوسط منذ اقامة دولة اسرائيل ، نهب شعب كامل ونفيه ، عدم استقرار في البلدان العربية ، سباق تسلح شرق - اوسطي ، ظهور النفوذ الشيوعي السوفياتي والصيني في الشرق الاوسط . وهكذا لم يكن سجل السياسة الاميركية الفلسطينية سجل نجاح . وقد يبدو انه يتوجب على الولايات المتحدة ان تنهي السلام والاستقرار والتطور الاقتصادي والمؤسسات السياسية الشعبية في الشرق الاوسط ، وبدل الحرب وعدم الاستقرار والمأساة والمجابهة بين القوى الكبرى ، وبعد ، على الرغم من المحاولة التي بذلها روزفلت ، فان المصلحة القومية الاميركية لم تؤخذ ابدا بعين الاعتبار في صنع السياسة الفلسطينية .

٦ - المصدر نفسه ، ص ٥٨٨ .  
 ٧ - المصدر نفسه ، يشك شتاين في الحديث المتبادل بين ولسون ولاتسغ ، كما ورد على لسان الاخير ، ولكنه يقر بالتأخير من قبل ولسون حول اصدار تصريحه العلني بتأييد البرنامج الانطو - صهيوني .  
 Henry Cattan, *Palestine, the Arabs - and Israel*, London 1969, p. 15n.

١ - Leonard Stein, *The Balfour Declaration*, London 1961, pp. 194-97.  
 ٢ - Christopher Sykes, *Two Studies in Virtue*, London 1953, p. 133.  
 ٣ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ٤٢٣ .  
 ٤ - Frank E. Manuel, *The Realities of American - Palestine Relations*, Washington 1949, pp. 175-76.  
 ٥ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .

- ٢٩ - المصدر نفسه
- ٣٠ - المصدر نفسه ، ص ٧١ .
- ٣١ - المصدر نفسه ، ص ٧١ - ٧٢ .
- ٣٢ - Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism*, Detroit 1963, Appendix VI, p. 331.
- ٣٣ - ستيفنس ، المصدر السابق ، ص ٤ .
- ٣٤ - المصدر نفسه ، ص ٧٣ .
- ٣٥ - المصدر نفسه ، ص ٧٤ .
- ٣٦ - المصدر نفسه ، ص ٧٤ - ٧٥ .
- ٣٧ - المصدر نفسه .
- ٣٨ - المصدر نفسه ، ص ٧٦ .
- ٣٩ - المصدر نفسه ، ص ٧٧ .
- ٤٠ - المصدر نفسه ، ص ٨٣ - ٨٤ .
- ٤١ - مانويل ، المصدر نفسه ، ص ٣١٢ .
- ٤٢ - ستيفنس ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .
- ٤٣ - المصدر نفسه ، ص ٨٧ .
- ٤٤ - المصدر نفسه ، ص ٨٩ .
- ٤٥ - J. C. Hurewitz, *The Struggle for Palestine*, New York 1950.
- ٤٦ - ستيفنس ، المصدر السابق ، ص ٩٣ - ٩٤ .
- ٤٧ - المصدر نفسه ، ص ١٣٣ . الحاخام سيلفر في رسالة الى السناتور واجنر .
- ٤٨ - John C. Campbell, *Defense of the Middle East*, New York, 1960, p. 122.

Quoted in Harry N. Howard, *The King-Crane Commission, An American Inquiry into the Middle East*, Beirut 1963, p. 13.

Arnold J. Toynbee, *A Study of History*, Abridgement of Vols. 1-VI by D. C. Somervell, London 1946, p. 552.

- ١١ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ٥٩٥ .
- ١٢ - مانويل ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .
- ١٣ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ٥٩٥ .
- ١٤ - هوارد ، المصدر السابق ، ص ١١ - ١٢ .
- ١٥ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ٥٥٢ .
- ١٦ - المصدر نفسه ، ص ٥٥٦ .
- ١٧ - المصدر نفسه ، ص ٥٦٦ .
- ١٨ - هوارد ، المصدر السابق ، ص ٢١ .
- ١٩ - شتاين ، المصدر السابق ، ص ٥٦٦ .
- ٢٠ - هوارد ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .
- ٢١ - المصدر نفسه ، ص ٢١٨ .
- ٢٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٥٠ .
- ٢٣ - المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .
- ٢٤ - سايكس ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
- ٢٥ - المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .
- ٢٦ - المصدر نفسه ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
- ٢٧ - المصدر نفسه .
- ٢٨ - Richard B. Stevens, *American Zionism and U. S. Foreign Policy (1948-1947)*, New York 1962, p. 45.

صدر عن مركز الأبحاث

كتاب

في التوسع الصهيوني

بقلم

خالد قشطيني

باللغة الإنجليزية

٢٢٧ صفحة

٨ ليرات لبنانية

تضاف إليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي  
٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

## عصبة مكافحة الصهيونية في العراق

عبد القادر ياسين

مع التهاب القضية الفلسطينية واندفاعها السريع الى السطح في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، بادر الحزب الشيوعي العراقي بتكليف مجموعة من أعضائه اليهود بتكوين منظمة لمكافحة الصهيونية . وكى تتمكن من الالمام بملايسات تكوين هذه المنظمة ، والدور الذي قامت به ، لا بد من معرفتنا بموجز مختصر لتاريخ الحزب الشيوعي العراقي من جهة ، ووضع الطائفة اليهودية في العراق من جهة اخرى .

**الحزب الشيوعي العراقي** : كانت اول حلقة ماركسية في العراق ، تلك التي ظهرت في بغداد عام ١٩٢٢ ، وهي عبارة عن حلقة ضيقة من الشباب ، التفت حول حسين الرجال ، الذي كان قد تلقى تعليمه في استانبول ، وزار روسيا القيصرية ، حيث شهد قيام الثورة البلشفية فيها . ودرس الرجال النظرية الماركسية . ونجحت تلك الحلقة من الشباب الماركسي في اصدار جريدة « الصحيفة » ، عام ١٩٢٥ ، واصدرت منها خمسة أعداد . ثم سرعان ما اختفت الصحيفة ، وهجر الاعضاء حلقتهم . وفي عام ١٩٣٢ ، بدأ يوسف سلمان يوسف في تنظيم بعض خلايا شيوعية في الناصرية . وفي مارس ( آذار ) ١٩٣٤ ، تأسست في بغداد « لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار » ، كتنظيم يجمع الشيوعيين العراقيين . واصبح عاصم فليح اول سكرتير للحزب الشيوعي العراقي . وفي يوليو ( تموز ) عام ١٩٣٥ ، اصدر الحزب الشيوعي « كفاح الشعب » كجريدة سرية للحزب . وقد تعرض الحزب ، منذ قيامه ، لضربات متوالية من الحكومات العراقية المتعاقبة . واصبح « فهد » وهو الاسم السري ليوسف سلمان يوسف ، سكرتيرا عاما للحزب ، بعد أن هجر عاصم فليح العمل السياسي ، عام ١٩٣٦ . وتوالى الانقسامات في صفوف الحزب . ففي عام ١٩٤٢ تزعم ذو النون ايوب اول انشقاق في الحزب ، واصدر المنشقون جريدتهم السرية « الى الامام » ، في حين استقر الحزب في اصدار صحيفته السرية « الشرارة » والتي كان قد اصدرها بدلا من كفاح الشعب ، اعتبارا من عام ١٩٣٨ . وبعد ستة اشهر من هذا الانشقاق ، قاد عبد الله مسعود القريني ، الانشقاق الثاني عن الحزب . واصدر المنشقون جريدة « الشرارة الجديدة » السرية . وفي اوائل ١٩٤٤ عقد الحزب مؤتمره الاول ، حيث اقر فيه ميثاقه الوطني ونظامه الداخلي . وعشية انعقاد المؤتمر ، انشق داود الصايغ عن الحزب مكونا « رابطة الشيوعيين العراقيين » ، واصدر صحيفة سرية باسم « العمل » . واستبدل الحزب اسم صحيفته السرية ، باسم « القاعدة » . وفي الاسبوع الاول من يناير ( كانون الثاني ) عام ١٩٤٧ ، لقي القبض على مجموعة كبيرة من « رابطة الشيوعيين العراقيين » ، وبعدها بخمسة ايام اعتقل فهد وبعض اعضاء قيادة الحزب ، واصدرت المحاكم العراقية حكمها باعدام فهد وبعض اعضاء القيادة ، الا ان الحكم سرعان ما ألغى تحت ضغط جماهير الشعب العراقي ، وان كانت الحكومة العراقية قد استغلت الاحكام العرفية التي كانت قد أعلنتها عام ١٩٤٨ ، بحجة حماية ظهر الجيش العراقي الذاهب

الى فلسطين ، وأعدمت عهد ، وأثنى الحسين من أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي ، هما حسين الشيباني ، وزكي بسيم . ونفذ حكم الإعدام في الثلاث صبيحة الرابع من فبراير ( شباط ) عام ١٩٤٩ . وقد عادت للحزب وحدته عام ١٩٥٦ بفضل مبادرات السكرتير العام للحزب آنذاك ، حسين الرضى ، المعروف باسمي الحركي ، سلام عادل .

وللحزب الشيوعي العراقي تراثه النضالي سياسيا واجتماعيا ، وطنيا وطبقيا . وهو التراث الذي يعترف به حتى خصومه . ومنذ تكوينه ، كان للحزب الشيوعي العراقي موقفه الواضح العميق من القضية الفلسطينية ، وقد دأب الحزب على التفريق بين الصهيونية واليهودية ، وعلى المطالبة « بالغاء الانتداب البريطاني على فلسطين وحل الجيوش عن فلسطين وتشكيل دولة ديمقراطية مستقلة كحل صحيح » (١) .

وقد أنشأ الحزب بعض المؤسسات العلنية كحزب التحرر الوطني ، ودار الحكمة للطباعة ، وصحيفة الأساس ، و « عصابة مكافحة الصهيونية » وصحيفتها « العصابة » والمؤسستان الاخيراتن هما موضوع دراستنا هذه .

**الطائفة اليهودية في العراق :** كان اليهود يشكلون اقلية فعالة في العراق ، ساهمت في الانشطة السياسية والثقافية والاقتصادية للبلاد . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر ، اولت بريطانيا وأمريكا المزيد من اهتمامها ليهود الشرق الاوسط ، ومن بينهم يهود العراق ، بغية استخدامهم قاعدة استعمارية في المنطقة ، وكان هذا الاهتمام قد أتى بعد تطور الرأسمالية العالمية وتلتهنقا على الشرق الاوسط لاحتلاله واستنزاف موارده وخيراتيه ، واستغلال موقعه الاستراتيجي الهام في حراسة الطريق المؤدي الى المستعمرات البريطانية في الشرق الاقصى . وتحت ضغط بريطانيا وامريكا ، أصدرت الامبراطورية العثمانية تشريعات عديدة ، منح اليهود بموجبها ما يشبه الاستقلال الذاتي ، وتضمنت حق اليهود في التمثيل بمجلس المبعوثان العثماني . وقد كان لليهود وضع اقتصادي متميز في العراق . وبخروج العثمانيين من العراق ، بعد اندحارهم في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، تبدل النظام السياسي في العراق ، ونصبت فيصل بن الحسين ملكا على العراق . وشارك ممثلو الطائفة اليهودية في المجلس التأسيسي العراقي . ونص الدستور العراقي لعام ١٩٢٥ ، على ان لليهود ما لياقي طوائف وأفراد الشعب العراقي من حقوق وواجبات . كما نص الدستور على أن يكون لليهود اربعة اعضاء في مجلس النواب ، وعضو آخر في مجلس الشيوخ ، وزيدت هذه النسبة في وقت لاحق الى ستة نواب ، وظل هذا النظام معمولاً به حتى الغي في عام ١٩٥٢ بقرار وزاري . وشاركت الطائفة اليهودية في بعض الوزارات العراقية . واستوزر ساسون حزقيل في عدة وزارات . كما ساهم أبناء الطائفة اليهودية في النشاط السياسي في العراق ، وانضوت اقسام منهم تحت لواء الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي العراقي ، بعد ان جذبته مبادئ هذين الحزبين الداعية للتسامح ووحدة الشعب العراقي بكامل طوائفه ، دونما تفريق بين طائفة وأخرى .

وحسب احصاء أجرته الحكومة العراقية عام ١٩٤٧ ، بلغ عدد افراد الطائفة اليهودية نحو ١١٨ الف نسمة . وبعد تكوين اسرائيل ، عام ١٩٤٨ ، وبالتواطؤ مع الدوائر الاستعمارية ، بدأت حكومة نوري السعيد في ترحيل أبناء الطائفة اليهودية الى اسرائيل بعد ان أستطت عنهم الجنسية العراقية ، بموجب القانون رقم ١ لسنة ١٩٥٠ ، الذي جاء فيه ، في مجال تبرير اصداره ، أن الحكومة العراقية قد اتخذته « للتخلص من طائفة بغيضة المشاكل » . أما اليوم فلا يتعدى حجم الطائفة اليهودية في العراق ٣٠٠٠ نسمة .

## عصبة مكافحة الصهيونية

مارست الحكومات العراقية المتعاقبة - خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ = ١٩٤٥) أقصى ما يمكنها من أشكال القهر والارهاب ضد الشعب العراقي ، واستمرت حكومة مزاحم الباجه جي في ممارسة ارهابها وكتبتها للحريات العامة ، من خلال القوانين الاستثنائية والاحكام العرفية ، حتى بعد انتهاء الحرب . وفضأة خرج الامير عبد الاله ، الوصي على عرش العراق آنذاك ، على الاوساط السياسية العراقية ، بخطاب القناه في أعضاء البرلمان العراقي في السابع والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) لعام ١٩٤٥ ، ضمنه سماحه بتأليف احزاب سياسية في العراق « التي لم يصح بقاء البلاد خاليّة منها » (٢) . واستقالت حكومة الباجه جي ، في اعقاب خطاب الوصي ، وحلت محلها حكومة توفيق السويدي ، التي تعهدت في منهاجها - « إلغاء الادارة العرفية . . . وسد المعتقل . . . والافراج عن المعتقلين ، ورفع الرقابة على الصحافة . . . وفسح المجال لتأسيس الاحزاب السياسية » (٣) . وقد استقبلت الاوساط الشعبية والسياسية العراقية حكومة السويدي ومنهاجها بارتياح ظاهر . وخلال عام ١٩٤٦ اجازت حكومة السويدي خمسة احزاب هي الوطني الديمقراطي ، والاستقلال ، والاتحاد الوطني ، والشعب ، والاحرار . ورفضت في الوقت نفسه السماح لحزب التحرر الوطني بممارسة نشاطه ، متذرة باعتناقه المبادئ الشيوعية .

وفي هذا الجو وبمبادرة من الحزب الشيوعي العراقي ، جرى تأسيس « عصبة مكافحة الصهيونية » عام ١٩٤٥ . وقد أوكل الحزب مهمة تأسيس العصبة ليهودا صديق ، عضو اللجنة المركزية للحزب ، ويوسف هارون زلخه ومسعد قطان ، و ابراهيم ناجي ، ويعقوب فرايم ، ونعيم شوع ، ويوسف زلوف ، وكلهم أعضاء في الحزب الشيوعي العراقي ، ومن أبناء الطائفة اليهودية في العراق . ويقول يهودا صديق بأن المذكورين عقدوا عدة اجتماعات صاغوا خلالها برنامجا ونظاما داخليا للعصبة . وعندما اجيزت العصبة من قبل الحكومة العراقية ، تألفت هيئة ادارية ، ترأسها يوسف زلخه ، وهيئة رقابية برئاسة يهودا صديق ، وتنحصر مهمة الهيئة الثانية في مراقبة مقررات الهيئة الادارية ومتابعة تنفيذها (٤) .

لقد كانت الطائفة اليهودية بحاجة الى تمثين صلتها وتحقيق اندماجها بالشعب العراقي . واقناع العراقيين بانعدام الرابطة والصلة بين الطائفة اليهودية في العراق والحركة الصهيونية . وبعد حظر العصبة ، واعتقال قادتها ، أكد يوسف زلوف ، في التحقيق الذي أجرته معه الباحث العامة العراقية ، على أهمية وضرورة التضامن بين جميع الطوائف الدينية ، التي تؤلف الشعب العراقي بما يعود بالفائدة على مجموع الشعب (٥) . أما اختضان الحزب الشيوعي ، دون غيره ، لفكرة اقامة عصبة مكافحة الصهيونية ، غيردها زلوف الى كون الحزب الشيوعي « المنظمة الوحيدة العاملة في هذا الحقل » (٦) . ويعني به حقل التضامن بين مختلف الطوائف الدينية .

**اهداف ونشاط العصبة :** اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية العديد من الكراسات والكتب ، كما نشرت برنامجها بشكل واسع . كما عقدت الكثير من الاجتماعات والمؤتمرات الجماهيرية في مقرها بالكرخ . واخذت تصدر جريدتها « العصبة » ، عن دار الحكمة للطباعة ، التي تمتلكها العصبة نفسها .

وقد نشرت جريدة « العصبة » مقالات متتابعة ، شرحت وعمقت فيها اهداف العصبة ، ثم جمعت هذه المقالات في كتاب ، واصدرته بعنوان « نحن نكافح في سبيل من ؟ وضد من نكافح ؟ » وفي هذه المقالات فصلت العصبة الدين اليهودي عن الصهيونية ، وأكدت على ارتباط الثانية بالاستعمار العالمي ، وعلى رأسه الاستعمار الامريكي ، كما اشارت

العصبة في كسبها التي ألح «اليسين اليهودي» قضية «مختلة» من «مخالفات الصهيونية» واعتبرت  
عصبة مكافحة الصهيونية ، الحركة الصهيونية عملاً للامبريالية وأداة لها . كما اعتبرت  
« الفاشية والصهيونية توأمين ليعسبي واحد» هي العنصرية» . وأوضحت العصبة أن  
عداها للصهيونية هو « في سبيل أخواتنا اليهود » ، ولكون الصهيونية تخلق وتزجج  
الفتن والعداء والعنصرية بين اليهود والشعب العربي ، بما يصرف هؤلاء وأولئك عن  
النضال لإنجاز القضايا الوطنية الكبرى « الاستقلال والسيادة الوطنية ، والجلد ، وانهاء  
التدخل الأجنبي » . أما « الوطن القومي لليهود » فالعصبة تعلن عداها له ، لأنه « يفوق  
بين اليهود ومواطنيهم في الوطن الواحد ، ولأنه يستهدف شطر فلسطين العربية عن  
جسم البلاد العربية وأفناء شعبنا العربي » . وتحت عنوان « الصهيونية رأس مال  
استعمارية » قالت العصبة في كراسها ، أن الصهيونية تتلون أمام اليهود بما يلائم  
ويرضي كل فئة منهم « فهي دينية أمام المحافظين ، وقومية أمام الشباب المتحمسين  
واشتراكية أمام العامل » . وتنفى العصبة كل هذه الصفات عن الصهيونية « فدينها  
نفاق ورياء ، وقوميتها عنصرية اعتدائية ، واشتراكيها انتهازية » . وأكدت أن  
الصهيونية تطمح فقط في اغراق الأسواق بالبيضائع ، لتضرب الصناعة الوطنية وتسيطر  
على التجارة . وفسرت العصبة في كراسها ، تبنى الاستعمار للصهيونية ، لتكون الأخرى  
أداته في قلب الوطن العربي . وأشارت إلى أن الاستعمار الأمريكي - الذي ينشط  
أورثة الاستعمار البريطاني في فلسطين - يحتضن ، هو أيضاً ، الصهيونية للعرض  
نفسه . واعتبرت العصبة غياب الديمقراطية عن بلدان الوطن العربي عاملاً منشطاً  
للصهيونية في البلاد العربية . وطالبت العصبة ، في كراسها ، بضرورة إشراك المنظمات  
الشعبية في الكفاح من أجل طرد الاستعمار البريطاني ، الذي أوجد الصهيونية في  
فلسطين (٧) .

وفي مصر استشهد أحد الكتاب المصريين بما كان قد ورد في بيان للعصبة ، من أن  
« الصهيونية لا تحل ، بالمرء ، مشكلة ستة عشر مليوناً من اليهود ، بل أن المشكلة  
اليهودية ليست سوى جزء ، لا يتجزأ ، من نضال الشعوب كافة ، على اختلاف أديانها  
في سبيل حريتها وديمقراطيتها » (٨) .

وفي عدد آخر منها ، نشرت مجلة « الضمير » القاهرية خبراً عن إصدار « عصبة مكافحة  
الصهيونية » بياناً « كشفت فيه عن الأساليب التي يأتيها اليهود لجعل فلسطين وطناً  
لهم ، ومزاحمة العرب فيها والحلول التي يجب اتباعها لمحاربة هذه الأساليب ، حفظ  
لحقوق العرب في وطنهم الشرعي ، وهذه الثغرة موجهة إلى أبناء الجيل العربي وإلى  
الجامعة العربية لما فيها من الحلول العملية والسلمية » (٩) .

وفي الثاني من نوفمبر ( تشرين الثاني ) عام ١٩٤٥ ، أصدرت عصبة مكافحة الصهيونية  
بياناً بمناسبة « يوم وعد بلفور » ، كما سمته ، وأعلنت في بيانها « باسم يهود العراق  
استنكارها لهذا الوعد واحتجاجها عليه » . وأكدت العصبة في بيانها أن الامبريالية تهدف  
من وراء وعودها للشعوب الضعيفة إلى « تثبيت نفوذها وزيادة امتيازاتها وأثقال نيرها  
على رقاب تلك الشعوب » . وضربت العصبة مثلاً بوعود بريطانيا للعرب أبان الحرب  
العالمية الأولى ، والمتضمنة عهداً بمنح البلاد العربية استقلالها ، كما أشارت العصبة إلى  
معاهدة سايكس - بيكو ، المعقودة بين حكومتَي فرنسا وبريطانيا ، والتي قسمت  
الدولتان الاستعماريتان ، بوجوبها ، البلاد العربية فيما بينهما . وتنتقل العصبة للحديث  
عن وعد بلفور ، فتري أن الاستعمار يستطيع « أن يتكرم بفلسطين مئات المرات طالما  
أنها ليست بلاذة ، وطالما أنه يجد في ذلك ربحاً له ومغتماً » . وطالبت بيان العصبة  
الشعوب العربية بالنهوض « لرد عاديات الاستعمار عنها » . وترى العصبة أن عادت  
الاستعمار وعميلته الصهيونية من وعد بلفور هي تحويل « نضال العرب الموجه ضد

الاستعمار نحو جماهير اليهود ، وبذلك تخلق منهم حاجزا يخنق وراءه الاستعمار ، فيحافظ على امتيازاته ، ويستثمر في استغلاله ، وفي التطفل على دماء الشعوب العربية » . وترى عصبة مكافحة الصهيونية في « الديموع التي يذرفها المستعمرون على مصلحة اليهود . . . دموع التماسيح ، لانهم لو كانوا حقا يعطفون على اليهود لعاملوهم معاملة طيبة في أوروبا » . وعادت العصبة لتؤكد في بيانها « أن حل المشكلة اليهودية يتم بحل مشكلة البلدان التي يعيش فيها اليهود . اما ( حل ) فلسطين ، فهو فضلا عن أنه لا يحل المشكلة اليهودية ، فهو اعتداء صريح غاشم على حقوق الشعب العربي » . واستنكر اعضاء العصبة في بيانهم ، باعتبارهم «يهودا وعربا في الوقت نفسه» وعد بلفور واحتجوا عليه . ودعوا مواطنيهم « الى النضال من أجل استقلال فلسطين استقلالا تاما ، وتأييف حكومة ديمقراطية عربية فيها ، ومنع الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وإيقاف انتقال الاراضي الى الصهاينة » (١٠) .

وفي فبراير ( شباط ) عام ١٩٤٦ ، اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية بيانا « الى الراي العام العربي والديمقراطيين جميعا » ذكرت فيه بما كانت قد رددته قبلئذ من « أن مشكلة فلسطين يجب أن تفصل عن المشكلة اليهودية ، لان المشكلة الاولى ما هي الا مشكلة شعب يناضل في سبيل حريته واستقلاله ، فاذا كانت المشكلة اليهودية لا تربط بمشاكل الشعوب المناضلة الأخرى ، فلماذا اذن تربط بمشكلة الشعب الفلسطيني العربي المناضل !؟ » كما أعاد البيان الى الأذهان ما كانت العصبة قد طالبت به من « استقلال فلسطين ومنع الهجرة . . . وان قضية فلسطين لا تحتاج الى تحقيق ، فهي واضحة ووضوح الحق ، خصوصا وقد مر ما يزيد على ربع قرن والحكومة البريطانية دائبة على (لجان تحقيق ) و ( هيئات تحقيق ) ولما بينته ( التحقيق ) » . وتؤكد العصبة في بيانها أن « هذا ( التحقيق ) لن ينهي ما لم تأخذ فلسطين العربية — تعاونها الشعوب العربية — حقها أخذا ، وتنتزع استقلالها انتزاعا . لان الاستعمار البريطاني وكل استعمار آخر قد علمنا بأن سباه لا تمطر غير النار والدمار » . وكرر البيان ما كانت الهيئة المؤسسة للعصبة قد ذكرته في مذكرتها للحكومة العراقية ، تلك التي طلبت فيها اجازة نشاط العصبة ، والتي جاء فيها « أن المشكلة اليهودية لا يمكن أن تحل الا بقيام نظم ديمقراطية في الاقطار التي يستوطنها اليهود في العالم » . وأن « ليس يهود العراق وحدهم يناهضون الصهيونية ويقومونها ، بل هنالك منظمات يهودية كثيرة في مختلف انحاء العالم تناهض الصهيونية وتقاومها أيضا » . وتددت العصبة في بيانها بقرار الحكومة البريطانية القاضي « بالسماح والهجرة لـ ١٥٠٠ مهاجر شهريا الى فلسطين » . ورات العصبة في هذا القرار استهتارا من الاستعمار البريطاني بوعوده وتعهداته ، كما « يعد استهتارا بوجود لجنة التحقيق نفسها واعترافا بعدم اهميتها » . وتقصد العصبة هنا لجنة التحقيق الانجلو — امريكية ، التي شكلتها بريطانيا وأمريكا للتحقيق في امكانات فلسطين على استيعاب المهاجرين اليهود ، وفي أسباب الاضطرابات في فلسطين ، وتقديم ما تراه اللجنة مناسباً من الحلول ، وقد نددت العصبة « بالاعمال الارهابية التي يقوم بها عملاء الاستعمار البريطاني والامريكان » . وترى العصبة ان هذه الاعمال الارهابية هدفها « ذر الرماد في العيون ، كي يقدموا حجة للاستعمار البريطاني ليحشد قوات كبيرة في فلسطين ، ظاهرها مقاومة هذه الاعمال الارهابية ، وجوهرها ضرب الحركات التحريرية في البلدان العربية كافة ، خصوصا وان المطالبة بجلاء القوات الاجنبية عن جميع البلاد العربية أصبح شعار العرب في العراق ومصر وسوريا ولبنان » . ودلل بيان العصبة على صحة هذا الاستنتاج بمقال كانت قد نشرته جريدة « دافار » الصهيونية بفلسطين ، جاء فيه « أن هذه القوى البريطانية لم تحشد في فلسطين من أجل الشعب اليهودي ، وقد أثبتت التجارب ان فرقة واحدة تكفي لاقتحام مستعمرتين في يوم واحد . ان هذه القوات البريطانية الكبيرة قد حشدت هنا لحاجات بريطانية ، ونحن نعتزف بحق هذه

الحكومات ، ومنصفون الأهتمام بها ، ومنصفين لها ، وتاديبها ، كما نعلمنا أكثر من مرة .  
لأننا نعرف بالعلاقة بين مصر الإمبراطورية وبين مصرنا ، ونعرف بمسئلة الشرق  
ونريدها . ولكن هذه لم تحشد من أجلنا والحق يقال « . وأكد بيان عصبة مكافحة  
الصهيونية « ان العرب لا يمكن أن يحصلوا على حرياتهم واستقلالهم الا بالاعتماد على  
أنفسهم وبالتعاون مع قوى الشعوب المعادية للظلم والاستعمار » . وانتهت العصبة بتأييد  
بدعوة رؤساء الحكومات العربية الى قضية فلسطين في مجلس الامن والمطالبة بالاعتماد  
الانتداب على فلسطين ، وبمنحها استقلالاً تاماً (١١) .

كما أرسلت العصبة مذكرتين ، أولاهما لرؤساء الحكومات العربية والثانية لامين الحاضر  
العربية العام ، ونددت العصبة في المذكرتين بلجنة التحقيق الانجلو امريكية ، مؤكدة انما  
« ما هي الا ستار مهلهل يختفي وراءه الاستعمار البريطاني والامريكي » ، بقصد التفتت  
بهجوم جديد لدعم الصهيونية وثبتت اقدام الاستعمار في فلسطين وباقي البلاد  
العربية « (١٢) . ثم أصدرت العصبة بياناً الى الجماهير العربية حول اللجنة المذكورة .  
أشارت فيه الى أن الاستمارين الانجليزي والامريكي قد عمداً - قبل أن تنتهي لخص  
التحقيق من (تحقيقاتها) - الى تنفيذ خططها الاستعمارية « فقد أقر البرلمان الامريكي  
الهجرة الى فلسطين ونقضت بريطانيا كتابها الابيض ، وسحقت بالهجرة الى فلسطين » .  
ونبتهت عصبة مكافحة الصهيونية الى المؤامرة البريطانية الرامية الى تقسيم فلسطين .  
اذ يقول بيانها ان بريطانيا « تسعى الان لشطر فلسطين ، لتقيم في شطر منها دولت  
صهيونية وقاعدة عسكرية لها في قلب البلاد العربية » . وأكدت العصبة عجز لجنة  
التحقيق الانجلو - امريكية « عن القيام بتحقيق عادل محايد في قضية فلسطين وعجزها  
عن اصدار حكم يمس جوهر القضية ، وهو وجوب الغاء الانتداب البريطاني ، وتالفت  
حكومة وطنية ديمقراطية في فلسطين » . ويشير البيان الى « ان يهود العراق يعتقدون  
اعتقاداً جازماً بأنهم جزء لا يتجزأ من الشعب العراقي » وانهم « يرون في الدعوات  
الصهيونية ، أداة تهديم لانها تدعو الى اثاره الحقد العنصري والمذابح » . وأشارت  
العصبة في بيانها الى « ان الزعماء الصهاينة كشفوا بشهادتهم امام لجنة التحقيق  
الانكليزية - الامريكية عن صلاتهم الوثقى بالاستعمارين الانكليزي والامريكي ، وعن  
حقيقة رؤوس الاموال الاجنبية الهائلة التي تستثمر العامل اليهودي في فلسطين ، وعن  
استعدادهم - بل والحاحهم - بطلب استمرار الانتداب البريطاني على فلسطين  
وبعودهم بتوظيف رؤوس اموال اجنبية طائلة في المشاريع الصهيونية » وانهم بذلك « لم  
يستطيعوا اخفاء الصفة الطبقية الاعتدائية للصهيونية » . وأشار بيان العصبة الى ما  
كان قد صرح به العالم الامريكي اليهودي اينشتاين من أن اللجنة الانجلو - امريكية  
« ستار من الدخان يحجب وراءه الدساتر الاستعمارية الانكليزية الامريكية » . وانهم  
البيان الحركة الصهيونية بأنها تنظم الحملات الارهابية في فلسطين ، لخلق المبرر لبريطانيا  
كي تحشد قواتها في فلسطين بحجة المحافظة على الامن . وانتهت العصبة ببيانها بدعوة  
الشعب العراقي الى مقاطعة لجنة التحقيق هذه . ويرى بيان العصبة « أن حل قضية  
فلسطين لن يتم الا عن طريق توحيد نضال الشعوب العربية ، واعتمادها بالدرجة الاولى  
على كفاحها الوطني المشترك ، وعلى رفع قضية فلسطين الى مجلس الامن للتحقيق في  
١ - الغاء الانتداب ، واستقلال فلسطين استقلالاً تاماً . ٢ - تمكين الشعب الفلسطيني  
من تأليف حكومة وطنية ديمقراطية تضمن مصالح وحقوق جميع سكان فلسطين الحاليين ،  
دون تمييز في العنصر والدين » (١٢) .

وبعد صدور بيان اللجنة الانجلو - امريكية ، نظم الحزب الشيوعي العراقي ، وحزب  
التحرر الوطني وعصبة مكافحة الصهيونية تظاهرة نددت بالبيان الاستعماري ،  
واصطدمت التظاهرة بقوات الجيش ، التي جلبتها الحكومة العراقية لتفريق



المظاهرين بالشوة (١٤). وكان ذلك في أواخر مايو (أيار) ١٩٤٦. مما دفع الحكومة العراقية إلى إصدار أمر بتعطيل صحيفة «العصبة» لمدة سنة. وفي مذكره وجهتها عصبة مكافحة الصهيونية التي رئيس جمعية الصحفيين ببغداد، اعتبرت العصبة قرار التعطيل هذا «بادرة سيئة لها عواقبها الوخيمة على الصحافة العراقية». وأكدت مذكره العصبة «أن للاستعمار والصهيونية دخلا قد جعل السلطات على إصدار قرار التعطيل، استنادا إلى الوثائيات الملققة التي روجها وبيروجا أذناب الاستعمار والصهيونية ضد عصبتنا، وضد جميع الصحف الوطنية الحرة، لغرض إيقاف الحملة الوطنية المثارة اليوم في سبيل فلسطين العربية، في سبيل طرح قضيتها على مجلس الأمن، في سبيل اتخاذ إجراءات فعالة ضد المعتدين، وفي سبيل الجلاء، والقضايا الوطنية الأخرى، وفي سبيل كشف المؤامرات والانسائس التي تحيكها الجهات الاستعمارية ضد قضية التحرر العربية الوطنية». ونددت المذكرة بقرار التعطيل، مؤكدة «أن تعطيل الصحف الوطنية معناه كم أفواه الشعب. معناه تجريده من أداة فعالة توجه نضاله. معناه ترك البسطاء من أبناء شعبنا فريسة الدعايات الأجنبية الخبيثة التي تحاول صرف أنظار شعبنا عن قضايا الملحة - التحررية والعمرانية - وتمزيقه بالتفرقة والمشاحنات الطائفية والعنصرية وغيرها». وتشير مذكره العصبة إلى «النتائج السيئة التي تتعرض لها حركتنا الوطنية... والخسارة المادية التي تلحق بالصحفي من جراء التعطيل» وتستنكر المذكرة وقوع «هذه الإهانة على الصحافة الوطنية». وتنتهي العصبة مذكرتها، بطلب تأييد جمعية الصحفيين العراقيين ومساعدتها «من أجل إلغاء قرار التعطيل الجائر... وفي سبيل وضع حد لمثل هذه الأحكام الإدارية ضد الصحف الوطنية» (١٥).

وبشارعت الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني العراقي بإرسال مذكره احتجاج إلى رئيس وزراء العراق، ضد تعطيل صحيفة «العصبة» وضد مهاجمة الشرطة العراقية للوطنيين، وتنديدا بمنع الحكومة العراقية للاضراب السلمية الذي كان قد دعا إليه حزب التحرر الوطني العراقي، تأييدا لفلسطين. وأشارت مذكره حزب التحرر التي أن الدستور العراقي قد صان الحريات الشخصية. كما أشارت إلى اطلاق الوزارة العراقية الحريات، وتستهن المذكرة لكونها لا تجد من «هذا العهد سوى الرجوع إلى الأساليب البالية في الحكم». واستنكرت مذكره الحزب العراقي مهاجمة الشرطة العراقية للهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني التي كانت قد دعت «الهيئات الوطنية للتداول بشأن إقامة مظاهرة سلمية في سبيل فلسطين». كما نددت المذكرة بهذه «الإجراءات غير القانونية» وطالبت «بايقاف هذه الإجراءات التعسفية غير القانونية، واطلاق الحريات الديمقراطية». وقد حملت المذكرة توقيعات كل من سالم عبيد النعمان المحامي - محمد علي الزرقا - يوسف هارون زلحة - محمد حسين أبو العيس المحامي - مهدي عبد الرزاق المحامي - حسين محمد الشيبيني - علي شكري - وعبدالكريم الصفار (١٦).

**ماذا بقي منها للتاريخ؟** تقاس أهمية الحدث أو العمل - أي حدث أو عمل - بمدى عمق تأثيره في الحياة الفكرية والمادية والسياسية للمجتمع. وتقول مجلة ماركسية مصرية، في تقييمها لعصبة مكافحة الصهيونية، أن العصبة قد مضت «بكفاحها السياسي الواعي، وبالتأييد الذي نالته من الجماهير العراقية، مواقف الحكومة العراقية المترددة إزاء مشكلة فلسطين» (١٧).

وبعد اعتقال قادة العصبة، في يونيو (حزيران) ١٩٤٦، كتب اثنان منهم، هما يوسف هارون زلحة - رئيس العصبة، ومحمد حسن أبو العيس عضو هيئتها الإدارية، كتابا احتجاجا، منعت الحكومة العراقية زملاء المعتقلين من إرساله - برقيا - إلى أمين عام الجامعة العربية ومختلف الصحف والهيئات التقدمية في الاقطار العربية. - وحصلت

« الفجر الجديد » القاهرية على نص المذكرة ، ونشرها (١٨) . وتحتوي المذكرة احتجاجا على تعطيل صحيفة « العصابة » وعلى اعتقال قادة عصبة مكافحة الصهيونية ، ومهاجمة مطبعة دار الحكمة واعتقال سكرتير العصبة ومحاسبتها « لجرد اصدارنا كرابسا يفضح الصهيونية وسيدها الاستعمار » . كما تحتج « على اعتقال أربعة اعضاء من جمعيتنا لجرد تقديمهم عريضة احتجاج على اغتالنا » . ورات المذكرة ان « عمل الحكومة العراقية هذا لا يفيد غير الصهاينة والاستعمار ، ازادت أم لم تزد » . وأشارت المذكرة الى « ان الاستعمار والرجعية استاءا من بعث الحياة الحزبية واستاءا من عصبتنا بصورة خاصة » . ثم استعرضت مذكرة قادة العصبة انجازات عصبة مكافحة الصهيونية ، التي تسببت في استياء الاستعمار والرجعية ، وحصرتها فيما يلي : « ١ - قاطعت لجنسة التحقيق الانكلو - امريكية ، وفضحت الاغراض التي تألفت من أجلها هذه اللجنة ، وقد صرح لنا معالي وزير الداخلية السابق باستياء الحكومة من موقفنا من لجنة التحقيق » .

٢ - طالبنا بعرض قضية فلسطين على مجلس الأمن ، بينما يريد الاستعمار وتريد الحكومة العراقية حصر هذه القضية في ذمة الحكومة البريطانية ، صاحبة الانتداب وخالقة الصهيونية .

٣ - طالبنا بعدم الاعتراف بالانتداب على فلسطين ، وبالوعد الذي قطعتة بريطانيا للصهاينة بشكل عملي ، وذلك بعدم الاعتراف بحكومة الانتداب وبسطع العلاقات معها ، وغلق الحدود في وجه الجيش البريطاني المنتقل بين العراق وفلسطين .

٤ - طالبنا ان ينظم الدفاع عن فلسطين على أساس شعبي ، يعتمد على قوانا الداخلية وعلى حقنا الدولي وأن تبذ السياسة القديمة التي سارت عليها الحكومات العراقية وهي سياسة ( حسن الظن بالمستعمرين ) وانتظار حل مشاكلنا الوطنية على أيدي ( لجانم التحقيقية ) ومواندهم المستديرة !

٥ - طلبنا دعوة المنظمات الشعبية الديمقراطية في البلاد العربية جميعها الى عقد مؤتمر لتنظيم الدفاع عن فلسطين ، بشكل يضمن اشراك جماهير الشعب في النضال الفعلي المجدي من أجل تحرير فلسطين والبلاد العربية .

٦ - عقدنا خلال أقل من ثلاثة اشهر ، اجتماعات شعبية عامة من أجل تحرير فلسطين ، أكثر مما عقد في العراق خلال العشر سنوات الماضية . وحضر هذه الاجتماعات الالوف من المواطنين المتحمسين الذين اشتركوا ، فعلا ، في أكثر القرارات التي اتخذتها العصبة .

٧ - زرعنا النفوذ الاستعماري والغمنا في أهم قاعدة اجتماعية يستند اليها ، وهي ( الاقليات ) الدينية والقومية التي طالما استغل وجودها للتفريق بين صفوف الشعب الواحد وللاستخدام طائفة ضد أخرى . فانبعثت العصبة من الوسط اليهودي ضربة للاستعمار الانكلو - امريكي - الصهيوني ، الذي نصب نفسه حاميا ومدافعا عن يهود العالم .

٨ - احتلت جريدتنا ( العصابة ) ، منذ أول صدورنا ، منزلتها المحببة المرموقة عند جمهور القراء الذين ساعدوها وآزروها وعملوا على نشرها ، حتى أوثقت ان تحلق المكان الاول - ان لم تحتله فعلا - بين الصحف المحلية من حيث المادة وكمية المطبوع .

٩ - أوضحت ( العصابة ) في مقالاتها القضية الفلسطينية بشكل علمي واقعي ، وجردتها من جميع ما علق بها من تشويهات وتلفيقات المستعمرين ، وعزت الصهيونية وظهرتها على حقيقتها ، كحركة استعمارية عنصرية وأداة للاستعمار الانكلو - امريكي . وفضحت اغراض الاستعمارين الامريكي والانكليزي ، والروابط التي تربطهما بالصهيونية . كما فضحت العوامل المساعدة والمشجعة للصهيونية . ودعت الى توحيد جهود المواطنين في جبهة موحدة لمكافحة الاستعمار والصهيونية » .

وبعد ، لعل من الامور غير المستهجنة أن تصدر حكومة نوري السعيد حكما بالسجن المؤبد على يوسف هارون زلخه ، بدعوى انه يترأس عصبة للكفاح من أجل الصهيونية ، لاضدها . نعم ، هكذا فسرت حكومة الطاغية اسم العصبة التي كافحت الصهيونية ، والى هذه الدرجة وصل الامر بالحكومة العراقية التي فعلت ذلك ، في الوقت الذي رحلت

عنه مائة وثلاثين ألف يهودي من العراق التي اسرائيل ، في عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٠ .  
وتناقضت — فيما قيل — عشرة دنانير عن كل مهاجر يصل الي اسرائيل !

- ٨ — مجلة الضمير القاهرية ، العدد ٢٧٤ ،  
١٧/١٠/١٩٤٥ ، من مقال ( لن تمروا ) ، بقلم  
خيري محمود ، ص ١ .
- ٩ — المصدر السابق ، العدد ٢٧٥ ، ٢٤/١٠/  
١٩٤٥ ، ص ١١ .
- ١٠ — مجلة الفجر الجديد القاهرية ، العدد ١٣ ،  
السنة الاولى ، ص ٨ .
- ١١ — المصدر السابق ، العدد ٢٢ ، ٢٠/٢/  
١٩٤٦ ، ص ١٤ .
- ١٢ — المصدر السابق ، العدد ٢٨ ، السنة  
الاولى ، ٢/٤/١٩٤٦ ، ص ٢ .
- ١٣ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، والصنحة  
نفسها .
- ١٤ — المصدر السابق ، العدد الثامن والثلاثون ،  
السنة الثانية ، ١٢/٦/١٩٤٦ ، ص ٢٤ .
- ١٥ — مجلة ام درمان القاهرية ، العدد ٢٧ ،  
١/٧/١٩٤٦ ، ص ١٨ .
- ١٦ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ٢  
و ١٨ .
- ١٧ — مجلة الفجر الجديد القاهرية ، من مقال  
( صوت العراق — في شرقنا العربي موجات  
اضطهاد ) ، العدد ٤١ ، السنة الثانية ،  
٣/٧/١٩٤٦ ، ص ٧ .
- ١٨ — المصدر السابق ، العدد نفسه ، ص ١٨  
و ١٩ .
- ١٩ — التفاضيل راجع تاريخ الاحزاب  
السياسية في العراق ١٩٤٦ — ١٩٥٨ ، رسالة  
ماجستير ، لعبد الرزاق المطلق النهدي ، جامعة  
القاهرة ، ١٩٧٠ . وراجع مقالنا « الاحزاب  
الشيوعية العربية وقضية فلسطين » الصادر  
ضمن كتاب المقاومة الفلسطينية — الواقع  
والتوقعات ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة  
الاولى ، تموز ( يوليو ) ١٩٧١ .
- ٢٠ — الشرطة العامة ، التحقيقات الجنائية ،  
موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي  
السوري ، ١٩٤٩ ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ . ولزيد  
من التفاصيل عن اوضاع اليهود في العراق ،  
راجع يهود البلاد العربية ، تأليف الدكتور علي  
ابراهيم عبيد وخيرية تاسمية ، مركز الابحاث  
الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧١ .
- ٢١ — نشرت الصحف العراقية نص الخطاب يوم  
٢٨/١٢/١٩٤٥ .
- ٢٢ — جريدة الزمان البغدادية ، ٨/٣/١٩٤٦ ،  
أوردتها النهدي في رسالته ، ص ١٤ .
- ٢٣ — النهدي ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .
- ٢٤ — النهدي ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .
- ٢٥ — الشرطة العامة ، المصدر السابق ، ج ١ ،  
ص ٨ .
- ٢٦ — رسائل العصبة نحن نكافح في سبيل من ؟  
و ضد من نكافح ؟ مطبعة دار الحكمة ، بغداد ،  
١٩٤٦ ، ص ٣ .

## المجلس الاميركي لليهودية

دراسة في البديل اليهودي للصهيونية

بقلم

الدكتور أسعد ززوقي

من منشورات مركز الابحاث في م.ت.ف.  
ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

٢٦٦ صفحة

٢ ل.ل. تصاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ،  
١٠٠ ق.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

# الطبقة العاملة الفلسطينية واليهودية وتنظيماتها ( ١٩١٨ - ١٩٣٩ )

عمار الظالبي

على كثرة الدراسات والبحاث التي تناولت تاريخ القضية الفلسطينية وتطوراتها ، مع تعدد الكتابات التي انصرفت لدراسة هذا القطاع الجماهيري او ذلك من الشعب الفلسطيني ، وهذا الحزب او ذلك ، فان الطبقة العاملة العربية في فلسطين ، وتنظيماتها السياسية والنقابية ، لم تحظ بعد بالاهتمام الكافي تاريخيا وتقييما . واكثر من ذلك فان تاريخ الطبقة العاملة وتطورها وتعايرها السياسية والاجتماعية والثقافية ، لم يكتب بعد . وما زال الفهوض يكتنف قطاعا جماهيريا اخذ تأثيره بالاتساع سياسيا واجتماعيا وعدديا وخاصة في العقد الرابع من هذا القرن وحتى كارثة ١٩٤٨ . وكانت « شؤون فلسطينية » قد نشرت في العدد الخامس ( تشرين الثاني ١٩٧١ ) « ملاحظات حول اوضاع الطبقة العاملة العربية في فلسطين في عهد الانتداب » . وتشر هنا مقالا اخر يتناول ذات الموضوع من جوانب اخرى . بيد ان « شؤون فلسطينية » ما زالت تعتقد ان هذا الموضوع بحاجة الى مزيد من الدراسة والتأصيل التاريخية ، ولا يمكن لقالة او اثنتين ان تقول الكلمة الاخيرة فيه . لذلك تدعو المطلة النقابيين الفلسطينيين الذين كانت لهم تجربة عملية في النقابات العربية في فلسطين منذ ١٩٢٨ ، والباحثين والكتاب العرب الى متابعة كتابة تاريخ الطبقة العاملة الفلسطينية ومؤسستها واطرافها ، وتقديم الوثائق والشهادات المتصلة بهذا الموضوع في هذه الفترة او تلك .

شكلت فلسطين والشرق الاوسط عمودا جزءا من عالم المستعمرات ، نظرا الى ان التخلف كان يترجم نفسه في مستوى الانتاجية المنخفضة ، بالقياس الى انتاجية البلدان الصناعية ، ولم يبلغ متوسط دخل الفرد في الشرق الاوسط في عام ١٩٣٩ اكثر من ربع او سابع متوسط الدخل بالنسبة الى الغرب . هذا الفارق يتجلى ايضا في تراوح الاجور ، فالهاجرون اليهود الغربيون يفرضون ويحصلون على اجور تتناسب مع مستوى الحياة في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، اي على اجور مرتفعة جدا قياسا الى الاجور المدفوعة في المنطقة . ان العمال اليهود الذين ينافسون اليد العاملة المحلية الاكثر رخصا ، كانوا مضطرين الى مقاومة استخدام العمال العرب في فروع النشاط الاقتصادي اليهودي ، الامر الذي ادى الى تشكل اقتصاد يهودي معلق ، ومن ثم بدون منافسة فعالة من الاقتصاد العربي القائم الى جانبه .

بسبب مركزية رؤوس الاموال والنسبة المرتفعة من العمال المختصين في القطاع الاقتصادي اليهودي ، فان « اليسوف » كانت تساهم في عام ١٩٤٤ بـ ٥٩٠٧٪ من الدخل القومي في البلاد ، رغم انها تمثل اقل من ثلث السكان ، ان حصة التجمعات السكانية اليهودية كانت اكثر ارتفاعا في غالبية القطاعات الاقتصادية ، وخاصة القطاعات

الحديثة منها مثل الصناعة والتجارة والبناء والمواصلات . وبشكل عام كان متوسط الدخل للفرد قد وصل عام ١٩٤٤ الى ٣٠٠ جنيه فلسطيني عند اليهود مقابل ١٦٥ جنيها فقط عند العرب كما يبين ذلك الجدول رقم ١ (١) .

### جدول رقم (١)

متوسط الدخل للسكان العرب واليهود بالجنيه الفلسطيني ( ١٩٤٤ )

| العرب | اليهود | الفروع                    |
|-------|--------|---------------------------|
| ١٣٤   | ٣٧٩    | الزراعة                   |
| ٢٥٤   | ٣٦٤    | الصناعة                   |
| ١٤٥   | ٢٠٠    | البناء                    |
| ١٢١   | ١٢١    | الجيش                     |
| ١٠٤   | ١٧١    | الاستخدام المدني والعسكري |
| ٢٣٣   | ٤٠٠    | النقل والمواصلات          |
| ٢٣٨   | ٣٧٠    | التجارة والمال            |
| ١٥٠   | ٢٢٥    | البوليس والادارة          |
| ١٨٢   | ١٢٤    | متفرقات                   |
| ١٦٥   | ٣٠٠    | المتوسط                   |

وما من شك ان سلطات الانتداب البريطاني كانت تمارس تحيزا واضحا بصدد المطالب الصهيونية المتعلقة بمضاعفة معايير اجور العاملين اليهود . كما ان العمال اليهود من ذوي الاصل الاوروبي كانوا متجمعين في الهستدروت ، على العكس من العمال العرب وجزء من العمال اليهود الشرقيين الذين كانوا عموما غير منظمين وخاصة في فترات الانتداب المتقدمة . ومن ثم لم يكن الاخرون قادرين على الحصول على اجور معادلة . ان التفاوت الهائل في اجور كلا المجموعتين ( العربية واليهودية ) يماثل بشكل واضح مع التفاوت في الاجور بين الاوروبيين والسكان الاصليين في المستعمرات ( راجع جدول رقم ٢ ) .

### جدول رقم (٢)

الاجور اليومية المدفوعة للعمال الراشدين (ذكور) بالمليئات الفلسطينية لعام ١٩٣٥

| اليهود الاوروبيون | العرب واليهود الشرقيون | نوع العمل               |
|-------------------|------------------------|-------------------------|
| ٢٥٠ - ٤٠٠         | ٨٠ - ١٢٠               | ١ - العمل الزراعي       |
| ٢٢٠ - ٢٢٥         | ١٢٠ - ٢٠٠              | عمال حراثة الارض        |
|                   |                        | طافيو البرتقال          |
| ٤٠٠ - ٦٠٠         | ٣٠٠ - ٣٠٠              | ٢ - العمل الصناعي       |
| ٣٥٠ - ٤٠٠         | ١٠٠ - ١٤٠              | عمال الحجر (المهرة)     |
| ٦٠٠ - ٧٠٠         | ٥٠٠ - ٦٠٠              | عمال الحجر (غير المهرة) |
| ٣٥٠ - ٤٠٠         | ١٠٠ - ١٨٠              | عمال البناء (المهرة)    |
|                   |                        | الفعلة                  |
| ٢٥٠ - ٥٠٠         | ١٢٠ - ٤٠٠              | ٣ - المصالح الحكومية    |
| ١٢٠ - ٤٠٠         | ٧٠ - ٢٠٠               | عمال رصف الشوارع        |
|                   |                        | الفعلة                  |

ظل هذا السلم المزدوج للأجور قائما طوال فترة الانتداب ، ففي عام ١٩٤٦ مثلا كان النجار العربي او اليهودي الشرقي يكسب ٨٥٠ مليمًا في اليوم ، بينما زميله الاوروبي ١١٠٠ مليم (٢) . بيد انه من الضروري ان نساوع للقول بان التقارب المغربي لعقد مقارنة بين الصهيونية والاستعمار الكلاسيكي هو خاطيء ، نظرا للانعطاف الغربية التي اتخذتها المغامرة الصهيونية بعيد الموجة الثانية من الهجرة — والتي كان شعارها العمل اليهودي — ، ذلك ان الانغماس الصهيوني في فلسطين اخذ شكل الاستعاضة عن السكان العرب بيد عاملة يهودية . لقد نتج عن ذلك ان الصهيونية بمفهومها ذاته تنطوي على عملية خلق طبقة عاملة صهيونية ومن ثم ترفض تشغيل البروليتاريا العربية . وبهذا المعنى تندرج الهجرة اليهودية ضمن النظام الاستعماري باعتمادها على عملية نزع املاك السكان العرب الفلسطينيين ، وهو الانتزاع الذي كان يتم على مرأى السلطات البريطانية المتواطئة ومسمعها . الا ان عملية النهب هذه لم تكن مصحوبة بفرز اجتماعي مشابه لما حصل في المستعمرات السكانية مثل الجزائر وافريقيا السوداء ، حيث يقوم اقتصاد انقطاع الاستعماري من الفه الى يائه على استغلال السكان الاصليين . ان اليهود في فلسطين قد شرعوا في التحول الى امة عبرانية جديدة على غرار النموذج الرأسمالي التقليدي : برجوازية سائدة وبروليتاريا .

ومن بين ٢١٢ الف مهاجر يهودي في البلاد عام ١٩٣٤ ، كان ٢٨٤٨٪ منهم منخرطين في الصناعة والحرف ، اما عدد اجراء قطاع الصناعة العربية فقد كان ٢١ الف (٣) . وان مقارنة توزيع السكان الناشطين اقتصاديا ، تعكس الطابع الصناعي والحديث للسكان اليهود ، والبنية الزراعية للمجتمع العربي ( راجع جدول رقم ٣ ) .

### جدول رقم (٣)

التقسيم المهني للسكان عام ١٩٣١

| عرب   | يهود  | الفروع         |
|-------|-------|----------------|
| ٪٥٩٤٠ | ٪١٦٤١ | الزراعة        |
| ٪١١٤٦ | ٪٣٠٤٦ | الصناعة        |
| ٪ ٦٤٠ | ٪ ٥٤١ | النقل          |
| ٪ ٨٤٤ | ٪١٣٤٨ | النجارة        |
| ٪ ١٤٣ | ٪ ٢٤٠ | الادارة        |
| ٪ ٢٤٣ | ٪١١٤٦ | المهن الحرة    |
| ٪ ٣٤٣ | ٪ ٥٤٣ | الخدمات الخاصة |
| ٪ ٦٤٩ | ٪١٢٤٥ | متفرقات        |

ان الشكليات الجوهريين للاستعمار الصهيوني ، اللذين انفصحا عن طابعهما المميز ، هما مبدأ تملك الاراضي عن طريق « الصندوق القومي اليهودي » ، وقاعدة « العمل اليهودي » . ومن ثم كان نمو الصناعة اليهودية مرهونا الى حد كبير بنشاط النقابات الصهيونية « الهستدروت » .

لقد أسست الهستدروت « الاتحاد العام للعمال اليهود في فلسطين » في حيفا سنة ١٩٢٠ ، وكانت يومذاك تعد ٤٣٣ عضوا . وقد مثلت منذ لحظة انطلاقتها ملامح مزدهرة وبهذا الصدد عبر احد قادة الحركة العمالية الصهيونية « ان الامر لا يتعلق — بالنسبة للهستدروت — بتنظيم الطبقة اليهودية فقط ، بل بخلقها وتشكيلها وغرسها في فلسطين » (٤) . وبكلمة اخرى ، فان هدف الهستدروت لم يكن الدفاع عن مصالح العمال اليهود فحسب ، بل ان هدفها الاكثر تحديدا والحاحا ، هو تحقيق الاستعمار الصهيوني

وفي فلسطين . فهي أذن نقابة قومية وإداة طيعنة وواعية في يد الصهيونية . وهي حسب عبارات نظامها الأساسي « تتخذ واجبا عليها تكوين نموذج جديد للعامل اليهودي ، كخصيلة لاستعمار فلسطين » . وضمن هذا الفهم ، وهذا التوجيه ، نمت الهستدروت بسرعة ، فانتقلت من ١٥٢٧٥ منخرطا في عام ١٩٢٦ الى ٢٥٣٧٨ منخرطا عام ١٩٣٠ ، ثم الى ٨٥،٨١٨ في عام ١٩٣٦ .

لقد مدت نشاطها الى كل المجالات الاقتصادية واصبحت العمود الفقري للمشروع الصهيوني ، ونظرا الى اهدافها الصهيونية فقد شرعت في ممارسة نشاط واسع ومتعدد الاشكال يستهدف خلق القاعدة الاقتصادية للدولة اليهودية المقتلة . وهكذا احاطت الحركة العمالية اليهودية نفسها بشبكة من المؤسسات والخدمات العامة : صندوق المرض والعجز ، بورصة العمل ، شركة مقاولات ، شركة بيع المنتجات الزراعية ، تعاونية البيع بالجملة ، شبكة مدارس عمالية الخ . لقد اوكلت عملية تنسيق جميع النشاطات الاقتصادية الى هيئة خاصة اسمها جمعية العمال . ان الخدمات الاقتصادية التي تقدمها الهستدروت لم تقتصر على ما مر ، فهناك عدد من الشركات والمؤسسات التابعة لها ، مثل شركة الاستيطان العمالي « نير » شركة تعاون عمالي متبادل ، تعاونية الاسكان ، شبكة من المصارف ، شركة تأمين كانت تعمل بفضل الاسهام المالي من الحركة الصهيونية في الخارج . دون ان ننسى ان الهستدروت كانت تشرف ايضا على منظمة الدفاع اليهودي « الهاجاناه » .

وقد استطاعت النقابة الصهيونية ، بفضل هذه النشاطات ان تحتل بسرعة مكان الصدارة ، ان لم نقل موقعا احتكاريا في الاقتصاد ، فالهستدروت هي المستخدم الاكثر اهمية بعد الحكومة ، ودفعت سياستها لتمكين الطبقة العاملة اليهودية التي بصدد التكون من قاعدة اقتصادية ضرورية فذاقت التعاونيات الانتاجية ، ووفرت فرض العمل للمهاجرين ، وضمنت شركاتها تسويق المنتجات اليهودية . ان سبب هذا التوسع الاخطبوطي للهستدروت في مجالات غريبة كليا عن النقابة والمفهوم النقابي يعود اساسا الى السياسة الصهيونية الاستعمارية .

وهكذا نجد الشعارات الملبية لهذه السياسة ، فشعار « العمل اليهودي » هو معادل لشعار « الانتاج اليهودي » . وهي الشعارات التي تهدف الى الترويج لبيع منتجات الاقتصاد الصهيوني في القطاع اليهودي على حساب الانتاج العربي وللاضرار به لانه كان ينافسها بأسعار كلفته المربحة . ولكن كما ان « العمل اليهودي » يعني عمليا طرد اليد العاملة العربية من المشاريع اليهودية ، فان « الانتاج اليهودي » يترجم نفسه في الحياة اليومية بالمقاطعة المنظمة للضائع العربية . لذلك ونتيجة لهذه السياسة ، فان مجرد اشاعة في عام ١٩٤٤ مثلا بان أحد المقاهي اليهودية في تل ابيب قد استخدم بعض العمال العرب تثير تجمعا يهوديا معاديا يعد الآف المتظاهرين ، ويجد الفلاح العربي ذات المقاومة ، اذا ما تحدى المقاطعة اليهودية وحاول بيع منتجاته الزراعية في السوق اليهودية ويطرد من هناك بعنف (٥) .

كانت الهستدروت هي الاداة الأساسية للتمييز العنصري الاقتصادي الذي مارسته الصهيونية ضد الفلاحين العرب . وهذا يتطلب من كل عضو في هذه النقابة الصهيونية ، ان يلتزم بدفع ضريبتين اجباريتين : اولا : ضريبة من اجل « العمل اليهودي » تصب في صندوق تنظيم الاضرابات ، وتسهم في جهود الهستدروت الرامية الى منع تشغيل العمال العرب ، لئلا في المؤسسات اليهودية فقط وانما في البريطانية والخدمات العامة . وثانيا : ضريبة من اجل « الانتاج اليهودي » ، اي من اجل تنظيم مقاطعة الانتاج العربي . ومن الامور الجديرة بالانتباه ان اي حزب من احزاب « اليسار » الاسرائيلي ، بما في ذلك حزب المابام ، لم يعترض ، حتى ولو شكليا ، على حرمان العمال

العرب من العمل ، ومقاطعة منتوجات الفلاحين العرب . ولم يمنع أي من هذه الأزمات عن دفع هاتين الضريقتين العنصريتين للهستدروت (٦) .

وهكذا فإن منافسة اليد العاملة اليهودية لليد العاملة الفلسطينية ذات الأصول الريفية غير المنظمة ، والتي كانت من الخصاصة والبؤس بحيث تقبل بأجور شبه رمزية ، لم تكن منافسة حرة ونزيهة . بل ان شروطها كانت تمنع وتكبح اليد العاملة العربية الفلسطينية من ان تتكون وفق القوانين التاريخية لتشكل الطبقة العاملة في البلاد تقليديا .

وعلى هذا النحو تكون سياسة التمييز العنصري ضد العمال الفلسطينيين ، التي مارستها الهستدروت شبيهة تماما بالتمييز العنصري الاستعماري الذي مارسته ثقافات الاممية الثانية في المستعمرات . لقد سبق لمدوبي الاحزاب العمالية في اكثر بلدان المستعمرات الأوروبية ان تحدثوا في مؤتمر الاممية الثانية ١٩٠٧ ، المعروف بمؤتمر شتوتغارت عن « الخطر » الذي تمثله اليد العاملة المحلية في منافسة اليد العاملة الأوروبية والأمريكية !

ان ممارسة الهستدروت العنصرية ضد العمال العرب لم تكن كما قد تبدو في الظاهر لصالح البروليتاريا اليهودية في الدرجة الاولى ، بل لصالح البرجوازية اليهودية الصناعية الناشئة في فلسطين بين ١٩١٨ - ١٩٣٩ بشكل اساسي . وبمعنى من المعاني نبتدو الهستدروت اقرب في ايديولوجيتها وسياستها العامة الى النسوية الطبقة التي توظف في التحليل الاخير لصالح البرجوازية اليهودية . فلقد كانت تمنع العمال اليهود في القطاع الاقتصادي اليهودي من شن اي اضراب مطلبي بحجة ان ذلك من شأنه الاضرار بالهدنة النهائي للصهيونية . كما ان الرأسماليين وخاصة البريطانيين لم يدعوا الفرصة تفلت منهم ، لقد استغلوا ببراعة فائقة التمييز العنصري الاقتصادي ضد العمال الفلسطينيين ، ولعل ابرز مثل على هذا الاستغلال هو سلكوك شركة التبغ الاجلو - أمريكية التي عمدت الى وضع مشروعين منفصلين ، أحدهما لتزويد السوق اليهودية « مانسبرو » والاخر لتزويد السوق العربية « قرمان وديك وسلتي » ، وكان كلا المشروعين يربط بديماغوجية بين بيع السجائر وتملق المشاعر القومية الصهيونية مرة ، والعربية مرة اخرى ، حسب الطرف وشروط العرض والطلب (٧) .

ان العمال الفلسطينيين الذين استبعدوا قسرا من سوق العرض والطلب البشرية ، لم يكن امامهم الا ان يتزاحوا بالناكب على عروض الشغل الضئيلة التي كان يتيحها الاقتصاد الفلسطيني الضعيف ، خاصة في القطاع الزراعي . وبما ان العمال المستغلين بفظاظة لم يكونوا منظمين ، فإن المنافسة الفوضوية على العمل جعلت اجورهم تندنى باضطراد . أما العدد الضئيل من النقابات المختلطة التي انشئت في العشرينات واقتصرت على قطاع الادارة والخدمات العامة في المدن المختلطة التي يتواجد فيها العرب واليهود بكثافة ، فانها ظلت هامشية وغير فعالة بتاتا لا في الدفاع عن مصالح العمال العرب ، ولا عن المصالح الحقيقية للعمال اليهود انفسهم (٨) .

ان الهستدروت في حالتين استثنائيتين قد قبلت في صفوفها عمالا عربا ، اذ حيث فشلت في مقاطعة العمال العرب عمدت الى انشاء فروع عربية لها لم تتجاوز على كل حال قرعين ، فقد أسس اولهما في حيفا عام ١٩٢٩ ، وثانيهما في القدس عام ١٩٣٤ (٩) .

وقد استهدفت الهستدروت عمال البلديات والادارة والمشاريع ، المسيرة برأسمال عبر يهودي ، وهي بالضبط أماكن العمل التي لم تنجح الهستدروت تماما في منع العمال العرب الفلسطينيين من الدخول اليها . لقد ارادت بذلك ان تضرب عصافورين بحجر واحد ، اولا : سعت لتهميه طابعها العنصري ، ثانيا : فرض المجادىء الصهيونية التي هي جوهر هذه النقابة على العمال العرب الذين ينخرطون فيها . لكنها لم تنجح الا نادرا



وحزبياً ، لأن غالبية العمال العرب كانت واعية الطابع العنصري الاستعماري لهذه النقابة الصهيونية التي ترفض حتى مجرد حقهم في منافسة اليد العاملة اليهودية في سوق العمل .

لقد غيرت الهستدروت خلال الحرب العالمية الثانية تكتيكها — دون أن تغير طبيعتها — بهدف مكافحة نفوذ النقابات الوطنية الفلسطينية ، فأعلنت عن قبولها تشغيل نسبة معينة من العمال الفلسطينيين في الأشغال التي تنفذها فروعها . واستطاعت بالنتيجة أن تنشط فرعها العربي الذي أوكلت إليه احتكار تشغيل اليد العاملة العربية . لكن هذه الخدعة التكتيكية لم تصمد أمام الممارسة : فمشاريع الأشغال العامة التابعة للهستدروت المسماة (سوليل بونيه) مارست التمييز العنصري في الأجور بين العمال العرب واليهود (١٠) .

خلال فترة ما بين الحربين العالميتين وجدت ثلاثة أحزاب يسارية صهيونية . « لكن لا يمكن اعتبارها تنظيمات عمالية مستقلة بالمعنى الحقيقي للكلمة . وذلك بسبب تبنيها للبرنامج الصهيوني ، بل للمنظمة الصهيونية نفسها ، واندماجها بالمجتمع الصهيوني والعلاقات الوثيقة التي تشدها الى الهستدروت . ما يمكن أن نتحدث عنه في أفضل الأحوال هو عن اتجاهات عمالية في صلب جهاز صهيوني لا مركزي . ان الجناح العمالي للحركة الصهيونية المصاب بالغارغرينا القومية يشارك بشكل دائم في الوحدة المقدسة مع البرجوازية » (١١) .

لم يتضمن برنامج أي حزب من هذه الأحزاب الصهيونية أي مطلب يتعلق بالمصالح المستقلة للطبقة العاملة . لقد كان قادتها جميعاً مشدودين الى قطار المنظمة الصهيونية لبناء الوطن القومي اليهودي .

ثمة ميزة أخرى تشاهد فيها الأحزاب العمالية الصهيونية ، الأحزاب البرجوازية الصهيونية ، وهي الانتماء الى المنظمة الصهيونية العالمية ، حيث لم تكن هذه الأحزاب الا فرعاً فلسطينياً لها . ان ما يفسر ارتباط الأحزاب اليسارية الصهيونية بهذه المنظمة هو واقع اعطائها الاولوية للاهداف القومية الصهيونية على الصراع الطبقي الفعلي ، كما ان واقع كونها مقصورة على اليهود فقط ، يعبر بوضوح عن جوهرها الصهيوني الصارخ ، علماً بأن جميع الأحزاب العمالية ، فضلاً عن النقابات لا تعبر أية أهمية لجنسية العمال الذين ينضون تحت لوائها . وهذا ليس الا مجرد برهان آخر على اعطاء هذه الأحزاب الاولوية للايديولوجية الصهيونية على المبادئ الاشتراكية .

لقد كان اعتماد الحركة العمالية الصهيونية على الهستدروت ، التي تكونت عناصرها أساساً في المستعمرات الجماعية . ان الأوهام الاشتراكية التي ارتبطت بالكيوتونات بندها الوقائع والتطورات ، ذلك ان حركة الكيوتس « لم تكن ابدا تمثل أي تهديد للبرجوازية الصهيونية ، وانما على العكس » (١٢) ، فقد استخدمتها البرجوازية الصهيونية كورقة دعائية في اوساط اليسار العالمي . وقد تكفلت الوكالة اليهودية ، المشكلة من كبار الرأسماليين اليهود في العالم ، بتمويل « هذه الواحات الاشتراكية في صحراء رأسمالية » . ونجد ان المستعمرات الزراعية اليهودية قد شكلت اثناء الثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ كتاب الدفاع الوقائي ، أي استهدفت العدوان على القرى العربية بحجة التصدي سلفاً لاجتياحات هجوم نوار فلسطين . وهكذا اضطلعت هذه المستعمرات الزراعية بسدور ارهابي بارز تجلى ذلك في الوحدات المتحركة بقيادة اسحق صادي . « ان الجناح العمالي للحركة الصهيونية هو الذي مارس ضغوطاً على الهاجاناه لكي تتخلى عن سياسة الدفاع السلمي أزاء ثورة ١٩٣٩ (٠٠) ان نخبة القتالين في وحدات الهاجاناه كانت تشارك في الحملات اليهودية — البريطانية التي نظمها الكابتن وينجيت . ففي سنة ١٩٣٩ قامت وحدات خاصة من الهاجاناه بسلسلة من الغزوات ضد القرى العربية . لقد كانت فرق

وسيجت يوم بشكل مستمر بتعنته العرب « المشوهين » ، رغم ان مهمتها الأساسية كانت حراسة انابيب شركة بترول العراق ، لحساب الامبريالية البريطانية (١٠٠٠) . وهكذا فان تشويه النضال العربي الوطني التحرري المعادي للصهيونية ، من طرف الاخيرة ، والتصريحات الديماغوجية للاقطاعيين الغرب قد أدت الى تعزيز تعاون العمال اليهود مع السلطات البريطانية « (١٣) » .

اسس العمال العرب في عام ١٩٢٥ بحيفا، جمعية العمال العرب الفلسطينيين ، ولم تلبث ان امتدت فروعها الى عدد من المدن الأخرى . وقد سبق ان العمال العرب قاموا منذ ١٩٢٠ بجملة من النشاطات ذات الطبيعة التضامنية عندما بدأ عمال سكة حديد حيفا بجمع التبرعات لمساعدة العمال المرضى وعائلات المتوفين منهم . وفي عام ١٩٢٥ تقدم عمال سكة الحديد بطلب لتسجيل ناد خيري لهم . وفي آب ١٩٢٥ ، وبعد مضي ثلاثة اشهر على تقديم العمال بطلب تسجيل جمعية العمال المذكورة آنفا استجيب لطلبهم . وقد تضمن النظام الاساسي للجمعية جملة من الاهداف النقابية والاجتماعية والحياتية وفقا للنظام والقانون وبدون اي تعرض للامور السياسية والدينية (١٤) . وقد بقيت نقابة السكك الحديدية مخور نقابات الجمعية ، اذ كان هذا المرفق ( السكك الحديدية ) موضع صراع مع السياسة النقابية الصهيونية الهادفة الى استخدام العمال اليهود في الادارة وفي الاعمال الفنية دون العمال العرب .

ولم تلبث الجمعية ان تمكنت من تحقيق بعض المكتسبات المادية للعمال مثل زيادة الاجور وتحديد ساعات العمل ، كما أسهمت في بعض النشاطات الثقافية والوطنية . وعقدت مؤتمرها الاول في ١١ كانون الثاني عام ١٩٣٠ في مدينة حيفا ، فشارك ٦١ اعضاء كمندوبين لـ ٣٠٢٠ عضوا من مختلف أنحاء البلاد (١٥) . وقامت فيها بعد بافتتاح مدرسة ليلية مجانية لتعليم العمال الاميين . وقد تميزت المرحلة عموما بكثرة الاضرابات التي استهدفت تحسين اوضاع العمال المعيشية . ولم تلبث ان اصبح لها فروع في عشر مدن فلسطينية توزعت اعضاء الجمعية الذين بلغ عددهم نحو احد عشر الف غصوا (١٦) . اما العمال الزراعيون وخاصة العمال الموسميون ، فلم يكونوا منظمين على الاطلاق ، وكانت المنافسة شديدة بينهم وبين الحوارة الوافدين من سوريا بحثا عن العمل بأدنى مستويات الاجور ، كما طرأت المنافسة ذاتها مع عمال التراهيل الاكثر بؤسا القادمين من الريف المصري .

مع انفاضة العام ١٩٣٥ ، كانت اوضاع العمال الفلسطينيين تزداد بؤسا ، اذ ان سياسة « العمل اليهودي » أدت الى المزيد من التسريح للعمال الفلسطينيين ، ليس فقط من المؤسسات اليهودية وانما من المؤسسات العامة والخدمات . واصبح التسريح بالجملة مظهرا من الازمة الوطنية العامة لذلك كان لمياعمة العمال العرب في اضراب ستة الاشهر ١٩٣٦ ، طابع طبقي واضح بالاضافة الى طبيعة التحرك الجماهيري الوطني . لم تقف سلطات الانتداب ساكنة ازاء التسريح العمالي بالجملة فقط ، بل انها عملت الى اعتقال العديد من الكوادر النقابية العربية في جمعية العمال ، ولم تستجيب الى اي من مطالبها . وهكذا اضطرت الجمعية الى اقفال ابوابها اثناء الاضراب العام . وهناك تقديرات ان الجمعية قد تأثرت جدا بسبب الاضراب ولم يتجاوز عدد اعضائها خمسة آلاف عامل عام ١٩٣٦ . ومن المؤكد ان الجمعية قد شلت تماما طوال عامين ، اي حتى عام ١٩٣٨ حين افرج عن قادتها النقابيين في ظروف انحسار الثورة وازدياد القمع ضراوة والاضاع الاقتصادية في القطاع العربي سواء . وقد بقيت الامور على هذه الحال حتى عشية الحرب العالمية الثانية اذ انخفض عدد اعضاء الجمعية في مطلع ١٩٤٠ الى ما يقرب من ثلثي عضو (١٧) .

بيد أن ظروف الحرب الثانية عادت فأكسبت الحركة العمالية إمكانات موضوعية وذاتية للهوض مجدداً ، ويعبر عن ذلك جليا مؤتمراً عام ١٩٤٣ لعمال المعسكرات ، حيث كان مندوبو المؤتمر يمثلون ٢٨٠٠٠ عامل وقد تمكنت الجمعية من فتح ما يقارب الثلاثين فرعاً لها في أنحاء مختلفة من فلسطين وبلغ أعضاء هذه الفروع ٣٥٢١٧ عاملاً (١٨) .

إن الأمور الأكثر دلالة هي أن جمعية العمال العرب استطاعت أن تشارك في مؤتمر نقابات العمال الدولي الذي عقد في السادس من شباط ١٩٤٥ ، بدلاً من الهستدروت الذي كان عضواً يمثل الحركة العمالية في فلسطين . إن هذا الكسب السياسي قد سبب انزعاجاً حقيقياً للهستدروت الذي حاول عبثاً التقليل من شأن جمعية العمال العنصرية والتأثير ضدها بين أعضاء المؤتمر (١٩) .

إن الانقسام العمودي بين العمال الفلسطينيين والعمال اليهود كان شبه كامل ، فالعمال العرب منخرطون في نقاباتهم الخاصة ما عدا قلة قليلة كانت منضوية في فروع الهستدروت المخصصة للعرب والمار ذكرها . فيما كان للعمال اليهود نقاباتهم الخاصة الهستدروت واحزابهم الخاصة ، الاحزاب الصهيونية اليسارية .

انتظيم الوحيد الذي كان يجمع بين العمال العرب والعمال اليهود هو الحزب الشيوعي في فلسطين . إن الكوادر العليا لهذا الحزب كانت في معظمها يهودية . وهذا ما جعل أعضاء الحزب من العرب قليلي العدد جداً . كما أن الأيديولوجيا السائدة ، القومية والدينية بين العمال الفلسطينيين كانت أيضاً سبباً إضافياً لابتعاد العمال الفلسطينيين عن الحزب الشيوعي . هذان العاملان كانا يجعلان الشيوعيين الفلسطينيين القلائل « معزولين » ومنبوذين (٢٠) . أما العمال اليهود الذين ينتمون للحزب الشيوعي فانهم غالباً ما كانوا يهاجرون من فلسطين بمجرد ما يعون وضعهم الحرج كمستعمرين ، لكونهم قد هاجروا غالباً تحت تأثير الدعاية الصهيونية . فقد كانت عودتهم إلى الأوطان التي هاجروا منها المخرج الوحيد لهم ، بصفتهم شيوعيين واعداء للاستعمار ، من التناقض الذي كانوا يواجهونه .

من جهة أخرى كانت حكومة الانتداب تهجر جبراً كل من ثبت لديها أنه يهودي شيوعي . وكانت « تحرم دخول الأراضي الفلسطينية على المهاجرين المشبوهين بالبلشفية » (٢١) . بيد أن قيادة الحزب الشيوعي لم تكن قيادية أممية ، لقد كانت خاضعة لتأثيرات الأيديولوجية الصهيونية السائدة من جهة وللماضي الصهيوني لعدد كبير من مناضلي الحزب الذين غالباً ما مروا ، عبر مسيرتهم نحو الحزب الشيوعي ، بالأحزاب الصهيونية اليسارية . وهنا نجد علة عدم الاستقرار في حجم الشيوعيين ، هذا الاستقرار الذي كان سحر باستمرار في قوة الحزب (٢٢) .

إن نقطة الضعف الأساسية في الحزب الشيوعي الفلسطيني هي تونه كنتيجة للاندماج في صلب الحزب العمالي الاشتراكي ، هذا الاندماج الذي حصل في سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ بين أقصى يسار البوعيلي تسيون في فلسطين ، وبين عدد كبير من الفرق الصغيرة التي كانت قد انفصلت عن البوعيلي تسيون في أوروبا الشرقية . كان الحزب العمالي الاشتراكي يعلن بأنه من أنصار أيديولوجية « البروليتاريا الصهيونية » وهو لذلك لم يكن يختلف اختلافاً جدياً عن برنامج الأحزاب الصهيونية اليسارية . وليس من باب الصدفة إن الحزب لم ينضم فوراً للاممية الثالثة ، كما إن الحزب العمالي الاشتراكي ساهم في المؤتمر التاسيسي للهستدروت حيث حصل على سبعة مقاعد من مجموع ٨٧ مقعداً ، وكان يجب استخدام اليديش لكن مطالب دعائية فعالة قادته إلى التحلي عمن اليديش واستعمال العبرية .

لقد توصل القادة الصهاينة من جهة وسلطات الانتداب من جهة ثانية ، إلى أن الحزب

العمالي الاشتراكي هو المحوّل عن حوائث أول إنذار ١٩٢١. وبين ثم يم اتحاد قاتلته  
الأربعة عشر من فلسطين إلى الاتحاد الشيوعي . أن ضعف تناسيك الحزب النظري  
والتناقضات الداخلية غير المحلولة في صفوفه والقمع البوليسي الذي بدأ يتعرض له بعد  
إبعاد قيادته خارج البلاد . أدت إلى عدم قدرة الحزب على الصمود أمام أزمة العالم .  
وهكذا انهيار الحزب كليا ونوعيا في أقل من ثلاث سنوات ، وهكذا أصبح أعضاء الحزب  
سنة ١٩٢٤ ٨٠ عضوا بعد أن كان عدد الشيوعيين ( عربا ويهودا ) في سنة ١٩٢١ قد  
ناهر ٣٠٠ عضو (٢٣) .

منذ ذلك التاريخ تحول الحزب إلى السرية ، وأصبح أعضاؤه ملاحقين . لكن بنية الحزب  
القومية المتنافرة ( عرب - يهود ) وتأثر الأعضاء العرب بالمشاعر القومية وخضوع عدد  
هام من الأعضاء اليهود لتأثيرات الصهيونية ، ثم خضوع الحزب ككل لسياسة ستالين  
المقتلية ، كل هذه العوامل جعلت الخلافات الداخلية تتفجر بسبب هذا الحدث أو ذلك  
ضمن سلسلة الأحداث التي كانت تهرز فلسطين بعنف . وأهم انفجار انجر إليه الحزب  
هو انشقاق ١٩٢٢ الذي انتهى في سنة ١٩٢٣ إلى الوحدة مجددا وعلى أسس جديدة .  
فقد صادق مؤتمر الحزب في ١٩٢٣ على خط جديد معاد كليا للصهيونية . لقد رفض بيان  
المؤتمر « الصهيونية البروليتارية » التي كانت شعار الحزب في السنوات الماضية .  
وقطع كل علاقاته بيسار البوعيلي تسيون . وفي هذا المؤتمر تغير اسم الحزب . من  
الحزب العمالي الاشتراكي إلى الحزب الشيوعي في فلسطين ، وبعد اعلان الحزب بتغير  
اسمه ، تم قبوله من طرف اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة في موسكو كعضو فيها .

أدت هذه التحولات الايديولوجية إلى توجه الحزب في سياسته الجديدة إلى الجماهير  
العربية الفلسطينية ، بشكل اساسي ، تحت شعار « على الحزب أن يغادر العمود  
اليهودي » (٢٤) . وكان من الهستدروت أن طردت « الجناح العمالي » أو المعارضة  
الشيوعية القائمة داخلها لخط الأخيرة المعادي للصهيونية ، والتي انتهت إلى « تعزيت »  
الحزب الشيوعي وانتمائه للاممية الثالثة . واعلنت الهستدروت عن تصديها في  
المستقبل لكل معارضة داخلية تتبنى خطا مشابها .

وهكذا اتجه الحزب إلى العرب وإلى اليهود الشرقيين الذين ظلوا طوال السنوات  
الماضية مهملين وظلت لهم أحزابهم ونقاباتهم الخاصة المنفصلة عن نقابات اليهود  
الوافدين من أوروبا الشرقية والغربية وأحزابهم . كما اتجه الحزب في دعائيه نحو الفلاحين  
لتجريضهم على عدم بيع أراضيهم للصهاينة (٢٥) . بيد أن نقطة الضعف في الحزب بقيت  
قائمة ، وهي قلة الأعضاء العرب فيه .

ومع عام ١٩٢٨ انقسم الحزب من جديد . لكن هذا الانقسام لم يؤثر في الحزب ككل ،  
نظرا للزمة الاقتصادية الخائفة التي كانت تدفع إلى صفوفه بأعداد كبيرة . إلا أن  
الانقسام الخطير جاء في العام التالي الذي كان تنويجا مباشرا لموقف الحزب من أحداث  
١٩٢٩ التي وصفها الحزب بأنها « ثورة معادية للامبريالية حولها اعوان الامبريالية التي  
فتنة ضد اليهود » (٢٦) . ومن الواضح أن هذا التقييم لأحداث ١٩٢٩ كان نتيجة لضغوط  
مكتب الاممية الثالثة على الحزب . أن الحزب قد هالته الأحداث في البداية إلى حد أنه  
اعطى الأوامر لمناضليه ليشاركوا في وحدات الدفاع الذاتي جنبا إلى جنب مع الهاجاناه ،  
هذا القرار الذي اتخذ بمواقفة القائد الشيوعي التشيكي سمرال ، بمعوث الاممية الذي  
كان أبان الأحداث مقيما في فلسطين (٢٧) . وقد أدان مكتب الاممية الثالثة ضمنيا هذا  
الموقف ، عبر أدانته لموقف الحزب الشيوعي من الأحداث .

لقد اعتبرت الاممية الثالثة أحداث ١٩٢٩ ثورة فلاحين حقيقية ، رغم أن بعض التوري  
الرجعية كانت على رأسها في المرحلة الأولى لانطلاقها . وقد اشار مكتب الاممية إلى

الشعارات التي كان على الحزب الشيوعي ان يرفعها مثل: « احتلال الارض ، تشكيل  
للجان الثورية من الفلاحين والبدو ، الثورة الزراعية . الخ » كما انتقد بيان الاممية  
الثالثة الحزب الشيوعي في فلسطين لعدم تمكنه من الانعراس بين جماهير الفلاحين  
الفلسطينيين العرب . وقد اكدت الاممية الثالثة على ان هذا العجز الذي اصاب الحزب  
ناتج عن سوء نية قيادة الحزب ، ووجهت مجددا تعليماتها الى القيادة بـ « تعريب  
الحزب من اسفل الى اعلى » (٢٨) .

ومن المعروف ان لينين في مؤتمر باكو ١٩٢٠ للحزب الشيوعي في افريقيا واسيا قد  
وجه النقد المرير للحزب الشيوعي المصري لان قيادته لم تكن نابعة من الاغلبية ، بل من  
الاقليات الطائفية . وطالب لينين الاحزاب الشيوعية في آسيا وافريقيا بان تحمل على  
رأسها قيادات من الاغليات القومية لا من الاقليات القومية . لان ذلك هو اجد الشروط  
التي تجعل هذه الاحزاب جماهيرية ، لا احزابا طائفية او اقلية معزولة عن اوسع  
الجماهير الشعبية .

ومن جهة اخرى حذرت وثيقة الاممية الحزب الشيوعي في فلسطين من التعاون مع  
البوعيلي تسيون الذي « اندمج بالفائضية » واشارت الاممية الى ضرورة تشكيل اتحاد  
يضم جميع الاحزاب الشيوعية في جميع الاقطار العربية (٢٩) . ومنذ هذه الحقبة اصبح  
الحزب الشيوعي الفلسطيني يدعم باستمرار الحركة الوطنية الفلسطينية الى حد انه  
اصبح ذبلا لحزب الاستقلال الذي كان يمثل الاتجاه الاكثر تقدما في الحركة الوطنية  
الفلسطينية رغم ان قيادته ، كان يغلب عليها الطابع الاقطاعي العائلي .

اثناء ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ رفع الحزب الشيوعي شعار « التحقوا بحركة التحرر  
العربي » . وكان اعضاء الحزب يعدون الالف . وقد دعم الحزب بدون ادنى تحفظ نقدي ،  
المفتي وقادة الحركة الوطنية الفلسطينية . ودعا الحزب اليشيف ( التجمع البشري  
اليهودي في فلسطين قبيل تكوين اسرائيل ) الى المشاركة في الثورة ضد المهاجرين  
الضالمة واكثر من ذلك قام مناضلو الحزب انفسهم بمحاولات تخريب لمبنى  
الهيستدروت في حيفا وتل ابيب . وقد جاء في تعميم صادر عن اللجنة المركزية للحزب في  
عام ١٩٣٦ « ان القبائل التي قذفت على نقابة العمال في حيفا ، القاها اعضاء من الحزب  
الشيوعي الفلسطيني حسب اوامر صدرت اليهم من اللجنة المركزية للحزب » (٣٠) .

ان هذا الخط الجديد للحزب ، قد دفع بالشيوعيين اليهود الى الانسحاب من الحزب  
تكتافا ، خاصة عام ١٩٣٧ حيث اثار دعم الحزب للحاج امين الحسيني ، انشقاقا خطيرا  
داخل الحزب . وادى فيما ادى اليه الى تمرد فرغ بكاملها عن الحزب كما هي الحال مع  
فرح تل ابيب وقد تم فصلها من الحزب بتهمة عدم الانضباط . كما ادت السياسة ، غير  
التفدية للحزب ازاء الاحزاب القومية ان عدد كوادره العربية ، تخلت عنه وانضمت الى  
حزب الاستقلال (٥) اما السلطات البريطانية فقد واصلت بدورها نفي اعضاء الحزب من  
اليهود الى خارج البلاد ، في الوقت الذي لم تر أي مبرر لتقوم بذات الشيء ازاء أي  
قائد صهيوني اشتراكي .

عشية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) . كان عدد اعضاء الحزب من اليهود نحو ٣٠٠  
عضو ، يضاف اليهم حفنة من الكوادر العربية (٣١) .

ان الصورة الاجمالية لمسيرة الحركة العمالية الفلسطينية واليهودية فيما بين الحربين  
العالميتين (١٩١٨ - ١٩٣٩) تتميز بالضعف العددي والنوعي ، الكفاحي والتنظيمي .  
لكن برغم كل ضعفها تبقى النقطة الالامعة للطبقة العاملة الفلسطينية مشاركتها الفعالة  
في اضراب عام ١٩٣٦ المجيد الذي دام ستة شهور .

- ١٨ - المصدر السابق ، ص ٤٦ .  
 ١٩ - راجع المصدر السابق ص ٤٦ ، كذلك  
 مجلة شؤون فلسطينية العدد الخامس .  
 ٢٠ - W. Z. Laqueur, *Communism and Nationalism in the Middle East*, (London, 1956) p. 73.  
 ٢١ - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١١٦ .  
 ٢٢ - لكوير ، نفس المصدر ، ص ٧٣ .  
 ٢٣ - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١١٦ .  
 ٢٤ - لكوير ، نفس المصدر ، ص ٧٦ - ٧٧ .  
 ٢٥ - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١١٧ .  
 راجع ايضا الدراسة الهامة : الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين بقلم  
 ا. شلشتر ترجمة رياض يونس في *تراجمات عربية* ، السنة السادسة العدد العاشر ، ص ١٩٧ .  
 ٢٦ - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١١٨ .  
 ٢٧ - Joseph Berger, *La rupture avec les Communistes*. (Ed. les Nouveaux Cahiers, Paris) Vol. 13-14, pp. 34-38.  
 ٢٨ - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١١٨ .  
 راجع ايضا الوثيقة الصادرة عن المؤتمر السابق للحزب الشيوعي الفلسطيني « مهابات الخبز الشيوعي الفلسطيني في الأرياف » والتي كانت استجابة وصدى لتوصيات مكتب الاممية الثالث ( الكومنترن ) والمنشورة في : *الاممية الشيوعية والنورة العربية وثائق ١٩٢١* ( دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٠ ) ص ١٢١ - ١٧٣ .  
 ٢٩ - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١١٩ .  
 ٣٠ - كلف ، نفس المصدر ، ص ٢٣ .  
 ٣١ - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ٢٠٠ .

- ١ - N. Weinstock, *Le Sionisme Contre Israël*, (Maspero, 1969), p. 183.  
 ٢ - لاخذ صورة اكثر تفصيلا راجع : *النظام الاقتصادي في فلسطين* (بيروت ١٩٢٩) ، الفصل الخامس . جدول رقم ٢٧ صفحة ٣٧٣ .  
 ٣ - شؤون فلسطينية ، العدد الخامس ( تشرين الثاني ١٩٧١ ) « ملاحظات حول اوضاع الطبقة العربية العاملة في فلسطين في عهد الانتداب » . لهاني حوراني ص ١١٩ - ١٢٤ .  
 ٤ - Tony Cliff, *The Struggle in the Middle East*, International Socialism Pamphlet, (London, 1967); Richard Williams - Thompson, *The Palestine Problem* (London 1946), p. 81.  
 ٥ - نفس المصدر السابق ص ٨١ .  
 ٦ - نفس المصدر السابق ص ٨١ .  
 ٧ - *Le Rôle du Sionisme ou le Moyen Orient au Carrefour*. (Paris, 1968), p. 19.  
 ٨ - نفس المصدر السابق ص ٢٣ .  
 ٩ - فاينشتوك ، نفس المصدر ، ص ١١٠ .  
 ١٠ - المصدر السابق ، ص ١٨٩ .  
 ١١ - المصدر السابق ، ص ١١٠ .  
 ١٢ - المصدر السابق ، ص ١١٤ .  
 ١٣ - المصدر السابق ، ص ١١٤ .  
 ١٤ - علي مناد خريس ، *الحركة النقابية العمالية في الارض* ، ( عمان ١٩٥٧ ) ، ص ٤٣ - ٤٤ .  
 ١٥ - المصدر السابق ص ٤٦ ، كذلك راجع المقالة المنشورة في مجلة شؤون فلسطينية في العدد المذكور انفا .  
 ١٦ - المصدر السابق ، ص ٤٦ .  
 ١٧ - المصدر السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

## الأدب العبري المعاصر وتكريس التوسع الصهيوني

رشاد الشامي

في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، والانتصار المفاجيء الذي أحرزته اسرائيل ، وحققت بفضلها توسعا اقليميا جديدا في الاراضي العربية عبر كل من مصر وسوريا والاردن ، عمت الحياة الثقافية في اسرائيل ظاهرة جديدة بالملاحظة والمتابعة والتحليل ، حفلت بها صفحات الملاحق الأدبية الاسبوعية للصحف العبرية — وقد كانت هذه الظاهرة هي وضع الادب العبري ، ان جاز القول ، في قفص الاتهام ومحاكمته بقصد اخذ ما يجب ان يؤخذ عليه ، وازافة ما يجب ان يضاف لصالحه ، وكان موضوع المحاكمة هو : « كيف حدث في الواقع الاسرائيلي المعاصر انه بدلا من ان يسير الشاعر امام الجندي ان سار الجندي امام الشاعر ؟ كيف حدث ان الشحنة من الرغبة العميقة لدى الشعب نحو التوسع وراء الحدود الخضراء ، وهي الشحنة التي طغت اليوم على السطح — كيف حدث ان هذه الشحنة لم تظهر من قبل ولم تجد لها صدى وتعبيرا في إنتاج الكثيرين من اديباء اسرائيل ؟ » .

وقد حاولت هذه الاسئلة التي طرحها المدعي العام الادبي ضد الادب الاسرائيلي ان تبحث عن اجابة للسبب الذي جعل « قانون الشاعر » الذي يتلقى وحيه من حقيقة هي فيما وراء مصالح الساعة لا يفرض نفسه على « قانون الدبلوماسية » الذي يتحدد وفقا لمتطلبات الساعة ، وانما حدث العكس ، وهو استجابة الشعراء والادباء لما حققه « قانون الدبلوماسية » ، و « قانون الحرب » ، وبدأوا يهللون للقديس والخليل ونهر الاردن والجولان وسيناء مهبط الوحي الموسوي من واقع ان ذلك قد فرض عليهم ، ولكنهم لم يسبقوا العسكريين اليه بخيالهم ، وذلك فيما عدا نفر قليل منهم .

لقد كانت الاحتجاجات صارخة لان بعض الاديباء الاسرائيليين وضعوا فواصل بين الروح والمادة ، وبين الموضوعات الابدية والموضوعات الوقئية . لقد كان المطلوب من الادييب أو الشاعر الاسرائيلي ان يستجيب تماما لمتطلبات التوسع الصهيوني ، وكما يستر القائد امام جنوده ودياباته ويصيح صيخته العسكرية « ورائي » ، كان على الشاعر ان ينطق بنفس المعنى في منظومات تخترق حدود الارض التي اغتصبتها اسرائيل قبل هـ حزيران الى المناطق الجديدة التي احتلها جيش الدفاع الاسرائيلي ، والتي يتضمنها « المزموه القديم » ، الذي تعني بتلك الحدود ، وربما بما هو ابعد منها ، وتخطى بذلك ، حسبها يعتقد من عقدوا هذه المحاكمة ، رؤوس الكثيرين ، ومن هم ممتازون من بين اديباء اسرائيل ، وجعل تصاندهم في المؤخرة .

وقد كانت صحيفة « معرف » الاسرائيلية المسائية والواسعة الانتشار من أولى الصحف التي اولت هذا الموضوع اهتماما خاصا ، وأفردت له الصفحات . وقد عقدت المحررة جنولا كوهين مع نخبة من اديباء وشعراء اسرائيل ممن يشكلون تيارات الادب العبري المعاصر تمثيلا حقا لانهم هم الذين يحددون ملامحه واتجاهاته ، حلقة مناقشة نشرت في الصحيفة في أعدادها الاسبوعية : ١٩٦٨/١٠/٦ ، ١٩٦٨/١٠/١٣ ، ١٩٦٨/١٠/١٨ ،

١٩٦٨/١٠/١٥ - ١٩٦٨/١١/١٠ - ١٩٦٨/١١/١٨ - ١٩٦٨/١١/١٨ . واستفرك في هذه الحلقة من الأدباء وشعراء إسرائيل المعاصرين ، إبراهيم شلونسكي ، وحييم جوري ، والبروفيسور ياروخ كورتسيفيل\* ، وعموس عوز ، وموشي شامير ، واسحق شيلاف ، وبنيامين جلاي ، وموشي دور ، وموشي براجر ، ويعقوب اورلاند ، وعزرا زوسمان . ونشرت المناقشة تحت عنوان : « هل قال أدبنا هو الآخر « ورائي ! » » ، ووجهت خلالها لهذه المجموعة عدة أسئلة ضمنيتها كل ما أثارته الدعوى ضد الأدب العبري في إسرائيل قبل هـ حزيران ، وضد المناخ الأدبي العام في إسرائيل .

وأول هذه الأسئلة وأهمها ، ذلك السؤال الذي اخترنا تناوله لما يحويه من دلالات كثيرة بالنسبة لدور الأدب العبري في الحياة والمجتمع الإسرائيلي ، من ناحية ، وبالنسبة لموقف الأدب العبري من قضايا التوسع الصهيوني ، من ناحية أخرى . يقول السؤال : كيف حدث في رأيك أن الأدب في إسرائيل لم يقل - أن جاز لنا أن نستخدم بالمفهوم الرمزي جدا ذلك الاصطلاح الشعبي الشائع - « ورائي ! » ؟ كيف حدث - فيها عدا أ.ص.ج. (أوري تسفي جرينبرج) (١) وقليلين آخرين - أن وصلنا الى أجواء طبيعية قديمة حديثة في حياتنا دون أن يسبقنا أو يواكبنا اليها شعر شعراء إسرائيل ؟ وهذا السؤال على هذه الصيغة يكرس نية العدوان والتوسع المسبقة عند إسرائيل لتحقيق أطماعها التوسعية في العالم العربي مرحلة اثر مرحلة . فالسؤال يحوي في فحواه مأخذا على الأدب العبري ، ليس في عمومه ، ولكن بالنسبة لبعض تياراته ، لأنه لم يكن متسقا مع حدود هذه الأطماع التوسعية ، ولم يسبق بخياله آلة العدوان المحققة للتوسع ، ولم يتغن بتلك المناطق التي تم احتلالها إلا بعد أن أصبحت واقعا ملموسا محققا بقوة السلاح . وهذا الموقف هو استمرار طبيعي للسمة التي ميزت الأدب العبري الحديث منذ بداية مواكبته لمرحلة الأحياء القومي اليهودي ، وهي سمة الأدب المجند . فقد كان الأدب العبري منذ عصر الأحياء القومي اليهودي في نهاية القرن التاسع عشر في أساسه أدبا قائما على الدعوة الأيديولوجية الصهيونية ، وكانت الصفة الأساسية له هي أنه أدب مجند يخدم أهداف الفكر التوسعي والعدواني الصهيوني ويخضع لمطالبته . وعلى هذا الأساس فإن أي إنتاج أدبي ، شعري أو نثري ، لأي أديب يهودي أو إسرائيلي ، كان يحكم عليه بهذا المعيار ، وكان يعتبر أدبا قوميا بقدر ما يحققه في سبيل العودة الى صهيون (في مرحلة الهجرات) ، أو بقدر ما يكرس اغتصاب فلسطين العربية وقيام الدولة اليهودية (أبان قيام الدولة) ، أو بقدر ما يكرس التوسع الصهيوني في البلاد العربية (بعد قيام الدولة) . وعلى هذا الأساس مثلا اعتبر الشاعر اليهودي الروسي حبيم نحمان بياليك ( ١٨٧٣ - ١٩٣٤ ) شاعرا للقومية اليهودية ، لأنه ثار في شعره على الشتات اليهودي ، وعلى حياة المنفى ، وحفز في إحدى قصائده ، وهي قصيدة « في مدينة الذبح » اليهود الى إقامة حركة « الدفاع الذاتي » بعد مذابح كيشنيف عام ١٩٠٣ ، وأحيانا كنوز التراث العبري الكلاسيكي ووضعها في خدمة الأحياء القومي الصهيوني . ومن بعده ظهر جيل كامل من الأدباء والشعراء الذين ساروا في خط تكريس قيام الدولة ، وأطماع التوسع الصهيوني أمثال : إبراهيم شلونسكي (٢) ، وناتان التزمان ، وأوري تسفي جرينبرج وغيرهم ممن سبقوا بخيالهم طلقات المدافع ، وصنعوا العنصرية بأحرفهم ، والتوسعية بكلماتهم ، والعدوانية بقصائدهم .

وإذا عدنا الى هذه الحلقة من المناقشة حول السؤال المطروح لوجدنا أمامنا ان أدباء إسرائيل يكادون يمثلون تيارا واحدا ، مع بعض الاختلافات هنا أو هناك ، ولكنها ليست اختلافات جذرية تصل الى حد تقسيمهم الى معسكرين . ان الأديب عموس عوز (٣) ،

\* توفي في أول شهر أغسطس ١٩٧٢ .



على سبيل المثال - يرفض فكرة ان يكون « الادب المجند » كنوع من انواع الادب الشرعي والحيوي ، هو النوع الوحيد ، ويحتج على ما يسميه « التفسير العفواني الذي يريد ان يعبر على « روح العصر » أو « روح الامة » حيث همسا غير موجودين ، وحينما لا يفلح هذا التفسير في العثور على هذه الارواح ، او في ادخالها الى داخل النص فانه يرفضه» . واستنادا الى هذا فانه يأخذ موقفا جديدا من تفسير كل ما اصطلح على تسميته بأنه « ادب قومي » او « ادب دعوة صهيوني » . فهو مثلا يرى ان القضايا التي تناولها بياليك في شعره وفسرت على انها قضايا قومية ، هي في الحقيقة « احتجاج شخصي ضد نظم العالم . . » . ويرى كذلك ان بريتر الذي مالوا الى اعتبار قصصه مرآة للجيل او صرخة غضب وشق طريق ، « يحكى عن يهودي ممزق الى قطع واسمه بريتر » . وقصص س. زهار التي تقدم حتى اليوم على انها مقدمات لبحث العلاقات الاسرائيلية العربية ، يراها عوز باعتبارها « مجرد قصة عن يهود ويهود » ، واكثر من ذلك « عما بين يهودي تساب ونفسه الممزقة » .

وعوز بتفسيره هذا انما يرفض توظيف الادب لخدمة غرض او ايديولوجية ، ويرى ان كل ما ينطق به الشاعر او يكتبه الاديب ، انما هو انعكاس لذاته ، ولذاته فقط ، وليس لاي شيء اخر . وعلى هذا الاساس فانه يرى « ان القصيدة او القصة ليست مصنوعة من افكار ولا حتى من حادثة ، ولكنها مصنوعة ، اولا وقبل كل شيء ، من كلمات ومن جمل » . وفي مواجهة السؤال المطروح يحدد موقفا قاطعا يرفض به ان يخضع لمطالبات الادب المجند ، فيقول : « انني لم اظهر مع مغني التاريخ لانه يهمني اقل مما يهمني الافراد ، ولو حاولت ان اتحدث باسمه لكنك مزيفا » . وهكذا يحدد عاموس عوز موقفه باعتباره ممن تجاوزوا في الادب العبري التعبير عن « النحن » ، وانتقلوا الى الاهتمام « بالانا » ، بالفرد وضراعاته ومأساته مع نفسه ، زافضا بذلك ان يكون مزيفا ، وهو بذلك يعكس اتجاهها كاملا بدا يظهر في الادب العبري المعاصر منذ الستينات تبرز فيه أسماء لادباء مثل ابراهام بن يهوشع ، وعماليا كهنا كرمون ، ويهودا عميحي وغيرهم .

اما موثي شامير (٤) فهو يرى ان الادب العبري « ساعد كثيرا ، وفق احسن قوته ، على خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد » ، ويرى كذلك ان « المناقشة السائدة بين رجال « ارض اسرائيل الكاملة » والمدافعين عن الانسحاب ، ليست حول مسألة ما اذا كان الحق في الخليل بل هو ما اذا كان لنا الحق في تل ابيب وحولته ومشمر هاعيمك . . » . وهنا يقف موثي شامير موقفا يحاول فيه التوفيق بين توظيف الادب لتخطي الحدود الراهنة بعد التوسع ، وبين اقتصره على تكريس ما هو واقع والتغني به وتاصيله في النفس الاسرائيلية . وعلى هذا الاساس فانه يرى ان وظيفة الادب هي ان يقول « هنا » و « ها هو » و « الان » . ولكن هذه المحاولة التوفيقية لا تتضمن اي نوع من الرفض لما يحققه العمل العسكري من توسع اقليمي ، لان شامير لا يرى ان هناك اي تعارض او تناقض بين ما يحققه الجيش الاسرائيلي انطلاقا من النداء « وراثي » ، وبين دور الادب العبري في « خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد » .

وبعد ذلك فان مجموعة الادباء الذين تحدثوا بعد موثي شامير وهم : اسحق شيلاف ، وبينيامين جلاي (٥) ، وموشتي دور (٦) ، وموشتي براجر ، يشكلون تقريرا خطا فكريا ومنهجيا واحدا . انهم جميعا ينتفون على ان « التناخ » ( العهد القديم ) هو مصدر الوحي الذي يستقون منه ارتباطهم بارض فلسطين وفق حدودها التاريخية التي حددها لهم الوعد الالهي الوارد فيه ، ولذا فهم ليسوا في حاجة بعد ، ولا يرون ان هناك حاجة الى أي مثير شعري اخر يتخطى بهم الحدود الخضراء نحو حدود التوسع الجديدة المرسومة في الخريطة الصهيونية وفقا لما حدده لهم مغني الزامير وصاحب المراثيات . وهؤلاء الادباء

هم من ممثلي أدب الدعوة أو الأدب المجند، وبصفة خاصة استحق شيلافا، عضو حركة « أرض إسرائيل الكاملة » وأشد المتعصبين لتحقيق التوسع الصهيوني فيما يسمى بحدود إسرائيل التاريخية .

وأخيراً فإن النص الكامل لموقف هؤلاء الأدباء والشعراء من هذه القضية يلقي ضوءاً أشمل على اتجاهات الأدب العبري المعاصر وعلى التيارات المختلفة التي توجد فيه وعلى موقف هذه التيارات من قضية الخضوع لمتطلبات الأيديولوجية الصهيونية وفكرها التوسعي ومواقبة منطق العدوان الإسرائيلي وتغلغله في الأرض العربية دون سند من الحق أو القانون .

### النص الحرفي لردود الأدباء على السؤال

( « مغني التاريخ يهمني أقل مما يهمني الأفراد » )

عاموس عوز :

طوال فترة طويلة جداً ، وطوال كل سنوات جيل الأحياء ، وفترة الاستيطان في البلاد ، سادت لدينا وجهة النظر المؤمنة بأن الأدب هو قوة تسير أمام المعسكر ، ووجهة النظر المؤمنة بأن الأديب هو وريث النبي . ومعنى هذا أنه الشخص الذي يناجي القوى التي لم يعتد عليها البشر العاديون مثل « روح الأمة » و « حتمية التاريخ » و « حلم الأجيال » .. الخ . وقد استبدت وجهة النظر هذه أسسها من أن الأشخاص العلمانيين بينما قد نموا من خلال ثقافة دينية لم تعرف من الأدب سوى الأدب الديني ، ولم تعرف من الأدباء سوى أولئك الأدباء الذين يتوجهون إلى روح القدس بالصلاة والتوسل والأجلال والديع . ومن الغريب أنه حتى الثوريين الماركسيين وآخرين من الذين كانوا بينما كانوا شركاء في وجهة النظر هذه التي تنبئها الثورة الماركسية هي الأخرى وهي : أن الأدب هو مبعوث ومرشد . وحتى يومنا هذا ما زال بينما أشخاص يتجادلون مع القصيدة كما لو كان في المنظومات تجرئ ما ، ويتجادلون مع الرواية كما لو كانت خطاباً سياسياً في حفلة ... وفي خلال جيل البعث القومي كان هناك أدباء تحدد موقفهم الأدبي على هذا النحو وكان هناك شعراء تحدد موقفهم على نحو غير هذا ، ولكن منسريهم فسروهم على اعتبار أنهم كتبوا من أجل الجدل الفكري . وسوف أقدم ثلاثة نماذج منهم : قصيدة « في مدينة الذبح » التي كتبها بياليك ظللنا لمدة جيلين ننظر إليها باعتبار أنها صرخة من الشاعر من أجل « الدفاع الذاتي » وكوعظ ضد « حرب الفئران واختفاء البق » . ولكنني حينما أقرأ هذه القصيدة اليوم وحينما أدرسها كمدرس للأدب فإني أجد فيها احتجاجاً شخصياً ضد نظم العالم ، ذلك العالم الذي فيه : « أشرق الشمس وازهرت الشجرة وذبح الجزار » ، وهذا من طبيعة الأمور . والمثال الثاني قصص برينر<sup>(١)</sup> التي مالوا إلى اعتبارها مزاة للجيل أو صرخة غضب وشق طريق . والحقيقة إن برنار يحكي عن يهودي ممزق إلى قطع واسمه برينر .

و « خربة خزعة » التي كتبها « يزار » تقدم البنا حتى اليوم على أنها مقدمات لبحث العلاقات الإسرائيلية - العربية . وفي الحقيقة فإن هذه القصة ليس فيها أي إشارة لذلك ، وهي مجرد قصة عن يهود ويهود ، وأكثر من ذلك : مما بين يهودي شاب ونفسه الممزقة . والحقيقة هي أنه في جيل الأحياء كانت الحلقة التاريخية الإجمالية والحلقة البيوجرافية تشكلان حلقة واحدة لا انفصال فيها ، وذلك لأن الثورة المثيرة التراجمية التي مرت على معظم الشعب اليهودي - مرت على الفرد ، وبالأخص على الفرد الحساس . لذلك فقد اعتدنا جميعاً على أن تعتبر الأدب « المجند » أو الأدب الذي « يعكس وجه الجيل » هو النوع الوحيد من الأدب ، وربما كنا بذلك شركاء في وجهة النظر التعاقبية لكثير من الشعوب في أوقات الثورة .

والشيء الذي أتوله هو أن « الأدب المجند » هو نوع أدبي شرعي وحيوي ، ولكنه ليس النوع الوحيد . وأنا أعارض التفسير العدواني الذي يريد أن يعثر على « روح العصر » أو « روح الأمة » حيث هما غير موجودين ، وحينما لا يفلح هذا التفسير في العثور على هذه الأرواح أو في إدخالها إلى داخل النص فإنها ترفضه .

إلى أي مدى يتخلل أي إنتاج روح عصره - إن هذا الأمر من الممكن أن تحدده فقط من خلال ثقب فكر الأجيال . ففي أوائل القرن التاسع عشر اهتزت الأرض في روسيا وكتب عشرات الروايات . وقد وجد دستوفيسكي أنه

من الضوابط ان يخفي ، على سبيل المثال ، عن طالب مهتر الفكر من الدرجة الثالثة في ضاحية منزلة من الدرجة الرابعة ، يرتكب جريمة قتل من الدرجة الخامسة — وبالرغم من هذا فقد استوعب وشكل روح العصر أكثر الف مرة من أولئك الذين تناولوا القياصرة والثورين . ومن الممكن أن نقول هذا أيضا عن « فلووير » وعن قصته « الأم بوغاري » . وقد أمسك تيار ادبي في النثر العبري في السنوات الأخيرة بطرف الخطب الذي تركه له ادياء مثل جنسين وبرينر وعجنون ، ووفقا لتفسير ليس حقيقيا بالذات و « ايدولوجي جماعي » لكتابات هؤلاء الكتاب كان هناك اتجاه نحو « ضواحي الواقع » ، وأهملت محاولة امسك « الثور الواقعي » من قرنيه . لقد خلغ الاديب رداء النبي وكف عن تناول الامة واختار تناول الاشخاص ، وكف عن تناول التاريخ والكيوتونة العائلة ، واختار تناول قوى الفرد وحالات الوجود المتررة والثابتة والتي لا تتكرر . لقد كف الاديب عن أن يكون مجرد عارض واختار أن يكون قصاصا . الى أي مدى نجح هؤلاء الادياء في استيعاب كل سلسلة الجبال في العصر حسب انعكاسها في شطبة زجاجية لركن واحد من أركان الحياة — من الممكن أن تكون الاجابة على هذا السؤال من آخر الاجيال . لست أعتقد أن العصر يمكنه أن يكتشف « روح عصره » . لقد كنت أريد أن أؤكد أنه ليست هناك على هذا النحو أية ثورة في الادب العبري ، ولكن ما يوجد فيه هو كشف وإعادة تفسير لما كنت أسميه « الخطب الرفيع » في شعر بياليك و أ. ص. ج. السابق وشتيانبرج<sup>(٨)</sup> وفوجل ونثر برينر وبرديتشفيسكي<sup>(٩)</sup> وجنسين وعجنون . وإذا كان هناك تجديد في النثر وفي الشعر في السنوات الأخيرة بالمقارنة بالشعر والنثر في « جبل البالمخ » على سبيل المثال فإن هذا قد حدث في المجال الذي كنت أطلق عليه : مسئولية جديدة للكلمات . لقد ساد بين مجموعة من الشعراء والادياء الشبان الاحساس بأن القصيدة أو القصة ليست مصنوعة من أفكار ولا حتى من حادثة ، ولكنها مصنوعة أولا وقبل كل شيء من كلمات ومن جمل .

ولم يكن هناك « سير أمام المعسكر » لان هؤلاء الادياء والشعراء تخلوا مدركين وواعين عن الحث على السير أمام المعسكر . انهم ربما يكونون قد أحسوا بأنهم لا يعرفون الى أين يجب على المعسكر أن يسير ومضوا ان يسيروا وسط المعسكر وربما في ذيله . وأنا نفسي لا أسير أمام أي معسكر لانني « لا أسبح أصواتا » أو « أوامر » . انني لم اظهر مع معنى التاريخ لانه يهمني أقل مما يهمني الافراد ، ولو حاولت ان اتحدث بأسسه لكتبت مزيفا .

## موشى شامير : الادب لا يقول ورائي بل يقول هنا وما هو والان ويجب ألا نطلب منه أكثر من ذلك

ان هذا السؤال يثيرني من حيث المبدأ لانه قائم على الخطأ في فهم العلاقة بين الادب والحياة . ومما يؤسف له أنه يسير تفسيراً غير صحيح كذلك مغزى النداء الذي يقول « ورائي » الذي يميز الفرد في جيش الدفاع الاسرائيلي . وسوف أبدأ بهذا ، ان النداء الذي يقول « ورائي ! » مرتبط بالعلاقات بين القائد واموريته في التدريبات وفي واقع الجيش وأساسا بالطبع في ميدان القتال . ومعناه : التمسك والأخلاص من جانب المقاتلين في أعقاب قدوة شخصية مثالية من قائدهم . ومما يبعث على سعادتنا أن هذا النداء ( حتى في نطاق جيش الدفاع الاسرائيلي ) لا يتضمن آراء سياسية وعقيدة دينية ومغزى خاص في غمار الحياة أو وجهة نظر في الموضوعات الثقافية . الخ. ان قوته وقيمه تكمنان — مثل قوة جيش الدفاع الاسرائيلي وقيمه — في انه داخل مجتمع ديموقراطي مفتوح ومتعدد الالوان يمكن من التركيز الاتصلي لكل القوى في ساعة الضرورة وفي وقت الخطر — لدرجة التضحية بالنفس — من أجل حرب الدفاع عن الشعب . وليس أكثر من هذا ولا ينبغي أن يكون أكثر من هذا .

وبنفس القدر الذي تقول به ان لدينا « كل الشعب جيش » فإنه صحيح كذلك وبنفس القدر ان نقول — وهو مما يثير الغبطة — ان كل الجيش عندنا شعب .

والادب العبري لا يمكنه بالطبع الا يكون عاملا اجتماعيا مظه مثل أي ادب في العالم . والادب العبري يوجد امامه طريق واحد فقط ونسبة تأثيره الروحي تنطوي هنا على كيفيته الفنية — والطريق هو اعطاء حرية مطلقة وطبيعية للتعبير الحقيقي والاصيل لكل هذا القوس المتعدد الالوان من حياة الانسان من المجتمع الاسرائيلي . وإذا كان هناك في هذا الادب شاعر او شاعران يدفعهم الحساس النفسي الداخلي الحقيقي عندهم الى الفغني بنبوءة نداء « ورائي ! » — فإن هذا الامر يكون ملموسا في نوعية فنانهم . انه لا بد من قوة شاعرية هائلة

— مثل تلك التي عند أ. ج. — حتى يمكن أن تخرج تصيدة كهذه بسلام من محنة الاثتان. وإن كانت في نهاية الامر ستكون على قدم المساواة — في قلب القارىء — مع تصيدة غنائية منظوية على نفسها ومتدفرة بالتمسك الوجود وحيرة الكينونة .

وما هو أهم من هذا اننا لن نتمكن ابداً من تحديد أي الاثتين « سيرتفع » أكثر الى الكيان الروحي للمجتمع الذي أنتج فيه ومن أجله .

هل « العنود السابع » الذي يكتبه « ناتان التزمان » (١٠) فعل من أجل تعليم الجيل وتشكيل الشكل الخامس الاصيل للشباب الاسرائيلي أكثر مما فعله باب « بهجة السبون » على سبيل المثال ؟

وبالنسبة للادب اللغوي — اعتقد انه فعل ما هو ربما أهم من تحديد هذه الاهداف أو غيرها لتتقدم جيش الدفاع الاسرائيلي خلال حرب دفاعه : لقد ساعد كثيراً ، وفق أحسن قوته ، على خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد . وهذا الامر لم يتم وفق خطة منظمة — بل وفق مضمون طبيعي للحياة على ما هي عليه . وهنا من الممكن التحدث عن مجموع شامل ، بالتأكيد ، لتأثير جيل كامل في الادب — وإن كان يشتمل انتاجات مختلفة تماماً للمؤلفين الذين يناقش كل منهم الآخر أحياناً في طابعه ووجهة نظره .

هذه هي قوة الادب — وهذه هي عقدة تأثيره — حيث أنه دون قصد وبميزان عناصر مختلفة ومتباعدة ودون خط أيديولوجي موجه — يكشف رويداً رويداً عن الأسس الخفية للعامل المشترك للعامل الدائم — وهو يكشفنا بواسطة ذلك عن العامل صاحب التأثير .

إن الشيء المشترك العميق في الادب العبري لإنشاء الجيل هو الاحساس بالوطن . إن هذا الاحساس لا يمكن لاحد أن يسلبه اياه . إن هذا الاحساس هو احساس التبعية المتبادلة بين اليهودي وبلده — الاحساس الذي يمكن لكل التبريرات الايديولوجية أن تتقدم وتفسره وتؤيده — ولكنها لا يمكن أن تدعى حق الابوة عليه .

إن حقيقة أنه ليس لدي اليوم أي احساس بالغرابة تجاه أرض حبرون ( الخليل ) — هذه الحقيقة تابعة من أنه لم يكن عندي احساس بالغرابة تجاه تل أبيب . حتى في المجال السياسي فأنني اعتقد ان المناقشة الدائرة بين رجال « أرض اسرائيل الكاملة » والمدافعين عن الانسحاب ، ليست حول مسألة ما إذا كان لنا الحق في الخليل بل حول ما إذا كان لنا الحق في تل أبيب وحولاده ومشر هاميك . ولناخذ على سبيل المثال انتاج سن . يزهار . انه من الناحية الايديولوجية يعتبر من كبار المتشككين عندنا . ولكننا حينما نعرف السر ، إن البطل الرئيسي في انتاجه ليس الفتى ذا الشكوك الشخصية وليس كذلك بالطبع النموذج المتشكك في جسده ذاته — بل طبيعة البلاد . إن التطهر والوضوح الذي يحدث في القصة العادية بواسطة الحادثة — يحدث عند يزهار بواسطة السر نحو الطبيعة ، نحو الوجود ، نحو السماء — وهي الاشياء التي يعود منها الفطنان شخصاً آخر . وحينما ينتهي شخص من قراءة قصة ليزهار — ربما تبقى فيه ههمة من الشك ، ولكن تبقى فيه وبقوة أكبر بكثير ندوة حب طبيعة البلاد وانافتها والسعادة التابعة من الامتزاج بها . إن الادب لا يقول حينئذ : « ورائي ! » ، بل يقول « هنا » و « ها هو » و « الآن » . ووفق رأبي يجب ان نطلب منه أكثر من ذلك .

## اسحق شيلاف : الادب لم يحقق هدفه وهو :

### المحافظة على جذوة الاشواق الى اسرائيل الكاملة

يكفيني أن اذكر هنا ما قلته في « المائدة المربعة » التي عقدت منذ حوالي خمس سنوات حول موضوع « كيف نتحدث مع العرب » والذي تناولت فيه مع المشككين في المناقشة مشكلة الحدود .

لقد كتبت حينئذ وقلت « علينا أن نعلم الشباب على أساس أرض اسرائيل الكاملة . وهذا الامر لا بد وأن يتم بواسطة الآباء ، ورياض الأطفال ، والمدرس ، والموجه في حركة الشباب ، والقائد في الجيش . وقد استطاع أن يقوم بهذا الدور أحسن من كل هؤلاء الادب العبري . ولكن هنا حدث شيء غريب ومحمل . لقد اجتمعت في ذلك الحين لجنة خططت للحدود على الورق ، وهي الحدود التي أخذت في الاعتبار الفرد اليهودي والامكانيات ، وقد بدأ أدبنا العبري يتلامح مع خريطتها . ومن المحتمل أن تكون هناك حتمية سياسية تفرض علينا حتى الآن ، ألا يسير أي يهودي الى الجنوب من رامات راحيل والى الشرق من جبل صهيون ، ولكن كيف لا تسير أية

تضيدة أو أي قصة في هذه الاتجاهات — هذا ما لا أنبهه على الإطلاق. ان اتفاقية الهدنة أصبحت عندنا بمثابة الكلبة الأخيرة ليس فقط في المجال العسكري بل كذلك بالنسبة لحركة الخيال الأدبي. لقد أصبحت حدود الهدنة هي الحدود المحركة لنا وحدود أشواقنا ورغباتنا. وفيما وراء هذه الحدود — ليست لنا أي مطالب وأي أشواق وأي أحلام وأي تصفية .

ان هدف الادب يجب ان يكون مختلفا تماما . ان عليه ان يحافظ على جذوة الاشواق تجاه كل ما فقدناه وتجاه كل مناظر الشرق التي يحكى عنها في « عهدنا القديم » . على الادب ان يشعل نار المعارضة لهذا الاستئصال الربيع الذي فرضه على جسد البلاد رغبا عنها ورغبا عن طبيعتها .

ان على الادب ان يعلم ابناء يهودا شريعة البلاد الكبرى والكاملة وأن يعدمه بالتغيير الحاسم في الاسام القادرة . »

لقد كنت مقتنعا من قبل بأن « التغيير الحاسم » ( أي الجولة الثالثة وتحرير البلاد ) سوف يأتي حتما ، وسميت من أجل ادخال الوعي بهذا التغيير في القلوب . وقد كتبت الاشعار التي اعتبرت في حينها من قبيل الخزعيلات والتي يسخرون منها الان . وانني اذكر انهم اتهموني بانني داعية حرب ، ولكن اتضح انني لم احرص بما فيه الكفاية . حقا ، أكثر مما اثرت هنا الاشعار اثر الرب الذي أثقل قلب فرعون وقلب سيحون وعوج للمرة الثانية في التاريخ . وأحيانا يستولي على الفرع من فكرة : ماذا كان سيحدث لو أن الملك حسين استجاب لطلب اشكول ولم يتدخل في الحرب ؟

لقد كنا حينئذ نسنعد مرة أخرى على سطح نوتردام من أجل أن نطل من هناك على المدينة القديمة ونستمر في تلقي سيل القناصة الشهري من رجال الفيلق الاردني الذين على الاسوار ، ولم تكن أية تضيدة أو اية قصة لتغير من الموقف .

وليس في هذا بالطبع أي تعد على أولئك الذين لم يكتبوا قصائد وقصصا عن البلاد التي وراء الحدود . وإذا كانوا وفق أفعالهم قد اجتازوا البلاد طولا وعرضا حينما كانوا في « البالمخ » واحسوا تحت إقدامهم ببلاد واحدة كاملة وغير مجزأة وغير محظورة على أحد — فإين كانت ذكرياتهم عن هذه البلاد ؟ وأين كانت أشواقهم اليها ؟ ان الاماكن الواردة في أشعارهم وقصصهم هي من الاماكن الموجودة دائما في المجال المتاح وليست وراء الحدود . اتنا نجد في هذه المؤلفات اسماء الكثيرين « الكيبوتسيم » ( الحقيقية والوهمية ) ، وذكريات الطفولة في احياء المدن المتاخمة وفق القانون الخاص بتوطين اليهود ، ولكننا لا نكاد نجد اسماء مثل خبرون ( الخليل ) واريحا وشكيم ( نابلس ) . . . . . والان ، إلا فقط اكتشفوا فجأة هذه الاماكن في خريطتهم النفسية . ان هذا الأمر لم يحدث قبل أن يفرضها جيش الدفاع الاسرائيلي في خرائط البـ ١٠٠٠٠٠٠ والبـ ٥٠٠٠٠٠٠٠ مقياس الرسم ) الخاصة به . . . . . وإذا كان أحدهم قد تقدم ووصل في إنتاجه حتى « الحدود » — فانه في هذه اللحظة لا يصف إلا الجانب التراجمي الذي في الحدود وعدم التعلق الذي فيها دون أن يثير الرغبة الواضحة لعبور الحدود والقضاء على المسافة وعدم المنطقية .

### بنيامين جلاي : المحرك الاول هو العمل ومن بعده يأتي الشعر

انني اعتقد أنه توجد كل الأنواع من « وراثي ! » ، ومثلما توجد سبعة أنواع وطبقات من السموات قريبا كانت هناك سبعة أنواع من « وراثي ا » . وربما كانت « وراثي » السابعة هي تلك التي تتقال بالكلمات ، وهي « وراثي » الفلسفية الادبية التي ليس لها غطاء من القدوة الشخصية ، ومن أجل « وراثي » كهذه ربما لا يجب حتى التحرك من على الكرسي أو مغادرة السرير ، لان الانسان يمكنه أن يقول بصورة رمزية : « وراثي بحبة اسرائيل » و« وراثي بالانسانية » . . . . الخ .

و« وراثي » الاعلى أو الاولى هي تلك الخاصة بالقدوة الشخصية . ومثل ذلك ما يقوله بن جوريون : « وراثي الى النقب » — وقد سار « في المقدمة » . و« وراثي » الاكثر علوا هي تلك التي تتقال في اللحظة الحقيقية من الصدام مع الموت ، وفي المحنة التي لا تتكرر ولا تعود ، والتي ربما يكون من المستحيل ان يقال فيها « وراثي » مرتين ، ولذلك فان المقارنة بينها وبين « وراثي » الخاصة بالشعراء هي مثل المقارنة بين الوقوق الذي في الساعة والوقوق الذي في الغابة .

وإذا سألنا : ما الذي يسبق الآخر - العمل البطولي أم القصيدة ؟ حينئذ سنرى : لقد كان هناك النطل اليوناني أخيلس ، ثم جاء هوميروس الشاعر وكتب قصة أخيلس . وبعد ذلك يقولون ان الكسندر المقدوني لم يتحرك بدون انتاج هوميروس لانه أراد ان يكون هو أخيلس الثاني . وبعد ذلك جاء بلوتراك وكتب حياة الكسندر المقدوني . وبعد ذلك جاء نابليون - الذي أحب بلوتراك للغاية . . . ما الذي نراه حينئذ ؟ نوع من التتابع - الشعر يأتي في أعقاب العمل ، والبطل والعمل البطولي يأتيان في أعقاب الشعر وهلم جرا . . . ولكننا اذا سألنا مع كل هذا ، ما هو المحرك الاول ؟ - فإني أقول : ان البطولة تأتي أولا ، والتضحية والاصالة - وبعد ذلك يأتي الشعر والدليل على ذلك قصيدة « دبورة » ( قصيدة تمجد البطولة في العهد القديم ) وكل القدوات الكبيرة .

وأنا أعتقد ان شبابتنا ليسوا - حسبما غال ذات مرة أوربي تسفي جرينبرج ، بحق ، ولكن عن موضوع آخر وبمناسبة موضوع آخر - مثل أولئك « الذين يقفزون الى وسط التاريخ » كما لو كان لا يوجد شيء قبل هذا ولا شيء بعده . ان شبابتنا قد تعلم أولا وقيل كل شيء على « العهد القديم » وعلى تقاليد بطولة المكابيين ، وعلى أعياد اسرائيل وكل الشعر والبطولة التي تحويها ، وكذلك على الشعر الحديث ، وقد أعطى كل هذا لشبابتنا المثل ، ولكن لا بد من أن نفترض انه ستأتي انتاجات أكبر بكثير في أعقاب اعمال هذا الشاب .

وإذا كان الحديث عن أجواء طبيعية فإن هناك أجواء طبيعية في الجغرافيا وفي التاريخ وكذلك في الادب وحتى اللغة هي الاخرى عبارة عن منظر طبيعي ، كذلك فان الإدراك اليهودي هو جو طبيعي ، كما أنه توجد أجواء طبيعية انسانية . لقد نقل الادب العبري العاري العبري عبر كل هذه الاجواء الطبيعية . لقد نقله عبر الاجواء الطبيعية لفلسطين والقدس - والشاعر « قرني » ، على سبيل المثال هو اللا - تروبادور لشعر القدس ، وفي شعر شعراء « البلماخ » كذلك يوجد الكثير من الاجواء الطبيعية للبلاد .

« هل عدنا اليوم الى أجواء جديدة - قديمة ؟ - ولكن من ذا الذي يعرف حقاً متى يعود ، أو متى بالتحديد سيكلف عن العودة في أي مرة . . . انني اذكر قصيدة تفيث بها لكتمان منذ ٢٥ سنة اثناء الحرب العالمية الثانية - والقصيدة تسير على النحو التالي :

كتمان أيا كتمان ،

في نابلس وفي بيت لحم ،

أشجار الزيتون القديمة تصدر خشخشة

وهناك في الجنوب

هبت العواصف ،

وتنبأ العرافون .

طرق كثيرة تؤدي الى روما

وطرق كثيرة توجد للقلب

وضيف البيت هو واحد أوحد

ومن يحل عليه - يهاجر

لذلك يعوي هناك ابن آوى في وحشية

وتنسلق في كل يوم قمة التل

ونطلق الدخان في حلقات لا حصر لها

وتتطلع نحو طريق بئر سبع .

من أجل أي شيء ولماذا أعود ماشياً في هذه القصيدة لهذا الجو - ربما كان هذا بسبب الجو « التائخي » ( نسبة الى « العهد القديم » ) الموجود في داخلي ، ولكن هذا يثبت انني ايضا لمست من أبناء ارض اسرائيل الكاملة ، لانه في اللحظة التي لا يوجد فيها جبل جريزيم وميبلان في الحدود الاقليمية للدولة - فانها تكونتان موجودين في داخل قلبي وسيظلان كذلك دائما ابدا في ارض اسرائيل الخاصة بي .

## موشى دور : هل صاح مؤلف سفر أيوب قائلا : « ورائي ! » ؟ ان الادب يهتم باتجاه الفرد

متنادرج في الإجابة حسب تسلسل الصعوبات : هل من وظائف الأدب عامة — اذا كانت له وظيفة سوى مهمة « أن يكون طيبا بقدر الإمكان » — أن يقول « ورائي ! » أهل بلقي على عائق الأدب هدف اجتماعي — سياسي محدد ، عليه أن يحققه ؟ وهل من المحتمل أن نجعل المشكلة على النحو الذي تعرض به الآن ، بعد كسل الدروس التي تعلمناها مما يجري في البلاد الديكتاتورية ؟

لست أعتقد أن الأدبي يجب أن يرغف على أجنحة المسحاب معنى من أي اتصال بالمعالم الخارجي . ان انفصالا كهذا عن عالم الإنسان يؤدي في نهايته الى أدب أنبيس مصاب بفقر الدم ، ويتغذى فقط على الحدود الذاتية للأدبي . ولكن في الوقت نفسه محظور على الأدب إلا يقدم زبنته لاي نوع من الاملاء . ان الفن الخلاق — من ناحية تناوله الجهات « الرسمية » أو « الحزبية » بأشكالها المختلفة — هو منه ذو سيادة ومستقل تماما . انه يجب ألا يتلقى أوامر أو توجيهات من جانب أي شخص خارج نطاقه . ان قضية عدم عزل الأدبي عن خضم الحياة ، هي قضية يجب أن يعرضها هو على نفسه ، والأدبي نفسه هو الذي يحكم الى مدى يستجيب لها ( اتجاهات الانتاج الحقيقية بالطبع المنفصلة والبعيدة عن « المؤثر » الخارجي ) . ان اي سياسي من المحظور عليه أن يدخل بأخذيته الى مجالات حرية الفن سواء كان « يساريا » أو « يمينيا » أو متوجها باطارات أخرى . ان هذه الحرية لا تفل في قدسيته عن حرية الجامعات ، وان كان هناك شك في أن عدد الأدباء الحقيقيين كبير الى الحد الذي يتيح تنظيم موكب احتجاجي معقول واحد .

وبالنسبة لصلب الموضوع : لست أعرف ما اذا كان للادب اليوم تأثير مبدئي ( أساسي ) قوي للدرجة التي يجعل بها الكتاب تقف على اقدامها ويساعدها في التشكيل القتالي الى ميدان الحرب . ان تأثير الأدب معروف ، أولا وقبل كل شيء ، في المجال الفردي ، وعمله يتم بواسطة أدوات ملتزمة . انه يعتمد عن الدعابة ( البروباجندا ) : ليس من المحتمل عمل كيفية مثالية مع الاستعانة بأساليب « التلطيف الشعري » . ان الشعر سيضعف بمرور الوقت وسيختلج التلطيف . وهنا اصل الى ا. ص. ج ( أوري تسمى جرينبرج ) ، الذي يقوم على اعتبار انه المشاعر الذي قال « ورائي » بقوة والكل يمدحه على ذلك . انني اعتبر نفسي من بين مقدري ومبجلي الشاعر « أوري تسمى جرينبرج » الذي يعتبر من نطاق الشعر العبري ، ولكنني بأي حال من الأحوال ، لست أعد من بين مقدري الايديولوجي والدعائي ا. ص. ج. ان هذا من حق مواطن في دولة حرة . ويبدو لي أن أولئك الذين تربوا في أحضان شعر ا. ص. ج. من بين الجمهور اليهودي وينظرون اليه باعتباره موجها ورائيا ، قد تأثروا . أساسا من تلك المجموعات الشعرية الخاصة به والتي تعتبر في نظري مجموعة فكرية أساسا . لقد تعلموا على أسس المنشورات السياسية المتعقبة التي كتبها ، ولم يتعلموا على أساس شعره الحقيقي . وبالطبع فان ا. ص. ج يتميز بمقدرة كبيرة كرجل دعائي — وهي تلك المقدرة نفسها التي ترامت له حينما أراد التعبير عن أفكار وخطجات « بو علي تسيون » ( عيل صهيون ) — وكل من يقرأ شرة مقدرة هذه الدعابة لا يمكنه أن ينكر العبقرية التي يقدمها للعالم ، ولكن هذا ليس شعرا ، بل دعابة — دعابة براقية ، مليئة بالقوة ، وغيضة ، وعذبة ، ولكنها أولا وأخرا ليست الادعية .

ومن يحب شعر ا. ص. ج — دون التفر للأسس الفكرية الموجودة به ، حسبها هي موجودة في محصوله الدعائي ، وان كانت النسب مختلفة هناك تماما — ليس هو بالذات ذلك الشخص الذي يقخل حياته نداء « ورائي » الموجود في شعر ا. ص. ج لدرجة أنه يقوم ويقول محببا : « ها أنذا » . ان الأمور معقدة ، وصور الوجود في الشعر والحياة هي الأخرى معقدة ، وليس من السهل عمل عمليات تصنيف ووضع فواصل . ان الأدب لا يصل حتى « الخطوط الخضراء » ويقف عندها . ان الأدب لا يتخذ في الاعتبار الحدود المادية وذلك لأنه نتجة روح الانسان ، ولذا فليس من مهامه أن يصرخ في الدبابات . ان الأدب قائم على الانسان الفرد ، وينبع منه ويتحرك من داخله ونحوه . ان محبة البلاد ( فلسطين ) هي أولا وقبل كل شيء . موضوع الفرد كما ان المجموع من المستحيل أن يكون مجموعا لما لم يتجمع أفراده معا ويشكلوه . واذا لم يشعر الفرد بهذا الحب الذي يعتبر عملا متعديا . لاء أطلق عليه تشرغوفسكي ( شاعر عبري ١٨٧٥ — ١٩٤٤ ) : « الانسان هو خلاصة جو وطنه » فان أي أصوات نظرية أو عمليات قرع للاجراس من « الادب المجند » ( أو بأسلوب آخر :

الأدب المخول من السلطة ( لن تحركه من مكانه ) .

ان اسرائيل بالنسبة لي ؟ هي أولا وقبل كل شيء وجود نفسي وجسماني ( مادي ) عميق لانني على أرضها واثبت نور العالم وفي أجوائها تربيت وكذلك نضجت ولينس لي وطن غيرها ، ليس على شكل علة الحنين للوطن سيبا وراء البحار ، وليس على صورة « الشرائع اليهودية » التي تعبر عن الأشواق الطبيعية لمن استأصلوا أو استؤصلوا من هناك وتخرب بيت ابيهم . ان أرض اسرائيل بالنسبة لي هي بلد واحد لانها لم تكن على مساحة أخرى اطلاقا . ولم يكن ا . ص . ج هو الذي طبع لي هذا الاحساس المضموني . انها الأرض هي التي فعلت هذا . ان اصحاحات « التناخ » ( العهد القديم ) التي خلقت الطلقات الروحية التي وبطنتي بماضي شعبي هي التي زودت الرباط العقلاني المطلوب لابن قطر معين من البلاد من أجل تمييز آثار آبائه في الرمال . ولكن صلابة الولادة والنمو والتشكيل قد سبغت البناء العقلاني .

وفي « العهد القديم » توجد اصحاحات شعرية رائعة ، ولكن قوتها تتبع أولا وقبل كل شيء من كونها انتاجا فنيا كبيرا وذا صفات انسانية عميقة . وتوجد في « العهد القديم » كذلك أجزاء أخرى سيئة من الناحية الفنية — وكذلك من الناحية الانسانية — وتأثيرها على نفس القارئ أقل بكثير جدا . هل صلاح مؤلف سفر أيوب قائلا « ورائي ! » . هل جاء شاعر « نشيد الانشاد » بالجموع الى مهد محبوبته ؟ ألم يرق مؤلف مراثي داود على يهوئانان دماء قلبه على صديقه الاوحد الذي لا يشبهه ولا مثيل له ؟ وهل تأملت « الجامعة » الحكيمية في بنسها واليانسة في ادراكها ، آلفت بناء على أوامر من السلطة ومن المناييم ( اتباع حزب اليامي ) في خذل الثقافة ، لم طفت وارتفعت من خلال التبصر الصافي والهاديء والتراجيدي لرجل عبري خلال تجربة حياته هو وتجربة حياة الآخرين من خلال زاوية تأمله الخاصة به ؟

وتوجد في « العهد القديم » بمراحة فصول أخرى من التاريخ السياسي ولكنها ليست هي التي استولت على قرائه في كل عصر على وجه البسيطة . لقد ظلت تلك الفصول على ما كانت عليه منذ بدايتها — مجرد تاريخ سياسي لا أقل ولا أكثر من هذا — ولست أستهين بأهميتها . انها تكمل بالنسبة لي ما وضعته وتناولته الفصول الأخرى بواسطة اللحنات الانسانية الفنية التي تحويها ولكنها لا يمكن ان تظل محلها . ومن المفهوم بالنسبة للقارئ العبري ان « العهد القديم » هو دائما بنشابة « أيضا » : وثيقة فنية وانسانية سامية المكانة ببطافة الهوية التاريخية الخاصة به ولو لم تكن به الصفات التي حافظت عليه عبر كل دورات الزمن ، وهسي تلك الصفات الفنية الانسانية العجيبة ، لما تمكن الحفاظ على بطافة الهوية الا في المخاف الاثرية . وعلى أي حال من الاحوال فانه لم يكن هناك ميثاق متقد في الحياة الابدية له ابعاد واقعية ندية مثل ذلك النواج على الاجزاء القديمة . وعلى اجزاء تجددنا .

وهذه الحياة الابدية — لم تأت من « توجيهات » ولا من « منشورات » ولا من « ورائي ! » .

وبالاضافة الى هذا : فان وعيي في عمارة عظامي بوحدة أرض — اسرائيل — وراء حدود هذا الواقع الراهن أو غيره — لم يجيب عن عيني رؤية وجود الأمة الثانية بفضل أحفاد الأجداد ، وليس بفضل السيادة على أرضها . لقد اعتقدت وتلقيت هذا الاعتقاد بالقبول ، بأن الحق ، ولو حتى حق آبائي الذي هو أقدم وأعمق من جميع الحقوق لا يلغي حقا . ومن أجل ذلك لم اكن في حاجة الى نظريات تدل على ان أولئك المتبئين هم أحفاد آبائي الذين امتزجوا بالمحتلين وطبست معالمهم ، ان قوتي تكمن في تدريتي على صد الذين يتقصون لآبادتي ، ولكن قوتي تكمن في الوقت نفسه في تدريتي على الحفاظ على صورة الانسان بداخلي ، وعلى المحافظة على الارث الانساني المتطل في الكتب القديمة . هذه هي ميزتي ، وهذه أيضا هي حكمة الحياة وحكمة الدولة وحكمة الشعب .

**موثى براجر : هناك كتاب واحد فقط وهو «التناخ» (العهد القديم) الذي قال (ورائي)!**

**وقد رد عليه الواقع وسپرد عليه قائلا « آمين ! »**

ان السؤال الخاص ببناء الامر : « ورائي » برهون من أساسه بمعرفة صلاحية ومقدرة فرض سيادة صاحب النداء — وهذا يعتبر في نظري بمثابة المحك لنفس موقف الادب العبري المعاصر .

ان اليهودية الاصلية تميز بين اصلاحيين متفصلين هنا : « التوراة » و« الحكمة » . وقد قيل عن ذلك : « هناك



حكمة بين « الجوييم » ( الشعوب الكافر ) - في هذا - أما أنه توجد «توراة» بينهم - فلا تتفق في هذا .  
ان كلمة «توراة» مصدرها وكذلك أصلها اللغوي جاء من « تعليم » : و « لتعليم بني اسرائيل » . ان غاية التوراة وهدفها هما : « التعلم والتعليم ، والمحافظة والعمل والتنفيذ » . هذه هي الصفة المميزة للشعب اسرائيل عبر التاريخ : التوراة المرتبطة بالحياة والتي تشكل وتصوغ الحياة اليومية ، « الخطوات » مع « الشرائع النظرية » ( الهالاخوت ) مندمجة معا .

ومن هنا فان الاستنتاج الذي يكون وفقا لمفاهيم اليهودية هو انه لا يوجد بالفعل رجل - توراة ، حتى ولو كان هذا الرجل عبرتيا في التوراة ما لم ينفذ بالكامل مبدأ التحقيق الذاتي ولا يوجه اعماله واخطائه وفق شرائع وأوامر التوراة .

و « الحكمة » في مقابل هذا تتميز بالتعامل الحر المحبب نحو المعقول ، فمن الممكن ان تؤخذ في الاعتبار على أنك « حكيم » واضح وان تعيش عكس كل جبايئ « الحكمة » . ومضمون الحكمة غير محدد هنا بالمرّة : هل هي تشتمل على صفات المعرفة والمنطق والبصيرة النافذة أم انها عبارة عن مستوى من المعرفة والخبرة في المجالات الروحية ، أم ان الحكمة تبلور تجربة علمية - اختبارية لا دعوى لها .

في كل هذه النماذج لا يرى « صاحب الحكمة » نفسه على الإطلاق باعتبار انه مأمور بأن يتصرف وفق توجيهات كل « الحكم » التي ينادي بها . يعني الحكمة ان تعتبر ( ثلاثية المغزي ) كتنسليّة ذهنية وكمصدر للبتع الروحية وكإداة لاثراء الحياة واستقلال ظروفها لامضى حد .

ولذلك فان هناك تحذيرا يقول : « الحكماء هم للشر » . ولا داعي لان نذكر حكماء الاخلاق من بين الشعوب لان من بينهم من هم في المرتبة الاولى في تاريخ الحضارة بينما كانت حياتهم الشخصية نموذجاً لعدم الاخلاق ، واكثر من هذا فانهم بالذات من خلال الانغماس في مباحات الانتحال والتدهور وتدمير الاسس والمعالم قد استقوا « الحساس الاخلاقي » المنقح للغاية .

وبالنسبة للادب الاسرائيلي وأبعاد تأثيره : فان الاختيار الحاسم هو ، من أين يستلهم وحيه ومعرفة قيمته : هل من مصادر التوراة والايامن أم من آبار الحكمة والمعرفة المحترمة ؟

إذا كان هناك كتاب يقول « ورائي » وسيظل يقولها ، وسار الواقع بالفعل وراءه وما زال يسير ، فان هذا الكتاب هو « كتاب الكتب » ( التناخ ) وكل الادب اليهودي الذي ولد حوله ومشيما بروحه . ان جذور المشكلة تكمن حينئذ من صورة تعامل الادب الاسرائيلي مع « التناخ » ( العهد القديم ) والعلاقة بينهما . والخيار واحد ولا يقبل التأويل : إما التناخ - كالكتب المقدسة وكمصدر وحي لقدسية الحياة ( ومنه ايضا : سنو الحياة ، ومعنى الحياة ، ومرور الحياة ) ، وكملك للنسب الخاص بالشعب المختار ، وكملك لشراء الارض الموعودة ، وكإداة توصية ، وكجسر للرسالة الروحية اليهودية من « بداية الخلق » حتى « نهاية الايام » ، أو معاذ الله ، العكس من ذلك ، أي « التناخ » - كجميع ليست فيه قدسية الإنتاج الادبية المختلفة والمتنوعة كذلك والنسبية الى حد ما في قيمتها المؤكدة ، وكجموعة شهادات وتاريخيات تاريخية مؤثوق بها أقل أو أكثر ، وكقضية « لنصوص » قديمة موضوعة تحت تصرف « ناقدى العهد القديم » الذين يعينون انفسهم ويتوجون انفسهم من أجل تنفيذ التدريبات الجدلية كافة بها فيها الكفاية ، وعمليات الحذف والتعديلات . وكذلك التحليلات الجائرة الغربية للغاية لهذه « النصوص » .

ان هذا التناول العلماني « للتناخ » وهذا التناول المدروس لكتاب الكتب هو كل خطأ الادب العبري منذ ايام « الهسكله » ( حركة التنوير اليهودية ) حتى أيامنا هذه . لقد اعترفت كل الشعوب بان الشعب اليهودي هو « شعب الكتاب » ، وليس معنى هذا انه الشعب « الذي يجب » الادب أو « الذي ينتج » الادب ، لان هذه الاشياء وجدت كذلك بين سائر الامم الحضارية . ان معنى « شعب الكتاب » انه الشعب الذي يعيش وفقا للكتاب ، وان الكتاب والامة يشكلان مضمونا واحدا . وليس هناك شعب أكد اتصاله بالكتاب ، وبتمتع التفكير مثلما عبر عنها صاحب « الزامير » : « اصبحت قوانينك لي مزامير » - هذا هو « لحن الجمارا » الذي لا يبلبل له في العالم .

ان علاقة اليهودي بالكتاب قد تجلت في القبلة المرتعشة لصفحة مزقعة تطمتت من الكتاب وسقطت على الارض ،

ومعها يهودي يطيع الحب ويحافظ عليها التي ان اخموها في اختفائ الدامن معه في مقبرته ، كما يصفون الشيطان الذي خلق على نفس المثال . ان كتابنا كهدا ، كل مضمونه وغايته كان : « وراثي ا » ، وهذا هو الاختلاف الخارق بين « التوراة » و « الحكمة » : ان التوراة تقدم « المعرفة » و « طريقة الحياة » لان لها الصلاحية العليا لذلك ، و « الحكمة » تعرض « رواية » للقراءة ، و « مقالة أدبية » للتمتعة ، ودراسات الطبيعة للفائدة العملية ، واذا تجرأت على صياغة وجهات نظر فلسفية خلقية — فان القارئ المتطوع يمكنه ان يسأل — في اللحظة التي لا يحلو له ان يتصرف وفقا لمبادئ علم الاخلاق — : « من تصكب فيما ؟ » .

واذا لم يكن هناك على الاطلاق مصدر للوحي الاخلاقي غير « العهد القديم » — فان لنا ولشعب اسرائيل ، يعتبر « العهد القديم » هو مصدر الوحي الروحي الذي يضم كافة الحياة ، وكافة الشرائع التي بين الانسان واليه وصديقه وشعبه وبلاده والعالم كله . ان الادب اليهودي المنعزل عن جذور « العهد القديم » يكون منعزلا كذلك عن جذور الواقع اليهودي المتصل بالحاضر أيضا ، وبالتالي فانه لا يمكن ان يقول « وراثي ا » .

1 — أوري تسفي جرينبرج : شاعر اسرائيلي . ولد عام 1894 في جاليسيا ، وما زال على قيد الحياة . من أشهر قصائده قصيدة « مانيسو » التي تعبر عن خراب العالم بقمه . هاجر الى فلسطين 1923 ، وكان من المقيمين الى « كتيبة العمل » . وفي نهاية العشرينات حدث تحول في وجهة نظره الايديولوجية ، وأعرب عن خيبة امله في هدوء الزعامة الصهيونية واليشوفية ، وتغرب من الحركة الاصلاحية ( حركة جابوتنسكي ) . كان عضو الكتيبات الاول عن حزب حيروت الراهابي . مشهور بأنه فاشيستي ، وهو من زعماء حركة « أرض اسرائيل الكاملة » التي تعارض الانتداب من الاراضي العربية المحتلة ، وتطالب كذلك بالمزيد من الاحتلال حتى استكمال « أرض اسرائيل » بحدودها التاريخية المزعومة .

2 — عاموس عوز : من مواليد القدس عام 1929 . درس في الجامعة العبرية الادب والفلسفة وتخرج عام 1964 . حصل على الماجستير من جامعة اكسفورد عام 1970 . عضو كيبوتس حراده منذ عام 1957 . يعمل مدرسا في المدرسة الثانوية في الكيبوتس . سخدم في « الناحل » ( شباب الطليعة ) ، ومنى الاعضاء العاملين في كيبوتس « من هيستود » 62 — 1964 . عمل استاذًا زائرا في كلية سانت كروز بجامعة اكسفورد عام 1969 . نشر مجموعة قصص قصيرة بعنوان « بلاد ابن آوى » ( 1965 ) . صدرت له الروايات : « مكان آخر » ( 1966 ) ، « وميخائيل الخاص بي » ( 1968 ) ، وعشرات من الكتابات والمقالات في الصحافة الاسرائيلية وخارج البلاد .

3 — موشي شامير : أديب ، وكاتب مسرحي وصحفي . عضو اكااديمية اللغة العبرية . مندوب قسم الاستيعاب التابع للوكالة اليهودية في إنجلترا . ولد في 1921/1/15 في صند . عضو كيبوتس مشر هاعيمك . خدم في البالماخ . مؤسس المجلة الناطقة بلسان الجيش الاسرائيلي « يمنحيه » . عضو تحرير صحيفة « أوبر » عام 1951 . كان له عبود خاص في صحيفة

1 — أوري تسفي جرينبرج : شاعر اسرائيلي . ولد عام 1894 في جاليسيا ، وما زال على قيد الحياة . من أشهر قصائده قصيدة « مانيسو » التي تعبر عن خراب العالم بقمه . هاجر الى فلسطين 1923 ، وكان من المقيمين الى « كتيبة العمل » . وفي نهاية العشرينات حدث تحول في وجهة نظره الايديولوجية ، وأعرب عن خيبة امله في هدوء الزعامة الصهيونية واليشوفية ، وتغرب من الحركة الاصلاحية ( حركة جابوتنسكي ) . كان عضو الكتيبات الاول عن حزب حيروت الراهابي . مشهور بأنه فاشيستي ، وهو من زعماء حركة « أرض اسرائيل الكاملة » التي تعارض الانتداب من الاراضي العربية المحتلة ، وتطالب كذلك بالمزيد من الاحتلال حتى استكمال « أرض اسرائيل » بحدودها التاريخية المزعومة .

2 — ابراهام شلوننسكي : شاعر ومترجم . ولد في 1900/2/6 في روسيا . هاجر الى فلسطين عام 1912 . بدأ النشر في مجلة « هشلواح » عام 1919 . عاد الى فلسطين مرة اخرى بعد جولة في الخارج عام 1921 ، وعمل عامل طرق وعامل بناء . انضم وترأس تيارات شبابية في الادب العبري المعاصر تركزت حول المجلات الادبية « كتونيم » ( كتابات ) و « طوريم » ( سطور ) . رئيس تحرير الملحق الادبي لصحيفة هآرتس خلال السنوات 1928 — 1942 . من مؤسسي مجموعة الشعراء الشبان « يحداف » ( سويا ) عام 1942 . مؤسس ورئيس تحرير دار نشر « هشومير هتسمير » ، و « مكتبة العمال » ، ورئيس تحرير مجلة « عتيم » ( أزمنة ) الملحق الادبي لصحيفة « عل هشمار » ( الصحيفة

« نخل هبشمار » وبعد ذلك في صحيفة « معاريف »  
 ( رئيس تحرير الناب الادبي في « معاريف » ) .  
 مؤلف الروايات : « ذاهتب في الحقتول »  
 ( جائزة اوسسكين عام ١٩٤٨ ) ، و « بكتنا  
 يديه » ( جائزة برينر ) ، و « ملك اللحم والدم » ،  
 و « حروب ين اور » ( جائزة بيالنيك ١٩٥٥ ) ،  
 و « نهاية العالم » ، و « العجلة الخامسة » ،  
 و « منزل في حالة جيدة » . و « الوريث » . وبعد  
 حرب ١٩٦٧ كتب كتابا بعنوان « حياة شعيب  
 اسماعيل » عن العلاقات بين العرب واليهود .  
 مثلت له مسرحيات عديدة .

٥ - بنيامين جلاي : اديب . ولد في ١٠/٤/١٩٢١  
 في روسيا . هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٦ . تعلم  
 في تل ابيب . خدم في سلاح الطيران البريطاني  
 في الحرب العالمية الثانية ، وعمل مستشارا  
 للصحافة ، في بلدية حيفا عام ١٩٦٢ . وله جهود  
 دائم في صحيفة معريف بعنوان « عن نتجان تهوة  
 مقلوب » . من كتبه الشعرية : « الشعب  
 الروحي » ( ١٩٤٦ ) ، و « الماكزين » ( ١٩٤٩ ) ،  
 و « العودة الثالثة » ( ١٩٥٢ ) ، و « على  
 شاطئ الرحمة » ( ١٩٥٨ ) ، و « رحلة الى  
 الشمال » ( ١٩٦٨ ) ، و « جدل الخنز في فناء  
 ارميلوس السابع عشر ملك فيليبو » ( ١٩٦٨ ) .  
 حصل على جائزة برينر ، وجائزة فيخمان ،  
 وجائزة انا فرانك ، وجائزة ايدان لادب الاطفال .  
 كتب بعض القصص والروايات للاطفال .

٦ - موشي دور : صحفي . عضو تحرير صحيفة  
 « معريف » منذ عام ١٩٥٤ - ١٩٥٨ . ولد في  
 ١٩٢٢/٢/١ في تل ابيب . درس في جامعة القدس ،  
 وتل ابيب قسم العلوم السياسية . صاحب  
 عمود ادبي في صحيفة حزب المايام « عمل

هبشمار » . عضو نقابة الادباء ونقابة  
 الصحفيين . رئيس جمعية الملحنين والمؤلفين  
 ( اكوم ) .

٧ - جوزيف حبيب برينر : كاتب وروائي عبري  
 ( ١٨٨١ - ١٩٢١ ) . تتخلل جميع رواياته  
 شخصية واحدة تلقى مصيرا واحدا على الدوام .  
 بدايات فاشلة في معترك الحياة تنبهما المساعي  
 الخائبة التي تترك مرارة في النفس وثقمة على  
 العالم أجمع . صور الحياة الفلسطينية بأسلوب  
 واقعي . مزج في حياته بين الحركة العمالية  
 ومطامح الاستعمار الصهيوني .

٨ - يعقوب شتايرج : ( ١٨٨٧ - ١٩٤٢ ) .  
 شاعر واديب اجتماعي وسياسي .

٩ - ميخا يوسف برديتشيفسكي : ( ١٨٦٥ -  
 ١٩٢٢ ) . كان من المثاليين بملتفة نيتشة ،  
 وطلب بتغيير القيم اليهودية والتخلص من نير  
 التامني اليهودي بكل ما ينطه من تخلف وحقن  
 لغرائز الانسان وروحته . اعتبر ان العودة  
 للطبيعة والفرد خلاصة للثورة القومية .

١٠ - تاتان القرماني : ( ١٩١٠ - ١٩٧٠ ) .  
 هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٥ . انضم الى  
 جماعة شلونسكي التي اشاعت روحا جديدة في  
 جيل الشعر التالي لعصر بياليك . نشر كتابه الاول  
 « كواكب في الخارج » عام ١٩٤١ ، وبالرغم من  
 انه استقبل بصمت الا انه غير مؤخر ، ربما  
 اكثر من اي كتاب آخر ، وجه الشعر العبري  
 في فلسطين . اشتهر الى جوار القرماني الشاعر ،  
 القرماني الاجتماعي السياسي الذي كان يعبر عن  
 نفسه مزة كل اسبوع في منظومات « العمود  
 السابع » في دانار . بعد قيام الدولة اصبح  
 شاعرها القومي ورجل المؤسسة الحاكمة .

## مراجعات

الدكتور يهوشافاط هاركابي ، تيارات في السياسة والاجتماع العربي بعد  
حزيران ١٩٦٧ ، ( دار النشر العربي ، تل ابيب ١٩٧١ ) .

بها والعمل معها على « ازدهار المنطقة » في المستقبل .

ان اول ما نلاحظه حول هذا الكتاب هو انه يريد تقديم صورة معينة للقراء العرب تحت الاحتلال لوجة النقد والتقد الذاتي التي حمل لواءها عدد من الكتاب والمثقفين في العالم العربي ( من اتجاهات سياسية وايدولوجية متعددة ) بعد هزيمة حزيران وذلك من خلال منظار اسرائيلي يشدد على ان الموجة ليست الاضالة فنارات متعددة تتنازع فيما بينها وتحاول ضد المجتمع العربي باتجاهات متضاربة ومتعكسة وكان كل تيار منها يقف على قدم المساواة مع غيره من التيارات من حيث الاهمية والتاثير والمقدرة على التعبير عن الحركة الموضوعية للعوامل الفاعلة باتجاه تخطي واقع الهزيمة وتجاوزه . ومن ناحية ثانية نجد ان تحليل هاركابي لا يرتبط بصورة واضحة بالنصوص التي يوردها من مؤلفات الكتاب العرب ، اي ان المقدمة ليست محاولة لتحليل هذه النصوص بل تركز على تصنيف التيارات الفكرية السائدة ( من وجهة نظره ) في الفكر العربي السياسي بدون الإشارة بالضرورة الى علاقة هذا التصنيف بالنماذج التي يقدمها في صلب الكتاب . على سبيل المثال لا يذكر هاركابي فيما اذا كان يعتبر ما أورده من كتاب ادونيس حول الهزيمة العربية داخلا في التيار الثوري او الاصلاحى ، والشئ نفسه ينطبق على ما أورده من كتابات ناجي غلوش . كذلك يستشهد هاركابي في مقدمته بعدد من الكتاب والكتب ( مثل سعد جنتمة وفاضل الجمالي واحمد بهاد الدين وجبران شامية ... ) بدون ان يورد لهم اية مقتطفات في كتابه . وهنا لا بد من تعريف القارئ بالمختارات التي انتقاها هاركابي ليعرضها في مؤلفه ، جزء كبير من كتاب صلاح الدين المتجدد « امددة النكبة » ،

من المعروف ان سلطات الاحتلال تحاول القيام بنشاط اعلامي و « تثقيفي » في الضفة الغربية وقطاع غزة ( على جميع المستويات ) بين صفوف السكان العرب لخدمة اهدافها ، وكان اخر عمل في هذا الميدان صدور كتاب من وضع الخبير الاسرائيلي في الشؤون العربية ي . هاركابي تحت عنوان « تيارات في السياسة والاجتماع العربي بعد حزيران ١٩٦٧ » . وقد وجدنا انه من المفيد اطلاع القارئ العربي على النموذج هام لهذا النوع من النشاط الذي تتوسم به الدوائر الاسرائيلية في الاراضي المحتلة . كما هو معلوم كان هاركابي مديرا عاما للخدمات العسكرية الاسرائيلية وهو يشغل الآن منصب استاذ في الجامعة العبرية . والكتاب من اصدار دار النشر العربي في تل ابيب وهي مؤسسة تابعة للهيستدروت . يضم كتاب هاركابي مجموعة مختارات من الكتابات العربية التي صدرت بعد حزيران ١٩٦٧ حول موضوع الهزيمة العربية واسبابها وطبيعة الصراع العربي الاسرائيلي ، بالإضافة الى مقدمة طويلة يظن انه مكرسة لدراسة ما يسميه بالتيارات الفكرية العربية التي برزت في تفسير الهزيمة وتحليلها وفهمها واقتراح السبل لتخطيها . وكان هاركابي قد نشر الترجمة العبرية لبعض هذه المختارات مع مقدمته المذكورة في كتاب عنوانه « العبرة التي استخلصها العرب من هزيمتهم » اما في الطبعة العربية فقد ادخل هاركابي بعض التعديلات واضاف ملحقا تصريا موجها للقارئ العربي ، كما اضافت دار النشر مقدمة خاصة بها تحت عنوان « التيار السادس » تأسدة بذلك الإشارة الى ما تسميه بواجب ظهور تيار عربي جديد ازاء الصراع مع اسرائيل غير التيارات الخمسة التي حددها هاركابي في مقدمته . والمقصود بذلك هو التشديد على الاصوات الداعية للتفاهم مع اسرائيل والاعتراف

اجزاء من كتابي « النقد الذاتي بعد الهزيمة » وكتاب قسطنطين زريق « معنى النكبة مجددا » ، « بيان هـ حيزران » لدونيس ( مجلة «الاداب» ، آب ١٩٦٧ ) ، مقال ناجي علوش « جدل الهزيمة والنصر » ( « دراسات عربية » ، ٢٠٦ أيلول ١٩٦٧ ) ، قطعة لعبد الرحمن البزاز بعنوان « كيف يربح العرب العرب ؟ » ( في مجموعة حول النكبة الحاضرة ) ، مقال لإبراهيم عابور « الدعايات العربية في الميزان » ( « الاداب » ، تشرين الاول ١٩٦٧ ) ، ومقالان لكل من سيسيل وجورج حوراني عنوان الاول « لحظة المصارحة » ( « النهار » ، ١٢ آب ١٩٦٧ ) وعنوان الثاني « العرب واليهود في فلسطين : نظرة اخلاقية » ( « القضايا المعاصرة » ، صيف ١٩٦٩ ) . ولا اعتقد انه من قبيل الصدفة ان تكون اطول المقطعات التي اختارها هاركابي مأخوذة من كتاب « اعمدة النكبة » للنجد الذي يضعه هاركابي ضمن الاتجاه الاسلامي المحافظ ويبدى اهتماما كبيرا بمؤلفه على الرغم من انه ، ضمن حدود معلوماتنا ، لا يوجد اية اشارة تبين ان كتاب المنجد قد استقطب اهتماما خاصا في الاوساط الثقافية والسياسية ( رسمية كانت ام شعبية ) الفاعلة في الحياة العربية او انه مارس تأثيرا مهما من اي نوع كان في صفوف الانتلجنسيا العربية تجلى في مناقشات حول الاراء الرجعية المخض التي طرحها المنجد في كتابه . وينطبق هذا الاعتبار على عدد لا بأس به من المقطعات التي ضمنها هاركابي في كتابه مثل مقالة سيسيل حوراني « لحظة المصارحة » التي خرجت على سطح الفكر اليساري العربي مثل الفعامة وتبددت بسرعة ولم تنترك اي اثر او تستقطب اي اهتمام وطواها النسيان بسرعة ليمود الان هاركابي الى احيائها وتقديمها الى القراء في الضفة الغربية وكان ما جاء فيها من آراء مطروح بصورة جديدة وملحة على الفكر العربي .

يستخلص هاركابي من متابعتة لحركة الفكر السياسي العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ وجود خمسة تيارات متنازعة هي :

( ١ ) التيار الاصلاحي ( اي الليبرالي ) الذي يرجع الهزيمة الى ضعف المجتمع العربي وتخله ويدعو الى ادخال تعديلات جذرية وعميقة عليه ( اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ) والى انظمة حكم ليبرالية . كما يرى اصحاب هذا التيار

ان التغيير المطلوب لا يمكن ان يأتي الا بصورة تدريجية وبطيئة وعلى اساس تراكم الانتجازات عبر عدة اجيال متعاقبة . ولا يوضح هاركابي اي من المقطعات في كتابه تمثل التيسار الاصلاحي الا انه بإمكاننا الاستدلال الى انه يعتبر قسطنطين زريق والاخوين سيسيل وجورج حوراني من المنتهين اليه . اما الاسماء المحددة التي يذكرها في مناقشته لهذا التيار فهي احمد بهاء الدين وجبران شامية . ويبدو ان اهتمام هاركابي بالتيار الاصلاحي نابع من كونه ينفذ واقع المجتمع العربي بنطق من لا يرى مخرجا من المازق الراهن الا عبر مرحلة طويلة من البناء على طريقة النماذج الغربية والراسمالية في التقدم ، مما يعني على الصعيد السياسي ( ولو ضمنا ) انه لا بد من ايجاد صيغة تنافه وتعايش مع اسرائيل الى ان يتم اصلاح المجتمع العربي واعادته اعدادا كافيا لمواجهة اسرائيل في المستقبل البعيد وغير المحدد . بعبارة اخرى تجسيد كل تضال وكفاح ضد العدو الى أجل غير مسمى حتى تتحقق هذه المشاريع الطوباوية . كذلك يهتم هاركابي بهذا التيار بسبب معاداته للشوعية وللنكر الاشتراكي ولانتشار الوعي الثوري في المنطقة ، وبسبب عدم تصديه للامبريالية واهرازه على الفصل بين المعركة ضد اسرائيل من جهة وبين المصالح الامبريالية في الوطن ومصالح الطبقات الرجعية المحلية المرتبطة بها من جهة ثانية .

( ٢ ) التيار الثوري الذي يقول عنه هاركابي بأنه يدعو الى ضرورة قيام ثورة شاملة تؤدي الى اجزاء تغيير جذري في جميع مجالات الحياة العربية ، وبانه لا يقيم وزنا كبيرا للثورة الرسمية التي يمثلها بعض انظمة الحكم العربية ولا يقبل بفكرة التغيير الاصلاحي التدريجي للمجتمع . وفي معرض مناقشته لهذا التيار يذكر هاركابي اسم كل من نديم البيطار والجببة الشعبية لتحرير فلسطين واسمي انا . يقوم هاركابي بعملية تسليه وتشويه لانكار وآراء من يسميهم باصحاب التيار الثوري بصورة فجحة وبذاتية وبدون اية محاولة لفظية محاولته بشيء من « الرصانة » او « العلمية » او « العقلانية » ولو كانت كلها من النوع الزيف . مثلا لا يذكر هاركابي شيئا عن الانتفاء السياسي والايديولوجي لبعض الاطراف ( على اقل تعديل ) في التيار الثوري بهدف اظهار « ثورتهم » على انها نوع من الغضبة المثالية الكبيرة التي تريد حل المشاكل والمعضلات دفعة واحدة ومن خلال حدث سحري

التي ( الثورة ) وعلى أساسها يسمى إلى التي  
وحدهم يظن أو يراى أن جباله محطه التعلين . لذلك  
ينكم هاركابي عن التيار الثوري بصورة جوفاء  
تبقى معلقة في الهواء مع تمديد عم الأشارة إلى  
الالتزام العلني لقسم كبير من هذا التيار ( كما  
يخده هو بالمركسية اللينينية لأن مثل هذه الأشارة  
سوف تعطي التيار هوية من نوع معين يريد هاركابي  
تجريده عنها ليتمكن من تصفيهه وتفتيهه بصورة  
بدائية . وفيجاء على هذا الأساس يشدد هاركابي  
في القول على أن أصحاب التيار الثوري يريدون  
أحداث التغييرات السياسية والاجتماعية  
والاقتصادية والثقافية كافة في المجتمع العربي ،  
بالإضافة إلى تحرير فلسطين وهزيمة الاستعمار  
فورا ودفعة واحدة بفضل حدث تاريخي رائع هو  
الثورة ( ص ٤٤ ) . حتى لو سلمنا بقدر من  
السذاجة في تكبير بعض المنسويين إلى التيار  
الثوري فإن أحدا منهم لم يصل إلى هذا الحد من  
الإنساف في تصوير الثورة على أنها زلزلة سحرية  
ضخمة تحل المشاكل والمعضلات كافة بفرية واحدة  
ثورية تتحقق بواسطتها كل « الأهداف معا » على  
حد تعبير المؤلف . هذا تشويه متعمد من قبل  
هاركابي لأنه يعرف قبل غيره أن ما من طرف يشدد  
على أهمية النضال الطويل المدى على طريق  
الثورة ، وأهمية الكفاح المستمر على أسس  
استراتيجية من أجل بناء المجتمع الاشتراكي الجديد  
وهزيمة الامبريالية مثل الطرف الثوري الذي يتهمه  
مؤلفنا بالبحث عن الحلول الثورية للمشاكل . ومن  
الماخذ التي يسجلها هاركابي على التيار الثوري  
في العالم العربي ( أ ) قوله ( أي التيار ) بأن بقاء  
أنظمة الحكم الرجعية يمنع أي تعاون عربي حقيقي  
ضد إسرائيل بسبب ارتباط هذه الأنظمة بالاستعمار  
القيم على إسرائيل وخضوعها لضغوطه ( ص ٤٤ ) .  
( ب ) قوله بأن مسؤولية الهزيمة تقع إلى حد بعيد  
على عاتق القيادة الطبقية للبورجوازية الصغيرة  
وليس على عاتق الجماهير الشعبية عامة ( ص ٤٩ ) .  
( ج ) وضع جميع الأعباء والمشاكل على أكتاف  
« الثورية » و« قوى الجماهير » و« الحثية  
التاريخية » دون اختيار هذه العناصر اختبارا  
فعليا ( ص ٥١ ) .

نكتفي هنا بالقول إن هاركابي بالتأكيد لا يخادع  
نفسه وإنما يخادع القراء العرب في الأرض المحتلة  
لأن أكتاف « الثورية » و« قوى الجماهير »  
و« الحثية التاريخية » قد تم اختبارها فعلا في

بساكنات عديدة للكفاح . ولما كنت من قراءها وطلعتها  
القتال والنضال في وجه « قوى الاستعمار »  
كما أن « الحثية التاريخية » بمعناها الثوري  
لا تعني - كما يحاول أن يوحي هاركابي - الانسحاب  
لنوع من القضاء والتدر الذي سيغلب معه النصر  
المحتم ، بل تعني ، من جملة ما تعنيه ، أن الانتصار  
التاريخي الذي سيسود المستقبل هو حتما لصالح  
كفاح الشعوب وانتصارها ضد سيطرة الاطلاقة  
الطبقية الحاكمة والاحتكارات الامبريالية المستغلة  
من الطبيعي جدا أن تلاقي التيار الثوري معاملة  
تشويهية من هذا النوع على يد هاركابي .

( ٢ ) التيار الاسلامي الذي يدعو إلى اصلاح الأديان  
عن طريق الدعوة السلفية في العودة إلى القيم  
الاسلامية القديمة . والممثل الرئيسي لهذا الاتجاه  
في النصوص الواردة في الكتاب هو صلاح الدين  
المنجد . أما الأسماء التي يوردها المؤلف في شرحه  
لواقف التيار الاسلامي فهي فاضل الجبالي . وسعد  
جمعة وأ. طيباوي . ويهتم هاركابي بهذا التيار من  
حيث معاداته الشرسة للاشتراكية وحركة التحرير  
العربي عامة ، ونظرته الاستعمالية للجناح  
( الفوغاء حسب تعبيرهم ) وموالاة الصريحة للعالم  
الرأسمالي ، والولايات المتحدة خاصة . على سبيل  
المثال يقول هاركابي في وصف التيار الاسلامي  
« يمتاز هذا التيار ببئسه إلى وجهة النظر  
الارستقراطية فهو لا يتعلق بالشعب تحت ستار من  
الشعبية . ورواده يتدمرون من أن الفوغاء من  
الناس قد سيطروا على المجتمع العربي ومن أن  
الديماغوجية المتطرفة قد سادت وطفت . ويرى  
هؤلاء أنه يجب منح الشعب قيادة جديدة . ومثل  
أخلاقيا يحتذى به » . ( ص ٥٤ ) .

( ٤ ) التيار الحاكم . يشير هاركابي بهذا الصدد  
إلى النزعة الرسمية في التقليل من أهمية الانتصار  
الإسرائيلي وفي تفسير الهزيمة العربية على أساس  
عوامل طارئة وعرضية لا تمس جوهر أنظمة الحكم  
نفسها والأسس الاجتماعية القائمة عليها . وليس  
في مناقشة هاركابي لهذا التيار أي جديد يختلف  
إلى ما قاله النقاد العرب أنفسهم ( خاصة من  
أصحاب المدرسة الثورية ) في تنفيذ مزاعم هذا  
الاتجاه .

( ٥ ) تيار فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية الذي  
ينسب إليه هاركابي القول بأن وجود إسرائيل هو  
سبب الضعف العربي كله وأنه طالما بقيت إسرائيل

في الأرض المحتلة على أساس القول له ان التيارات  
الخمسة السائدة في العالم العربي ، كما عرضها  
هاركابي ، ناشئة ولا أمل يرجى منها ، فلا بد إذن  
من البحث عن تيار جديد يتخطاها باتجاه البحث  
عن إمكانات التفاهم مع إسرائيل والتعاون معها  
على أساس جديدة مع التشديد على دور الفلسطينيين  
في احقاق هذا التقارب . ويذكر الكتاب أسماء  
شخصيات مثل محمد الجبري وحدي كتمان  
وحدي التاجي الفاروقي وعزيز شحادة وانور  
نسييه ومحمد ابو شلبية واحمد برهم باعتبارها  
اخذت تتجه نحو تصور جديد للقضية الفلسطينية  
( أي التيار السادس ) لانها لا ترى أي جدوى من  
مواصلة النزاع المسلح وتفشل الحل السلمي الذي  
يعترف بوجود إسرائيل وفي حقها بالبقاء بشكل  
مستقل . عندها نذكر ان معظم هذه الاسماء في  
الضفة المحتلة برزت في مجال الدعوة للتفاهم مع  
إسرائيل على أساس قيام الدولة الفلسطينية يتبين  
لنا ان كتاب هاركابي ليس بعيدا في مراميه عن  
اعداد الجولقيام هذه الدولة ان شعرت إسرائيل  
بان الحاجة تدعو الى ذلك للخروج بالنزاع من  
المنطقة من مازقه الحالي .

**صادق جلال العظم**

قائمة فإن كل علاج للإصلاح الداخلي يقوم به  
العرب هو عبث في عبث ( ص ٢٧ ) . واضح  
ان هذا الأسلوب في عرض وجهة النظر الفلسطينية  
التي تبطلها فتح مخرق في التبسيطية والفضيحة .  
اذ انه صحيح ان إسرائيل هي سبب رئيسي ( وليس  
السبب الوحيد ) من اسباب الضعف العربي الا  
ان فتح لا تستنتج من ذلك بان كل محاولة لمعالجة  
الوضع العربي واصلاحه ، كي يصبح بمستوى  
التحدي الذي طرحه إسرائيل ، هي عبث في عبث .  
يريد هاركابي عرض وجهة نظر فتح بشكل يوقمها  
في حلقة مفرغة لا مخرج منها : إسرائيل هي سبب  
الضعف العربي ، كل محاولة لاصلاح هذا الضعف  
بدون ازالة إسرائيل ناشئة لا محالة ، لكن من  
المستحيل ازالة إسرائيل والضعف العربي قائم على  
حالته ، فان إسرائيل باقية والضعف العربي باق  
معها ، فلا حول ولا ... ولا لزوم لان نكرر بأنه لا  
فتح ولا غيرها يلتزم ببطل هذا المنطق في فكره  
وعمله . وبطبيعة الحال لا يدخل هاركابي في  
مقتطفاته المختارة أية كتابات تبطل اتجاه فتح ومنظمة  
التحرير في الفكر السياسي العربي الزاهن .  
أما التيار السادس الذي يتكلم عنه مقدمة الناشر  
فلا يتعدى كونه محاولة لمخاطبة القارئ العربي

### David Ben-Gurion, Israel: A Personal History ( Funk and Wagnalls, New York, 1971 ).

موضوع ضخيم ، وربما كان اعظم قصة جريمة كُتبت  
اطلاقا . انها قصة صحيحة بزمتها . وفوق هذا  
وعلى الرغم منه فليس الكتاب عملا ضخماً ، بل  
هو أبعد ما يكون عن ذلك .  
وليس من السهل قراءة الكتاب بأكمله ولا شك  
ان تلالل من الناس يقرأونه عملاً من أوله الى  
آخره ، وكانت هذه المراجعة ليس من هؤلاء  
القليل . وهناك عدة أسباب لصعوبة قراءة  
الكتاب . إلا ان قراءته ضرورية لأي شخص مهم  
حقاً وجدياً بالقضية الفلسطينية ، وعلى الأقل  
تقرأ الصفحات الأربعة الأولى بانتباه ، وتصفح  
البقية . ان ترتيب الحقائق عند بن غوريون ،  
ومعظمها جديد ، مهم ، وكذلك وجهة نظره شكلاً  
ومضموناً . ولكن الأهم من ذلك هو الصورة

ان هذا الكتاب مؤلف ضخم ، وذلك لاستباب كثيرة .  
فهو كبير وطويل جدا اذ يضم ٨٢٨ صفحة . وهناك  
شخصية المؤلف الذي هو احد المؤسسين الرئيسيين  
لدولة إسرائيل ، وبكل تأكيد الرجس الذي بنى  
إسرائيل منذ قيامها اكثر من أي شخص آخر .  
وهناك حقيقة ان بن غوريون لا يكتب عن موضوع  
غريب كذاتنا الفلسفية مثلا وانما هو يكتب  
عن العاطفة التي هيمنت على حياته والاحداث التي  
شارك فيها عادة كشخصية قيادية بارزة . وهناك  
أخيراً الموضوع البارز وهو الحركة الصهيونية  
العربية والسرية تقريبا التي برزت من غيتوات  
أوروبا الشرقية والتي مدت اطرافها وأمسكت  
بأرض فلسطين وفي الوقت ذاته امتصت ولاء  
الجماعات اليهودية وثروتها في العالم بأسره . انه

النشأة التي يرميها عن القناع العام والشخصي  
لعضية ما مدى الحياة ليس من كتابه فقط بل من  
جانب التعثرات والمثبات من الصهيونيين الآخرين  
ايضا . ان شرطه للنجاح في مهمة الاستيلاء على  
بلد وبناء دولة فيه بسيط جدا : ليس العمل عمل  
هواة جزئيا وإنما هو تفرغ تام للعمل الدؤوب  
الذي لا يعرف الكلل ، واخضاع تام للعديد من  
الوسائل في سبيل هدف واحد بعيدا عن المسائل  
الاخلاقية . وأفضل عنوان كان يجب ان يطلق على  
هذا الكتاب هو : « أهمية ألا تكون انسانا لطيفا  
ومهذبا » .

وهناك عدة اسباب تحول دون نجاح الكتاب في ان  
يكون عملا ضخما : في المقام الاول ، فان اسلوبه  
مربك ، فهو « كتايب شخصي » عبارة عن رواية  
شخصية ولكنها مكتوبة في صورة غير شخصية .  
وكونه كذلك لا يحقق لنفسه النجاح  
لا كرواية تاريخية ولا كسيرة ذاتية . ومما يثير  
الضجر والملل ان بن غوريون يشير الى نفسه  
باسم « رئيس الوزراء » . وحسب ما اذكر ليس  
هناك اي زعيم كتب سيرته الذاتية مستخدما ضمير  
الغائب لان ذلك يثير النسخية . وسبب آخر من  
اسباب فشل الكتاب انه طويل جدا ، فقد ضمنه  
بن غوريون نصوص الخطابات المهمة وغير المهمة  
التي اتاها وكذلك كل مذكرة كتبها ، وان بن غوريون  
يجمل ، في شكل مختلط ، من دولة اسرائيل او  
بالاخرى من حكومتها موضوعا لكتابه بقدر ما  
يجعلها موضوعا لسيرة حياته فاننا نجد عشرات  
الصفحات المهمة التي تبدو وكأنها صفحات من  
الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية : فنحن لسنا  
بحاجة الى شخص مثل بن غوريون ليعطينا ارقام  
الهجرة للعام ١٩٥٨ او ليخبرنا عن عدد البيوت  
الجديدة التي بنيت في العام ١٩٥٦ . كما انه لم  
يكن منطقياً ان بن غوريون ( الذي يصرخ باحتقاره  
لتمدد الاحزاب السياسية في اسرائيل ) يضع  
صفحات كثيرة في وصف مناورات تلك الاحزاب  
التي لا تنتهي ويتنصّل دتقيق .

إلا ان هناك موضوعا واحدا يعالجه الكتاب ويبدو  
فيه شخصيا جدا ، ذلك ما يسمى « قضية لاون »  
التي وقف فيها بن غوريون الى جانب المؤسسة  
العسكرية الاسرائيلية ضد لاون وزير الدفاع آنذاك  
وليئي اشكول . وكتب بن غوريون مطولا من هذه  
الحادثة ولكن بطريقة تكشف فقط ان بن غوريون

التصانيف العظمى استطاع ان يخلط على بين  
غوريون النبي الصغرى ورجل الدولة الكبار  
ولا يرجع فشل الكتاب الى انه يحتوي على حقائق  
كثيرة جدا وإنما الى كونه لا يضم الكتابة عن  
والى كونه يغفل حقائق كثيرة أخرى . ان الموضوع  
الذي يعالجه بن غوريون بأعظم تفصيل هو أحداث  
١٩٤٧ و١٩٤٨ . ولكن ما هي القبة التاريخية  
لرواية تقدم وصفا متصلا للهجوم العربي على  
العائلة اليهودية المتجهة الى جبل سكوبس ولا تقول  
كلمة واحدة عن المجزرة التي ارتكبتها الصهيونيين  
ضد سكان قرية دير ياسين العربية ؟ وما هي القبة  
التاريخية لرواية يسردها احد المحرّكين الرئيسيين  
للعديوان على السويس في العام ١٩٥٦ عن ذلك  
العديوان دون ان تقول كلمة واحدة عن الترتيبات  
السرية التي قام بها بن غوريون في التواطؤ  
البريطاني - الفرنسي آنذاك ؟ وليست رواية بن  
غوريون حول هذا الموضوع غير تامة فحسب بل  
انها ساذجة الى حد اثار الضحك . ففي حين  
يخصص ٥٣ صفحة للحديث عن فضيحة لاون يترك  
٣٥ صفحة فقط للحديث عن مسألة السويس . ولا  
توجد ايضا كلمة واحدة عن محاولات بن غوريون  
المكثرة والمعاشلة لدخول منظمة معاهدة شمال  
الاطلسي أو لتحقيق تحالفات ثنائية مع بريطانيا ثم  
مع فرنسا وبعد ذلك مع الولايات المتحدة . ولا  
يقول كلمة واحدة كذلك عن محاولته الناجحة في  
احكام الصلات مع ايران والحيشة والتي أصبحت  
عابلا من اعظم العوامل أهمية في سياسة اسرائيل  
شرق الاوسطية .

وبما ان بن غوريون غير صادق الى حد كبير من  
حيث طمسه للحقيقة فانه لا يثير استغرابنا ان يكون  
غير صادق الى الحد ذاته من حيث طرحه أمور  
بسيطة خاطئة . وهكذا فانه يكرر الكذبة الفاضحة  
بان الفلسطينيين تركوا بيوتهم في ١٩٤٧ - ١٩٤٨  
وقفا للاوامر التي صدرت اليهم من الهيئة العربية  
العليا . وهو يكرر حتى الكذبة الصارخة بان  
اسرائيل انما قامت بهجوم مضاد فقط للدفاع عن  
نفسها في الخامس من حزيران ١٩٦٧ لان القاذبات  
والدبابات المصرية شوهدت وهي تتقدم لهاحية  
اسرائيل . وبسبب هذه الاخطاء التاريخية في الاعتراف  
والالغاء يكاد كتاب بن غوريون يصنع مجرد واجبة  
دعائية مؤثرة جدا . ويجب ان يعلم بن غوريون  
قبل اي انسان آخر ان هذه هي حقيقة كتابه



للأذنان ان يقوم شخصان واقفي وجهي مثل بن غوريون  
 ويضع مثل تلك التليفونات التي حفل بها كتابه أربما  
 يكون سبب ذلك ان بن غوريون يعتقد ان الكثير من  
 الحقيقة قد قيل في سيرته « الرسمية » التي وضعنا  
 سخائل بار زوهار في كتاب « النبي المسلح » وانه  
 يشعر ان الوقت قد حان لمزيد من الإطراء . وقد  
 يكون من الطبيعي ايضا لبن غوريون « كوطنى  
 اسرائيلى » ان يحاول اعطاء انطباع جيد عن بلده  
 قدر استطاعته ويكل ما لديه من سلطان . ان ذلك  
 يشكل رغبة طبيعية لدى بن غوريون واسرائيل لا  
 كوسيلة لغاية وانما كغاية في حد ذاتها . انه جزء  
 من جبر وجود اسرائيل التي لا ترى في الدعاية  
 المناسبة أمرا ثانويا وانما ضرورة تومية .

ان ما تركز عليه الدولة اليهودية مسن ظلم ولا  
 انسانية يمكن التفاوض عنه او اغفاله او تناسيه  
 اذا امكن فقط تبيان ان اسرائيل هي دولة من نوع  
 خاص جدا . وان الاسرائيليين شعب خاص جدا لا  
 يخطئون ابدا ويجب ان يغفر لهم اذا أخطأوا .  
 وهناك طبعا الخرافة القديمة القائلة بأن اليهود  
 هم شعب الله المختار ، الا انها لا تجد كثيرا من  
 الاذان الصاغية في عصرنا الحاضر والبعيد عن  
 الإيمان الدينى . وعليه فان الاسرائيليين ليسوا  
 بخود شعب مختار وانما يجب اظهارهم ، لضرورات  
 سياسية ، على أنهم نوع جديد من « الشعب  
 المختار » . ولقد قيل إن اسرائيل لا يمكن ان تكون  
 دولة مثل باقي الدول ، بل يجب ان تكون استثنائية  
 لان لها رسالة خاصة تحققها وهي بمثابة النور  
 للعالم وخاصة العالم الافرو - آسيوى . وكان  
 بن غوريون دوما من دعاة هذه الفكرة الرئيسيين ،  
 فقد قال في كانون الثانى ١٩٤٩ وبعد اسبوع من  
 وقت القتال : « سنستطيع انجاز هذه الرسالة  
 فقط اذا عيانا الى ابعاد حد الميزة الوحيدة التي  
 يتمتع بها وهي فرادة الشعب اليهودي الادبية  
 والفكرية » . ولاحظ استخدامه كلمة « الادبية » ،  
 وفي الجزء النهائى من الكتاب حول المستقبل وراث  
 الامة الفريدة يشير بن غوريون مرارا وتكرارا الى  
 فكرة الفرادة والتفوق اليهوديين . فهو يتحدث عن  
 « الميزة التفوقة للامة العبرية » ويقول « ان  
 مستقبل اسرائيل سيعتمد على الحفاظ على هذا  
 التفوق وتعزيزه اكثر من اعتماده على اي شيء  
 آخر » .

ويحاول بن غوريون في هذا الكتاب اقتناع الاسرائيليين  
 وغيرهم بهذا التفوق العنصرى الفريد . ولذلك فانه  
 من المستحيل ، لاسباب تتعلق بوجود الدولة  
 والوجود القومى ، ان يعترف بن غوريون بأن  
 اليهود الاسرائيليين اذنبوا بارتكابهم اعمالا وحشية  
 مثل مجزرة دير ياسين وطرد الشعب الفلسطينى  
 من ارضه . ويستحيل ان يعترف بان اليهود  
 الاسرائيليين يمكن ان يكونوا مخادعين وخائنين بحيث  
 يلعبون دورا احتريا في خدمة المعتدين البريطانيين  
 والفرنسيين وفقا لمعاهدة سرية . ويستحيل ان  
 يعصف بن غوريون « اشتراكية » اسرائيل في الوقت  
 الذى تتحالف فيه مع قوتين محليتين خاضعتين لحكم  
 امبراطورين يرتكزان على القمع ومعرضين للتداعي  
 والتسقوط . ومن المستحيل ان يعترف بأن اسرائيل  
 رحبت حرب حزيران ١٩٦٧ بسبب « هجوم تسليلى  
 جبان » . واذا اعترف بن غوريون بهذه الحقائق  
 لما بقي هناك سبب للرجوع باسرائيل الى الوجود  
 ما دامت دولة مثل سائر الدول بل هي اكثر  
 وحشية وقسوة من غيرها . اما اذا اغفل الظلم  
 الذى تركز عليه اسرائيل فانه يقترب على ذلك  
 اظهار الاسرائيليين على انهم شعب خاص ، بسلا  
 خوف او شعور باللوم او الخزي ، وانتاع  
 الاسرائيليين انفسهم وغيرهم بذلك وتلك كانت هي  
 الامور التي حذفها بن غوريون . ان القول بأن  
 لاسرائيل ميوبها المعنوية لا يعتبر نقدا غير اخلاقي  
 فقط بل خيانة عظيمة بالنسبة لشخص مثل بن  
 غوريون .

ان اكاذيب بن غوريون وغيره من رجال الدعاية  
 الاسرائيليين والصهيونيين ليست مجرد اكاذيب  
 دعائية تريد ان تضيء بريقا على الاشياء وانما هي  
 اكاذيب اساسية تحمي مسبب الوجود الصهيونى  
 ذاته . ان تبيان الحقيقة قد يلحق العار بالدعائى  
 المعادي ولكنه يفتح على الصهيونى . ولهذا السبب  
 يغالى الاسرائيليون والصهيونيون في التاكيد من ان  
 حقيقتهم لن تظهر ابدا . وهذا الخوف الصهيونى  
 الفعلى من الحقيقة هو احد اقوى مصادر الامل في  
 مستقبل هذا الجزء من العالم . لان الحقيقة سوف  
 تظهر .

جودفري هـ . جانسن

## شاهد من هذا العصر : يوميات شهيد قتل في مجزرة الأردن سببيل ١٩٧٠ . رسوم ضياء العزاوي ( بغداد ، ١٩٧٢ ) .

بجمالية خاصة . وكثيرون هم النقاد الذين تحت وطأة ثقافتهم وتقاليدهم الفنية سألوا مارتينا جوارث : انبهار امام صنعة ضياء وتقنيته . واعتقد انهم - اي جمهور صالونات العرض والنقاد - ظلوا أسرى الفهم الدارج للوحة الفنية ، كضخامة وكحلية . مضاناً الى ذلك ان ابداعية ضياء العزاوي الفنية تنتمي الى اصول الازرث الشرقي العريض الكامن في المنطقة . لذلك يفهمون لوحاته كصدي معاصر لهذا الازرث .

ما من شك ان جزالة لوحات ضياء العزاوي اللونية والشكلية تضمن قدرة لا يستهان بها على احوال المتفرج . وبالنسبة لي شخصياً استهوتني لغة ضياء العزاوي الى حد كبير ، وأجد من الصعب علي ان افضل اعجابي التقني بانتاجه عن ذكريات الطفولة مع كل رموز الشرق التي ملأها صدي طفلة سجاد قديمة .

ان الكتاب الذي نحن بصدده ، والذي يتضمن رواية ضياء العزاوي لمذكرات تركها مقاتل أثناء أحداث ايلول ١٩٧٠ في عمان ، نموذج لحركته والحياة والثقافة العربية المعاصرة ، وكثيف لروايات فيها . فقد تضمن الكتاب نحو ٧٠ تخطيطاً يرافق السرد النثري لأحداث القتال في أحد جبال عمان « الحسين » من زاوية رؤية مقاتل وشاهد على تلك الأحداث في ايلول . بيد ان هذه الرسوم ليست مجرد Illustrations لهذه المذكرات . وليست مجرد سرد تقليدي يواكب السرد النثري ويقف على هامشها . انها رواية جديدة بريشة ضياء العزاوي تفني اليوميات التي تركها المقاتل وتقف الى جانبها والواقع ان المذكرات التي تركها المقاتل تتضمن عناصر الاثارة الحسية ، رغم عبويتها وركائزها الانشائية ، فهي قد خضعت الى شيء من الفسحة لأغراض صحفية أفقدتها شيئا من عفويتها وطراحتها كالتباعدات مباشرة على الأحداث .

وعلى النحو الذي يسلكه السرد النثري تتتابع تخطيطات ضياء ، مقدمة تكوينات متنوعة لمقاتلين في حالة انتباه ، واستعداد لحادث مرتقب . ان هذه التكوينات تتضمن اوضاعاً منتخبة لمقاتلين محتاطين أسلحتهم الفردية ، أو هم يشرمونها ، ويتفرج التخطيط بالكتابة اللغوية ، المشبعة من صياغة

من تلة طفلة من الفنانيين التشكيليين العرب ، تشمل اعمال ضياء العزاوي مساحة كبيرة من الهواجس والهموم العربية الراهنة ، التي وهي تنتقل الى اصيغة واللوان ، اي الى لغة التشكيل ، تكتسب حضورها من ابتعادها بضع خطوات عن المباشرة واللازمات والهوامش والتفاصيل التي تظف وتحيط بهذا الشكل او ذاك لوحة الحياة العربية . اي انه باقتراجه منا ، لا تستهويه سهولة تقبل الاشياء كما تعلم عن نفسها ، انه يختبرها ، يمحسها ، ينتقها ، واحياناً كثيرة يرفضها ، ليس لانه يستنكف معاشتها كأمور واقعية ، بل لانه يدرك عن تبرس ، طابع الوهم والادعاء ، أحياناً التشكل الطارئ للإشياء في اللحظات الراهنة ، وهو هنا يعتمد عن الخفة والاستسهال والتلق ، ويتسلح بحس تجريبي يجعل معالجته تقترب من الجوهرى ومن العمق في الحياة العربية المعاصرة ، هبوماً ووجوداً ، ناقياً ولافظاً الاجزاء الميعة منها ، غير حائل بما تسربل به اشياؤنا المعاصرة من ادعاءات او نيات او اشكال لم يثبت له صحة تحقيقها . لذلك تبدو اعمال ضياء العزاوي بمثابة لنوع من الشعور والحديث المباشر بأنه يمتد في الماضي اكثر مما هو يرى في الحاضر ، ويتعير آخر انه يدرس اكثر مما يحس ويعاني ويعايش . ان هذا الشعور ازاء اعمال ضياء لا يظن من مبرر موضوعي . انه فعلاً ولاسباب جد محقة ، يفعل ما يوحي بهذا الشعور عن تصميم واع . ان الانسان العربي الراهن ، ليس هو كليا الذي يقدمه لنا المجتمع المشهدي القائم ، اي مجتمع السوق والبضاعة وتقسيم العمل ، ففي داخل الانسان العربي الراهن يمتد التاريخ اكثر مما يبدو لنا فعل الحاضر ، وهو اذن حصيلة ذلك الامتداد في الماضي وهذا الولوج في الحاضر ، ومن ثم تتشكل حقيقة الانسان العربي بقدار التفاعل الجارية فعلاً بين ما هو تاريخي وراهن ، وهي الحقيقة التي لا تقدمها النظرة الساكنة في لوحة الحياة العربية ، والتي يبدو فيها الانسان العربي ناقداً لذاكرته . وواقع الامر ان ضياء العزاوي يحقق معالجته التشكيلية ، عبر هذه النظرة الصارمة للواقع . وكثيرون هم الذين توقعوا في تعاملهم مع انتاج ضياء عند المعالجة التشكيلية محسب ، التي تمتاز

اليوميات ، التي تعطي التكوين العام للوحة جملانية الحرف العربي بالإضافة الى الدلالة اللغوية للكلمات المتقسمة .

ومع انتقال اليوميات الى الصندام بين الجيش والسلطة من جهة والمقاومة والجهاد من جهة اخرى ، تنقل رسوم ضياء لحظات الكون للمدركات ، ضحايا القصف الرجعي ، الاشقياء مع الاليات وقصفها بأسلحة الار. بي. جي.

وتتالى صور يتعاش داخلها الموت والجثث الممزقة مع قامات المقاتلين المديدة وصمودهم . ان الجثث المهددة ، اطراف الاليات ، والازهار ، وكتابات مثل « وكنت اسمع انينا في كل مكان حين طلب مني ان اعود الى .. » و« فجأة يفقد الموت معناه وينتاب المرء شعور بأن الناس انما يرتاحون على قارعة الطريق .. » تصبغ رسوم ضياء بسواد المأساة . وتكرر في كثير منها ثنائيات الموت والصمود : الجثث المتراكمة والمقاتل المنتصب ببطء . مع تصاعد القتال ، وازدياد الاوضاع سواء ، فان صور الاطراف المتوترة ، الاجساد الممزقة ، القصف العشوائي ، والضحايا من المدنيين والاطفال تقطع تواصلها لحظات البطولة والسمود من المقاتلين حتى نهاية اليوميات .

والواقع انه من الصعوبة بكان ان نعطي هذا الكشف التصويري لليوميات حقه ، اذ يحول دون ذلك محدودية التعبير الثري عن احتواء التعبير التشكيلي ، وهي الصعوبة التي يعاني منها النقاد عموماً . واكتفي بأن اشير الى ان ضياء العزاوي قدم عبر الكتاب صورة عن تجاربه وتفتحاته الاسلوبية ، التي نمدها فيه . فكثافة انتاجه وتنوعه ، تمكن سعيه الدائب للتجربة وللتفتح ، وهو هنا يختار موضوعاً قريباً من اهتماماته ، فلإنسان في إنتاج العزاوي له مركز الاستقطاب ،

ومأساة كذلك التي عرّتها الشعب في الأردن في ايلول ١٩٧٠ تعطيه فرصة تجرير الدفق الدائم والحزين الذي يكتسي تصويره . ان الموت ، كما الحب ، عند العزاوي موضوع حميم يقربه من اليأس العام الذي يظل الانسان في المنطقة . وهو حتى في اكثر لوحاته اشراقاً ينطوي عن هاجس خوف وعن حدس مطبوع بنذر غامضة تدفعه الى جعل اجساده مؤلفة ومتعاقبة او مشدودة الى بعضها البعض بنوع من التقيّة والعزاء اراء العالم الراهن . من هنا اجد في رسوم الكتاب اكثر التصيمات التي تداولت المقاومة والفدائي جمالا ، وابعدها عن الافتعال وعن الكليشيه . واكثرها حبا للانسان المقاتل . ان جماليتها ، ليست تحصيلاً لتقنية متمكنة ، فقط ، انها ترجيع وتجل شعري لشاعر حب الجماهير تشف عن بنية تضالية ، اكتسبت صياغتها وابدائها من موقف متقدم ومن احساس بمادة القضية التي يعالجها ، لذلك فان رسوم العزاوي تنطوي على اضافات شكلية وعلى جمالية خاصة مستمدة ، بدون مباشرة مجة ، من هيئة المقاتل ، كوفيته ، ملابسه ، سلاحه . فيما وجهه يختصر . كما هو متوقع - في عينين محسوب .

ولا ارجب - اخيراً - في ان يفوتني التويه بالنص الانجليزي لليوميات الثرية الذي كتبه جبرا ابراهيم جبرا ، الذي تمتع برقة وسلاسة اضفت على اليوميات ، مئانة مباشرة وتماسكا عفويا . وان الاخراج الطباعي ، وبعض التضمينات الثرية ، كبتاطح من اغاني المقاومة ومقطعات من التقارير الصحفية عن مجزرة عمان ، منحت الكتاب مزايا اخرى تستحق التسجيل .

**هاني حوراني**

تيسير النابلسي ، حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ ،  
(مركز الأبحاث في م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٧٢ ) .

البواعث الدينية والسياسية والعسكرية .  
ويعتبر المؤلف ان الدافع الديني « من أبرز دوافع الهجرة الحالية من الولايات المتحدة ... حيث يضمن هؤلاء المهاجرون لانفسهم ولأولادهم ان يظلوا يهودا مخلصين » . ما دامت نسبة المهاجرين الى عدد اليهود في الولايات المتحدة الاميركية « تعتبر اقل نسبة هجرة من اي قطر آخر ، اذ انها تقل عن ( ٠,٤٣ % ) من يهود الولايات المتحدة » فليس هناك ما يدعو الى القلق والخوف . ويلفت المؤلف الانتباه الى ارتفاع نسبة الهجرة من الدول الأخرى ، مثل اميركة الجنوبية والاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الغربية والدول العربية ، وبعض الدول المختلفة الأخرى من شمال أفريقيا . وتبدو اهتمامات المؤلف محصورة في دراسة الهجرة كجما ، وليس في دراستها نوعيا . فعلى الرغم من ذكر الكائنات لكفاءات المهاجرين الدائمين او المؤقتين بين الاميركيين ، فهو لا يحلل ابعاد الدور الذي تقوم به هذه الكفاءات المهاجرة في بناء الهيكل الاقتصادي والعسكري لدولة اسرائيل . فهو يذكر ان (١٢٥) أسرة اميركية هاجرت الى اسرائيل بعد عام ١٩٦٧ ، وان ٢٦ من افراد هذه الاسر متخصص في شؤون الطيران الحربي ، و ٢٦ منهم من الطيارين العسكريين السابقين ، و ١٨ من مهندسي الرادار ، بالإضافة الى عدد لا بأس به من خبراء عمليات التشويش على الرادار . ويذكر المؤلف ايضا ان « من بين مئات المهاجرين من الولايات المتحدة عددا من الفنيين والمهندسين الذين هاجروا بسبب تخفيض برنامج الفضاء الاميركي » ، و « ان المشروع الذري والصناعات الهندسية والإلكترونية بجانب مطار اللد قد طمعت بكثير من الخبرات الاميركية » . على الرغم من كل ذلك يعتبر المؤلف ان الدافع الديني « من أبرز دوافع الهجرة الحالية من الولايات المتحدة » الى اسرائيل .

تخت عنوان « الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي » يذكر المؤلف ان هجرة يهود الاتحاد السوفياتي قبل عدوان حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ كانت « تتم بشكل محدود جدا وفي نطاق برنامج جمع شمل العائلات بالنسبة للمتقدمين بالسفر ... » . ويذكر المؤلف ايضا ما تردده الصحفي الاسرائيلية احيانا من اخبار « مفادها ان الاتحاد

يتوقع المراء ، بعد القاء نظرة على عنوان كتاب السيد تيسير النابلسي ، احد امرين : الاطلاع على دراسة احصائية منظمة لاعداد اليهود المهاجرين الى اسرائيل واعداد النازحين (الهجرة المعاكسة) ، او دراسة تحليلية لوضع الهجرة والهجرة المضادة بين والى اسرائيل ، واسبابها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ولكن جاء بحث السيد النابلسي لا علاقة له بالدراسة الاحصائية ، او بالدراسة التحليلية العلمية التي كنا نتوخاها من الكتاب . فالنابلسي يقول في مقدمة بحثه « ان اهمية المواجهة في ميدان الهجرة كانت الحافز لهذا الكتاب ليسهم في بحث الجوانب المختلفة للهجرة اليهودية وقضاياها في المرحلة الراهنة » . فهل اسهم المؤلف ، حقا ، في بحث الجوانب المختلفة للهجرة اليهودية ، وهل بحث في قضايا مرحلتها الراهنة ؟

عند الحديث عن حركة الهجرة الى اسرائيل بعد عدوان ١٩٦٧ يبدأ المؤلف بالقاء نظرة عامة على حركة الهجرة ، ويعرض ارقام المهاجرين الى اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٠ ، ويعرض لنا ايضا ارقام التي تنشرها الجهات الاسرائيلية الرسمية بالإضافة الى تصريحات الرسميين المتعلقة بهذه الهجرة . وينقل المؤلف بعد هذا التمهيد ليعرض ارقام نفسها بصورة تفصيلية ، موزعة في جداول مختلفة ، وذلك حسب البلاد التي قدم منها المهاجرون وحسب المهنة والجنس والعمر .

ومن قراءة الفقرات المخصصة في كتابه لمعالجة دوافع الهجرة من الولايات المتحدة الاميركية ومن دول أوروبا الغربية الأخرى ، ولمعالجة « عوامل ضعف الهجرة من الولايات المتحدة الاميركية وكثده وعودة المهاجرين ثانية الى الولايات المتحدة » ، يفهم من هذه القراءة انه لا خطر من هجرة يهود الولايات المتحدة الى اسرائيل ، وان دور هذه الهجرة في تقوية بناء الدولة الاسرائيلية ودعمه ضعيف ومحدود . فالؤلف يقول - بعد اخفاق الحركة الصهيونية في احاطة اليهود في الولايات المتحدة الاميركية بجزء نفسي للمدى الذي يدفعهم للهجرة - يقول ان دوافع الهجرة من الولايات المتحدة الى فلسطين المحتلة « تبقى محدودة ببعض

العربي الموجه ضد العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٦٧ ، رغم سلبياته العديدة ، انه يركز الشعور بالخطر على مصر الدولة الصهيونية والسكان واثار فزعهم أشد القلق ، وكان هذا دافعا لمزيد من الهجرة المعاكسة . فإذا ركزت « إيجابيات الاعلام العربي » الشعور بالخطر على مصر الدولة الصهيونية فسلبيات هذا الاعلام ركزت الشعور بالخطر على مصير الدول العربية منذ حرب حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ . وإذا كان من نتائج « إيجابيات الاعلام العربي » انها اثارت القلق في نفوس السكان اليهود مما دفعهم الى المزيد من الهجرة المعاكسة ، فحرب حزيران ونتائجها زادت من معدلات الهجرة الى اسرائيل وخفضت معدلات الهجرة المعاكسة . ولئن مما اقتراح السيد المؤلف بالجهاز الاعلامي المطلوب ، فهو يرى « ان قيمة اي عمل اعلامي » بخصوص التأثير في حركة الهجرة اليهودية من فلسطين الى الخارج « تعتمد اولا على استمرار الكفاح المسلح ضد الوجود الصهيوني الفاضب على ارض فلسطين » . . . ولكن ، هل غاب من ذهن المؤلف ان يذكر دور الاعلام المهم في خلق الكفاح المسلح وزيجه في ارض فلسطين ؟ لعل في نظرة خاطفة على النتائج التي حققتها الاعلام العربي بشأن المقاومة المسلحة في غزة اجابة على هذا السؤال . وعلى الرغم من حديث المؤلف عن « توفر فرص اقتصادية أفضل » خارج اسرائيل ، فهو لا يخبرنا بالفرص الاقتصادية الاسوا داخل اسرائيل .

القسم الثاني من بحث المؤلف النابلسي يتعلق بقضايا الهجرة ، يتحدث فيه عن قضايا استيعاب المهاجرين وتنظيم الوزارات والدوائر التي تشرف على الاستيعاب ، وعرض المشاكل الرئيسية التي تواجه عملية استيعاب المهاجرين الجدد وانجازات دوائر الاستيعاب ونقائصها . الى ان يخلص المؤلف الى الحديث عن « الاساليب المختلفة لاستجلاب المهاجرين » . وجاء معظم حديثه في هذا الفصل لا علاقة له بالبحث موضوع الكتاب . فالمؤلف يتحدث في معظم كتابه عن الاساليب المختلفة لترغيب وترهيب يهود العالم للهجرة الى اسرائيل منذ نشأتها . وهذا ليس له علاقة « بحركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ » وهو عنوان الكتاب . وعلى الرغم من تكرار المؤلف للمواد والمعلومات في اكثر من موضع في كتابه ، فهو لا يشرح لنا اسباب اسكان المهاجرين في مناطق مختلفة ودوافع هذا

الصوفياتي ميسمح بهجرة يهود روسية الى اسرائيل بعد انسحاب اسرائيل الى حدود الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ . يمكن القول ان كلمات المؤلف هذه هي كل ما خصمه للحديث عن هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي ، وان القسم الخبثي من معالجه لموضوع هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي اتى على شكل ( ريبورتاج ) صحفي ، جيع فيه المؤلف ما تنشره الصحف اليومية من تصريحات وتعليقات للمسؤولين ، وجاءت معالجه لهجرة يهود الاتحاد السوفياتي مردا لحملات الصحف الاسرائيلية على الاتحاد السوفياتي ولردود الاتحاد السوفياتي على هذه الحملات . والمؤلف ، بذلك ، لم يتحدث عن هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي ، ولا كيف تتم ؟ وتحت اية ظروف ؟ وما هي الدوافع والاسباب ؟ وما هو مستقبل الهجرة ؟ وما علاقة هذا المستقبل مع التسوية السياسية لازمة الشرق الاوسط نظرا للدور الكبير الذي يقوم به الاتحاد السوفياتي فيها ؟

يفرد المؤلف من كتابه فصلا كاملا لمعالجة حركة الهجرة المعاكسة ( النزوح ) ودوافعها . وجاء هذا الفصل ، كغيره من الفصول ، ناقصا ومشوها . فعلى الرغم من ذكر المؤلف لاعتداد النازحين من اليهود بعد عام ١٩٦٧ ، فهو يصر على تخصيص عدة صفحات من هذا الفصل للحديث عن حركة النزوح خلال الفترة من ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ ، بينما موضوع بحثه هو حركة الهجرة اليهودية بعد عام ١٩٦٧ . ونعني هنا انه من الأفضل لو تحدث عن حركة النزوح قبل عام ١٩٦٧ . تسمى من الاجاز والتلخيص . ويوجز المؤلف في نهاية الفصل اسباب الهجرة المعاكسة باسباب ثلاثة : « اسباب أمنية : الخطر من نشوب قتال وعدم استقرار الدولة الاسرائيلية ، اسباب اقتصادية : ازدهارها ، توفر فرص اقتصادية أفضل في الخارج ، اسباب اجتماعية : تتعلق بفشل استيعاب المهاجرين واندماجهم في المجتمع الجديد اسكانا ولغة وثقافة » . . . مما لا شك فيه ان هذه الاسباب جوهرية واسبابية ، الا ان المؤلف وقع في مغالطات عديدة في اثناء بحثه لهذه الاسباب بالتفصيل . اذ بعد ان وضع للشعوب العربية فشل الاعلام العربي قبل حرب حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ - وهذا لا يعني انه ناجح في يومنا هذا - نجد من يقتر ويصنف « إيجابيات الاعلام العربي » . فيقول المؤلف بهذا الخصوص ان من « إيجابيات الاعلام

السكان ، فهو يذكر مثلا استيطان « ٦٦ » من المهاجرين الجدد في المنطقة الساحلية واستوطنين الباتون مناطق التبية وفي مدينة القدس ، وتم توزيع ال ٣٤٪ الباقية في مناطق أخرى ، إلا أنه لا يذكر لنا اسباب هذا التوزيع ودوافعه الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

يختتم المؤلف بحثه بتحليل العوامل التي تساعد على الهجرة لإسرائيل ، ويربط تصاعد ، أو هبوط ، الخط البياني للهجرة « باستمرار حالة الحروب أو قيام حالة هدوء في هذه المنطقة » . هذا صحيح إلى حد بعيد ، إلا أن يستبعد المؤلف « الدافع الاقتصادي » للهجرة إلى إسرائيل فهذا ما لا نوافق عليه . فهو يعتقد أن أغلبية اليهود الساحة تعيش مستوى معيشيا عاليا ، « ولهذا فمن المستبعد أن يكون للعامل الاقتصادي أي تأثير في تحريك هجرة واسعة » إلى إسرائيل . بينما ، في رأينا ، أن الاضطهاد الذي تعاني منه الطبقة العمالية - ومنها العمال اليهود - في البلدان الرأسمالية ، تلقتله الأيديولوجية الصهيونية في البلدان الرأسمالية لتحوله في أذهان العمال اليهود إلى اضطهاد عنصري موجه ضدهم بالذات . وتطرح الصهيونية أمام هؤلاء بان الصل الوحيد يكمن بالخلاص النهائي من الاضطهاد والتوجه إلى إسرائيل حيث يستعيد اليهودي مكانته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على أرضه . هذا ويمكن أن نضيف أن البطالة المنتشرة في الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية ينسب متفاوتة بالإضافة إلى ارتفاع مستوى الأسعار ومستوى المعيشة في هذه البلدان ، يمتد تأثير ذلك حتى يمس الحالة المعيشية ليهود البلاد الرأسمالية ، مما يقوي حافز الهجرة عندهم . ويمكن أن نضيف أيضا أن الحروب العسكرية الاقتصادية غير المجدية التي تتوعداها الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام ، تدفع يهود الولايات المتحدة إلى الهرب من الجندية في الجيش الأمريكي إلى كندا ومن ثم اللجوء إلى إسرائيل خلاصا من ويلات الحرب الفيتنامية . هذا من العامل الاقتصادي في دفع هجرة اليهود إلى إسرائيل من الدول الرأسمالية ( الغنية ) . ولم يتحدث المؤلف عن دور العامل الاقتصادي وراء الهجرة اليهودية من البلدان المتخلفة ، إذ لا يمكن تجاهل ذلك على الإطلاق . فالاضطرابات السياسية والعسكرية في البلدان المتخلفة تؤدي إلى أحد أمرين : أما إلى فتح الجماهير واستغلال قسوى

العمل وفوضى الإنتاج وعدم الاستقرار السياسي والحياتي والتخلف الثقافي والفكري والفقر المادي والايديولوجي والمالي للسكان ، مما يدفع اليهود من سكان هذه البلاد إلى البحث عن الاستقرار والتخلص من كل ذلك بالهرب خارج البلاد وبالهجرة إلى إسرائيل بتشجيع من المنظمة الحاكمة في تلك البلاد ، أو تؤدي إلى انتصار القوى الوطنية في البلاد المتخلفة ، إذ تبدأ الصهيونية باستغلال حالة التخلف الثقافي والسياسي لنسبة كبيرة من السكان اليهود في تلك البلاد ، فتصور لهم انتصار الحركات الوطنية والاشتراكية على أنه مؤشر لزيد من الفوضى ، فتعمل على دفعهم للهجرة بسريرته كبيرة .

ولا يرى المؤلف في الدافع الديني أي أثر على حركة الهجرة ، « وحتى الانتباه للفكرة والمعتقد الصهيونية .. لم يستطع أن يحرك هجرة اليهود على نطاق واسع » . بل أن الذي يحرك هجرة اليهود واسعة في رأي المؤلف ، « هو عامل الضغط والاكراه والخوف من الاضطهاد والشعور بالخذاء والاحتقار » . ليس المهم أن تعرف إذا كانت الهجرة تتم على نطاق واسع أو ضيق ، فالأهم أن تحل الهجرة الحاصلة نوعيا وليس كليا . وبسبب أن المؤلف لا يرى إلا « عامل الضغط والاكراه والخوف من الاضطهاد .. » وراء حركة هجرة اليهود إلى إسرائيل ، فهذا ليس كل الحقيقة . فهناك عوامل عديدة أخرى تساعد على الهجرة إلى إسرائيل أولا ، الدعم الصهيوني العالمي الذي تقدمه الصهيونية إلى إسرائيل عبر مؤسساتها الاقتصادية القائمة في العالم ، وعبر نفوذها السياسي العالمي ، وعبر ما تملكه من أسهم ضخمة في وسائل الإعلام التجارية العالمية ( صحف ، وكالات ، إذاعات محلية ) ، إذ تعمل الصهيونية على تصوير إسرائيل في ذهن اليهودي على أنها الدولة النموذجية الوحيدة . ثانيها ، الانتصارات العسكرية الإسرائيلية ، حيث أن نشوة الانتصار في اعتقادات كل حرب تدفع بالعديد من اليهود للهجرة إلى إسرائيل لتكادهم اليقين من القوة والقدرة العسكرية الإسرائيلية . فاعداد المهاجرين في الأعوام التي تلت حرب حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ زادت بنسب ملحوظة وبلغت عام ١٩٧٠ ما يزيد عن نسبة عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ معا . وثالثها ، دعم الدول الرأسمالية لإسرائيل ، حيث تعتبر إسرائيل موطنا اقتصاديا خصبا للاختراعات والشركات الرأسمالية العالمية .

عدوان ١٩٦٧ . ان الدراسة ليست اكثر من جمع لتصريحات وبيانات اطلقتها مسؤولون في اسرائيل ، ونشرتها الصحف والنشرات الاسرائيلية الرسمية حاول المؤلف ربطها ببعضها بعضا ، فجات دراسته متناقضة في اكثر من موضع ، واكثر من مكان .

## مصطفى كركوتني

### عبد المنعم سعد ، السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية ( القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للسينمايين ، ١٩٧٢ ) .

التسجيلية والقصيرة ، التي تستطيع جميع الدول العربية بلا استثناء — حتى التي لا تنتج الافلام الروائية ، او التي لا يوجد بها صناعة سينما بالمفهوم الفني — ان تشترك بها في هذه المؤتمرات . . بيدو ان المؤلف واقع في اعتقاد سهولة الفيلم التسجيلي ، وانه لا يعدو كونه تسجيلا لما يدور في الواقع . الفيلم التسجيلي هو الفيلم الذي يتعامل مع الواقع لا الذي يصوره نصب . وهو ايضا انتقاء وتاثير ضمن وجهة نظر علمية مدركة ضمن موضوع يخفص للثامى ويوجد حالات من الانتباه ويدعو لاتخاذ موقف ازاءها ، موقف منحاز كليا . ان اي مؤسسة من مؤسسات القطاع العام لا يمكنها ان تقيم صناعة سينما روائية متقدمة دون ان يكون لها اساس تسجيلي متين ومتطور . يعود المؤلف فيقول في صفحة ٤ : « ولا شك ان احسن وسيلة سريرية فعالة هو الاشتراك في هذه المهرجانات بالفيلم التسجيلي ، اذا ما تعذر وجود فيلم روائي يصلح او يساهم عرضه في خدمة اهداف القضية الفلسطينية » . في هذا يعتبر المؤلف ان الفيلم الروائي هو الاعم ، وفي حالة تعذره لا باس من المساهمة بالفيلم التسجيلي ، في حين يدرك كل المعنيين بشؤون السينما في العالم أهمية الفيلم التسجيلي ليس في عكس واتسع حركات التحرر نصب بل في اضافة معنى جديد للواقع من خلال عملية الانتقاء والفرز والتطبيق . ثم كيف تنتج سينما القطاع العام العربية افلاما تسجيلية عن القضية

وتمثل الاستثمارات الرأسمالية الاجنبية جزءا مهما من القطاع الخاص الصناعي الاسرائيلي . فالرهان على استمرار الدعم الرأسمالي والاطمئنان الى القوة التي تمثلها الدول الرأسمالية يشجع يهود العالم على الهجرة والسكن في اسرائيل .

دراسة المؤلف جاءت بعيدة كل البعد عن النظرة التحليلية لواقع الهجرة اليهودية ، كما انها ليست دراسة احصائية منظمة لحركة الهجرة اليهودية بعد

يحاول المؤلف في هذا البحث مناقشة اهية الفيلم السينمائي واهية الارشيف لسينما القضية الفلسطينية . كذلك ما يمكن ان يلعبه فيلم القضية في مجال مهرجانات السينما . انه لمن المفيد جدا تنبيه مؤسسات القطاع العام في عالمنا العربي التي تخصص جانب من نتائجها السينمائية لقضية فلسطين . ولكن تقديم بحث وتعميمه يحتاج في ذات الوقت للتوغل في سبيل توضيح نوعية الافلام واستايلها ، بمعنى اي الافلام اكثر ملاءمة للتعامل مع الواقع ومنحه بعدا يحتوي وجهات نظر حركة المقاومة الفلسطينية .

في مقدمة الكراس الذي يقع في ٣٥ صفحة من القطع المتوسط ( رونيو ) يوضح المؤلف وبشكل تقريبي ، الصراع المتصاعد بين الدول العربية واسرائيل ، وان هذا الصراع يستلزم تصدي الامة العربية للاعلام الصهيوني عبر الفيلم السينمائي ، كذلك يعتقد المؤلف ان الشعب العربي هو في صراع ضد الامبريالية والصهيونية العالمية ، دون ان يشير الى خطورة الرجعية العربية ودورها الخطير في تفويت القوى الوطنية واضعاف دورها في المعركة ، لان نضال الشعب العربي هو نضال ازاء ثالوث الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية . يقول المؤلف « . . وبصرف النظر عن اشراك الدول العربية في بعض المهرجانات السينمائية الدولية بالافلام الروائية التي تجسد المستوى الحضاري والثقافي للامة العربية ، فان ما يهمنا في هذه المرحلة ، التركيز على انتاج الافلام

الفلسطينية ، وبالسبب التي امتعتها المؤلف 11-  
أن تقديم أعمال تسجيلية عن القضية الفلسطينية  
تتطلب مقادير أروقة الاستوديوهات ومعايشة  
القضية في مواعها والاندماج كليا فيها والا فان  
الاشربة ستاتي باهتة وهابرة .

بعد ان يستعرض لنا المؤلف مهرجانات السينما  
التي تعنى بالافلام التسجيلية يوضح وجهة نظره في  
اهمية الفيلم ضمن القضية الفلسطينية . لنقرأ  
ما يقوله بالنص « قبل الحديث عن دور الفيلم  
السينمائي في قضية فلسطين ، ينبغي الاشارة - في  
لمحة سريعة - الى ماهية الفيلم التسجيلي بمفهومه  
الفني . وتطوره . بين الفيلم التسجيلي والفيلم  
الروائي لاختلاف جوهرى متشعب النواحي ،  
فالفيلم الروائي غايته أولا - وقبل كل شيء -  
الربح المادي ، والعكس تماما مع الافلام التسجيلية  
والقصيرة فلم يكن الربح يوما اساس تلك الافلام .  
ومن ثم نجد ان الدول في جميع بقاع الارض هي  
التي تقوم بانتاج مثل هذا النوع من الافلام . لا  
ادري اي فهم لدور السينما عبر الفيلم الروائي  
يدور في ذهن المؤلف واية فتاعة دعت مؤسسة  
السينمائيين في مصر لتعميم مثل هذا الرأي . اذا  
كان الهدف من انتاج الفيلم الروائي هو الربح  
المادي فان ذلك يتعلق بانتاج مؤسسات القطاع  
الخاص كونها مؤسسات تجارية ، اما مؤسسات  
القطاع العام فانها تنشأ بدوافع واهداف فكرية  
بحثة ، وان كل قرارات التأسيس في الاسباب  
الموجبة لتشريع قوانين مؤسسات القطاع العام  
السينمائية تشير الى اهمية الفيلم السينمائي  
واستخدامه كوسيلة فكرية واعلامية ، اما اذا ما در  
هذا الفيلم او ذلك ايرادات جيدة لشباك التذاكر  
فانما بسبب قدرة الفيلم على التعبير عن تطلعات  
اوسع الجماهير ومدى امكانية كادره الفني في  
تحقيق شريط متماسك الوحدات ، فالتوجه الفكري  
في السينما هو الأساس وليس شباك التذاكر ،  
لذلك فان اكداس الاشرطة من تلك التي استهدفت  
الشباك قد اخفقت في هدفها ، وما اندماج كثير من  
كبريات شركات الانتاج العالمية في بعضها البعض  
الا الدليل على هذا . لقد حاول الكثير انتاج افلام  
روائية عن القضية الفلسطينية لحساب القطاع  
الخاص وفي فترة اندلاع الثورة المسلحة وتلاحم  
الجماهير العربية مع الاطلافة ، لكن كل ما انتج  
من افلام قد اخفق فيما استهدفه لانه لم يكن قد عبر  
عن القضية الفلسطينية بصدق ولان كل هذه الافلام

قد شوهت شخصيته القذافي ضمن اجولة لا تحت  
الى واقع الشعب الفلسطيني وواقع حركة المقاومة  
بشيء .

يشير المؤلف في صفحة ( ٨ ) الى قادة حركة الفلم  
التسجيلي ، ونسى ان يذكر الهولندي ( يوريس  
ايفانس ) الذي جال العالم في تحقيق افلام تسجيلية  
اذ اخرج اول افلامه عام ١٩١١ عندما كان عمره  
ثلاثة عشر عاما فقط . والسوفياتي ( دزيجا فيرتوف )  
مكون جماعة ( سينما - عين ) الذي اعلن في بيان  
عن ضرورة هجرة الاستوديو والتوجه الى الحياة  
كما اشار الى ان ( كافالكانتي ) هو فرنسي بينما  
هذا المخرج برازيلي ولد عام ١٨٩٧ ويعتبر من اهم  
السينمائيين المعاصرين في العالم . لكنه عمل لفترة  
في فرنسا كمهندس ديكور ثم تحول الى مخرج عام  
١٩٢٦ بفيلم ( لا شيء سوى الساعات ) قصة  
( جي دي موباسان ) . كما اعتبر بودوفكين  
وازنشتاين من التسجيليين بينما هما مخرجان  
روائيان معروفان .

وفي محاولة من المؤلف لتحديد ابعاد النظرة للموقف  
العربي الاسرائيلي لجأ الى نشر النقاط العشر التي  
حددها عبد الناصر في مؤتمر البرلناتيين الدوليين  
المتعد في القاهرة بين ( ٢ - ٥ شباط ١٩٧٠ ) .  
وبعد ان ينشر هذه النقاط يعود الى القول « ان  
اسلوب الدعاية بالافلام هو الذي يحدد مصير  
الحروب » . لا يمكن ان يمتد اي انسان فيبين  
عالم التكنولوجيا والصراع القائم بين الشعوب  
المكافحة والامبريالية ان مصير الحروب يتحدد  
باسلوب الدعاية بالافلام والا لوجدنا نسبة  
الاعتمادات في ميزانيات كل الدول تزيد في مجال  
السينما عن اعتمادات الوزارات العسكرية .  
السينما ليست اكثر من اداة تسهم في بث الوعي  
وفي عملية التنبيه وفي فضح العلاقات الزائفة وتأكيد  
حالة الصراع الطبقي وتصعيده لتسهم بدورها - عبر  
هذا في عملية التغيير والتطور . ولكن اشارة المؤلف  
بخصوص التهيئة الاعلامية للصهيونية قبل حزيران  
يونيو ( ١٩٦٧ ) كانت ذكيرة . يقول المؤلف في  
صفحة ( ١٧ ) « قبل معركة يونيو ١٩٦٧ هزت  
اوروبا افلام عن اضهاد النازية لهم . . . مما ساعد  
على تكوين رأي عالمي يسانداهم ويتعاطف معهم . . .  
بل ان اسرائيل - تنهج في سياستها الاعلامية -  
طريق السينما ، نهج المانيا النازية - وتسعى في  
خطاها . فقبل ان يجتاح الالمان الفرويچ ، ايان



الحرب العالمية الثانية ، بفترة قصيرة دعوا ملية القوم في اوسلو الى عرض سينمائي خاص حيث شاهدوا الفيلم الالماني عن الحملة البولندية ، وعرضوا جزءا من هذا الفيلم في نهاية الفيلم الامريكى ، الاعداء الذين ننظرهم ، وأوحى الفيلم بفكرة عن اثر الحرب على النرويجيين الالمين المحبين للسلام . هذه هي الطريقة النازية في استفلال السينما في الحروب ، وهي الطريقة التي تتعامل بها اسرائيل اليوم .

يحاول المؤلف ان يحدد عشر قضايا كمادة للفيلم التسجيلي عن القضية الفلسطينية : القضية الاولى ( تطور القضية الفلسطينية ) ويقترح فيها عرض الموضوع بدءا من مؤتمر بال ١٨٩٧ حتى ١٩٤٨ ، ويريد المؤلف تصوير الشعب الفلسطيني ونضاله المسلح من اجل تحرير الارض من الاستعمار الصهيوني المتحالف مع الامبريالية العالمية ولائمة الدولة الديمقراطية . القضية الثانية - شرعية المقاومة الفلسطينية - فيلم يتناول شرعية الكفاح المسلح من خلال تجربة التامر السذي حدث ضد الشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور حتى قرار الامم المتحدة عام ١٩٤٧ لمعارضتها لحق الشعوب في تقرير المصير . القضية الثالثة - نظام الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية المحتلة منذ عدوان ١٩٦٧ - يتناول هذا الفيلم ما انتهتجه اسرائيل من اجراءات ادارية ضمن الاراضي المحتلة في عدوان ١٩٦٧ ومخالفة ذلك للاتفاقات والقوانين الدولية وذلك باصدارها مالا قانون الاحكام الادارية والمحاكم المدنية وانشاء المستعمرات لاستيطان رعاياها على حساب تشريد عشرات الالوف من المواطنين ونسف المنازل ضمن اجراءات اريابية . القضية الرابعة - قرارات الامم المتحدة عن اللاجئين الفلسطينيين - فيلم يتناول قرار الجمعية العامة بالسماح للاجئين الراغبين في العودة الى منازلهم ، ورفضهم للعودة دون الاعتراف بحقهم الكامل ، وتوضيح موقف اسرائيل من قرارات هيئة الامم المتحدة . القضية الخامسة - آثار اغلاق القناة على اقتصاديات عدد كبير من الدول - فيلم يوضح اهمية القناة كشریان مائي للتجارة العالمية بين الشرق والغرب ، خاصة البترول بين مصادر انتاجه واسواق استهلاكه ، وشرح اهمية هذه القناة منذ افتتاحها في ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ حتى اغلاقها في ٥ يونيو ١٩٦٧ وتأثير ذلك على الصناعة في أوروبا الغربية والدول

النامية في آسيا وافريقيا . القضية السادسة - حرب يونيو ، ودلائلها وتطوراتها - فيلم من جوانب حرب يونيو ودوافعها وكونها ليست صراع حدود بين دولتين ، انما هناك اولويات مهيأة للعدوان وضحت في التوتر والاستنزاف في عام ١٩٦٦ على سوريا والاردن . القضية السابعة - اثر الأوضاع الناتجة عن حرب يونيو على السلام العالمي - فيلم يوضح الانتهاك الذي قامت به اسرائيل للقانون الدولي ولاتفاق الامم المتحدة ولاتفاقيات الهدنة ، ومن خلال هذا الخرق يوضح الفيلم الموقف الحتمي والطبيعي للمقاومة ، الامر الذي سيدفع الى مواقف لاطراف خارج الصراع المباشر مما يشكل تهديدا للسلام العالمي . القضية الثامنة - سياسة اسرائيل من وجهة نظر القانون الدولي والاعلان العالمي لحقوق الانسان - فيلم يعرض استيلاء اسرائيل على مساحات واسعة من اراضي العرب بأساليب العنف وطرد السكان العرب وراء خطوط الهدنة كما حدث في مذبحة كفرقاسم التي زاح ضحيتها ٥٥ عربيا بينهم ١٢ امرأة وعشرة اطفال . واستعراض السياسة التي انتهتجه اسرائيل ما بين ٤٨ - ١٩٦٧ في خرقها القانون الدولي ومبادئ حقوق الانسان . القضية التاسعة - العدوان تهديد للسلام العالمي - فيلم عن طبيعة عدوان ١٩٦٧ باعتباره حصيلة جؤامرة الامبريالية الامريكية ضد الشعوب العربية باعتبارها احدى فصائل حركة التحرر الوطني . وعلى اثر هذا العدوان وعبء الرفض الاسرائيلي لتنفيذ قرارات الامم المتحدة فان الوضع في الشرق الاوسط صار يهدد السلام العالمي من خلال الصراعات الدولية وموقفها من الاطراف المتصارعة . القضية العاشرة - سياسة اسرائيل في ضوء القانون الدولي - يتعرض هذا الفيلم الى انتهاكات الاسرائيليين للقوانين والعرف بجرائمهم واعتبارهم المقاومة حركة غير شرعية خلافا للقوانين والمشررات الواردة في معاهدة لاهاي عام ١٨٩٩ ومعاهدة جنيف عام ١٩٤٩ في حق الشعوب باللجوء الى الكفاح المسلح ضد اي غزوة .

هذا المنهاج السينمائي المطروح للعمل والذي يحتاج انتاجه دون شك الى دراسات ووثائق وارشيف سينمائي ، متناول من وجهة نظر رسمية يبغى المؤلف من ورائها مخاطبة الراي العام العالمي من وجهة قانونية لادانة اسرائيل وادانة الامبريالية

بقيادة الولايات المتحدة، والمندمج المقترح ليس  
العموم لا يأس به إذا حسنا بقدسه مؤسستات  
القطاع العام السينمائية العربية لأنه كما أرى  
أعلى طموح يمكن أن تلتزم بها انطلاقاً من طبيعة  
بنيتها الطبيعية . أما السينمائي الثوري الذي يعيش  
إزمة الصراع داخل وطنه ويدرك أبعاد القضية  
الفلسطينية ضمن الواقع الطبقي في المنطقة فإن  
رؤيته السينمائية تأخذ أبعاداً واضحة لا تحدها  
مواثيق جنيف وقرارات الأمم المتحدة الرمية خالجا  
ضمن ما هو حاصل في المنطقة . ان ثمة اشروطة  
بموضوعات كثيرة يجب تحقيقها عن علاقة حركة  
المقاومة الفلسطينية ، باعتبارها حركة مسلحة ،  
بالواقع السياسي العربي وكذلك بالجمهير العربية  
واساليب نضالها والتحامها بحركة المقاومة ، كذلك  
الشخصية الفلسطينية التي تناثرت في اقطار عدة  
وتكاد تنقد ملامحها وعاداتها وتقاليدها وتراثها  
ولغتها . فالفلسطيني الذي يعيش في العراق صار  
يكتسب بمرور الوقت ملامح الشخصية العراقية ،  
وفي سوريا ملامح الشخصية السورية ، وهكذا ،  
وفي هذا عملية اغتيال انسانية بشعة . هنا تأتي  
أهمية الفيلم السينمائي في تسجيل خصائص  
الشخصية الفلسطينية ، وعرض مثل هذه الافلام  
يعني تأكيد هذه الخصائص عند المشاهد الفلسطيني .  
ان سعة القضية الفلسطينية وجزئياتها تتطلب  
تجنيد امكانات السينمائيين الشباب واتاحة الفرصة  
لهم لتحقيق الاشرطه وتعميمها . ولكن الواقع يمكن  
في بعض الحالات ان يتجه ( موضوعيا ) بعكس  
التيار المتقدم فيعثره ولو لفترة وحتى يتم التفاعل  
بينهما . المطلوب مثلا من مؤسسات القطاع العام  
عمل دورات تدريبية في السينما للشباب الفلسطيني .  
هذه مسألة قد تبدو بسيطة ومسهلة التحقيق ،  
ولكن ما هو حاصل ان مجال السينما ضمن المعركة

تكاد يطول من الشباب الفلسطينيين الارشيف  
السينمائي المركزي ، المبرهن ان يكون قد تحقق  
منذ زمن لا سيما وان قرارات عدة قد اتخذت  
بهذا الشأن ، ولكن ما هو حاصل ان اي سينمائي  
شاب يحتاج الى وثيقة سينمائية مانه يتمتع بملك  
الحصول عليها الا عبر مكاتب الارشيف الاجنبية .  
وفي هذا الخصوص يشير مؤلف الكراس ( او كاتب  
التقرير ) الى ما جاء في توصيات لقاء السينمائيين  
والتلفزيونيين العرب المنعقد في مهرجان لايبزيغ في  
شهر نوفمبر ١٩٦٦ - العمل على ايجاد ارشيف  
سينمائي عربي مركزي يضم موادا من الوطن العربي  
ومن خارجه عن القضية الفلسطينية ويكون مفتوحا  
امام السينمائيين والتلفزيونيين العرب - ويواصل  
المؤلف اقتراحاته في تجميع الاسلام المنتجة عن  
القضية والاحتفاظ بنسخ منها ( ٣٥ و ١٦ ملص )  
والاتصال بالهيئات والمؤسسات السينمائية الاجنبية  
التي صورت افلاما او لقطات عن القضية وشرائها  
بقية ايداعها في الارشيف . وينهي تقريره بضرورة  
تنسيق عرض الافلام الخاصة بالقضية الفلسطينية  
في مهرجانات السينما . وكما اوضحنا فان عدد  
المهرجانات يبلغ ٧٣ مهرجانا في العام اي بمعدل  
مهرجان واحد كل خمسة ايام . ومفيد ان نجد في  
نهاية الكراس اسماء المهرجانات وعناوينها  
ومواعيد انعقادها . في الختام نقول انه رغم  
وقوع المؤلف باخطاء وارتباكات مكرمة الا ان جهده  
في كتابة التقرير يعتبر على الاقل عملية تبيته  
لؤسسات القطاع العام السينمائية في ادراك اهمية  
التوجه نحو القضية الفلسطينية عبر افلامها التي  
كانت مفرقة بفهم مثالي للواقع وعبر اشكال  
سينمائية مستهلكة وتقليدية .

## قاسم حول

كانت « شؤون فلسطينية » قد نشرت في العدد الماضي ثلاثة آراء حول المؤتمر الأخير لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين . وبينما كانت طباعة العدد الحالي على وشك الانتهاء ، وصلنا رأي آخر من الاخ عبد الرحمن غنيم . وعملا بحرية النشر ، وبضرورة عرض مختلف وجهات النظر الأساسية حول هذا الموضوع الهام ، ننشر هذا الرأي الجديد الذي يمثل ، كما بالنسبة للقراء السابقة ، وجهة نظر صاحبه . وتامل شؤون فلسطينية ان يتبلور الحوار الدائر حول اتحاد الكتاب الفلسطينيين في نتائج ايجابية مثمرة وان يتجاوز الحساسيات والمواقف الشخصية والتنظيمية . هذا وقد ابحنا لانفسنا اجراء بعض التعديلات على ما كتبه الاخ عبد الرحمن غنيم بالنظر الى وصول المادة متأخرة جدا فنرجو العذر من الاخ غنيم .

## شؤون فلسطينية

### الرسالة الاولى

#### رأي آخر في المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

العضوية في المؤتمر ان يستحق ومن لا يستحق ، ومن التسهيلات المالية التي أعطيت لوفود بعض المنظمات في المؤتمر ، بالإضافة الى المبالغ الكبيرة التي وضعت تحت تصرف اللجنة التحضيرية ، لا يمكن أن يكون مبررا لاضفاء صفة الشرعية على مؤتمر دعيت الى عقده ، واشترفت على عقده لجنة غير شرعية ، يشكل تكوينها اعتداء على اتحاد قائم ، له نظامه الاساسي ومؤسساته . ويعرف السيد ناجي علوش انه يضم أكثر من مائة وعشرين كاتباً لا مجال للتشكيك بحقهم في عضويته ، وان مسؤولية ضمه لا تقع على امانته العامة وهيئاته الادارية ، وانما تقع على الجهة المسؤولة في المنظمة ، والتي حجب كل عون عن الاتحاد ، ولم تمنحه امكانية عقد مؤتمر جديد ، بينما كان المرحوم خيرى حماد ورفاقه في الامانة يناضلون من أجل تطوير الاتحاد ، وعقد مؤتمر جديد موسع له . ولقد كان ناجي علوش واحداً من أسهبوا في اضعاف الاتحاد ، حين راح يبرز تلك المخصصات الهزيلة للغاية التي سحبت بها اللجنة التنفيذية لعقد مؤتمر ثالث للاتحاد ، فاحتجت الامانة العامة بانها لا تغطي نفقات المؤتمر ، وطلبت زيادتها ، فلم تستجب اللجنة التنفيذية

تضمن العدد الماضي من « شؤون فلسطينية » ثلاثة آراء حول مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ساهم فيها الاساتذة : بلال الحسن وشفيق الحوت وناجي علوش . ولقد تبينت الآراء حول المؤتمر ، وطرحت وقائع ، بعضها صحيح ، وكثير منها خاصة مما ذكره ناجي علوش — لا يمت الى الحقيقة بصلة . مثلها طرح ناجي علوش آراء ، أقل ما يمكن ان توصف به هو انها محاولة لتبرير كل المخالفات التي يتحمل هو شخصياً الجزء الأكبر منها . وكانت أول مظاهر هذه المحاولات ، محاولة تفضيل « المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين » على المؤتمرين الاول والثاني للاتحاد العام لكتاب فلسطين ، كتبريز للدور الذي لعبته « اللجنة التحضيرية » دونما سند قانوني ، مستقداً في هذا التفضيل الى أمرين : أولهما ، ضخامة مؤتمر الكتاب والصحفيين الذي عقد في بيروت مقارنة بمؤتمر اتحاد كتاب فلسطين في غزة والقاهرة . وثانيهما ، ان المؤتمر الذي عقد في بيروت ضم أدباء وصحافيين ، بينما ضمت المؤتمرات السابقة — حسب زعمه — أدباء فقط !

ان التفوق العددي ، والذي نجم عن اعطاء

الكلمة ، إذ كان ناجي علوش في مقدمة الذين يطلبون من الأمانة العامة أن تقبل بالمبلغ الرمزي لتغطية نفقات المؤتمر، وأن تعقد المؤتمر في مخيم الوحدات، والا عد مؤتمرا بوزجوازيا مترغعا على الجماهير .. وكنا نود لو أنه ضرب المثل على صدق تلك الحملة الظالمة على المرحوم خيري حماد وصحبته ، بمد مؤتمرا الكتاب والصحفيين في أحد مخيمات اللاجئين في لبنان أو سورية بدلا من عقده في بيروت ، ولكنه لم يفعل !

ثم ان ضعف الاتحاد السابق - إذا كان ضعفا ذاتيا حقا لا نتيجة مضايقته ومحاصرته - لا تتحمل مسؤوليته أمانته العامة ، وإنما تتحمل مسؤوليته هيئته الادارية ، والتي كان على رأسها ناجي علوش ( في الاردن ) ، وعبدالله الحوراني ( في دمشق ) ، وعابدين بنيسو ( في الكويت ) ، ومارون هاشم رشيد ( في القاهرة ) .

فليعترف هؤلاء بأسباب ضعف الاتحاد ، بدلا من ان يتحمل بعضهم على الأمانة العامة بغية الدفاع عن الجهة التي شلت الاتحاد ، وحالت دون تطويره عامدة متعمدة ، حين فشلت في احواله بالطرق الدستورية .

اما الحجة الثانية ، فمردود عليها ، إذ ان اتحاد الكتاب الفلسطينيين كان يضم في صفوفه الكتاب الصحفيين ، وكان نظامه الاساسي ينص على ذلك صراحة .. ولكنه لم يكن يضم مدهي الكتابة ، او تقبل أمانته العامة لنفسها بأن تمنح العضوية لمن لا تطبق عليه الشروط ، بينما كان البعض يتقدم بعشرات الطلبات التي تضم من يستحق ومن لا يستحق ، فإذا اعترضت الأمانة العامة على أحد هذه الطلبات ، عد اعتراضها جريمة ، لان عليها أن تقبل بها دون نقاش .. طلبا قبلت اللجنة التحضيرية بعضوية من وردت أسماؤهم في بزيات من مكاتب المنظمة أو معتمدي بعض هذه الجهات دون ان تتوقف عند أي اسم من الاسماء . وكان من الطبيعي أن يكشف الذين حضروا المؤتمر ، أنه كان مؤتمر كتاب وصحفيين وقراء ايضا .. الا ناجي علوش الذي يصر على انهم كانوا كتابا وصحفيين ، وان الايام ستؤكد « أن عندد الأدباء والكتاب والصحفيين الفلسطينيين اكبر من المشاركين في المؤتمر كثيرا » ، بعد أن مهد بالقول ان أحدا من الكتاب والصحفيين في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب لم يأت الى المؤتمر ، وبعد أن استبعد

العضوية من عندد الإقطاع التي جاء بها كتاب وصحفيون .. للدلالة على مركزه ، مع أن عندد التهديد لم يكن صحيحا ، بدليل اننا نعرف أنه جاء من ليبيا مثلا : ياسر محمود وعبد المجيد عابدين ، وجاء من السعودية نواز عيد .. فحتى في مثل هذه المسألة يخفي ناجي علوش الحقائق !

ان شهادات الاثبات التي يقدمها ناجي علوش يبدو انها جبيما غير صحيحة ، حتى تشكيلة اللجنة التحضيرية كما قدمها ، وعقب عليها لم تخل طريقتيه في التحدث عنها من التزييف المتصود ، حين جرمض على تعداد أسماء أعضائها ، وأضاف أنها « نيل أجيالا مختلفة ، واتجاهات مختلفة » وتضم « عددا من كتابنا وصحفيينا الكبار » - فهذه الصفات تخفي حقيقة أن كتابنا وصحفيينا الكبار قد قاطعوها ، وان تمثيل الاتجاهات المختلفة لم يكن منسجما بحيث اعطيت إحدى التنظيمات من البداية اغلبية مطلقة ، لتصبح اللجنة تحت سيطرتها المطلقة ، وهي أمور عاد ناجي علوش ليفضحها ، من حيث هو يحاول الدفاع عن لجنته التحضيرية . فكم هو مثير اعترافه القائل « حين بدأت اللجنة التحضيرية تجتمع اكتشفنا ان نصابنا لا يزيد دائما عن النصف زائد واحد » .. فالنصف زائد واحد ، نستطيع استخلاص أسماء ثمانية منهم كانوا يجتمعون باستمرار ، ويضاف اليهم واحد أو اثنان من الاخرين ، الذين حضروا اجتماعا أو اثنين ثم انفضوا عن اللجنة ، بينما قاطع ثلاثة آخرون اللجنة مقاطعة تامة ، فما هي انشاءات المجتمعين والتزاماتهم؟ ولماذا قاطع الآخرون اللجنة، او حضروا اجتماعا أو اثنين ، وذهبوا !! ألم يكن ذلك بعد ان اكتشفوا اتجاه النوايا من جهة ؟ وبعد ان عرفوا ان تكليفهم تضمن اكدوية سفارة حين ورد في مطلعهم أن اللجنة التحضيرية شكلت بناء على قرار من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية دون ان يكون هناك اي قرار؟ لكن ناجي علوش يتهم هؤلاء جبيما بالاهمال .. وهذا الاتهام ضروري بالطبع ، لتبرير الفرمان اللاق الذي صدر عن رئيس دائرة الاعلام والتوجيه القومي والقاضي باعتبار قرارات اللجنة نافذة مهما كان عدد الاعضاء الذين يحضرون اجتماعاتها !

ورغم موقف الكتاب السلبي من اللجنة ، استمرت اللجنة في عملها ، زاعمة انها تمثل ارادة الكتاب وكان من المستحيل الا يقود هذا المنطق الى

الاشفاق . . فقد كان تشكيل اللجنة التحضيرية بحد ذاته عملاً انشقاقياً في اتحاد الكتاب . لكن ناجي علوش لا يريد الاعتراف بهذه الحقيقة ، وإنما يسوق الاتهام للآخرين ، بأنهم يتبرجون وأن اللجنة التحضيرية ( المصغرة طبعاً ) ولجنة العمل المنبثقة عنها ( وهي جسيما من « فتح » ) تحس أنها وحدها تعمل . . وكأنها موقفهم السليم ناجم عن أهوالهم واجتهاد لجنته ، لا عن تحفظهم على الدور الذي تمارسه اللجنة . . .

فالآخرون لم يكونوا مقترحين ، بل كانوا تسمين : قسم يدافع عن الشرعية المعتدى عليها ، وقسم يرفض محاولة الاحتواء التي ركبت للجنة التحضيرية لتفندها . ولقد توج القسم الأول تصديه بمفاجأة اللجنة التحضيرية بمعد المؤتمر الثالث لاتحاد كتاب فلسطين في القاهرة في مطلع آب ١٩٧٢ ، هذا المؤتمر الذي بلغت حساسية المساعين الى السيطرة على اتحاد الكتاب من خلال لجنتهم التحضيرية تجاهاه حد محاولة اقتحامه بالقوة ، واستخدام العنف في تشيته . لولا أن تدخلت سلطات الأمن المصرية لصاحبه !

وبالنسبة للصاعقة ، فلقد حددت موقفها منذ الاعلان عن تشكيل اللجنة التحضيرية بأنها مع الشرعية و ضد محاولة الاحتواء . ويوسع من يريد التاكيد من اعتراض الصاعقة على طريقة تشكيل اللجنة التحضيرية العودة الى العدد ( ١٢١ ) من مجلة « الظلال » الصادر يوم ١٩٧٢/٥/٢٩ ، بعد أقل من اسبوع من تشكيل اللجنة التحضيرية ، رغم اننا لم نكن قد عرفنا بعد ان الذين ابتدعوا هذه اللجنة اطلقوا اكدويتين تستوجبان المحاسبة ، اولهما ان اللجنة التنفيذية قررت حل الاتحاد القائم ، وثانيهما ، ان اللجنة التحضيرية شكلت بناء على ترار من اللجنة التنفيذية ، وذلك بغية تجريد المعارضين من أسلحتهم . لكن الامور ما لبثت ان توضحت . . وأصبح على المعارضين للاعتداء على الشرعية النقابية ، ومحاولة احتواء الاتحاد وتركيب مؤثره ان يفعلوا شيئاً . . ولقد تحركوا بالفعل . . حين سلك السيد عودة بطرس عودة الطريق القانوني ، الذي يفاجيء في نهايته اللجنة التحضيرية بمعد المؤتمر الثالث للاتحاد من الاعضاء الذين سدّدوا اشتراكاتهم عملاً بعد اعطائهم المهلة القانونية المحددة في النظام الاساسي . . وحين تحركت الصاعقة لتضبط باتجاهه الحيولة دون

تكريس الانشقاق الذي قاد اليه تشكيل اللجنة التحضيرية ، فحصلت على موافقة الامانة العامة الجديدة للاتحاد على عقد المؤتمر الموسع في بيروت الذي كانت تعد له اللجنة التحضيرية ، شريطة أن يمول من قبل منظمة التحرير الفلسطينية ( والجدير بالذكر ان المؤتمر الذي عقد لم يمول من المنظمة ) وان تمارس الامانة العامة صلاحياتها القانونية في قبول طلبات انتساب الاعضاء الجدد ، وفي الدعوة للمؤتمر . . . واخذنا نبذل الجهود لدى دائرة الاعلام والتوجيه القومي ، ولدى اللجنة التحضيرية ، لايجاد مخرج من الازمة . لكننا لم نقابل أي تجاوب ، بل راح « اعلام الوحدة الوطنية » - المشروع منه وغير المشروع - يشن حملة قاسية من الافتراءات على المؤتمر الثالث للاتحاد ، ويزعم عدم شرعيته ، وفي هذه المرة اطلق هذا الاعلام اكدوية جديدة يحاول بها اضعاف صفة الشرعية على اللجنة التحضيرية ، حين زعم ان اللجنة شكلت بناء على مقررات مجلس الاعلام المركزي . ولم تعد الى الرد على الحملة الظالمة الكاذبة المقترية بنظماً ، بل تحمّلنا وتحملنا لعنا نتقد وحدة الاتحاد من التبرق .

فماذا كانت نتيجة تفنت اللجنة التحضيرية ؟ يعترف ناجي علوش ان الاعتراض على لجنته التحضيرية أصبح عاماً ، وانها أصبحت على وشك القتل ، حين يقول : « وحين اقترب موعد المؤتمر بدأت المنظمات الفدائية ترمي بثقلها . . قال بعضهم ان فتح تعمل للسيطرة على المؤتمر ، وطالب آخرون بضمائناات تقنعهم بأن اللجنة التحضيرية غير متحيزة ، واخذت اللجنة التحضيرية تواجه السمعيات ، وبدأت تحس ان المؤتمر سيجهض قبل أن يبدأ . » ان هذا الاعتراف يفسر سر المناورات اللاخفة . تبعد ثلاثة اسابيع من التجاهل المطلق لمحاولات الصاعقة لايجاد مخرج من الازمة يحول دون انشقاق الاتحاد ، جرى لقاء بيننا وبين ناجي علوش ، اتفق فيه على مخرج من الازمة على النحو التالي : ١- تشكل لجنة خماسية من المنظمات الفدائية الممثلة في اللجنة التنفيذية تكون لها صلاحيات البت النهائي في طلبات الانتساب الجديدة للاتحاد ، وبرنامج المؤتمر . ٢- توافق الامانة العامة للاتحاد تلقائياً على ما تقره اللجنة الخماسية ، وتتولى الدعوة الى المؤتمر وفق ما ينص عليه النظام الاساسي للاتحاد .

ورغم انه تم التوصل الى الاتفاق على هذه الصيغة

مثل ثلاثة عشر يوماً تقريباً من انعقاد المؤتمر . فقد أخذت اللجنة التحضيرية تتهرّب من تنفيذها ، وتزعم ان الصيغة التي أبلغت بها ووافقت عليها مختلفة عن الصيغة التي ذكرناها آنفاً ، ولم يبلغنا ناجي علوش بالموافقة النهائية على هذه الصيغة الا قبل ثلاثة ايام من انعقاد المؤتمر بغية وضع اللجنة الخماسية امام الامر الواقع ، وانقادها زمام المبادرة . ومن هنا يتضح لنا مدى الخطأ فيما ساعته ناجي علوش حول اللجنة الخماسية ، حين قال بأنه « كان من نتيجة هذه الاتصالات ان نشأت لجنة خماسية تمثل المنظمات الخمس ، مهمتها مساعدة اللجنة التحضيرية ومراقبة اعمالها ، كي لا تخرف أو تتحيز . ولقد لعب انشاء هذه اللجنة دوراً في بلبلة اللجنة التحضيرية وفي عرقلة اعمالها ، وفي اجبارها على اتخاذ مواقف وقرارات كانت اللجنة التحضيرية لا تريدها » .

هنا .. من المناسب ان نتوقف لنعطي القارئ صورة عن الحقيقة بتفاصيلها .. وبيننا وبين ناجي علوش شهادة ثلاثة من اعضاء اللجنة يمكن للجوء اليهم ، وهم ممثلو الديمقراطية والشعبية وجبهة التحرير العربية .

أولاً ، ان القول بأن مهمة اللجنة الخماسية مساعدة اللجنة التحضيرية ، ومراقبة اعمالها مخالف لصيغة الاتفاق الذي تم الالتقاء على أساسه ، لان معناه ان اللجنة الخماسية ليست المرجع النهائي في اتخاذ القرارات .. وانما ستدوب ارادتها في ارادة اللجنة التحضيرية التي أمنت فيها اقلية من « فتح » .. اذ ان قبول صيغة ناجي علوش يعني ان يكون لفتح عشرة مقابل اربعة من اعضاء اللجنة الخماسية ، بينما العكس يعني ان صلاحيات اللجنة الخماسية هي صلاحيات مطلقة بالنسبة للجنة التحضيرية .

ثانياً ، لقد اجتمعت اللجنة الخماسية ، وراجعت كشوف اسماء المنتسبين إلى الاتحاد التي كانت اللجنة التحضيرية تدأقرتها ، وناقشت الاسماء المجهولة من بينها ، واقرت القوائم رافضة بعض الاسماء . وبدا ان كل شيء يسير على ما يرام ، الى ان جاء اجتماع المساء ، لتجد ان اللجنة التحضيرية تحفظت على اسماء حوالي الاربعمين من مجيبي طلبات الانتساب من سورية ، بحجج او هي من ان تقبل .. فالشاعر أو الاديب ان لم يكن قائلاً في الصحافة تحفظوا عليه ، والكتاب أو الاديب

الذي كان مشتركياً تحفظوا عليه ، وان كان هناك حالات تحفظوا على واحد بدعوى أنه في الشكوك زهو . ليس سجيناً !! وناقشت اللجنة الخماسية هذه الطلبات ، واقرت من بينها ثلاثين طلباً واحالها الى اللجنة التحضيرية للتنفيذ ، فجاء الصباح لتثور ثائرة اللجنة التحضيرية ، وتتمرد على قرار اللجنة الخماسية .

وفق القوائم التي تم اقرارها من اللجنة الخماسية ، ليقفل باب الانتساب في نهاية ذلك اليوم قدرت اللجنة التحضيرية انه يمكن لتحالف الضابطة مع المستقلين أو اي فصيل غداًي آخر ، ان يمثل خطة اللجنة التحضيرية في احتواء الاتحاد . وهذا هو سر البلبلة التي تحدث عنها ناجي علوش ، وسر القرارات والمواقف التي أجبرت اللجنة التحضيرية على اتخاذها حتى لا تزلت للعمية من يدها .. والا ، فليحدد لنا السيد ناجي علوش على وجه التحديد هذه القرارات والمواقف ..

اما نحن ، فمستطيع تحديدها بكل جلاء ، وقد فضحناها امام المؤتمر ، ولم يملك ناجي علوش امكانية الرد :

١ - عمدت اللجنة التحضيرية الى عدم توجيه الدعوة الى اعضاء الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين الاصلاح رغم قرار اللجنة الخماسية بتوجيه الدعوة فوراً لهم وتأمين سفرهم ، ورغم تزويد اللجنة التحضيرية باسمائهم ، فحرمت بذلك عدداً كبيراً من الكتاب المستقلين من حضور المؤتمر . ٢ - عمدت اللجنة التحضيرية الى طلب كشوف احتياطية من بعض المكاتب باسماء اشخاص يمكن ادخالهم المؤتمر اذا اقتضى الامر للمشاركة في التصويت ، وحرصت على ادراج اسمائهم في القائمة التي قدمت الى رئاسة المؤتمر . وقد زاد عدد هؤلاء على المائة مما ادى الى رفع عدد المنتسبين في كشوف اللجنة التحضيرية الى حوالي ٤٧٥ عضواً ، بينما لم يتجاوز عدد من اقرتهم اللجنة الخماسية الثلاثمائة عضو . ٣ - كان هناك تعمد واضح في عدم تمكين البعض من الحضور الى المؤتمر ، وذلك بتوجيه الدعوة اليهم متأخرة ، أو عدم تأمين بطاقات السفر لهم .

ثالثاً ، لقد اعتبرنا تمرد اللجنة التحضيرية على اللجنة الخماسية ، اخلاقاً بالاتفاق .. لا نستطيع معه الحضور الى المؤتمر ، لكن ميل المنظمات الفدائية الأخرى الى التناهم بأي شكل ، والتجذول

دون انعكاس موضوع اتخاذ الكتاب على قضية الوحدة الوطنية ، ثم تأكيدات « فتح » بالالتزام بقائمة الائتلافية يلتزم بانتخابها الجميع ، جعلتنا نذهب إلى المؤتمر . فمسألة الأمانة العامة ، إذن ، أصبحت محور المؤتمر ، لأن اللجنة التحضيرية ركبت المؤتمر ، بشكل تستطيع فيه « فتح » أن تحقق سيطرة مطلقة على المؤتمر إذا شامت ، وذلك بتزويدها على اللجنة الخبائية على النحو الذي ذكرنا . وبرزنا على حقول الانغام في المؤتمر .. برزنا عليها ضابطين اعصابنا ، محاولين الحيلولة دون تفجيره رغم أن كل شيء في خط سيره كان يستدعي هذا التفجير .. لاتنا نشعر بأنه من العار أن يبدأ كتاب شعبنا وصحفيوه الانشقاق .

.. وكان موضوع « القائمة الائتلافية » التي يلتزم بها الجميع ، هو وحده الذي جعلنا نحتمل الاستمرار في المؤتمر . الى ان جاءت معركة تشكيل القائمة الائتلافية .. ونقول معركة لان ناجي علوش ، رغم دمواه بأنه لا يرى موضوع الأمانة العامة مهما ، وانه شخصيا ضد نظام الكوتا التنظيمية ، استنكف عن الحوار عند البحث في تشكيلها اكثر من مرة ، وانسحب اكثر من مرة ، وامتدت إحدى هذه المرات اكثر من ساعة .. لان هناك أسماء معينة اراد فرضها في القائمة بأي شكل من الاشكال ، رغم ان الضيف الهادي في القائمة جاء نتيجة فرض هذه الاسماء ..

اذن ، فقد كان ناجي علوش واجنته ، يعينون بنا طوال الوقت .. وكانوا يناورون طوال الوقت .. بهذا هو محلول كليانه .. فالمؤتمر الذي يمكن أن يتغير في أية لحظة بسبب عدم شرعيته ، ولقد اقر ناجي علوش داخله بانعدام هذه الشرعية ، يجب أن يتجح بتحويل موضوع القائمة الائتلافية الى طعم للاخرين ، يجعلهم يتنازلون امام التجاوزات التي ان تتم الانتخابات .

وهكذا جرت اللعبة المزومة ، فالقائمتان الاثنيتان اللتان رشحتا الى جانب القائمة الائتلافية ، انطلقت احدها من موقف الصدق ، ومحاولة طرح قائمة نموذجية تتجاوز عيوب القائمة الائتلافية ، وكانت تلك هي القائمة التي طرحها الاستاذ شفيق الحوت .. ولو كانت ارادنا حرة عند التصويت ، ومتحليين من التزامنا كما فعلنا فترتا ، لما انتخبنا غير تلك القائمة . اما القائمة الأخرى ، فقد جرى دفعها من قبل اللجنة

التحضيرية . بقصد اختراق اللائحة بأسماء معينة .. ولا نتقننا الدلائل على اثبات صحة هذا الامر رغم محاولات ناجي علوش لنفي ذلك . واختزنت القائمة الائتلافية بثلاثة اسماء .. اسما من ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ هنا يتهرب ناجي علوش من توضيح الحقيقة .

ان المؤتمر يجب ان ينجح .. وناجي علوش يجب ان يصبح امينا عليها ، هذا هو الجواب ... ولكن الذين يريدون للمؤتمر ان ينجح لان نجاحه معجزة ، لم يستطيعوا ان يلتزموا بأي عهد قطعوه على انفسهم ، فخرجوا على الالتزام بالقائمة الائتلافية ، وزيفوا عملية التصويت ، مطبا زيفوا عملية الفرز . وكان على رئيس لجنة الرقابة ، بعد ان كشف للرئاسة عن وجود التزيف ان يسكت ، باسم الوحدة الوطنية وباسم سمعة ثورتنا المصانة . وكان على الاستاذ رئيس المؤتمر ، الذي لم يستطع الا ان يكشف في الليل عن التزيف ، الا ان يسكت في اليوم التالي ، من اجل الوحدة الوطنية ، ومن اجل سمعة ثورتنا المصانة .. وكان علينا نحن ايضا ان نطعن الضارعين بنا الا نتجر الجلسة الختامية ، وان نسمح بلطفة المؤتمر ، وفي مقدمتهم ناجي علوش ، اننا ندرك ان الموقف لا يحتل ، واننا سنبارك للفائزين بفوزهم ... ولكننا نرفض التسوية المقترحة والتي تقضي بطول عبد الرحمن فنيح . محل ماجد ابو شرار ( لان هذا هو الاسم الذي طرحوه لاجزاء التسوية ) ، ونطلب فقط ان يكون الامين العام وامين السر مستقلين . وكان رد ناجي علوش ان الأمانة مستقبيل ، لتسمى اللجنة التنفيذية امانة مؤقتة تدوم لمعد مؤتمر جديد بعد ستة اشهر .. وقتنا له هذا هو الحل الأمثل ، وما زلنا نطالبه واعضاء الأمانة بالاستقالة لانساح المجال امام الحل الأمثل الذي اقترحه علينا هو قبل الجلسة الختامية ، حتى لا نفجر المؤتمر .

وتدليلا على حسن نوايانا غادرنا الجلسة قبل الختام .. لنفاجأ بتتويج لسلسلة المناورات باعلان امانة تصوية رغم رفضنا لها من حيث المبدأ ، وبإقالة الدكتور انيس صايغ رغم انه ، ليوضع مكانه عبد الرحمن فنيح رغم انه ايضا ..

وإذا كانت طاقة احتيالنا قد استوعبت كل المناورات السابقة ، فليس بتدورنا ان نحتمل اكثر ، حتى ولو انطبقت السماء على الأرض .

ناحى ملوحي وعده بالاستقالة ، لتبني اللجان التنفيذية امانة مؤقتة من المستقلين ، تضع كطل شيء في نصابه ، خاصة وانه يوجد اليوم اتحادان احدهما هو الشرعي والمعترف به منا ، ومن اتحاد الكتاب العرب واتحاد الكتاب الاسويين الامريتين وثانيهما غير شرعي ، وجاء نتيجة سلسلة من المخالفات .

ولا يمكن لنا الا ان نكون مع الشرعية ، ومع الصدق الثوري ، ومع الوحدة الوطنية .

## عبد الرحمن غنيم

### الرسالة الثانية : وداعيا فلسطين !!

لاجراء تفتيش جسدي دقيق التقت نظرة خاطرة من النافذة واذا بصري يقف تباهما على وجه جندي منتصب على سطوح الكراج مصوبا سلاحه الرشاش باتجاه غرفتي .

وقد اثار كل هذه المظاهر التي احاطوني بها في نفسي مزيجا من مشاعر السخف والاشمئزاز . فما الذي كان هؤلاء الرجال يبحثون عنه ؟ وماذا كانوا يخشون ان تصنع امرأة ، غزلاء ما زالت برداء النوم تعاني من النعاس ، من نافذة في الطابق الثاني تطل على حديقة مسورة مليا بان اثنين من الرجال الذين في الغرفة كانوا مسلحين ، وحتى لو لم يكونوا مسلحين فماذا كان يوسعي ان اصنع ضد اربعة اشخاص اشداء كهؤلاء .

وقد خطر ببالي والمجندة التي تاتر بتثورة ميني تتلصص جسدي تنصحا دقيقا انهم ربما ظنوا انني اخبىء في غرفتي بعض القنابل او المتفجرات .

فهل كان يدور بخلدهم ان يوسع المرء ان يحتاز حنة الخلاص من اجراءات الامن والجمارك المزدوجة - الاردنية والاسرائيلية - ويمبر حصر اللبني الى المناطق المحظرة وبحوزته اسلحة فتاكة ؟ لقد انتهى التفتيش ، وامرت بان ارتدي ملابس سياخزوتني معهم الى عسقلان للتحقيق في .

لقد كان لذي موعد في قطاع غزة السابعة الفاصلة صباحا ، وهو موعد كنت اود ان لا اتخلف عنه .

لقد منتابها على انها تصرف ، برمي الى الاتباع بين الصاعقة والمستقلين ، والى تحطيم سمعة ممثل الصاعقة الذي اجل محل الدكتور انيس صايغ الذي اصبح بنجاحه في عمله ، وبشخصيته ، رمزا يعتر به شعبنا كله . لقد رفضنا ان ينسحب ماجد ابو شرار لصالحنا ، فكيف اطوا لانفسهم ان يسحبوا الدكتور انيس صايغ ليحل محله بمثلنا 14 وعلنا عدم اعترافنا بامانة التسوية ، وما زلنا عند ما اغلناه . . وسنبقى عنده . .

اننا نقولها بكل وضوح : ان احتمال عودة الصاعقة غير وارد مطلقا . . والحل الوحيد هو ان يتنذ

كان آخر ما اکتحل به ناظري من غزة ، في زيارة تمت بها مؤخرا ، نظرات خاطفة القيتها عليها من سيارة الجيب العسكرية الاسرائيلية التي كانت تهضي بي بسرعة في الطريق الى عسقلان ، حيث اخذت « للتحقيق » معي . وقد بقرت زيارتي بغتة في الساعة الخامسة من صباح 6 تشرين الاول ( أكتوبر ) عندما انتهرتني من وحدة سبات صديق طرقات شديدة متلاحقة ، على باب غرفتي في « بيت المنار » . وكنت قد قدمت الى غزة من القدس في صباح الرابع من تشرين الاول لامضي في القطاع فترة اربعة ايام او خمسة . وكانت منطقة القطاع قد عادت مؤخرا ، بعد فترة من الهدوء غير المعهود ، الى روتينها اليومي المعتاد من هجمات الغدائين المسلحة ، وفرض منع التجول على بعض الاتحاء ، وتفتيش المساكن ، والاعتقالات ، وتشديد اجراءات الامن بصورة عامة . ولم اتمالك نفسي من الشعور بالدهشة والاستغراب عندما فتحت الباب ووجدت انني قبالة ثلاثة من رجال الامن الاسرائيليين وبصحبتهم احدى المجندات . وبادروني قائلين : « لدينا اوامر بالتفتيش !! » . وسرعان ما اندفعوا الى داخل الغرفة ، وشرعوا على الفور في التفتيش والتقيب والتبش في الادراج والخزائن وتمت السيرر وحتى بين طيات الخدات والفراش والبطانيات . وكانوا في غاية البعظة وعلى قدر غير ضئيل من الفطاطة في تلك الساعة المبكرة من الصباح . وعندما اقتادتي المجندة النسي الحمام



وكتبت في تلك الساعة المبكرة أعاني من الضباب ،  
وأشعر بالبرد، وتوقف نفسي الى فنجان من القهوة .  
ولكن في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر  
الثامن من تشرين الاول ( أكتوبر ) ، ناولني ضابط  
الامن الاسرائيلي جواز سفري بينما سيارة الباص  
تتحرك من موقع التفتيش على الجانب الاسرائيلي  
من جسر اللنبي . لقد « ابعدت » الى الضفة  
الشرقية . وفي الصباح التالي ، في عمان ، تلقيت  
تاكيدا لامر كان قد نزل لي شفها وهو انني غير  
مرغوب في وجودي في الاردن .

اما في مقر قوات الامن العام في عسقلان فقد  
تعرضت لتحقيق مطول وقد نمت نبرة المحقق بأنه  
ضابط عالي الرتبة في المخابرات الاسرائيلية . وقد  
قال وهو يفادر غرفة التحقيق انه سيطلب سيارة  
لتفتلني عبر الجسر الى شرق الاردن . ولكن بعد  
انقضاء ساعتين ، أخذت الى مكتب آخر حيث كتب  
ضابط الشرطة شيئا باللغة العبرية على بطاقة ،  
وأبلغني أنني سأظل موقوفة في النظارة مدة يومين  
أو ثلاثة لاجراء المزيد من التحقيق .

— « وما هي تهمتي ؟ » سألته . — « اتصالات  
مشبوهة مع اراهابيين » . — « وأين سأوقف ؟ »  
— « في زنزانة ، هنا » . لقد كان التحقيق طويلا ،  
مضجرا ، عقيبا ، وبلا طائل . وكان اجسالا  
بمثابة تكرار للتحقيق الذي تعرضت له قبل عشرة  
ايام من ذلك التاريخ في مقر الامن العام الأردني  
في عمان .

وقد انتهت كلا جولتسي التحقيق بذات  
التهمة الغامضة : « اتصالات مشبوهة مع  
ارهابيين » . لقد اعتبر المحققون في كلا الطرفين  
ان هناك ما يثير الشبهات في قيام صحيفة مقبنة  
في مصر بزيارة الأردن و« اسرائيل » من حين الى  
آخر . . . وأظهر كلا الطرفين المحققين تصنيفا على  
أثبت ان لي اتصالات مع « الارهابيين » وأيلول  
الأسود ونشاطات تتصل بالارهابيين . وكلا الطرفين  
خطرا علي حق الرجوع بسبب التهمة الملقاة عن  
اتصالي وارتباطاتي المزومة مع العرب  
والفلسطينيين . وفي كلتا الحالتين لم تورد اسماء  
أحد من هؤلاء « الارهابيين » الذين زعموا انني  
اتصل بهم ، كما لم يجر التحقيق معي حول نشاطات  
او اتصالات معينة او مجددة أجريتها خلال  
زياراتي . ولم تظهر المخابرات الأردنية أي اهتمام ،  
ولو من ناحية شكلية ولذر الرصاص في العيون ،

بتحري إمكانية وجود اتصالات لي مع امريائيليين  
او أية « علاقات مشبوهة » مع عدو الاردن !! . . .  
لقد بدا لي ان مخاوف الاردن وهواجسها لا تعدو  
كونها امتداد لمخاوف اسرائيل وهواجسها . . .  
ولقد بدا لي ان التحقيق لدى كلا الطرفين مفاهيم  
عليه في عملية تنسيق مشتركة .

ولم أندعش كثيرا عندما قال لي ضابط الامن العام  
الاسرائيلي انه حالما تفرغ من التحقيق معك  
«سوف نتصل بالاردنيين لنرى ان كانوا يسبحون لك  
بالرجوع عبر جسر اللنبي » !! وعندئذ تمعت في  
نفسي ، لا غرابة ان يعج العالم العربي بمهيمات  
واشاعات عن وجود تواطؤ بين اسرائيل وأنظمة  
غربية معينة ، وعن وجود خيانات وصفقات بيع  
بالجملة الخ . . . وقد بدا لي ان الاسرائيليين  
منطقيون وصادقون مع انفسهم على الاقل من حيث  
تحديدهم لهوية يدوهم ، وتسفير كل جهودهم في  
ملاحقة هذا العدو ومطاردته والحق الهزيمة به .

وقد كانت زيارتي للقدس والضفة الغربية وقطاع  
غزه ، وان بقرت عنوة ، كافية لتكوين صورة عن  
الاضاع فيها تختلف في جوانب أساسية من  
الصورة البهيجة المشرفة التي يعرضها الاسرائيليون  
والتي تردد صداها في الغرب ، على نطاق واسع ،  
الوفود الزائرة للمناطق المحتلة من بعثات تقصي  
الحقائق وجماعات السواح والحجاج الذين  
يتحركون وفق برنامج تعدده لهم السلطات وتحت  
أشرافها . . . ان الفلسطينيين في القدس والضفة  
الغربية يصيبهم الملل والضجر الى حد التنقز  
والغثيان عندما يقرأون ويسمعون بأنهم قد ركبوا  
الى الطمانينة والهدوء قاتعين راضين بالعيش تحت  
الحكم الاسرائيلي . فالسجون الاسرائيلية المكتظة  
« بالارهابيين » الفلسطينيين ، ومئات المنازل التي  
يجري نسفها وطرد سكانها ، وآلاف المبعدين الى  
شرق الاردن ، وآلاف الاعدنة من الاراضي العربية  
المصادرة ، والمستوطنات اليهودية شبه العسكرية  
التي أقيمت في الاماكن الاستراتيجية من المناطق  
المحتلة لتطبيع أوصالها ، والاحياء التي تشبه  
القلاع التي اقامها الاسرائيليون على الاراضي  
العربية في ما يدعونه « القدس الكبرى » ،  
والدوريات الاسرائيلية المسلحة المنتقلة الفظة  
والمنتشرة في كل مكان — كل هذه ومئات غيرها من  
الشواهد التي لا يحفظها عابر السبيل تروي حقيقة  
« قبول » الفلسطينيين « بهدوء » و« وفق » حكم

واحدة من أعنى الالات الحربية في عالمنا اليوم !!

لقد ورد في الصحافة الاسرائيلية ان اسرائيل قد أصيبت « بصدمة » عندما تبين لديها ان سكان المناطق المحتلة قد شعروا بالابتهاج لحصيلة عملية ميونيخ الفدائية . ولكن الفلسطينيين يوضحون موقفهم قائلين : « اننا لم نبتهج لقتل الرياضيين الاسرائيليين بحد ذاته ، بل ان بيعت ابتهاجنا هو موقف رجالنا الذين عندما اتقنوا انهم تعرضوا للخديعة رفضوا ان يذبحوا ذبح الخراف . لقد أطلق رجالنا النار دفاعا عن النفس بعد ان حصد الالمان ثلاثة من الفدائيين » .

وكان الابتهاج قد شاع بين سكان المناطق المحتلة في وقت سابق من هذه السنة عندما أقدم اربعة من الفدائيين على اختطاف طائرة الى مطار اللد في محاولة لتأمين الافراج عن عدد من آلاف الفلسطينيين المحتجزين في السجون الاسرائيلية . ولكن الفرح سرعان ما انقلب الى غيظ وأسى عندما خدع الاسرائيليون الفدائيين ، مستغلين راية الصليب الاحمر الدولي ، وقتلوا اثنين منهم . وكذلك عندما قام ثلاثة من المسلحين اليابانيين ، بعد اسابيع قليلة من حادث طائرة السابينأ ، « بالانتقام لفدائيلنا » في الموقع ذاته عم الابتهاج مرة اخرى السكان ، وان كان قد شاب هذا الابتهاج « شعور بالاسف لان بعض الضحايا كانوا من غير الاسرائيليين » .

هذا ، ولم يخف سكان القدس الشرقية شعورهم بالارتياح والرؤى عندما انفجرت قنبلة في مخزن « السوبر سول » في القدس الغربية في اليوم التالي لوصولي القدس في زيارتي الاخيرة هذه .

وعندما أقام الاسرائيليون في عيد رأس سنتهم الجديدة صلوات الاستسقاء داعين لهطول المطر كانت ردة فعل الفلسطينيين : « غليم الجفاف ويشند ، حتى وان لحق بواسم محاصيلنا القحط » . وقد قال لي محام من القدس : « اننا نتبع تحت حكم الاسرائيليين مثلما رضخت جميع الشعوب المنهورة والمستعمرة عبر التاريخ ، شأن الاوروبيين تحت الاحتلال النازي ، والهنود في ظل الحكم البريطاني ، وسكان افريقيا الجنوبية السود تحت وطأة سيطرة البيض » .

ومن ناحية اخرى ، تستمر في القدس العربية وفي المدينة القديمة عملية التحويل والتهويد بخطوات

محمومة ودون وازع من حياء او خجل ، إذ تحرق على قدم وساق عمليات مصادرة الممتلكات والاراضي واخلائها من سكانها عنوة ، وتصف الممتلكات العربية وتشيد عمارات مكانها وفق طراز « الاستعمار الجديد » . وعندما يرفض العرب بمصادرة تسليم بيوتهم التي تقرر مصادرتها ، وعندما يرفضون استلام التعمير المقرر عنها ، ويصرون على حقهم في مواصلة العيش في القدس ، تتحرك فرق التفتيش عندما تعطي لها الاشارة ، لتعمل في البيوت المصادرة هذما وتدميرا . فعذا ما حدث مؤخرا قبل امتابيح معدودة من زيارتي هذه مع محمد عبدالله الصواف الخباز في ما يدعونه الحي اليهودي داخل المدينة القديمة . فقد ظفى الصواف أمرا باخلاء بيته الذي يشاركه السكنى فيه ٢٦ من افراد عائلته ، فرفض الامر بالاخلاء واحتج عليه لدى السلطات الاسرائيلية . وقد ابرز لي رسالتين تقاهيل من المسؤولين الاسرائيليين ، احدهما من وزير الدفاع موشي دايان والثانية من رئيسة الوزراء غولدا مئير ، وكلا الرسالتين تؤكدان له انه ما من احد لديه الحق في طرده هو واسرته من منزلهم . ولكن بعد اتقضاء زهاء اربع وعشرين ساعة جرى طرده هو وعائلته من بيتهم العربي العتيق الذي استحال في دقائق معدودة الى كومة من الزكام .

وفي منازل اخرى في تلك المنطقة ابرزت لي العائلات العربية زحما من الاشعارات التي تلقتها من السلطات الاسرائيلية للحضور الى دار البلدية « ليتلافوا اتخاذ العقوبات القانونية بحقهم » . وقد جرى اشعارهم باخلاء بيوتهم في بادئ الامر في عام ١٩٦٨ عندما تم اتخاذ القرار بمصادرتها . ولكنهم تجاهلوا ذلك الامر كما تجاهلوا ما تلاه من اشعارات واستدعاءات للمثول امام السلطات المختصة . فمهم متشبثون ببيوتهم وبحقوقهم التي ان يحل السلام او ان تحدث معجزة ما لتفقدتهم قبل ان تهوي المصلة على رقابهم !! وهم يقولون انهم لن يخلوا بيوتهم الا اذا طردوا منها بالقوة .

الكتابة والتجهنم ... الصمت الذي ينم عن الخوف او الشعور بالعجز ... والغيظ المكتوم ... والتعاون المحدود مع العدو فنيا بقيت اودعهم ويحفظهم على قيد الحياة ... هذه جميعها تصب في اعتبارها الاسرائيليون واعوانتهم او بعض الزوار الاغرار او المفرضين المتحاملين على انها كتابة عن قبول سكان المناطق المحتلة بالوضع ورضاهم عنها

وانها اشارة على تواطؤهم وتعاونهم مع السلطات ومظهر للتعايش السلمى بينهم وبين الاسرائيليين .  
بيد انه لا يمكن خلق الحقيقة خنقا تاما ، اذ كثيرا ما تنقلت التعابير عنها في ردود الفعل الطغالية للاحداث ، كما تبدو للمراتب شواهد عليها في كل لحظة في شوارع المناطق المحتلة ، اذ يلجسها المرء في الابسامت الساخرة ، وفي النظرات ، وفي الشتائم المكتومة ، كما يتم الاعراب جهارا عن هذه الحقيقة اثناء المناقشات والاحاديث مع الاصدقاء الموثوق بهم ، كما انها تبدو من خلال مظاهر المقاومة السلبية من اولئك الذين يتجاهلون اوامر قوات الاحتلال ولا يتصاعون لها الا تحت طائلة التهديد بالحبس والتوقيف .

ما زال قطاع غزة مستعص على السلطات الاسرائيلية . فرغم الشبكة الدقيقة من اجراءات الامن الصارمة التي اقامها الاسرائيليون في القطاع ، والتي ما انفكوا يدخلون عليها التعديلات والتحسينات طوال السنوات الخمس والنصف التي انقضت على الاحتلال ليلبغوا بها حد الاتقان التام والكمال في ميدان ضبط الامن والسيطرة على الأوضاع ، ما زال الفدائيون قادرين على اثبات وجودهم في القطاع ، سواء بالقاء القنابل اليدوية ، او بهاجمة السيارات والدوريات المسلحة الاسرائيلية او بالقيام باعمال التخريب . وكل الاجراءات والخطط الجهنمية التي نفذها الاسرائيليون في القطاع لم تنف في عضد المقاومة وشملت في تحقيق الغاية التي توختها السلطات الاسرائيلية الا وهي استئصال النشاط الفدائي من قطاع غزة كليا . ولم يجد السلطات الاسرائيلية نفعا كل ما اقدمت عليه من اجراءات سواء كانت تعزير قوات الامن والشرطة او اللجوء الى اضطهاد السكان بقسوة وفظاظة او حملات الابعاد والنفي الجرامى او عمليات الاعتقال والحبس والعقاب الجسامى ، وتفريق السكان وتشيتتهم داخل القطاع ، ومصادرة الاراضي لتقام عليها الكيبوتزات والمستوطنات اليهودية العسكرية منها وشبه العسكرية ، والقيام بقطع الاشجار والاسنجة لتعمية سطح الارض ، واشغال الالاب من سكان قطاع غزة بالعمل خارج القطاع سواء في الضفة الغربية او في اسرائيل ذاتها... كل هذه الاجراءات فشلت في تحقيق الغاية المنشودة ... صحيح انه تم حصر نطاق اعمال المقاومة المسلحة في القطاع والتخفيف من حدتها بصورة ملموسة ،

بيد ان اعمال العنف ما زالت تحدث من حين الى آخر بصورة تكفي لإبقاء قوات الامن الاسرائيلية في القطاع في حالة استنفار دائم طوال ساعات النهار والليل كما انها جعلت من القطاع منطقة محرمة على الزوار الاسرائيليين والاجانب . فقد حدث في الليلة السابقة لوصولي الى قطاع غزة هجوم بالقنابل اليدوية في شارع عمر المختار . وتلا هذا الهجوم اعلان حظر التجول وعمليات تفتيش من بيت الى بيت ، واعتقال من وقعت عليهم القرعة للتحقيق معهم . وفي اليوم التالي فرض حظر التجول على مخيم الشاطئ ، فاستنادا للشتائم التي سرت في مدينة غزة ، قام احدهم بخط عبارة « ايلول الاسود » على زوارق الصيد الراسية على الشاطئ . وفي اليوم التالي دوى صوت انفجار في شارع عمر المختار فمزق السكنية المخيمية على المكان عند ساعة الافطار . وقد صادف ان كنت في بيت قريب من موقع الانفجار حيث كنت ازور بعض الاصدقاء . واعتقب الانفجار المطلق زخات من نيران الاسلحة الرشاشة ، ووقع خطوات مكتومة لمشاة كانوا يسرعون الخطى نحو بيوتهم خوفا من التعرض للقبض عليهم وبالتالي المعاناة من الاجراءات المألوفة وهي استدعائهم الى مقر الامن العام لاستنطاقهم . وخرجت سيدة تعدو مسرعة من بيت مجاور ، اذ ان زوجها اصيب بجراح وحمل الى المستشفى . وقد اخبرني مضيبي ان الرجل المصاب هو بائع الخلوف المسن في شارع المختار .

وقد سألنا شابا كان يقف عند عتبة بيته « هل اصابته شظية » ، فاجابنا قائلا : « كلا ، لقد ضربه احد الجنود الاسرائيليين على وجهه بعقب بندقيته » .

تتعاقب الطلقات ، ثم تظهر رؤوس تطل خلصة خلال خيوط النور المتسرب من الابواب التي كانت تنفتح بحذر وتقوم سيارات الجيب والشرطة الاسرائيلية بسد منافذ الزقاق . ويهمس رجل وهو يسرع الخطى : « لقد حاصروا شارع المختار » . نسكون ، ثم يجتاز رجل الزقاق بخطى وثيدة قادما من جهة شارع عمر المختار .

ويتحرك الرجل كمن يمشي في ثوبه ، وتشخص عيناه باتجاه نهاية الزقاق حيث يعطف في اتجاه المقبرة . وكان يحمل بين يديه رزمة صغيرة مجللة بشال . انه طلل ميت . وكان يلحق بالرجل منى

يصل مصباح علماء الدين وآخر يحمل مولا ومجرفة .  
وعدت بخواطري الى مشهد دارت حوادثه في  
مقبرة اخرى بغزة حيث تصنى لي مراعية ذاك  
الحدث صباح يوم وصولي . كنت في احد  
مخيمات اللاجئين وقد تطلعت حولي جبهة من  
الاطفال المتطئين حساسة وانفعالا . وزعق الاطفال  
من حولي بأصواتهم الحادة : هل شاهدت « القبور  
المتحركة » ، « اعجوبة مقبرة الشجاعية » ،  
« انهم الفدائيون ... قبورهم تتحرك . اذهبى  
الى المقبرة » .

انا لست ممن يؤمنون بالمعجزات . غير اني ذهبت ،  
برفقة بعض الاصدقاء من القدس ، الى مقبرة  
الشجاعية من باب أولى لان المعجزة ، ايا كان  
أسلوب صنعها وتحقيقها هي متنفس مرغوب فيه  
لكسر حدة رتابة الحياة اليومية القاتمة في ظل  
الاحتلال . كانت هنالك حشود من الناس تحيط  
بالأفرجة الحجرية الاربعة المتباعدة والتي كانت  
تتسامق فوق مستوى صفوف القبور الكثيرة الاخرى  
التواضعة التي لم تعد كونها اكواما ترابية مسواة  
باليد . وارشدنا غلامان الى اول تلك « القبور  
المتحركة » فشققنا طريقنا خلال جموع الزائرين ،  
الذين اصبحوا يججون الى هذه القبور . وقد  
اوضحوا لنا قائلين : « شواهد القبور تتحرك » ،  
« سوف ترون » كنت اترا اسم الشهيد المقفوش  
على شاهد قبره — حسين محبة سلمان ابو  
حنقوش — عندما ادركت ان شاهد القبر كان  
يبيل قليلا من جهة الى اخرى . وانتقلنا بعدها  
من قبر الى آخر ، فتبين لنا ان القبور الاربعة  
جبيما « تتحرك » متباعدة كبنود الساعة تارة  
نحو اليمين واخرى نحو اليسار ، وفي احدى  
الحالات الى الامام والخلف ، وكان الزوار والحجاج  
يغطمون صلواتهم وتأملاتهم واحاديثهم الهامسة  
ليسألوننا اذا كنا « قد شاهدنا » وليتناقشوا في  
سر هذه الظاهرة .

وقد رووا ان صبيبا صغيرا كان اول من اكتشف  
ظاهرة تحرك شواهد القبور قبل نحو ثلاثة اسابيع ،  
وسرعان ما ذاع الخبر ، واخذ الناس يتوافدون  
الى المقبرة من مدينة غزة في باذى الامر ، ثم من  
القطاع بأجمعه وحتى من القدس والضفة الغربية .  
وفسر البعض تلك الظاهرة على انها معجزة .  
فالفدائيون الاربعة يتعلمون في قبورهم « ويتكلمون »

انهم يحاولون ان يعطوا لنا رسالة ، ان  
البعض الآخر ، فقد خالها اشارة او رسالة من  
الله . وتساملت عما كان يقوله الفدائيون او الله  
فاجابوني قائلين : ان الفدائيين يحثون الناس على  
مواصلة النضال وتادية الرسالة او لعلمهم كانوا  
يقولون « ان اوان العمل » . كما قالوا : ان  
الله بهذا يطمن الناس بان الفدائيين لم يموتوا  
وان الخلود هو نصيب اولئك الذين يضحون  
بأرواحهم . وان الله يحث الناس على الصمود  
والمقاومة .

ولم يكن عنصر الاعجاز الخارق للطبيعة في هذه  
الظاهرة هو الذي استأثر بالقطب الاوفر من  
اهتمامي — وهي ظاهرة ناتجة عن خدعة بصرية  
تسببها الظلال المتحركة للاضمان المتدلية فوق  
القبور — بل ان ما استأثر باهتمامي هو التأويلات  
التي يسبغها اهالي غزة على هذه الظاهرة .  
ف تلك التأويلات انما تعكس حقيقة مشاعر سكان  
المنطق المحتلة وحالتهم النفسية . فقد ان الفدائيين  
بعاننا هذا بما فيه من قوى وهيئات دينوية  
وقد ان الفدائيين بالانظمة العربية وجيوشها ، وبالتفوق  
الذي وهبته الامم المتحدة ، مثلا ان هذه  
التأويلات هي الهام لمشاعر الايمان والابتنان  
بالانتصار المحتوم « للانسان المستضعف » والقومية  
والنضال والتفخية . ومضت سيارة التفتيش  
مسرعة في شارع المختار في طريقنا الى  
عسقلان : سبات ، وهدهد ، ولا اشارة تبين تأميل  
العنف التي جرت في الليلة السابقة . وتساقلت  
لدى مرورنا بمقر الامن العام : ترى كم من الناس  
قد سيقوا الى هذا المقر لاستجوابهم ومن ثم  
احتجزوا واوقفوا وكم من الغزائين قد امضى ليلة  
مشهدا قلعا على مصر احد ابائهم او والديه او  
ذويه او بسبب ترقية طريقة على الباب قد تعني  
تفتيشا روتينيا او زيارة لمقر الامن العام للتحقيق  
معه — وهي قد تنتهي بالانفراج عنه بعد احتجازه  
بضعة ساعات ولربما امتدت اياما او شعورا او  
سنيينا . وعندما مرزنا بنهاية الطريق المؤدية الى  
مقبرة الشجاعية ساملت نفسي هل مسأ زال  
الفدائيون يتعلمون في قبورهم ؟ ترى هل سيتصنى  
لهم يوما ان يخلدوا الى السكينة هائنين مطمئنين ؟

أيرون بيسون

## (١) المقاومة الفلسطينية

بطريقة ما ، ولكنه تقدم في تقريره صورة « كاريكاتورية » عن وضع الفدائيين في لبنان توهي بان ضربهم والتخلص منهم امر ممكن .

وبعد هذه المعلومات الأمريكية ، بدأت صحف إسرائيل بنشر أخبار تضرب على الوتر نفسه ، فنشرت صحيفة « يديعوت احرونوت » معلومات تقول ( ١٤ ايلول ) ان علي سلامه هو الذي ينسق نشاطات ايلول الاسود ، يعاونه في هذه المهمة كل من ابو اياد ، ابو يوسف ، ابو جهاد ، ابو مازن ، من كبار قادة فتح . وفي اليوم التالي ( ١٥ ايلول ) قالت صحيفة معاريف ان زعيم منظمة ايلول الاسود هو غازي الحسيني ابن القائد الفلسطيني الشهير عبد القادر الحسيني .

وفي الوقت الذي كانت تشر فيه هذه المعلومات ، اجتمعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بدمشق واصدرت بيانا سياسيا ( ١٤ ايلول ) أكدت فيه عدم مسؤوليتها عن اعمال منظمة ايلول الاسود ، ولكنها قالت انها تلفت نظر العالم الى ضرورة تفهم دوافع الشبان الذين قاموا بالعملية . كما اصدرت منظمة ايلول الاسود نفسها بيانا نفت فيه ما نشر عن اسماء قيادتها ، داعية الصحف واجهزة الاعلام ، الى عدم تضخيم دورها ، والالتزام بالموضوعية فيما ينشر عنها . ولكن هذين البياتين لم يسكرا رغبة الدوائر الأمريكية والاسرائيلية في اقامة صلة مباشرة بين قيادات المقاومة ومنظمة ايلول الاسود ، واستمرت الجلبة الاعلامية والاجراءات العملية التي تلتها ، على أساس هذا الربط بين الجهتين . وعلى أساس ذلك قامت المانيا الغربية باخذ اجراءات شديدة ضد العرب المقربين في اراضيها ، او الراغبين في زيارتها . فملاحقت عددا كبيرا من الطلبة ، وطردت دبلوماسيين عربا عاملين في أجهزة الجامعة

على امتداد الشهر الماضي ( ١١ ايلول - ١٠ ت ١ ) عاش العمل الفلسطيني اصداء عملية ميونيخ ، وخاصة الاصداء المقصودة الهادفة الى استغلال العملية ، لتنفيذ مهمات اخرى تحت غطاءها . واتخذت هذه الاصداء طابع حملة دولية ضد العمل الفدائي ، وضد « العرب » في بعض البلدان ، مستغاول منها ما يمس حركة المقاومة بشكل مباشر .

**اصداء عملية ميونيخ** : بعد مضي ايام على عملية ميونيخ ، نشرت في الولايات المتحدة واسرائيل ، وفي وقت متتارب ، معلومات عن منظمة ايلول الاسود ، كان من الواضح تماما ان الهيئات الرسمية العليا تعتمد نشرها ، وذلك لربط منظمة ايلول الاسود بقيادات المقاومة الفلسطينية بشكل مباشر ، ولدرس ردود الفعل التي تظهر تعليقا على هذه المعلومات ، لاختبار مدى صحتها . ففي ١١ ايلول نشر الصحفي الأمريكي « جاك اندرسون » مقالا في صحيفة « الواشنطن بوست » عن منظمة ايلول الاسود اعترف ان المعلومات الواردة فيه مأخوذة من الاستخبارات الأمريكية ، وذكر في هذا المقال ان هدف المنظمة الاول هو اغتيال الملك حسين ، وان زعيمها يدعى فخري العمري ، وهو يقبع في محلة صبرا ببيروت تحت حراسة مشددة .

وبعد يومين ( ١٣ ايلول ) ، نشر الصحفي نفسه مقالا لخص فيه تقريرا مقدما من السفير الأمريكي في لبنان الى وزارة الخارجية الأمريكية حول اوضاع الفدائيين . ويبرز تقرير السفير بشكل واضح الرغبة في تحريض السلطة اللبنانية على الفدائيين اذ يقول ان هدف نشاط الفدائيين تحريض اسرائيل على ضرب القرى اللبنانية لاثارة الاهالي ضد الجيش . وان السلطات اللبنانية لا تستطيع دخول اي مخيم من مخيمات اللاجئين الخمسة عشر . ويضيف ان لبنان لا يستطيع التصرف كمالك حسين تجاه الفدائيين ، وان المسؤولين فيه ينتظرون حلا

الغريسة ( عبد الله الافرنجي ) ، واغلقت فرعي اتحاد الطلاب واتحاد العمال الفلسطينيين هناك ، ومنعت المسافرين السرب من الدخول الى اراضيها . ورد الطلاب العرب على هذه الاجراءات بالاعتصام ، وبتنظيم تظاهرة شاركت بها قوى المائتة يسارية . كذلك جرت في الوقت نفسه اعتصامات في قرنتسا وبيروت تجاوبا مع اعتصام المانيا واحتجاجا على الاجراءات المتخذة .

اما في الولايات المتحدة ، فبالاضافة الى الاجراءات المماثلة لاجراءات المانيا الغربية ، قامت السلطات الامريكية بتخطي قواعد القانون الدولي ، حين منعت ديبلوماسيين عربيا من دخول الولايات المتحدة ، لحضور الدورة الحالية للامم المتحدة . وطبقت ذلك على نائب رئيس الوفد السوري ، وعلى مدير مكتب الجامعة العربية في مدينة دالاس .

اما في الامم المتحدة نفسها فقد تقدم فالدهايم في الثامن من ايلول بمشروع قرار حول الارهاب ، داعيا الى ادراجه على جدول اعمال الجمعية العامة . وقد رفضت الدول العربية ومجموعة الدول الافريقية مشروع القرار ، لانها رأت في صياغته ، تأييدا لاسرائيل من جهة ، ومساسا بحق حركات التحرر في النضال من جهة اخرى . وامام الجدل الواسع الذي اثاره الموضوع ، عقدت تسوية من بندين : البند الاول ان يعدل مشروع القرار بحيث لا يقتصر على بحث عمليات الارهاب ، بل يبحث ايضا الاسباب التي تنتجها . والبند الثاني ان يحول بحث الموضوع من الجمعية العامة الى اللجنة القانونية . وهذا يعني حسب تتاليد الامم المتحدة ، ان البحث لن يأخذ صفة الاستعجال ، وذلك حتى تستوعب الاجتهادات كافة حول تعريف الارهاب وتحديد انواعه ، والفروقات بين دوافعه .

**العدوان الاسرائيلي على لبنان :** في الوقت الذي كانت فيه الدوائر الامريكية والاسرائيلية تسرب معلوماتها وشائعاتها الى الصحف ، كانت الاجواء العربية الاسرائيلية مليئة بالتوتر ، وبرزت دلائل عديدة تشير الى اعتداءات اسرائيلية محتلمة على سوريا ولبنان . ابرز هذه الدلائل التي اجمعت عليها الدوائر الصحفية والرسمية ، ومن بينها الدوائر الفلسطينية :

١ - الحشود والتحركات العسكرية الاسرائيلية غير الاعتيادية على الحدود مع سوريا ولبنان ،

وتكرار تخليق الطائرات في القرى والمدن اللبنانية .  
٢ - ابراز الصحف الاسرائيلية لانياء حالة التوتر ، ولاتباء منع المدنيين وسياراتهم من الاقتراب من مناطق الحدود .

٣ - الفيتو الامريكي في مجلس الامن الذي افشل مشروع القرار الداعي لادانة اسرائيل بعد غاراتها الوحشية على القرى ومخيمات اللاجئين يوم ٨ ايلول . وقد فسر الفيتو الامريكي ، على انه بمثابة ضوء اخضر لاسرائيل للتحرک في المنطقة .

وكمادة اسرائيل الدائسة اثناء التحضير لاي عدوان ، بدأت في ابراز نشاطات الفدائيين وتسريب انبائها لوكالات الانباء العالمية ، بينما تفرض على هذه الانباء حظرا شبه كامل حين يكون من خطتها ان تبقى الحدود هادئة . ففي ١٤ ايلول قال ناظم عسكري اسرائيلي ان اشتباكا مع الفدائيين وقع عند حدود لبنان اصيب فيه جنديان اسرائيليان بجراح . وفي اليوم التالي قال الناظم ان جنديين اسرائيليين قتلوا وجرح ثالث في اشتباك مع الفدائيين في الجولان . ثم سربت المصادر العسكرية لوكالات الانباء في الوقت نفسه اخبارا عن خمسة حوادث في منطقة الجولان ، ارفقت بتعليق يتوقع حدوث « تطورات خطيرة جدا » على الحدود مع سوريا .

ولم يكد يمضي على تسريب هذه الانباء اربع وعشرون ساعة ، حتى بدأت اسرائيل فجر السادس عشر من ايلول هجوما واسعا على جنوب لبنان تغلغل الى مسافة ٢٠ كلم ، وهي ابعد مسافة تغلغلت اليها القوات الاسرائيلية حتى الان . وقد دام هذا الهجوم اربعين ساعة ، وشاركت في هذه قوات حركة المقاومة والجيش اللبناني . خسرت فيه المقاومة ٢٠ شهيدا ، وخسر الجيش اللبناني ١٨ شهيدا ، و ٤٦ جريحا ، اضافة الى ٨٠ شهيدا مدنيا . وقد اعلنت اسرائيل في البداية ان هدفها تشييط قرى جنوب لبنان من الفدائيين ، ولكنها لما لبثت ان تالت بصراحة ان هدفها من الهجوم القضاء انتفاق القاهرة الممتود بين المقاومة والسلطة اللبنانية .

حين بدأ الهجوم الاسرائيلي اصدر مجلس الوزراء اللبناني قرارا اعلن فيه فرض حالة الطوارئ . وعلى ضوء هذا القرار ، اصدرت قيادة الجيش اللبناني سلسلة من التعليمات تشمل تنفيذها العمل الفدائي . وخلق ذلك حالة متوترة بين السلطنة والمقاومة ، جعلت احتمال الاصطدام واردا بقوة .

لقد اعتبرت المقاومة تعليمات الجيش اللبناني بمثابة  
انذار ، وقامت اذاعة المقاومة التي تبث من سوريا  
بمهاجمة هذا الانذار الذي كان ينص على ما يلي  
كما نقلته وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » في  
١٧/٩/١٩٧٢ :

« بلاغ خاص

الى جميع قوى الامن :

— المديرية العامة لقوى الامن الداخلي

— المديرية العامة للامن العام

والى اللجنة السياسية العليا الفلسطينية في لبنان

وعلا باحكام المرسوم رقم ٣٩٩١ تاريخ ١٦/٩/١٩٧٢

وعلا باحكام المرسوم الاشتراعي رقم ٥٢ عن

اعلان حالة الطوارئ او المنطقة العسكرية

الصادر في ٥ آب ١٩٦٧ تبلغ قيادة الجيش بموجب

السلطات الممنوحة لها وفقا لاحكام المرسومين المتوه

عنهما اعلاه ما يأتي :

تبركز فصائل المقاومة :

اولا : في القطاعات الحدودية : يبركز تبركز فصائل  
المقاومة .

١ — في القطاع الشرقي « العرقوب »

١.١ — جنوبي طريق شبيعا — حاصبيا

١.٢ — داخل القرى وحتى مسافة ٢ كلم منها  
كحد ادنى .

٢ — في بقة راشيا الوادي :

— داخل القرى وحتى مسافة ٢ كلم منها كحد  
ادنى .

٣ — في القطاع الاوسط :

٣.١ — يبركز دخول القطاع الاوسط لاية عناصر  
جديدة من فصائل المقاومة .

٣.٢ — تخلى جميع قرى هذا القطاع من عناصر  
فصائل المقاومة الموجودة فيها وحتى مسافة

٢ كلم منها كحد ادنى .

٤ — في قطاع النبطية :

يحافظ على الوضع القائم بوجود عناصر فصائل  
المقاومة داخل الخيم .

٥ — في القطاع الغربي :

— يبركز تبركز عناصر فصائل المقاومة وجنودهم في  
القطاع الغربي وخارج المخيمات فيه .

٧ — في منطقة البقاع :

— يبركز تبركز عناصر فصائل المقاومة وجنودهم في

منطقة البقاع وخارج المخيمات الموجودة فيها .

٨ — في منطقة جبل لبنان :

— يبركز تبركز عناصر فصائل المقاومة وجنودهم في

منطقة جبل لبنان وخارج المخيمات الموجودة فيها .

ثانيا — التجول :

١ — في القطاعات :

— يبركز التجول بالسلاح واللباس المرقط او السير

الا لعناصر الكناخ المسلح وبعد التنسيق مع مركز

ارتباط الاركان العامة لشؤون الفلسطينيين

العسكرية .

٢ — خارج المخيمات كافة : مسائل لاعلاه .

ثالثا : الاجراءات : — يتعرض للتوقيف والاحالة

امام القضاء العسكري كل من لا يتقيد باحكام هذا

البلاغ .

رابعا : — التنفيذ :

يعمل بهذا البلاغ اعتبارا من الساعة السادسة من

صباح نهار الاحد الموافق في ١٧/٩/١٩٧٢ . وتكلف

جميع قوى الجيش والامن الداخلي والامن العام

تنفيذ احكام هذا البلاغ .

التوقيع

العماد غانم قائد الجيش «

ولكن السيد صائب سلام ما لبث ان نفى بسرعة

ان يكون الجيش قد وجه اي انذار للفدائيين .

ثم تكرر هذا النفي في مناسبات عديدة لاحقة . ولكن

كل ذلك لم يلبح حالة التوتر السائدة التي ارتفعت

حدثها الى درجة استدعت قيام أكثر من جهة عربية

بالتدخل لتهدئة الوضع ، ومع تكتم الطرفين ،

المقاومة والنظام اللبناني ، في الحديث عما دار

في الاجتماعات المغلقة ، الا انه من الممكن تسجيل

الملاحظات التالية :

١ — لقد خلت الصحف اللبنانية طوال الفترة التي

اعلنت فيها حالة الطوارئ ( الغيت في ٤ ت ١

بإستثناء منطقة الجنوب ) من أي اشارة الى العمل

الفدائي ، وشمل ذلك جميع نشاطات ومظاهر وجود

العمل الفدائي في لبنان ، ومن ضمنها نشاطاته

وانباء تشييع شهدائه ، في معارك التصدي للهجوم

الاسرائيلي .

٢ — اتمام حواجز السلطة العامة على الطرقات

بمراقبة تنقلات الفدائيين واحتجازهم .

٣ — انتشار جو من التسلق العام دفع رئيس

لوضع الاتفاق موضع التنفيذ .

وعلى اثر ذلك برز حادثان كان لهما دلالة مشابهة واضحة ، الحدث الاول قيام السيد صائب سلام بجولة في مناطق جنوب لبنان ، جرى فيها اعداد استقبالات « رسمية » له ، ابلغ اثناءها سكان الاهالي يرغبون ببقاء الجيش وبخروج الفدائيين . والحدث الثاني قيام السيد ياسر عرفات على رأس وفد فلسطيني بزيارة عدد من الشخصيات السياسية اللبنانية المعروفة برفضها لاتفاق القاهرة ( شعون - اده - الجيل ) ، كما قام ايضا بزيارة كل من السيد كامل الاسعد ، وموسى الصدر ، والمفتي حسن خالد . وقد كان اهم هذه اللقاءات الاجتماع الذي تم بين الرئيس فرنسيس وياسر عرفات ، وسعد العبد الله وزير الدفاع الكويتي ، وذلك بناء على وساطة كويتية ، فكان انها كانت معنية بازالة فجوة كانت موجودة ، اضافة الى ازالة التوتر العام في العلاقات . وبذلك انتهت جولة جديدة من جولات التازم بين المقاومة الفلسطينية والنظام اللبناني ، في ظل ظروف سياسية وعسكرية صعبة ومعقدة .

**حكومة القنى :** في الخطاب الذي القاه في الفكري الثانية لوفاء الرئيس جمال عبد الناصر ، فاجاب الرئيس السادات الجييع بدعوته الى تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة ، وابعلانه استعداد مصر للاعتراف بهذه الحكومة اذا ما شكلت . وعلى الفور برزت اسئلة عديدة حول ما اذا كان الرئيس السادات قد اقترح هذا الموضوع بمبادرة منه ام بناء على بحث مسبق مع قيادات المقاومة . وبينما اعلنت معلومات صحفية ان السادات بحث اقتراحه مع بعض القيادات ، قالت مصادر المقاومة ان احدا من قادتها لم يكن على علم مسبق بالاقتراح ، وانها كانت تفضل لو احاطها الرئيس السادات علما بالموضوع قبل اعلانه . وحسول الموقف الرسمي الذي سيتخذ قالت هذه المصادر انه من الضروري التشاور مع بعض الانظمة العربية قبل الاعلان عنه .

وقد لوحظ ان اللجنة التنفيذية ، وفضائل المقاومة كافة ، اتبعت تكتيكا سياسيا يتلخص بتعتيق

١ - التهل في رفض الاقتراح .

٢ - صياغة الرفض بطريقة لا تفتح جدلا او معركة سياسية مع القاهرة .

الوزراء الى تمن وجسود انداز بوجه الفدائيين ( ١٧ ايلول ) ، وقيام وزير الخارجية بابلاغ السبراء العرب ان حالة الطوارئ ليست موجهة ضد المقاومة ( ١٨ ايلول ) . ومن جهة اخرى دفع هذا الجو القلق مشيمي جنازة شهداء المقاومة في بيروت ( ١٥ الفا ) الى رفع شعارات تطالب بالفناء حالة الطوارئ ، كما دفع مشيمي جنازة شهداء المقاومة في صيدا الى رفع شعار يقول « لا ، لا ، لا للانداز » ( ١٩ ايلول ) .

٤ - وصل محمود رياض ، الامين العام للجامعة العربية ، الى بيروت ، وعقد اجتمعات متواصلة مع المسؤولين اللبنانيين ، ومع قادة المقاومة ، انتهت باجتماع ثلاثي ، في ٢٠ ايلول ، قال محمود رياض على اثره للصحافيين ، انه يسافر وهو متفائل .

٥ - ظهر اثناء ذلك كله بوضوح ، ان الطرفين اللبناني والفلسطيني حريضان على عدم الاصطدام . فقد اعلن صائب سلام اكثر من مرة ، انه لن يكون هناك اي صدام . واصلت المقاومة اكثر من مرة انها تتفهم خصوصية الساحة اللبنانية ، والظروف التي تحيط بلبنان .

٦ - كانت اوضح اشارة فلسطينية لجو التوتر القائم ما ورد على لسان السيد زهير محسن عضو اللجنة التنفيذية حين قال ان هناك توترا بين الدولة والمقاومة « اتخذ طابعا اكثر حدة وتازما اذ ترائق مع محاولات لغرض اجراءات وقيود لا يمكن قبولها » واصل ان « المقاومة ستظل تحرص الى ابعاد الحدود على معالجة كل الاشكالات الطارئة بالحوار الايجابي والاتصالات الودية ... واننا نتفهم واقع لبنان ، وتطلب من لبنان ان يتفهم واقع الفلسطينيين » ( ٢٠ ايلول ) . وعلى اثر هذه الوثائق اعلنت مصادر مطلعة للصحافة يوم ٢١ ايلول انه تم التوصل الى صيغة تعاون بين المقاومة والنظام تقوم على اساس الاستقرار في تجييد النشاط الفدائي ، وتركز القوات الفدائية خارج المدن والقرى . ولكن يبدو ان استمرار فرض حالة الطوارئ ، واستمرار اعمال الحواجز على الطرقات ، ابقث جو التوتر قائبا بالرغم من الاتفاق الذي تم التوصل اليه . ولذلك فقد استمر الحوار ، واستمرت اللقائات حتى ٢٥ ايلول ، حيث اعلن ان جو التوتر قد انتهى ، وان لجنتين مختبتين قد انتقلتا الى الجنوب



شهدت هذه الفترة وصول عدد كبير من الرسائل الملقومة الى السفارات الاسرائيلية في الخارج ، والى داخل اسرائيل نفسها . وكشف النقاب عن هذه الرسائل حين انفجرت احداها في يد موظف كبير في سفارة اسرائيل بلندن ادت الى مقتلته ، واصابة موظف اخر بجراح يوم ١٩ ايلول . وأعلن في الوقت نفسه ان هذه الرسالة واحدة من تسع رسائل كانت موجهة الى موظفي السفارة ، وعلى أثر ذلك بدأ الاعلان عن وصول رسائل اخرى الى السفارات الاسرائيلية شملت مساحة واسعة من العالم قدر عددها بأكثر من ستين رسالة ، جرى كشف معظمها بعد الاحتياطات الواسعة التي اتخذت .

هذا وقد أعلنت المصادر الاسرائيلية ان الرسائل الملقومة التي اكتشفت كانت تحمل رسائل موقعة باسم منظمة ايلول الاسود ، ولكن المنظمة لم تصدر اي بيان يعلن مسؤوليتها عن الرسائل .

وبالتقابل وقع انفجار في مكتبة متخصصة ببيع الكتب المتعلقة بالعضية الفلسطينية في باريس ( ٤ ا ١ ) أحدث اضرارا طفيفة ، وأعلنت حركة صهيونية تسمى « حركة مسادا للعمل والدمساع » انها مسؤولة عن الحادث . وفي ٨ ا ١ القيت في بيروت متفجرتان على مكتب منظمة التحرير وعلى مكتب فدائي بمخيم شاتيلا ، أحدثا اضرارا طفيفة ، وعلق مصدر فلسطيني قائلا ان الاسلوب يكشف عن الفاعلين ، وفهم ذلك على انه اتهام للمخابرات الاردنية بتبدير الحادث .

أما داخل الاراضي المحتلة فقد وقع انفجار كبير يوم ٢٩ ايلول في اكبر مخزن للقمون (سوبر ماركت) في مدينة القدس ، ادى الى اصابة ثلاثة اشخاص بجراح ، واعتقل على أثر الحادث ١٢٠ عربيا للتحقيق معهم .

## بلال الحسن

### ملحق : تقرير عن معركة القطاع الاوسط

جنوب لبنان ، لا بد من وقفة تتناول تلك المعارك من ثلاث زوايا : الزاوية السياسية ، والزاوية العسكرية ، والزاوية الخاصة بالحقيقة التاريخية

وكان وراء هذا الموقف كما يبدو رغبة المقاومة في تجنب الاجراء التي سمعت بينها وبين النظام المصري عشية الموافقة على مبادرة روجرز عام ١٩٧٠ ، وبقائهما بأن المبادرة مصرية محضة ، لا تعكس اجواء دولية تسمى بالاتجاه نفسه ، ويمكن بالتالي حصر الموضوع وحله ضمن هذا الإطار .

وبالفعل فقد تأخر صدور اي موقف رسمي عن منظمة التحرير حتى ٢ ت ١ ، حيث صدر بيان بعد اجتماع اللجنة التنفيذية رفض الاقتراح بشكل غير مباشر حين قال ان اللجنة قررت دعم الكيان الفلسطيني المتمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية . وفي الوقت نفسه الذي اذيع فيه هذا البيان وصل الى القاهرة وقد رسمي برئاسة السيد خالد الفاهوم وعضوية خالد الحسن وسامي العطار وحامد ابو ستة ، وعقد اجتماعين ، الأول مع سيد مرعي الامين العام للاتحاد الاشتراكي ، والثاني مع الرئيس السادات ( ٧ ت ١ ) ، وصدر عن هذا الاجتماع بيان جاء فيه ان الرئيس المصري أكد « ان الشعب الفلسطيني ممثلا بمنظمة التحرير هو صاحب الحق في تقرير موافقه » . وقد فسرت هذه الاشارة الى منظمة التحرير ، على انها تتضمن موافقة الرئيس السادات على موقف اللجنة التنفيذية . وكان قد سبق للرئيس السادات ان اعلن في مقابلة مع مجلة الحوادث اللبنانية انه اقترح حكومة المنفى مثل الاتصال بالفلسطينيين . وبذلك اعتبرت المسألة منتهية ، دون ان تولد اي حساسيات .

أما ما يتعلق بالنقاشات الداخلية ، فقد كيان هناك اجماع بين الفصائل الفدائية على ضرورة الالتزام بالتكتيك الذي اعلن ونفذ . وحين انفردت الجبهة الشعبية ، بإذاعة بيان صحفي (٣٠ ايلول) يعلن رفضها لحكومة المنفى قائلة انها لمست « من خلال اتصالاتها الاولى بوسائل المقاومة الاخرى ان هناك اجماعا على رفض المشروع » .

الرسائل الملقومة : وعلى صعيد افعال العتب ،

امام التعميم الاعلامي الذي صاحب ، وأعقب ، معارك الاربعة ساعة التي ابتدأت صباح ( الساعة الخامسة ) ١٩٧٢/٩/١٦ في القطاع الاوسط في

أولاً : **الزاوية السياسية** : لقد كان طابع الغزو العسكري الصهيوني على القطاع الأوسط أبعد ما يكون عن طابع العمليات العسكرية ضد القوات العسكرية المقابلة . ويستند هذا الرأي على الحقائق التالية : ( أ ) عدم ترحل قوات العدو من ألياتها لمطاردة الفدائيين أو التوجه الى مواقعهم ، الا في الحالات التي كانوا يدخلون فيها قرية اطلق الفدائيون ضواحيها . ( المرجع : مقابلة « مع آمر الفصيل الذي تصدى للهجوم على مجدل سلم » — كراسة « حرب الاربعةين ساعة » — منظمة التحرير الفلسطينية — ) ، ( ب ) تركيز النار على الاغالي ، وميليات تشييط لمساكن المدنيين مصحوبة بمختلف الاجراءات الارهابية ( المرجع السابق ) ، ( ج ) معارك الصدام مع الفدائيين تمت ببساطة القوات الفدائية ( المرجع السابق ) .

كان العدو يعرف سلفا انه لن يستطيع مفاجأة الفدائيين بهجوم يقوم به في ذلك التاريخ ، فقد كانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد اصدرت بيانا ، عقب اجتماعها في ١٤/٩/٧٢ ، تعلن فيه عن توقع العدوان ، وتدعو الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة . ولهذا ، فمن غير المنطقي ان يكون العدو قد هدف من عدوانه الظفر بالفدائيين وخرابهم ، ما دام الغزو اصبح متوقعا ، وما دامت القوات الفدائية المحدودة العدد في القطاع الاوسط قد استنفرت وانتشرت . وفي هذه الحالة ، من غير الممكن القيام بعمليات عسكرية بالقوات البرية الا عن طريق ترحلها من ألياتها لصعود الجبال ونزول الاديبة بحثا عن الوحدات الفدائية الفوارية وهذا الذي لم يحدث ، اذ توجهت الاليات الى القرى حيث السكان العزل من السلاح ، لتوجه ضرباتها ، فالمقصود ، اذن ، الهدف السياسي الذي يرمي الى ارباب أهالي القطاع الاوسط وتحريضهم ضد العمل الفدائي ، اي وضع الجماهير بين خيارين اما التعاطف مع العمل الفدائي والنزول تحت سيف ارباب اسود بيد جيش العدو الصهيوني ، واما التحرك ضد العمل الفدائي والمطالبة باخراجه من الجنوب نهائيا بل من ارض لبنان كلها ، تحت التهديد بعودة ذلك الازهاب — بكل ما تحمل الكلمة من معنى . هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى ، فممارسة حفظ على السلطات اللبنانية لتتخذ الموقف نفسه .

ثانيا : **الزاوية العسكرية** : يلاحظ من مختلف

البلاغات العسكرية التي صدرت عن القوات وتلك التي صدرت عن الناطق العسكري اللبناني ان الملامح الاساسية للحركة التكتيكية لقوات العدو ، خلافا لعملياته السابقة ، تبدو في عدم استخدامه نيران الطيران بصورة رئيسية كمنهجية للحركة التكتيكية للقوات البرية وكجزء منها ، وذلك راجع لسببين رئيسيين : ( ١ ) طابع القوات الفدائية المتواجدة في القطاع الاوسط ( محدودة ) ، عددها ، انتشارها ، حسن توييها ، وكثرة حركتها — وبالمناسبة ، لم تتعرض قوات الفدائيين في القطاع الاوسط منذ عام ١٩٦٩ لاية غارة جوية . ( ٢ ) طابع الهدف الذي تحركت الحملة الصهيونية لتحقيقه . في الواقع ، لم يقصف الطيران خلال تلك الغزوة سوى اربعة مواقع وهي : ( ١ ) بيت ياحسون ( ٢ ) الججمسة ( ٣ ) بير السلاسل ( ٤ ) سيارة تحمل مدفع ١٠٦ بين السلطانية وبير السلاسل . وكانت هذه النقاط كلها للجيش اللبناني تصدت لاليات العدو بمدافع ١٠٦ . ومن هنا يكون دور الطيران في هذا الغزو قد تحدد في تأمين حماية لتقدم الاليات ، ولكن لم تكن نيرانه الشرط المسبق لتقدمها ، فضلا عن دوره الاستطلاعي والتوجيهي . ولهذا يمكن الاستنتاج ان تخطيط العدو ارتكز على توقع دخول منطقة خالته من مواقع دفاعية محددة تحتاج لقصف جوي مركز يمهّد لهجوم الاليات .

لقد اتاحت هذه الظروف لقيادة القطاع الاوسط اتملاك زمام المبادرة في نصب كمائن لا يتوقعها العدو ، راحت تفاجئه بمدافع ( ب ٧ ) المضادة للدبابات ، وذلك من مسافات لا تزيد على خمسين مترا مما عطل امكانية اشتراك الطيران في حياطة الدبابات من الكوارث التي حلت بها . ولقد اتفقت الوحدات الفوارية المؤلفة من ٥ — ٧ فدائيين مسلحة بمدفع ب ٧ هذا التكتيك وقد اصابته نجاحات اكبر بكثير من اجهامها ومستوى تسليحها . ان دراسة تجربة هذه المعركة من ناحية نصيب الكمائن ثم الانسحاب السريع بعد الصدام مع الدبابات المتقدمة ثم العودة لنصب كمائن جديدة او مطاردة اطراف من قوات العدو ، دون ان يتنازع للعدو الامانة من طيرانه . ان دراسة هذه التجربة سوف تسهم في اغناء فن التكتيك الفوارية في ظروف التصدي لقوات آلية مدمومة بطيران نشط ودقيق ، اي ظروف التطورات التقنية الجديدة وسرعة

الحركة التكتيكية للقوات الآلية البرية وللطيران . يقول الاخ القائد العسكري لقوات الثورة في القطاع الأوسط في جوابه على سؤال مراسل « فلسطين الثورة » - الإريعاء ، ٢٧ أيلول ١٩٧٢ ، صفحة ١ - : « لم يعد سرا ان وجودنا العسكري في القطاع الأوسط كما تنص عليه اتفاقية القاهرة والتسريرات المحقة به هو وجود محدد من حيث العدد ومواقع التواجد ، وبان تسليح هذا القطاع لا يتجاوز الاسلحة الفردية الصغيرة وهو لهذا ليس قطاعا عسكريا يستطيع ان يقوم بمهمات دفاعية عن القرى او المنطقة ... مثل هذه المهمة تحتاج الى اعداد وتسليح وتكتيكات مختلفة . ولهذا فان خططنا لا تقوم على اساس الدفاع ( الكلي ) بل على اساس الدفاع ( الموضعي ) بهدف ايقاع أكبر خسائر ممكنة بالعدو ثم الانسحاب وشن غارات فدائية على مواقع وتحركات قوات العدو ، وهكذا فعلنا .

الذين يطالبوننا بالدفاع عن القطاع الأوسط ومنع العدو من دخوله لا يعرفون معنى حرب العصابات ، ولا يعرفون وضع القطاع كما تحدده اتفاقية القاهرة . ثمة ثلاث موضوعات في هذا التصريح : ( ١ ) اعداد الفدائيين محدودة جدا ، كما ان الاسلحة فردية خفيفة فهو لهذا ليس قطاعا عسكريا دفاعيا بالمعنى المحدد للكلمة « دفاعي » ، ( ٢ ) الدفاع هو من طراز الدفاع القواربي - الموضعي المتحرك . ( ٣ ) التكتيك الهجومى هو شن غارات قواربية الطابع على مواقع العدو وتحركاته . وتعنى هذه السمات الثلاث ان القوات الفدائية في القطاع الأوسط ، خلافا لمواقع أخرى ، ذات طابع الوحدات القواربية المتحركة التي تتجنب المواجهة الواسعة وتقتصر دفاعها على الدفاع « الموضعي » الجزئي المنقل الذي يأخذ شكل الكمان الدفاعية - الهجومية ، كما تقتصر هجومها على الهجمات بوحدات صغيرة متفرقة تقرها كل وحدة قواربية زمانا ومكانا واسلوبا في اثناء سير المعركة .

ثالثا : الزاوية الخاصة بالحقيقة التاريخية : كان باستطاعة قوات الثورة الفلسطينية ، نظرا لحدودية عددها وخفتها ، ولعزيمتها المسبقة

بالهجوم ، ولطبيعة الأرض في القطاع الأوسط ، ان تستخفي تماما من وجه العدو ، وتتجنب اي هدام معه ، ولكنها قررت نصب الكمائن وشن الهجمات القواربية طوال اربعين ساعة ، وحافظت على وتيرة تكتيكاتها الهجومية حتى مغادرة آخر آلية معادية ساحة المعركة ، وكانت نتيجة هذه الكمائن والهجمات « تدمير واعطاب عدد كبير من الدبابات والدروع ، امكن احصاء ١٣ منها احصاء دقيقا » ( المصدر السابق ص ١١ ) فضلا عن اعداد من القتلى والجرحى ، لا تقل عن السبعين ، عدا الاليات التي دمرها الجيش اللبناني .

رغم كل ذلك ضرب ستار من الظلام على المعارك التي خاضها الفدائيون في تلك الحملة المعادية ، ولم يعترف الرأي العام الا بمعركة جوبا ، بسبب وجود مراسلين اجانب في القرية في اثناء الاشتباك ، ولكن الحقيقة ان معركة جوبا التي وصلها المراسلون الاجانب بانها « جهنم فتحت ثيرانها » على قوات العدو الصهيوني ، لم تكن قمة ما خاضه الفدائيون من معارك في تلك الحملة المعادية ، فقد كانت معارك عيناتا ومجدل سلم ، وقبريخا ، والرماية ، وصدفين لا تقل عنها ان لم تكن معركتا مجدل سلم وقبريخا اشد وطأة على العدو . مثلا لقد كانت معركة عيناتا اشتباكا مع قوات العدو دام ثلاث ساعات ونصف الساعة ( من الساعة الثانية والنصف حتى السادسة من صباح اليوم التالي ) وقد شلت الكمائن المقدمة خارج عيناتا قوات الكوماندوز المعادية ودمرت آلياتهم . اما معركة قبريخا فقد دمرت فيها آليات في مشارف القرية . ثم موجنت قوات العدو بعد دخولها ساحة البلد بحرب شوارع حقيقية دمرت فيها دبابة ثالثة .

السؤال الآن ، الا تستحق تلك البطولات تزيق ستار التعتيم الاعلامي ، لتسلط الاضواء على تلك المعارك التي تؤكد امكانية القتال ، وتكرس ارادة القتال ، وتدفع يجهاهنا الفلسطينية والعربية الى التحقق ، اكثر فاكثرا ، من صحة استراتيجية حرب الشعب في مواجهة العدو الصهيوني السذي يريد تركيع وطننا العربي بالهراوة ؟

منير شفيق

## (٢) القضية الفلسطينية عربياً

١ - عدوان ١٦ أيلول على لبنان :

كانت الصحف قد أعلنت يوم ٩/١٥ بأن هناك عدواناً واسعاً مرتقبا على لبنان ، استنادا الى معلومات « وفا » ، وكالة الانباء الفلسطينية . كما حملت الصحف ، في اليوم ذاته تضريرا لكبال جنبلاط، ادلى به ، بعد لقاء مع السفير السوفياتي ، جاء فيه : « ابلغنا السفير ان الحالة خطيرة جدا بالنسبة للبنان وسوريه والدول العربية . وخصوصا لبنان وسوريا » ( المحرر ٧٢/٩/١٥ ) . وكان ابا ايمن في هذا الوقت بالذات يرسل مذكرات شخصية الى نحو اربعين وزير خارجية في العالم يلقي فيها مسؤولية « الازهاق » على سورية ومصر ولبنان ( النهار ٧٢/٩/١٦ ) . وهذا الاسلوب ، اسلوب تحميل الدول العربية مسؤولية ما يحدث ، ليس جديدا . انه اسلوب قديم ولكن القادة « الاسرائيليين » ما زالوا يعتبرونه الاسلوب الوحيد الناجع في ملاحقة المقاومة الفلسطينية ، وفي اخضاع الدول العربية . لقد أكد دايفد اليمازر هذه الحقيقة ، معتبرا ان « ... تحميل الدول والحكومات العربية ... المسؤولية » جزء اساسي من استراتيجيته . وكان دايان اكثر وضوحا ، فلقد قال : « اما ان تتولى الحكومة اللبنانية مراقبة العدائين ومنعهم من العودة الى ارض فتح ... واما ان تتولى اسرائيل ذلك ، وفي هذه الحال فان ارض العرقوب ستعمر فيها دوريات عسكرية اسرائيلية في شكل منتظم » . وأشارت جولدا مئير الى القضية ذاتها قائلة : « ... ان اسرائيل مصممة على ضرب لبنان مرة بعد مرة » اذا لم يلغ الوجود الفلسطيني من ارضه ... لن نتنظر كي يضربونا ... اننا سنهاجمهم حيث نعثر عليهم » ( الجديد ، ٣٠٣ ، ٧٢/٩/٢٩ ) . وكانت آخر « النظريات » التي أعلنت في هذا المجال نظرية حاييم مرتزوغ الملقب الرئيسي في اذاعة العدو . وترى هذه « النظرية » : « ان مجرد وجود الفلسطينيين في جنوب لبنان ، ولو لم يقوموا بأي نشاط كان كي تدخل اسرائيل الاراضي اللبنانية وتهاجمهم » نشره رعد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٠/١٢ - ) .

وهدف دولة الاحتلال من هذه التصريحات والحملات الدعائية واضح ومحدد : انه دفع الدول العربية

الى تصفية المقاومة الفلسطينية تحت وطأة التهديد باجتياح اراضيها واحتلالها . الدول العربية مطالبة بأن تتحول الى أداة تمج وتصفية . والمثل الذي تتفنى به دولة الاحتلال هو مثل الأردن . لماذا لا يفعل لبنان مع المقاومة ما فعله الأردن ؟ ودولة الاحتلال لا تحتاج الى مبررات : فليس من الضروري ان يكون هناك « مبررات » لعدوانها ، انها تمتددي ساعة تشاء ، وهي تمتددي حسب استراتيجيتها . ووفق اهدافها . وما تريد سحقه الآن ليس قاعدة مقاومة هنا او مركز قيادة هناك . انها تريد سحق ارادة القتال في المنطقة ، ليجد الاستسلام طريقه الى النفوس ، ومن ثم الى الواقع . ولكن يتحقق هذا لا بد من ان تصبح دولة الاحتلال سيده المنطقة بلا منازع ، تحكها من تل ابيب دون ان تحرك طائفة او جنديا ، تأمر فيمثل الآخرون ، تسمى فيستحيون .

ولقد اشار الاستاذ احمد بهاء الدين الى هذه الحقيقة قائلا : « ... فخزاه ان اسرائيل اصبح لها من السطوة في المنطقة ما يجعلها تستطيع باشارة من اصبعها ان تؤثر في تطورات داخلية تماما ، خاصة باقطار عربية شتى » . وذكر في هذا المجال زادارا لبنانيا طلبت دولة الاحتلال ايقافه عن العمل فتوقف ، كما ذكر مشروع ادمه في استثمار مياه النهر اللبنانية ، وكيف ان المشروع مجد بسبب الخشية من دولة الاحتلال . ويضيف الاستاذ احمد بهاء الدين : « ان ارادة اسرائيل وارادة امريكا كليهما اصبحتا في وضع يتيح لهما ان يسمحا بهذا ولا يسمحا بذلك ، وان يؤثرتا في مجريات الامور ، حتى الداخلية في هذا القطر العربي او ذاك . ومع مرور الزمن سوف تتسع الدائرة التي يمكن التأثير فيها على هذا النحو » ( الاهرام ٧٢/٩/٢٤ ) .

وما فعلته دولة الاحتلال صبيحة يوم ٧٢/٩/١٦ لا يخرج عن اطار هذه الاستراتيجية التي تستهدف اخضاع ارادة العربية من خلال التهديد ، فان لم يتجح فبالعدوان .

وما كاد العدوان « الاسرائيلي » يبدأ حتى بدأ رد الفعل اللبناني يأخذ ابعاده . وتمثل رد الفعل اللبناني فيما يلي :

اولا : اعلان حالة الطوارئ ، ثانيا : توجيه اذار الى المقاومة ، يلقي اتفاق القاهرة عمليا .  
ثالثا : التركيز على دور الجيش اللبناني واغفال أية إشارة الى دور المقاومة . رابعا : فرض الرقابة على الصحف ووسائل الإعلام ومنعها من الإشارة الى كلنة المقاومة ، او كل ما يدل عليها .

ويذا واضحا ان هذه الاجراءات السريعة ، وخاصة اعلان حالة الطوارئ وتوجيه الاذار الى المقاومة ، جاءت ضمن خطة مبيتة ، وبالتفان مع اوساط دولية ، وانها أعدت سلفا ، وبهدف تصفية المقاومة في لبنان . وزاد من الفناعة بهذا تركيز السلطة على دور الجيش ومقاومته وصموده واغفال دور المقاومة نهائيا ، ومحاولتها إلغاء المقاومة من ذهن المواطن العادي بشطب كل ما يدل عليها من قاموس الاستخدام اليومي . كما لعب انتشار الحواجز العسكرية والحصار الذي فرض على قواعد المقاومة دورا كبيرا في تزييم الموقف وايصال الأمور الى حافة الصدام .

هل كانت السلطة تريد صداما في هذا الوقت بالذات ؟ ان السلطة كانت تريد تقليص حجم المقاومة في هذه المرحلة . وارتأت ان تلجأ في ذلك الى : أ - استغلال ظروف العدوان والتهديد باحتلال اراضي الجنوب . ب - الضغط السياسي على المقاومة ، باستخدام وسائل الضغط المختلفة ، ومنها التهديد بالصدام . ج - الصدام المحدود ، او الاشتباكات المحدودة ، اذا اقتضى الأمر ، ويعود ذلك الى ان الصدام الشامل يحتاج الى تعبئة سياسية وعسكرية اكبر ، والى جو عربي اكثر بلاغة ، والى مناخ داخلي اكثر تهيؤا ، وحتى يهبط كل ذلك يجري تقليص حجم المقاومة ودورها في لبنان من طريق سلسلة من الضغوط ، ثم سلسلة من الانتفاخات مع قيادة المقاومة .

وتركز اهتمام السلطة في هذه الجولة على قضيتين : الأولى - عدم استخدام الأراضي اللبنانية انطلاقا لعمليات الحدود الثانية - خروج قواعد المقاومة من القرى والمدن .

وأهمية القضية الأولى تنبع من ان هذا الاتفاق يحدد قواعد المقاومة ، ويتركها فريسة الشعور بأنها مجعدة ، لا تفعل شيئا . واذا كان هذا الوضع سيزق المقاتل الرابض في قاعدته ، فانه سيرتك المواطن يحسن ان هذه القوات المجعدة لا

جدوى من وجودها . اما فيما يتعلق بالقضية الثانية ، فان الخروج من المدن والقرى يزيد من عزلة المقاتلين ، ويضعف من فرص الاستفزاز بهم وضربهم . ان هدف الخروج من القرى والمدن في لبنان ، لا يختلف عن هدف نقل المقاتلين في الاردن الى احراج جرش وعجلون ، الخالية من السكان . وقد جرت تغطية القضية بستارين : الاول يبرز ضعف لبنان وعدم قدرته على المجابهة ، وعجز الدول العربية عن انتهاز سياسة دماغية ناجعة . والثاني ، يبرز رغبة السكان في الجنوب في ان يعيشوا آمنين ، وان يكونوا في منجى من الانتقام الاسرائيلي .

وهكذا اصبح وجود « العمل الفدائي » في لبنان هو المشكلة . ولذلك فقد اخذ بعض الاصوات يطرح الحل . وها هو غسان تويني في افتتاحية للنهار ييسار بعد العدوان مباشرة الى طرح استراتيجية جديدة للمقاومة الفلسطينية تقوم على الاسس التالية : ١ - القوات العسكرية للمقاومة تتحول الى جزء من القوات النظامية العربية ، وتعمل ضمن استراتيجيتها . ٢ - تنتقل المقاومة الى العمل السري على طريقة ابول الاسود . ومع ان هذه الافكار ليست جديدة ، اذ انها تمثل خطا معروفا داخل المقاومة وخارجها ، فقد بدأت تطرح من جديد طرحا وإثقا ملحا . وكان بيار الجميل من الذين خاضوا غمار الحديث عن القضية في مؤتمر حزب الكتائب ( النهار ، ٢٣/٩/٧٢ ) . وقد ركز الشيخ بيار الجميل على ثلاث قضايا اساسية : الأولى : ان تفرق المقاومة بين العمل الفدائي والعمل العسكري « على اساس ان العمل العسكري ليس اوانه ، ولهذا السبب كان « العمل الفدائي » وليس من مبرر للعمل الفدائي ، سوى هذا السبب تقريبا . بمعنى انه اذا استحلال العمل الفدائي عملا عسكريا ، فقد مبرره الاساسي الوحيد ، وكان وبالا على نفسه وعلى قضيته وعلى العرب جميعا » . الثانية - ان لبنان هو الذي يحدد نوع مساعدته للمقاومة وحجتها « وينبغي ان تتقبل المقاومة بالمساعدة التي يقدمها لبنان الى كفافها العادل ، بنوع هذه المساعدة ومقدارها ، قبولاً يكون اقرب الى الاقتناع منه الى التسليم بالامر الواقع ... دور لبنان في المعركة لا يحدد قياسا على حاجات المقاومة وهي كثيرة وحجتها يفوق حجم امكانيات لبنان بأشواط » والمقاومة عندما تطالب مثلا بالعمل من

« الفعل العدائي » ، وبالتفصيل بالتسوية والتأثيرات  
الأسود . ولكن هذا الشيطان يخفي وراءه حقيقة  
مهمة وهي ان هذا الخط يرفض الفعل العربي  
في الحقيقة ، وما تغنيه به إلا من باب الخديعة .  
وهو اذا كان يسمى للاستفادة من عملية كميالية  
حيونيك ، فما ذلك إلا للضغط على القوى العالية  
من أجل حل عاجل للقضية الفلسطينية . ولكن  
مثل هذا الحل يتطلب ان تنازل المقاومة الفلسطينية  
عن مواضعها ومكتسباتها ، وان تدمر اعمدة ثورتها  
وهو ما تعمل من أجله قوى مختلفة عربية وغير  
عربية . لان المقاومة اذا فعلت ذلك دخلت حلقة  
الحل الاستسلامي . وهو ما يراد لها . هذا ما  
طلبه لبنان الرسمي من المقاومة ، وما أبدته فيه  
قوى لبنانية معروفة . وبالتقابل كان هناك موقف  
القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية والجهاد  
المساندة لها .

واليوم وبعد مرور شهر ، تبدو الازمة هادئة ، ومع  
ان الوضع استمر كما كان . فهل يعني هذا ان  
الازمة قد انتهت ؟ لا طبعاً .

ان ما حصل لا يعدو ان يكون عملية « تهدئة » .  
واذا كانت قد حصلت اجتماعات ولقاءات  
«... محصيلة هذه اللقاءات لم تكن أكثر من  
« حوار » منع الصدام « مؤقتاً » . وجرى فيه  
استعراض « لوجهات النظر » دون الوصول إلى  
نتيجة حاسمة ، وهذا يعني ان التوتر قد يعود  
في أية لحظة ، بالرغم من « التوايا الحسنة »  
و« الثقة المتبادلة » . ويعني أيضاً - وبمراعاة  
ان المساعي التي بذلت ، بما في ذلك مساعي  
الكويت كانت مساعي تهدئة أكثر منها مساعي تسوية  
او حل نهائي . اذا فالوضع كله قابل للانفجار في  
أية لحظة ، وكل ما حدث حتى الآن هو « تصبده »  
مؤقتاً ريثما يجري البحث عن حل نهائي « ( الجوائد  
٧٢/١٠/٦ ) .

ولكن ما هو هذا الحل ؟ انه احد اثنين ، فاما ان  
تتفى المقاومة وتصبح طليعة وطن عربي مقاتل ، او  
ان تتكيف وتصبح جزءاً من واقع الاستسلام الحالي .  
وبما ان تحول الوطن العربي إلى وطن مقاتل  
قضية بحاجة إلى الكثير من النضال والعرق والدم ،  
فان المقاومة ستواجه ازمات مقلية أكثر حدة .

ان العدو يعرف نقاط ضعف السياسة العربية ،  
وهو لذلك سيعمد إلى مزيد من الهجمات ، وإلى  
مزيد من التهديدات والاضغوط . وسيزداد عدد

خديفنا « انما تفرض علينا نوعاً من انواع  
الاحتلال ، وتوقدنا إلى معركة بل التي مفاك غير  
مكافئة مع اسرائيل نتيجة خسارة الأرض والكرامة  
وأخر جلاذ للمقاومة نفسها » . الثالثة : ان لبنان  
لا يريد التورط في صراع مع المقاومة . « وإذا  
كانت اسرائيل تتوخى من انتقاماتها استدراجنا  
إلى هذا الصراع فعلياً تحاول » . هذا ما يقوله  
الشيخ بيار . ويضيف : « لاننا ، بين هذه الانتقامات  
وبين حرب أهلية في بلادنا يكون الفلسطينيون طرفاً  
فيها ، فنفضل الحالة الأولى ، وهي شر كبير لكنه  
أهون الشرين ! واتفاق القاهرة ما كان إلا تحت  
ضغط هذه الضرورة او هذا الاختيار المصعب » .  
ولكن الشيخ بيار يضيف قائلاً : « لكن تأمل الا  
تحاول المقاومة استغلال نقطة الضعف هذه بهذا  
الشكل او ذلك . أي ان تتخذ من خوفنا من الحرب  
الإهلية أداة لكي تنتزع منا ما تريده . لان حرصنا  
على الوحدة الداخلية يكون حرصاً لا معنى له ،  
ساعة يصبح بدرجة إلى التسليم بالتأييد تام ! » .

وبعد ان يؤيد الشيخ الجليل اجراءات الدولة  
يحدد ما يسميه « التزاماتنا تجاه القضية  
وإثباتها ، أي ان تصرف المقاومة ، وبما تمادت  
في تورطها واطفائها » . وهذه الالتزامات في رأيه  
« ... اما ان تكون حلقة في خطة عربية شاملة  
متكاملة ، نشترك نحن في وضعها ، واما ان نتولى  
نحن تحديدها بأنفسنا ، بالتفاهم مع المقاومة اذا  
أمكن وأرادت هي نفسها هذا التفاهم طبعاً ،  
اذ نكتفي باستحياء ضميرنا ووجداننا وطاقتنا  
المثابرة وإمكاناتها وسلامتها » . ويلتقي هذا الخط  
مع الخط الذي طرحه غسان تويني ، وهو خط  
يريد ان يحدد للمقاومة طبيعة وجودها على الاراضي  
العربية أولاً . وهو ثانياً يريد ان يقرر لها شكل  
عملها ونوع عملياتها . ثم - ثالثاً - ان هذا  
الخط يريد ان يفتح المقاومة بأن لكل بلد عربي  
دورا هو يحدده على ضوء إمكاناته . رابعاً :  
وعنق هذا كله ، فان لبنان مستعد ان يمضي إلى  
الحرب الأهلية ، اذا لم تتكيف المقاومة مع  
متطلبات وضعه .

ويستهدف هذا الخط تكيف ارادة المقاومة مع  
وضع الإنظمة واخضاع تواقها العسكرية إلى خطة  
عربية شاملة ، وجعل تواقها السياسية أقرب إلى  
التمثيل الدبلوماسي منها إلى التنظيم الشعبي .  
ويستر هذا الخط نفسه بالتحديث عن ضرورة

الذين يتظاهرون ، لانهم لا يريدون الفدائيين (الجريدة ٧٢/١٥/١٥) ، وستزداد صراحة المنظمة في اعلان عجزها عن مقاومة العدو . وستزداد الصراحة ، الى جانب ذلك ، في مطالبة المقاومة بالرحيل ...!

ان الاشهر الستة المقبلة اشهر خطرة ، ستعمل دولة الاحتلال خلالها على فرض امر واقع جديد ، جغرافي او سياسي او الاثنين معا ، لانها تريد ان تقدم لرئيس الولايات المتحدة الجديد خارطة جديدة يباركها . لقد انتهى عدوان السادس عشر من ايلول ، وهو يبدو الآن ، وبعد شهر ، عدوانا ناشلا . ولكنه في الحقيقة بداية مرحلة جديدة من مراحل الصراع العربي - الإسرائيلي تريد لها دولة الاحتلال ان تنتهي بالاستسلام الكامل . ولكنها تريد لها ان تبر قبل ذلك ، عبر مقبرة المقاومة .

#### ٢ - حكومة منفي فلسطينية :

يادئ الرئيس السادات التي طرح موضوع حكومة المنفي . ونحن سنل عن الاسباب اجاب :

« ... سبب الاقتراح ان فولدا مثير تنكر وجود الفلسطينيين . ومن الضروري ان نرد على هذا التحدي . فعندما تريد اسرائيل الغناء الشخصية الفلسطينية لا بد ان تؤكد هذه الشخصية وتعتز بها رسميا » . ونحن سنل عما اذا كان أخذ رأي المنظمات الفلسطينية في الموضوع اجاب : « ... لم يحدث اي اتصال مع الفلسطينيين حول هذا الموضوع » ( الحوادث ٧٢/١٥/٦ ) . فالاقتراح اذن لا يعدو ان يكون ردا على دولة الاحتلال التي تلغي الشخصية الفلسطينية . وهو من هذا الباب ، وفي رأي الرئيس السادات ، خدمة للقضية الفلسطينية وللشخصية الفلسطينية المهدة بالالغاء .

ولكن الطابع الجديد للشخصية الفلسطينية طابع نضالي . وتستطيع ان تقول بان انطلاقته يناير سنة ١٩٦٥ هي التي بعثت الشخصية الفلسطينية واعلمتها محتواها ووجودها الحالي ، وعليه فان استمرار هذا النضال هو الذي يبلور هذه الشخصية ويحميها . وبها ان هذا النضال يتعرض للتآمر والملاحقة ، فان حمايتها ، هي الوسيلة الوحيدة لمنع دولة الاحتلال وغيرها من الغناء الشخصية الفلسطينية . وماذا يمكن ان تفعل حكومة منفي لشعب الفلسطيني اذا ضربت قواه المنظمة والمسلحة ؟

لذلك فان المحافظة على الشخصية الفلسطينية تتطلب : ١ - حماية المقاومة الفلسطينية ومكسباتها وانجازاتها ، وعلى رأسها قواها المنظمة والمسلحة . ٢ - حماية حق المقاومة الفلسطينية في الحركة ، وحقها في التنظيم والتسلح والتعبئة . ٣ - مساندة ما ديا ومعنويا ، لتكون قادرة على تصعيد نضالها ، وعلى احباط المؤامرات التي تحاك ضدها .

وحكومة المنفي عندما تطرح بعيدا عن هذا كله تقود الى « ... اقتناع الفلسطينيين بدخول عالم الواقعية ، وهو العالم الذي تتحرك ضمنه الان المنظمة العربية المعنية مباشرة بالنزاع مع اسرائيل » ( النهار ، العالم يكشف الفلسطينيين ، عبدالكريم ابو النصر ، ٧٢/١٥/١٥ ) . ان الحرص على الشخصية الفلسطينية والقضية الفلسطينية يعني الحرص على طابعها النضالي الثوري ، لانها لا تتطوران ولا تبرزان الا بالنضال عموما وبالنضال الشعبي المسلح خصوصا .

#### ناجي علوش

## (٣٢) القضية الفلسطينية دولياً

وسوبرا باتخاذ إجراءات للحد من دخول المواطنين العرب ومراعاة تحركات منظماتهم الثقافية خاصة بعد ان وردت السفارات الإسرائيلية في أوروبا والقارات الأخرى رسائل متعجزة نسبت الى أيلول الأسود وأدت الى مقتل ملحق زراعي إسرائيلي في لندن ، وبعد جرح ملحق إسرائيلي في سفارة بروكسل أطلق عليه النار مواطن مغربي ، وحاولت الأوساط الإسرائيلية أن تصبغ هذا الجو بعنصرية عنصرية ، فانتشرت تهديدات مزورة ضد المنظمات اليهودية في أوروبا وشنت الحرائق المشبوهة في بعض البنايات التي يمتلكها يهود فرنسيون في باريس . والهدف من ذلك هو محاولة جديدة للتخلط بين المقاومة الفلسطينية واللامسامية في ذهن المواطن الأوروبي الذي ما زال متأثراً بفكرى المجازر النازية ضد اليهود ، بالإضافة الى عملية ضغط على سلطات أوروبا الغربية لاتخاذ إجراءات قمعية ضد المواطنين الفلسطينيين والعرب أسوة بحكومة برانت في ألمانيا ، للتفكير على نفسها مشقة الرد بالمثل الذي لن يسمح لها بالاستفادة كلية من الحملة . وربما عن ذلك فقد قامت إحدى المنظمات الصهيونية السرية ( التي قيل انها مرتبطة بحزب حيروت ) والتي تحمل اسم « مساده » بوضع عبوة متفجرة امام « مكتبة فلسطين » في باريس محدثة بعض الأضرار المادية ، ومثيرة احتجاجات خبيثة ( على حد تعبير المنظمة نفسها ) من قبل المنظمات الصهيونية الفرنسية والحكومة الإسرائيلية .

ويبدو ان لهذه الحملة علاقة بالمحاولات العربية الفرنسية الرامية الى اقامة جسر مع دول السوق المشتركة ، على أمل ان تلعب هذه دور الوسيط في أزمة الشرق الأوسط للضغط على أمريكا لتعتبر موقفها المؤيد بتشجيع لسياسة الاحتلال الإسرائيلية وربما كانت فرنسا التي هي الحلقة الرئيسية في مجموعة دول السوق هي المتصودة أساساً في العملية هذه ، الا ان الحكومة الفرنسية على ما يبدو مدركة لابعاد العملية الإسرائيلية وما زالت تطيح الى لعب دور أكبر في إيجاد مخرج لما تسميه « الأزمة الحالية في مشكلة الشرق الأوسط » ، في إطار طموحها للعب دور أساسي في حوض البحر المتوسط . وقد ركزت بعض التعليقات الفرنسية والفلسطينية على هذا الجانب ، وتجلى هذا الطموح

جاءت عملية أيلول الأسود في ميونيخ ، التي تأييدها على شاشات التلفزيون جنات الملايين من المتفرجين في انحاء العالم ، لتزيد اهتمام الأوساط العالمية ( والغربية منها بشكل خاص ) بقضية فلسطين والشرق الأوسط . وبادرت ألمانيا الغربية باتخاذ إجراءات تيممفة ضد المواطنين العرب ، فحدث من حرية تنقلهم ودخولهم ، وطردت المئات منهم من الشمال والطلبة ، وخلقت هذه الإجراءات والحملة الصحافية الرجعية جوا من العنصرية ضد العرب جعل احد المعتنقين الفرنسيين يشبه بين وضع العرب الان في ألمانيا ووضع اليهود بعدد ابتداء هتلر سنة الحكم عام ١٩٣٣ . وفي هذا الجو المشحون بالتمصرية والحدق ، والذي يرافق فترة الاعداد للانتخابات النيابية حيث يتبارى الحزبان الرئيسيان الاشتراكي والديموقراطي والديموقراطي المسيحي في اعلان « حرصها على الامن الداخلي » ، اتخذت الحكومة الليتوانية قراراً بمنع اتحادي طلبة وعمال فلسطين في ألمانيا بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٤ ، وقامت شرطتها بمداومة مقرات الإتحادين في جميع انحاء ألمانيا وابعثتال وطرد اكثر من مئة كادر من كوادرها ، وازاء حملة القمع هذه ، أعلن عدد من الطلبة الفلسطينيين يوم ١/٢٩ الاضراب عن الطعام في مقر الجامعة العربية في بون احتجاجاً ، وشاركهم فيها بعد في الاضراب عدد من الطلبة الإيرانيين . واستمر الاضراب عشرة ايام ، قامت خلالها عدة تظاهرات تضامن نظمها الحركات اليسارية الألمانية والاجنبية كان أهمها تظاهرتي فرانكفورت يوم ١/٢٩ ودورتموند يوم ١٠/٨ . وامتدت حركة الاحتجاج الى فرنسا حيث قام اكثر من ثلاثين طالبا عربيا وايرانيا ببيادة سن فرع اتحاد طلبة فلسطين بالاعتصام مغربيين عن الطعام في مقر الجامعة العربية في باريس وذلك ابتداء من يوم ١/٨ ، وشاركت الحركات اليسارية الفرنسية في حملة الاحتجاج هذه . وقد عم السخط العالم العربي ازاء هذا الجو الإرهابي ، وطالبت الأوساط الشعبية وبعض الحكومات باتخاذ إجراءات مقاطعة ضد الواردات الألمانية ومعاملة مواطني ألمانيا الغربية بالمثل .

وقامت دول أوروبية أخرى كبلجيكا وهولندا



« الأرهاب » في نص مخفف صوتت إلى جانبه ٦٦ دولة مقابل ٢٧ دولة معارضة وأمتناع ٢٣ دولة . والدول المصوتة إلى جانب التسجيل هي دول أوروبا الغربية كافة ( بما فيها فرنسا وإسبانيا واليونان ) ودول أمريكا الشمالية والجنوبية ( باستثناء كوبا وتشيلي ) وعدد قليل من دول آسيا وأفريقيا ( بينها تركيا وإيران ) إلى جانب إسرائيل بالطبع ودولة عربية واحدة هي الأردن . وصوتت ضد التسجيل معظم الدول العربية إلى جانب بعض الدول الإفريقية بالاضافة إلى اليابان والصين وكوبا . وامتنعت عن التصويت دول أوروبا الشرقية وتشيلي وعدد من دول أفريقيا وآسيا وأربع دول عربية هي : البحرين ولبنان والسعودية وقطر .

وظهر منذ البدء أن الولايات المتحدة التي تزعمت حركة التشديد على موضوع « الأرهاب » كانت تبتغي تحويل الأنظار عن قضايا التحرر الرئيسية في العالم ( وخاصة في فيننام وفلسطين ) حيث يمارس العنف الثوري ردا على العنف الإمبريالي الرجعي ، والتركيز على مظهر هامشي من مظاهر الرد متجمل في عمليات اختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن . وفي الوقت الذي تحاول فيه تغطية التناقض الرئيسي في العالم بين الإمبريالية وحركات الشعوب الثائرة ، تبدو وكأنها حريصة على أمن المدنيين والأطفال وكان مئات المدنيين والأطفال الذين يموتون يوميا تحت قنابلها في الهند الصينية ، ومئات المدنيين والأطفال الذين ماتوا ويموتون تحت قنابل عملياتها إسرائيل ليسوا من الفصيلة البشرية . ولا شك أن الحملة الأمريكية الإسرائيلية الأخيرة تستهدف في النهاية استقلال هذا الموضوع للجم أية حركة تحررية في العالم ومن هنا تكمن خطورتها وضرورة التصدي لها بحزم . وجانب آخر خطير يكمن في تشديد بعض الأوساط الإمبريالية ( بما فيها أمريكا نفسها ) والرجعيات المختلفة على أهمية إيجاد حل سريع « لمشكلة اللاجئين » التي تشكل أساس ظاهرة الأرهاب على حشد تعبئة هذه الأوساط . أي أن هذه الحملة تحمل في طياتها نوايا تضيوية ذات غلاف « إنساني » خبيث .

وقد تجلت مواقف الدول كافة في خطابات ممثلها في الجمعية العمومية التي تعرضت معظمها « لغضبة الشرق الأوسط » وموضوع « الأرهاب » . وأنتج روجرز التدخلات بخطاب دار في ثلثه ( حسب تقدير صحيفة بريطانية ) حول الموضوع الأخير ، وطالب

الفرنسي والأوروبي في تصريحين رئيسيين أحدهما لجورج بومبيدو في مؤتمره الصحفي في ٩/٢١ الذي رد على سؤال حول عملية ميونيخ بالتأكيد على أن « العملية وما سببها » « الأرهاب » الفلسطيني التي أدانتها الحكومة الفرنسية بشدة « لا يمكن أن ينتهي ما لم يوجد حل للمشكلة الفلسطينية » . والتصريح الآخر لوزير خارجية بلجيكا هارمل في الجمعية العمومية للأمم المتحدة يوم ١٠/٥ الذي أكد على ضرورة مساهمة « المجتمع الدولي في إزالة الأسباب التي تدفع إلى أعمال يائسة ، وطالب بتحطيم الجهود الخطير الذي يحيط بقضية الشرق الأوسط وأبدى « استعداد أوروبا للمساهمة ، في حالة التوصل إلى اتفاق سياسي ، في حل المسألة الالمانية للاجئين فلسطين » . إلا أن الشعور يسود المحافل الأوروبية بأن أي تغيير في الموقف الأمريكي لن يحدث قبل انتخابات الرئاسة الأمريكية ، وبالتالي أي ضغط على إسرائيل لا يمكن أن يتبلور إلا في مطلع العام القادم ، رغم بعض الشائعات التي تردت في القاهرة حول وجود مخطط أمريكي جديد حائز على موافقة دول أوروبا يبلغ إلى محمد حسين هيكل أثناء إقامته الأخيرة في ألمانيا الغربية ( وقد نفت القاهرة وجود مثل هذا المخطط ) .

ومع اقتراب افتتاح الدورة السنوية للجمعية العمومية للأمم المتحدة ، انتقلت أصدااء ملتبة ميونيخ إلى محافل المنظمات الدولية . فبعد الليتو الأمريكي على مشروع قرار صومالي - غيني - يوغوسلافي يدين اعتداءات إسرائيل على سوريا ولبنان بعد عملية أيلول الأسود مباشرة ( وقد حاز المشروع على ١٢ صوتا وامتنعت باناما وصوتت الولايات المتحدة ضده ) ، طالب كورت فالدهايم الأمين العام للأمم المتحدة بتسجيل ما سببها « موضوع الأرهاب » على جدول أعمال الدورة . ودار النقاش مباشرة بعد افتتاح الدورة يوم ٩/١٩ حول هذا الاقتراح الذي عارضته الدول العربية وبعض الدول الإفريقية والاشتراكية . لكن لجنة التوجيه المكونة من ممثلي ٢٥ دولة ، أقرت اقتراح فالدهايم بعد أن تنازل الأخير عن طرح الموضوع على الجمعية العمومية واكتفى بأن يطرح على اللجنة القانونية . وقد صوتت ١٥ دولة إلى جانب التسجيل ضد ٧ دول وامتناع ٢ وعدم مشاركة رئيس الدورة ( الذي هو نائب وزير خارجية بولندا تريشنسكي ) في التصويت . وحين أحالة جدول الأعمال على الجمعية العمومية ، أقرت الأخيرة أيضا تسجيل موضوع

الوزير الأمريكي بعد اتصالات دولية بتضييق سيمانيه  
مرتكبي عمليات اختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن  
والتمسيق بين الدول في قمع « الارهابيين » . وتكلم  
اندرية فروميكو وزير خارجية اتحاد الجمهوريات  
السوفييتية عن « تأييد بلاده للنضال المشروع  
للشعب العربي الفلسطيني » لكنه اعرب عن عدم  
موافقته على « الأعمال الارهابية التي يقوم بها  
بعض العناصر في الحركة الفلسطينية والتي  
يستعملها الاسرائيليون لتبرير سياسة القرضة التي  
بنتهجونها ضد الدول العربية » . وطرح موريس  
شومان وزير خارجية فرنسا فكرتين اساسيتين ،  
على حد تعبيره ، في مشكلة الشرق الاوسط هما  
« الجلاء عن الاراضي المحتلة مسا عدا بعض  
التصححات الطفيفة » الى جانب « تعيد الذول  
المعنية كافة بالاصول المتعارف عليها في التعامل بين  
الدول ذات السيادة » . وعلق على عملية ميونيخ  
معلنا « رفض فرنسا للارهاب وتأييد كورت فالدهايم  
في محاولته وضع حد للعنف الاعسى » . وتكلم  
دوغلاس هيوم عن « اخراج السوفييات من مصر »  
وطالب اسرائيل بأن « تستفيد من هذه الخطوة التي  
تقرب المشكلة من الحل » . وجاءت التدخلات الاخرى  
في اطار موقف كسل دولة من مجمل القضية  
الفلسطينية وتعرض الدولة ذاتها لحركات معارضة  
مسلحة . وتكلم مندوب الصين بين آخر المتكلمين  
يوم ١٠/٣ . وحدد على تبني الصين « لاستعمال  
العنف الثوري من قبل الشعوب المضطهده في  
نضالها ضد عنف الامبرياليين والاستعمار القديم  
والجديد والعنصرية والصهيونية الاسرائيلية »  
واعلن وقوف الصين الى جانب المقاومة الفلسطينية  
لكنه اشار الى عدم موافقته على الاغتيالات  
والاختطافات كأسلوب نضال سياسي يسيء الى  
قضايا التحرر الوطني . ومن المتوقع الا يؤدي  
التعاش في اللجنة القانونية وفي الجمعية العمومية  
الى أي قرار عملي نظرا لمعارضة عدد كبير من  
الدول للتسيق على المستوى العالمي .

عني ٩/١٤ ، وصل احمد حسين النكر رئيس  
الجمهورية العراقية الى موسكو في زيارة رسمية  
دامت خمسة ايام تميزت بحرارة خاصة والتبني  
ببيان مشترك يشمل القضايا المحلية والعالمية  
ولوحظ في البيان الفقرة الخاصة بالمقاومة  
الفلسطينية التي اشارت اليها الصحف الغربية على  
انها تطور نحو تأييد اكبر من جانب السوفييات  
وقد جاء في هذه الفقرة « ان الجانبين اعطيا  
دعمهما المطلق لكفاح الشعب الفلسطيني لاستعادة  
حقوقه المشروعة ، ويعتبران حركة المقاومة  
الفلسطينية جزءا يربطه عضويا بحركة التحرر  
الوطني العربية ، واعلنا استمرارهما في تقديم  
الدعم المادي والمعنوي والمساندة السياسية  
والمعنوية لهذه الحركة » . و اشار مراسل لوموند  
في موسكو معلقا على هذا البيان ان دعم الاتحاد  
السوفيياتي قد ازداد بشكل ملحوظ للمقاومة  
الفلسطينية وخاصة لفتح والجهة الشعبية . وكان  
تزايد الدعم السوفيياتي الاكثر وضوحا لسوريا على  
اثر الشائعات الاخيرة التي توقت عدوانا اسرائيليا  
على الاراضي السورية بعد اجتياح الجنوب اللبناني .  
عني ٩/٢٤ نشرت جريدة النهار خبرا مفاده ان  
جسرا جويا قام بين الجنوب السوفيياتي ودمشق  
لنقل المعدات الحربية بنا فيها الصواريخ  
واضافت المصادر نفسها ان وقدا عسكريا وصل  
الى سوريا بهدف ابرام معاهدة عسكرية بين سوريا  
والاتحاد السوفيياتي الا ان الاوساط الرسمية  
السورية نفت هذا التأييد . واعرب وزير الخرب  
الامريكي ملفين ليرد على اثر هذه الشائعات عن  
« قلق اميركا المتزايد ازاء تدفق الاسلحة  
السوفيياتية الى سوريا » . وقد اكدت جريدة  
اليرافدا السوفيياتية بتاريخ ٩/٢٩ خبر ارسال  
الاسلحة والخبراء وقالت « ان سوريا تتلقى  
الاسلحة الاكثر تطورا ، كما تتلقى مساعدة لتكوين  
كوادرها العسكرية » . كما ذكرت ان الاتحاد  
السوفيياتي يشارك في توسيع مرافق اللانقية وامتدحت  
بالمناسبة قادة حزب البعث في العراق وسوريا  
وفي هذا التاريخ نفسه كان الفريق حافظ الاسد  
يقوم بزيارة سرية لموسكو عاد بعدها الى القاهرة  
مما دعا المراقبين الى اعتبار هذه الزيارة استهبا  
من الرئيس السوري في تحسين العلاقات المصرية  
السوفيياتية .

يقوم رئيس الوزراء المصري عزيز صدقي بزيارة موسكو في ١٠/١٦ . وتناقلت بعض الصحف الأوروبية انباء تقول ان نجاح مهمة صدقي قد يؤدي الى لقاء بين السادات وبريجنيف في دمشق . كما قبل الرئيس السادات دعوة لزيارة براغ . وقد فسرت الدعوة بأنها جزء من المحاولات الرامية الى اعادة تحسين العلاقات المصرية - السوفياتية . ويبدو ان السوفيات سيسترون في سياستهم الحذرة التي تعتمد على استمرار التعاون الاقتصادي وتوفير قطع الغيار ، في الوقت نفسه الذي ينتقدون فيه تزايد نفوذ اليمين في العالم العربي ( دون التعرض بشكل مباشر للحكومة المصرية ) ويحذرون من اية اوام قد تتولد حول امكانية طرح امريكا لحل عادل للمشكلة .

**داود تلحمي**

## (٤) المناطق المحتلة

عقد اتفاق سلام مع الأردن او الدول العربية الاخرى ، وقد تضاربت المواقف حول «هجم الثمن» غني حين تكني التيارات الفاعلة في حزب العمل بابقاء ثلث مساحة الضفة الغربية تحت السيطرة الاسرائيلية نجد ان الحزب الوطني المتدين «معدال» وهو شريك في الائتلاف الحكومي يدعو الى ابقاء الضفة الغربية بكل تحت السيطرة الاسرائيلية انا الشريك الثالث في الائتلاف الحكومي (حزب ميام) فانه يكتفي بالقدس وبشريط امني على امتداد النهر ويتعدى طفيفا على خطوط الهدنة (بالنسبة للضفة الغربية) . وقد انصحت رئيسة الوزراء فولدا مكر عند اشتداد الحوار حول السلام عن رأيها به قائلة : «هنالك مبادئ» عقدت مقرنا بها من قبل الجميع وهناك مبادئ اقترتها الحكومة بشكل واضح : العودة الى حدود الرابع من يونيو ، لا ، ان يتم ذلك ، ان نعود لحدود جديدة ، حدود سلام مع تعديلات طفيفا - لا ، لا للتعديلات الطفيفا ا هنالك اماكن وخطوط ينبغي ان تكون التعديلات عليها كبيرة ، وهناك اماكن لا تكون التعديلات عليها كبيرة . ولكن ليست تعديلات طفيفا ... من الحماسة ان نقوم بلطرون هنا ولطرون هناك . ان الحكومة لم تعين الحدود ، ولكن الانسحاب من الجولان لن يتم ابدا . . . اما التعديلات مع الأردن فينبغي ان تكون كبيرة ،

الواسط الرسمية والصحفية المصرية الى جانب حملة العقيد الغدافي المستبصرة ضد الاتصاف السوفياتي واتهام النائب الناصري اللبناني نجاح واكيم بعد زيارة للقاهرة للسوفيات « بانهم افسدوا الشلح قبل مغادرتهم لمصر » و « بان بين الخبراء بعض اليهود » ( النهار ٩/١٢ وكريستشن ساينس مونيتور ) ، توالت الوساظط وبنواد الانفراج . فقتل الفريق الاسد ، كان كمال جنبلاط قد مر بالقاهرة في طريقه الى موسكو لتسلم جائزة لينين للسلام وفسر هذا المرور بأنه محاولة من النائب اللبناني للتوسط . وعاد السفير المصري بعد غياب دام اكثر من شهرين الى موسكو في ٩/٢٧ ( الا ان السفير السوفياتي لم يعد الى القاهرة حتى كتابة هذه الكلمات ) ، وقام عبدالقادر حاتم بزيارة رسمية الى موسكو لحضور احتفال ثنائي ، تقرر بعده ان

برزت في الونة الاخرى موضوعات في المناطق العربية المحتلة معظمها تابع من الطبيعة التوسعية لاسرائيل مثل حركة الاستيطان وقضية مشارف رفح وقضية الحرم الابراهيمي في الخليل ، وبعضها ناجم عن متطلبات ملحة مثل الدعوة لاقامة جامعة في الضفة الغربية واخرى في قطاع غزة ، واخر تابع من واقع ضيالي مثل بحث المقاومة من جديد في القطاع بعد حملة الاقتلاع والتشريد والتعجير التي بدأت بها قوات الاحتلال في شهر تموز من العام الماضي .

لم يطرأ تقدم على التصوية السياسية التي كشفت في شهر تموز الماضي بين سلطات الاحتلال والنظام الأردني ، والتي قام بدور الوسيط بها رجال من الزعامة التقليدية في الضفة والقطاع ، مثل انصور الخطيب حاكم القدس سابقا ورشاد الشوا رئيس بلدية غزة ، فقد عاد الوسيط الثاني الى غزة ليجد من يطلب منه الحساب على شكل القاء قنبلة وعبارات نارية على سيارته في محاولة لتصفيته ، اما الاول الذي استقبل « استيصال اللوك » في عمان فقد عاد هو الاخر بعد ان انتهى المهمة الموكلة اليه دون ان يلاقي من يحاسبه الا الاسرائيليين الذين تلقوا منه تقريرا عن وساطته . وخلال ذلك كانت النقاشات تجتم في اسرائيل حول « الثمن » الذي يمكن لاسرائيل ان تدفعه مقابل

تعديلات كثيرة» (مشارف ٧٧/٨) . ويبدو ان من بين العوامل التي وقعت عثرة امام التصوية السياسية ، « التعديلات الكبيرة » التي تضر عليها رئاسة الحكومة الاسرائيلية .

**حركة الاستيطان :** سارت حركة الاستيطان في ثلاثة اتجاهات ، تعزيز المستوطنات القائمة ، واقامة مستوطنة جديدة ، واعداد مخططات لاقامة مستوطنات اخرى ، ففي مجال تعزيز المستوطنات القائمة ودعمها اقرت « لجنة المدراء العامين لشؤون المناطق » اقامة معامل جديدة في ضاحية كريات اربع في الخليل ، وفي العريش ، من بينها اقامة مطبعة اوفست في كريات اربع تصل تكاليفها ١٤٤ مليون ليرة ، كما وسيقام معمل حدادة كبير في العريش . وهناك خطة لتطوير مستوطنة « دي زهانك » في سيناء ، حيث ستضاف الى المستوطنة ٢٥٠ غرفة جديدة لاستقبال السياح كما وستقام منشآت اخرى تصل تكاليفها ٥٥٥ مليون ليرة ، كما جاء على لسان وزير السياحة موشيه كول اثناء الاحتفال بمرور عام على تأسيس المستوطنة . ومن الجدير بالذكر ان احد شيوخ القبائل في سيناء ويدعى يراك ابو عبد الله قد اعلن في هذه المناسبة « اننا باركنا المستوطنين اليهود ورحبنا بهم في واحة دهنيا وان دولة اسرائيل هي دولتنا ونحن مواطنوها » . وفي مجال خلق معالم جديدة ، اقيمت بتاريخ ٧٢/٨/٢٤ مستوطنة تاحسبال جيتيت في اراضي قرية عسرة الواقعة في منطقة نابلس بالقرب من الاغوار ، بعد ان قامت سلطات الاحتلال بالسيطرة على اجزاء واسعة من اراضي القرية ، ورش حقولها بالمواد السامة بواسطة طائرات سلاح الجو الاسرائيلي . اما في مجال المشاريع ، فقد فكرت الاذاعة الاسرائيلية انه ستقام في ضحية الجولان وغور الاردن وشمال سيناء ست مستوطنات جديدة ، اثنتان معدتان للمهاجرين القادمين من الاتحاد السوفييتي .

**قضية مشارف رفع :** ما زالت قضية مشارف رفع تشغل بال سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، ففي اعقاب رفض سكان المنطقة الذين اجلوا عن منازلهم بالقوة ومنعوا من العودة الى اماكنهم بسند ان تم تسويجها من اجل اقامة مستوطنات اسرائيلية هناك ورفضهم تلقي تعويضات عن اراضيهم وممتلكاتهم ، قامت سلطات الاحتلال بتعيين شابط كبير برتبة عقيد « عوفيد بن دايد » الحناكم

المسكري السابق لخدمة الخليل من اجل دراسته مشاكل بدو مشارف رفع واجساد الخلول لها ، وتتبدل الخلول في ذمهم للواقعة على حصول التعويضات وتوطينهم من جديد في اماكن اخرى ، وقد بذل عوفيد جهودا من اجل « كسر مقاومة البدو » واخذت جهوده تسير في ثلاثة اتجاهات لحل القضية لمصلحة سلطات الاحتلال ( ا ) بذل محاولات لإنتاج شيوخ القبائل بالتعميش ، وذلك بمقتضى اجتهادات متكررة معهم بالتطوع بمبالغ كبيرة ( ٢ ) اتساع سياسة فرق تسد والعمل على تعميق الخلافات بين شيوخ القبائل مع ترويج اشاعات بان سلطات الحكم المسكري تعتمد تحية الشيخ سليمان الخالوي كبير شيوخ القبائل وريز مقاومة مشاريع سلطات الاحتلال في مشارف رفع ، الذي اكتسب هيبته وسعة وطنية في تصديه الجري لهذه المشاريع ، كل ذلك من اجل بذر الشكوك في نفوس الشيوخ وابناء القبائل بفرض تطويعهم والحصول على موافقتهم على الامر الواقع ( ٣ ) التخطيط لبناء مساكن دائمة للبدو في اماكن جديدة في الجنوب الشرقي لرفع ، سيتم في المرحلة الاولى بناء ٢٠ وحدة سكنية ، واذا ما نجحت سلطات الاحتلال في اقتناع بعض السكان لقبول هذه الوحدات السكنية كبديل عن منازلهم وارضيتهم ، ستقوم بإنشاء وحدات سكنية اخرى ، هذا مع بذل نشاط لااستيعاب الايدي العاملة من بين صفوفهم في المزارع الاسرائيلية وفي مجال البناء ، والآنك من ذلك كله هو اعتماد سلطات الاحتلال شبه الكلي على العمال البدو في اقامة المستوطنات الاسرائيلية في اراضيهم التي اجلوا عنها بالقوة بفرض خدعة المستوطنين الجدد ، ولعل هذا الامر هو احد التعابير الحادة عن الحركة الصهيونية ، منطقت الارض وسيلة الانتاج الكبرى وتسخير ما تبقى من اهلها الاصليين لخدمة السكان الجدد ، هذا منع العلم ان سلطات الاحتلال اتخذت اجراءات متشددة لمنع دخول ابناء المنطقة الاصليين الى مزارعهم ، وبلغت هذه الاجراءات ذروتها عندما قامت طائرات اسرائيلية بمطاردة الفلاحين من ابناء المنطقة الذين تسللوا الى مزارعهم لجني ثمار حقولهم ، حيث قامت بدم غرضهم التي تقتم حرارة الشمس ومن المعروف ان اهالي مشارف رفع كانوا قد يطوا برسائل احتجاج الى « محكمة العدل العليا » في اسرائيل والى رئيس الدولة زلمان شتاينز والسفير رئيسة الحكومة ، طالبين فيها افضاءهم واعادتهم

الى اراضيهم ، الا ان « محكمة العدل » تباطلت وتهربت من الموضوع على اساس انه موضوع اممي ، اما رئيس الدولة فانه « لا يرى مكانتنا لتدخله في القضية » وغيبا بعلق برئيسة الوزراء قائما « توافق على ما يفعله الجيش الاسرائيلي » . وازاء هذا الضغط ضد ابناء القبائل في رفضهم للتعويضات المقترحة التي يزداد حجمها يوما بعد يوم بغرض امتصاص النقبة ، ولا يزال الشيخ سليمان الحلو متمسكا بالطلب العادل : العودة ورفض التمييز « وحتى لو مرت مئة سنة » كما يقول للشيخ الحلو « فاننا لن نتخلى عن الارض ولن نوافق على التعويضات » ( داغار ٧٢/٩/٢٤ ) .

**المستوطنون والحرم الابراهيمي :** تفجرت خلال شهر سبتمبر قضية ابطالها مستوطنون وضحيتهما كالعادة عرب ، وحكمتها سلطات الاحتلال ، وقد وصلت هذه القضية من الشدة لدرجة ان وجدت الحكومة الاسرائيلية ضرورة ادراجها في جلسة مجلس الوزراء لتداولها وايجاد الحلول لها . والسبب الرئيسي الذي يكن وراء هذه القضية هو السبب نفسه الذي يكن وراء قضية مشارف رفح : التوسع والسلب ، اقامة وقائع جديدة وازالة معالم قديمة .

تمود اصول القضية الى قصة الاستيطان الاسرائيلي في الخليل والى الترتيبات التي تمت الموافقة عليها بين سلطات الحكم العسكري من جهة وبين رئيس بلدية الخليل ورجال الدين الاسلامي من جهة اخرى بشأن القيام بالمساعي الدينية لمسلمي المدينة العرب والمستوطني المدينة والزوار اليهود في الحرم الابراهيمي ، او كما يسميه الاسرائيليون « مغارة الكيلا » . وبسبب هذا الاتفاق اصدر جهاز الحكم العسكري تعليمات تنطبق الى اوقات فتح الحرم امام المصلين المسلمين واوقات فتحه امام المصلين والزوار اليهود ( سبع ساعات خلال اليوم ) وكذلك الى سلوك الزوار في الحرم مع المحافظة على الهدوء بما يتلاءم وقدسية المكان ، وعدم حمل السلاح وعدم تناول الطعام داخله ، كما نصت التعليمات على منع ادخال الحيوانات داخل الحرم . ومن الواضح ان هذه التعليمات موجهة بشكل خاص الى الزوار اليهود وليس الى رواد المسجد للمسلمين .

وتضمن الاتفاق ايضا تخصيص مكان داخل الحرم لليهود وتخصيص مكان اخر للمسلمين ، وقد وافق

المستوطنون اليهود في ذلك الوقت على هذه الترتيبات ، الا انهم في الاونة الاخيرة اصيبوا بحس التوسع واخذوا يشكون من خيق المكان المخصص لهم ويطالبون بتوسيعه ، وبما ان الاتفاق يحسب دون ذلك ، قام المستوطنون بتجاوز الاتفاق وانتهاكه حين اخذوا يتوسعون في المسجد لخلق وقائع جديدة ، الامر الذي ارغم سلطات الاحتلال على التدخل في القضية ، بيد ان المستوطنين لم يرتدعوا واخذوا يلجأون الى اساليب مخزية ومثينة ، فقد بدأوا باعمال السلب فاقدموا على سرقة بسط المسجد المعدة للصلاة واحذية المصلين المسلمين والمتاكدات الموجودة في الحرم الابراهيمي ، كما اعترف بذلك المتحدث الرسمي باسم الحكم العسكري في الضفة الغربية ، ولم يكف هؤلاء بالاعمال المشينة التي جعلت الكثير من المصلين يعودون الى بيوتهم خفاة ، بل الحقوا اعمال السرقة والسلب بسلسلة من الاعتداءات المشفوعة بالغطرسة مثل السب بايديهم في الاماكن المعدة للمسلمين ، والاعتداء على شيخ المسجد الشيخ عاتق الجودي مع توجيه الشتائم اليه . ولم يقتصر طيش المستوطنين وغطرستهم على الاحياء بل وصل الى درجة انتهاك حرية الموتى ، فمن المعروف ان المسلمين يصلون على يوتاهم داخل الحرم الابراهيمي ، غير ان ذلك لم يرق بعين المستوطنين « وقد هدد المستوطنون اكثر من مرة ، بقلب جنازات الموتى للمسلمين في اثناء طقوس الجنازة » ( هارتس ٧٢/٩/٥ ) .

عند ذلك وجد الحاكم العسكري نفسه مضطرا للتدخل وبذل محاولة لايقاف المستوطنين عندهم ، خشية ان تنتشر اخبارهم المخزية وتسيء الى سمعة « الاحتلال الليبرالي » ، معتبرا « بحدوث تجاوزات متكررة بواسطة مجموعة من بين المستوطنين » في الحرم الابراهيمي ، وعند ذاك برزت القضية ، ليست كقضية بين العرب والمستوطنين ، بل كقضية بين الحاكم العسكري والمستوطنين ! وقد اتخذ نشاط المستوطنين من اجل الاستيلاء على الحرم مساراين له : الاول يتمثل في ارسال مذكرات الى الجنيرال الاسرائيلي والى اعضاء الحكومة والكليبات والفاني يتمثل في محاولة خلق وقائع جديدة لامتلاك الحرم الابراهيمي وجعله يهوديا صافيا لا نزاع حوله ، وتعترف صحيفة ( هارتس ٧٢/٩/١٢ ) بذلك بقولها : « حاول المستوطنون برئاسة الحاخام ليفنجر تدريجيا خلق امر واقع

لاعتقاد اليهود الكابيل للسكان بدون أية بعدديات  
او اعتقاد للمسلمين ، وعندما ادرك القائلون  
على الحكم العسكري انه من المنتظر ان تقع  
اصطدامات في الحرم شرعوا في الحفاظ بدقة على  
جميع الاتفاقات التي اتخذت ، ورأى المستوطنون  
بذلك مساسا كبيرا بحقوق اليهود في المكان وبدوا  
بأعمال مضادة بقصودة ، فعندما كان يطلب منهم  
خفض اصواتهم في الصلاة فعلوا العكس تماما ،  
كما حاولوا تجاوز المكان الضيق الذي خصص  
للصلاة .

وكان من نتيجة مزاج المستوطنين مع جهاز الحكم  
العسكري ان تحرك الحزب الوطني المتدين  
« بغداد » وأخذ يطلب ويدعو الى ايجاد تسويات  
جديدة تأخذ بعين الاعتبار الحقوق المتساوية لليهود  
والمسلمين ، وهذا يعني حسب مطالب المتدال  
اعادة النظر في تخصيص الأماكن داخل الحرم ،  
وتسليم الحرم لليهود خلال اعيادهم ، وتسليمه  
للمسلمين خلال اعيادهم ! بيد ان « المساواة في  
الحقوق » في مكان يعتبر من ممتلكات الموقف  
الاسلامي ، ما هي الا سياسة مرحلية تمهيدا  
للسيطرة على الحرم كله .

**جامعة في الضفة واخرى في القطاع :** اشتدت  
الدعوة في الآونة الاخيرة لاتامة جامعة في الضفة  
الغربية واخرى في قطاع غزة ، وكانت هذه الدعوة  
قد برزت بشكل قوى للمرة الاولى في بداية عام  
١٩٧١ . بسبب الاوضاع القاسية التي يمر بها  
خريجو المدارس الثانوية لعدم وجود جامعة  
تؤويهم ، الامر الذي يضع امامهم خيارات بعضها  
ليس سهلا مثل دخول الجامعة العبرية في القدس  
حيث انتسب عدد قليل اليها ، ودخول الجامعات  
العربية ، ولم يكن الامر سهلا بسبب عدد المقاعد  
المخصصة سلفا لابناء المناطق المحتلة . ودخول  
الجامعات الاجنبية التي تتطلب عينا ماليا . وكان  
من نتيجة ذلك وبرور الزمن على الاحتلال ان اصبح  
عدد خريجي المدارس الثانوية كبيرا وغدا بمثابة  
قضية تبحث عن حل . وازاء ذلك ظهرت ثلاثة  
مواقف بارزة ( ١ ) موقف دعاء فكرة اقامة الجامعة  
ويقف وراءه بعض الشخصيات من الزعامة التقليدية  
مثل حمدي كنعان ومحمد علي الجعبري ،  
وشخصيات اخرى من انصار الكيان الفلسطيني  
( ٢ ) موقف السلطة الاردنية الذي كان يتسم  
بالرفض المطلق لاقامة الجامعة خشية ان يؤدي هذا

التمكن الى طرد الكيان الفلسطيني ( ٣ ) موقف  
سلطات الاحتلال الذي يتسم بالفارخ والفلسطيني  
بين قبول الفكرة ومعارضتها ( للتوسع في مكانا  
الموضوع انظر شؤون فلسطينية العدد الثالث  
من ١٧٢ ) ، وكحل لهذه المواقف المتضاربة عقدت  
مؤتمر في ١٥/٤/١٩٧١ في دار المحللات في رام الله  
بحضور ٢٥ شخصا من افراد السلك الفلسطيني  
« لبحث المكان الذي ستقام فيه الجامعة ومصادر  
التمويل » وبعد مداوات استغرقت ٤ ساعات خرج  
المؤتمرون بقرار ينص على تشكيل لجنة مكونة من  
١١ شخصا للعناية بشؤون التنظيم في الضفة  
الغربية دون التطرق الى موضوع الجامعة . ومن  
ثم خفت الاصوات المطالبة باقامة الجامعة ، الا ان  
وضع خريجي المدارس الثانوية ازداد سوءا فظهرت  
الدعوة من جديد في الفترة الاخيرة ، ولم تقتصر هذه  
المرّة على اقامة جامعة في الضفة الغربية فقط  
بل ايضا في قطاع غزة . وقد طرأ تغير على الموقف  
الاردني حيث اصبح يدعم الفكرة حسب ما جاء على  
لسان انور نسيبه احد اركان النظام الاردني في  
الضفة ، اما موقف سلطات الاحتلال فعادا اقررت  
الى الايجاب منه الى السلب .

ففي الضفة الغربية قدمت مجموعة من الشخصيات  
تتكون من رؤساء بلديات وعاملين في السلك التعليمي  
مذكورة الى جهاز الحكم العسكري من اجل التخليج  
باقامة الجامعة ، وقد تشكلت لجنة تحضيرية من  
بين هذه الشخصيات برئاسة محمد الجعبري لمتابعة  
الموضوع . وستتولى الجامعة حسب ما جاء على  
لسان الداعين لاقامتها بالموال عربية حيث ستتمثل  
وقود الى دول الخليج والعالم العربي المتدال  
القرض ، الا ان الجعبري صرح بأنه « من المتوقع  
ان تساهم الحكومة الاسرائيلية بقسط كبير من  
الاموال اللازمة » وفيما يتعلق بالمكان الذي ستبنى  
فيه الجامعة فإنه لا يزال قيد الدراسة ، ومع ذلك  
يقدم أعلن رئيس بلدية رام الله كريم خلف بيان  
« المجلس البلدي في المدينة قد اقر بالايجاع فكرة  
اقامة الجامعة في رام الله لانها تقع في مركز الضفة  
الغربية . . . وان البلدية خصصت قطعة ارض  
مساحتها ٢٠٠ دونم ستقام عليها هذا المشروع »  
وهناك اتجاه اخر تؤيده سلطات الاحتلال يرمي الى  
اقامة جامعة تحتوي على اربعة اقسام ، قسم  
الدين في الخليل وقسم الاداب في رام الله وقسم  
الزراعة في طولكرم وقسم العلوم الطبيعية في  
نابلس .

وفي قطاع غزة قدم كل من الدكتور حيدر عبدالشافي،  
 ووزير كلية غزة شفيق طرزي، والخامس ابراهيم  
 ابو سعة مذكرة الى وزير الدفاع- موشيه ديان  
 بشأن الخطة الجديدة في القطاع، موضحين بانها  
 مستقام باموال عربية « وانها على استعداد لقبول  
 التبرعات من كل جانب على ان لا تكون مشروطة »  
 وان الجامعة ستكون مستقلة، ومستقام في المرحلة  
 الاولى فروع علمية - هندسة وطب وزراعة -  
 وستبلغ التكاليف في المرحلة الاولى 5 ملايين ليرة  
 اسرائيلية . ويمتد المبادرون انه اذا بنا وانضمت  
 اسرائيل على مذكرتهم فان الجامعة ستقام خلال  
 عامين .

**عودة الروح والقبور الطائرة :** اخذت المقاومة  
 الفلسطينية في قطاع غزة تبرز هنا وهناك بعد  
 نحو عام من محاولات التصفية الرهيبة التي قامت  
 بها سلطات الاحتلال ضد جماهير القطاع في اواخر  
 شهر تموز من العام الماضي . وقد عبرت المقاومة  
 عن اتعابها من جديد في عمليات وجهت ضد قوات  
 الاحتلال سواء بوضع عبوات ناسفة في الطرق ام  
 القاء قنابل يدوية ام اطلاق عيارات نارية على  
 السيارات العسكرية . وربما كان التعبير القوي  
 عن ظهورها من جديد هو محاولة تصفية رئيس بلدية  
 غزة رشاد الشوا الذي كانت سلطات الاحتلال  
 قد عينته في منصبه في شهر ايلول من العام الماضي  
 تنويحا لسياسة الهدم والانتلاع والقتل بغير  
 خدمة اهدافها . وقد التجأ الشوا بعد هذه المحاولة  
 الى المصت ، ثم قسرت تقديمه استقالته في اليوم  
 نفسه الذي كان قد تبرع فيه على كرسي رئاسة  
 المدينة في ٧١/٩/٢٣ تلاميذا لما يخيه المستقبل  
 و « لكيلا يعرض حياته للخطر بسبب وظيفته » .  
 وبالفعل قدم استقالته الى اعضاء المجلس البلدي  
 الا ان هؤلاء بذلوا جهدا لثنيه عن قراره ولكنه امر  
 عليه بما كان من اعضاء المجلس الا ان قرروا  
 بدورهم تقديم استقالتهم . وعند ذلك تخوفت  
 سلطات الاحتلال من تروذي الوضع لغير مصلحتها  
 واجتمعت مع الشوا واتممت بالبقاء في منصبه  
 والمعدل عن خطوته التي « ستفسر كمناعضة  
 للفدائيين » .

وفي هذا الجو التي اخذت تبرز فيه المقاومة في  
 القطاع ، اخذت في المقابل تبرز اساطير حول  
 شهدائها تصل بهم الى مرتبة القديسين فقد نقل  
 الصحفي الاسرائيلي عزرا يثوف خبرا في صحيفة  
 معارف ( ٧٢/٩/٢٦ ) مفاده ان اشاعات اخذت  
 تتردد في قطاع غزة حول تحريك قبور اربعة شهداء  
 من رجال المقاومة كانوا قد استشهدوا في معركة  
 مع القوات الاسرائيلية قبل عام ، واصاب يثوف  
 « ان عشرات من حي الشجاعية اقبسوا بانهم  
 شاهدوا بأم اعينهم حجارة القبور وهي تتحرك وان  
 صخرة احد القبور صعدت الى ارتفاع عشرة  
 امتار » وان قسما اخر من السكان شاهدوا  
 « حجارة القبر وهي تطير نحو الشمس ، ثم عادت  
 عند الاصيل وسدت القبر » . ويقول يثوف ان خبر  
 تحريك قبور الشهداء انتشر في القطاع بسرعة البرق  
 واصبحت مقبرة الشهداء تستقبل خلال ثلاثة ايام  
 فقط الالاف من سكان القطاع من اقصى الجنوب  
 الى اقصى الشمال ، وان الاشاعات ارتقت الى  
 درجة اليقين ، ويضيف « انه يوجد هناك من يطالب  
 بتحويل القبور كمكان مقدس » وينتهي الصحفي  
 الاسرائيلي الخبز بقوله ان هنالك اعتقادا بان  
 « الاعجوبة » كان وراءها بعض الشبان الذين  
 يسعون من وراء ذلك الى تثوير القطاع واستئناف  
 العمل الفدائي في المنطقة . الى هنا تنتهي رواية  
 الصحفي الاسرائيلي . واذا كان هنالك من تطيق  
 حول اسطورة قبر الشهيد الطائر ، فيمكن القول  
 انها تدل قبل كل شيء على اخر . ورغم الخيال الخصب  
 الذي يحيط بها ، على مدى مكانة الفدائي الشهيد  
 في قلوب الجماهير ، ولا يعيب الاسطورة الخيال  
 الخصب الذي يحيط بها ، خاصة اذا كانت نابعة  
 من واقع تضالي خصب ، هؤلاء الشهداء الاربعة  
 وكثير غيرهم من شهداء القطاع تحولت ممسرة  
 جنازتهم قبل عام الى نظاهرة ضد قوات الاحتلال  
 التي حاولت التدخل في الجنازة ، وتصدت النسوة  
 العربية لهذا التدخل ورشقن رجال الدورية  
 الاسرائيلية بالحجارة ، ثم تحولت الجنازة الى  
 معركة بين الفدائين وقوات الاحتلال .

## (٥) الاقتصاد الإسرائيلي في النصف الأول من العام ١٩٧٢

لمرة إسرائيلية على أساس الاستعانة الحثيثة بـ زيادة رقعة الأرض المخصصة لأشجار الفواكه ١٢٪ وزيادة المنتوج بنسبة ٢٤٪ . ج - زيادة إنتاج الخضراوات بنسبة ٢١٪ . د - التركيز على زيادة إنتاج الإبان والدواجن بنسبة كبيرة .

ويلاحظ فيما يتعلق بالسياسة الزراعية أن الاهتمام ينصب حاليًا على زيادة الإنتاج من الأراضي المستصلحة حاليًا وعلى توزيع مصائر هذا الإنتاج في حين أن السياسة الزراعية في فترة الستينات كانت تتجه أساسًا إلى زيادة رقعة الأراضي الزراعية ، ولا شك أن ذبول حرب حزيران قد نتجت عنها زيادة اهتمام القطاع الزراعي . فبينما كانت القوى العاملة تمثل العامل الانتاجي الأكثر ندرة بالنسبة للمعدات والآلات الزراعية انتقل الوضع وأصبحت القوى العاملة متوفرة أكثر من قبل وبأجور منخفضة إذا قورنت بمستويات الاجور في إسرائيل قبل الحرب . فقد أدى تضيق عدد كبير من العمال العرب في القطاع الزراعي إلى زيادة الانتاجية الحدية بنسبة كبيرة بعدد ساعات شارب القطاع الزراعي خلال الفترة التي سبقت حرب حزيران إلى الوصول إلى حالة من التضيق مما يؤدي في النهاية إلى تناقص في الانتاجية الحدية عملاً « بقانون الغلة المتناصصة » . وليس شذو ما تقدم لأن القطاع الزراعي بدأ يحتل أهمية متزايدة في الخطة الإنمائية الإسرائيلية وهذا يشير توجيه مزيد من الموارد الاقتصادية صوب هذا القطاع .

**القطاع الصناعي :** لعل أهم التطورات التي حدثت خلال النصف الأول من العام ١٩٧٢ هو ما أطلق « بنحاس سابير » وزير المالية عن الخطة الخمسية لتبني الصناعة في إسرائيل خلال الفترة ١٩٧٢ - ١٩٧٦ . وقد صيغت الخطة على أساس أن يكون مجموع الاستثمارات في حدود ٨٤٥ بليون ليرة إسرائيلية . أما الاهداف المعلنة فهي زيادة الإنتاج بمعدل ٧٠٪ وامتصاص حوالي ٧٥٠٠٠ عامل إضافي .

وقد شرح سابير الخطة مؤكداً أنها تهدف إلى ما يلي : أ - زيادة حجم الصادرات الصناعية وتقوية وضعها التنافسي في الأسواق العالمية . ب -

تميزت الشهور الستة الأولى من العام ١٩٧٢ بارتفاع كبير في مستوى الأسعار وفي نفقات المعيشة ونشاط غير عادي في قطاع البناء نتيجة لتدفق عدد جديد من المهاجرين اليهود . كما أن قطاع السياحة شهد نشاطاً ملحوظاً نتيجة للاستقرار السياسي والعسكرية على الجبهات العربية ، في حين أن القطاع الزراعي لا يزال يعاني نقصاً من اليد العاملة . وتقول مجلة إسرائيل إيكونوميست إنه نتيجة لتوظيف ٤٠ ألف عامل عربي من الأراضي المحتلة في القطاع المذكور ، فإن الضربة العنصرية وقطاع غزة بدأتا تشعران بنقص في اليد العاملة لديها . وتكررت السياسة الاقتصادية في إسرائيل على محاولة السيطرة على ارتفاع مستوى الأسعار عن طريق تخفيف معدل زيادة كمية ونسائل الدفع ، غير أن هذه السياسة لم تظهر نتائجها قبل نهاية العام . فالارتفاع الكبير في مستوى الأسعار الذي حدث في النصف الأول من العام ١٩٧٢ هو نتيجة للزيادة الكبيرة في كمية وسائل الدفع التي حدثت في النصف الثاني من العام ١٩٧١ على أساس أن هناك عادة فترة زمنية مدتها حوالي ستة أشهر تفصل بين الوقت الذي يتم فيه تنفيذ السياسة النقدية وبين الوقت الذي تترك فيه هذه السياسة آثارها على الاقتصاد ومستوى الأسعار .

وفيما يلي عرض موجز لأهم النشاطات في بعض قطاعات الاقتصاد الإسرائيلي :

**الزراعة :** تقدمت الحكومة الإسرائيلية بطلب الحصول على قرض من البنك الدولي للإنشاء والتعمير في حدود ٢٥ مليون دولار بقصد تمويل مشروع خمس السنوات للقطاع الزراعي . وتهدف السلطات الحكومية إلى رفع قيمة التهربات في الزراعة ومصادر المياه إلى مليوني ليرة إسرائيلية خلال خمس السنوات بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٦ . أما الهدف الرئيسي من الخطة فهو رفع قيمة الإنتاج الزراعي من ١٤٩ بليون ليرة إسرائيلية إلى ٢٤٨ بليون ، أي بزيادة قدرها ٤١٪ . وقد رسمت الخطة على أساس زيادة الصادرات الزراعية بنسبة قدرها ١١٠٪ أو ما يوازي ٨٦ مليون دولار سنوياً . وتأمل السلطات الإسرائيلية في تحقيق الاهداف المحددة التالية : أ - زيادة إنتاج الجميقات بنسبة ٢٣٪ أي ما يساوي ١١٢ مليون



زيادة اليد العاملة وتنوع مهاراتها . ج - تصنيع  
الإماكن النائية في إسرائيل المحاذية للحدود  
الغربية . د - زيادة حجم التثمارات الموجهة إلى  
الأبحاث والتطوير في الصناعة الإسرائيلية . هـ -  
تحسين الإنتاجية الفردية للعامل الإسرائيلي .  
و - زيادة الإنتاج الصناعي .

وإذا ما قدر للخطة المشار إليها أن تنجح فإن  
ذلك يعني تحقيق زيادة سنوية في الإنتاج الصناعي  
قدرها 11.4% سنويا . أما الصادرات فإن الهدف  
لتحسينها أكثر طموحا حيث تهدف الخطة إلى  
زيادتها من 750 مليون ليرة إسرائيلية إلى 1500  
مليون ليرة . وحيث أن السياسة الصناعية الراهنة  
تهدف إلى إنتاج السلع التي تتطلب مهارات عالية  
فإن 50% من البـ 8000 عامل جديد هم من  
المهندسين والعلماء وأصحاب الاختصاص الرفيع .  
ولا يزال القطاع الصناعي وخصوصا الصناعات  
التصديرية تستأثر باهتمام السلطات الإسرائيلية  
وبالتالي فإنها تحصل الأولوية بالنسبة لتوزيع  
الاستثمارات الجديدة . على أن أكثر التقديرات  
تفؤلا تشير إلى أن الزيادة المرتقبة خلال هذا  
العام لن تكون بنسبة الزيادة التي تحققت في العام  
الماضي ، وإن كانت هناك زيادة مطلقة لا يستهان  
بها . فصادرات إسرائيل في خمسة الشهور الأولى  
من العام 1972 بلغت 483 مليون دولار موزعة  
على النحو التالي : الصادرات الصناعية 213  
مليون دولار ، صادرات الماس 144 مليون دولار ،  
والصادرات الزراعية 110 ملايين دولار و 16  
مليون دولار معاد تصديرها . وكما ذكرنا في مقال  
سابق عن صناعة الأسلحة في إسرائيل ينتظر أن  
تصل صادرات إسرائيل من الأسلحة والصواريخ  
والخزيرة والمعدات الأخرى إلى 85 مليون دولار .

**السياحة :** بعد الهدوء الذي خيم على الجبهات  
العربية وتقلص حجم الغمل الفدائي نسبيا داخل  
الأرض المحتلة تحت وطأة الظروف الحالية ، ركزت  
السلطات الإسرائيلية جهودها على تنشيط الحركة  
السياحية في إسرائيل . ولإعطاء فكرة موجزة عن  
أهمية السياحة المتزايدة بالنسبة للاقتصاد  
الإسرائيلي نذكر أن دخل إسرائيل بلغ خلال العام  
1971 حوالي 181 مليون دولار من العملات الصعبة  
وأن القيمة المضافة بلغت 79% وهي أعلى نسبة  
على الإطلاق إذا قورنت بأي صناعة تصديرية أخرى  
في إسرائيل . وسجلت الحركة السياحية زيادة في

عدد القادمين بقدرها 49% بين عامي 1970  
و1971 إذ ارتفع عدد السياح الوافدين من  
4416000 إلى 6576000 موزعين على النحو  
التالي : الولايات المتحدة 2566000 ، فرنسا  
686000 ، بريطانيا 644000 ، ألمانيا 344000 ،  
اسكندنافية 306000 ، آسيا 426000 ، أفريقيا  
226000 ، بلدان أخرى 1476000 . وبهذا يبلغ  
المجموع 6576000 .

ومن أجل استيعاب وتوفير وسائل السكن والراحة  
للسياح فقد ارتفع حجم الاستثمار في الفنادق  
الجديدة إلى 150 مليون دولار موزعة بين مناطق  
تل أبيب والقدس والجليل الغربي خصوصا في  
« نهاريا » وهي مستعمرة قديمة تقع على شاطئ  
البحر إلى الشمال من عكا . وتسعى السلطات  
الإسرائيلية إلى اجتذاب المزيد من الرساميل  
الأجنبية عن طريق منحها إعفاءات ضريبية وإعفاءات  
جمركية . كما تقوم بمد القطاع الخاص بقروض  
بفائدة منخفضة وشروط دفع سهلة لكي يزيد من  
حجم نشاطه في قطاع السياحة . وإلى جانب ذلك  
تقوم التعاونيات الزراعية « الكيبوتز » بتأجير  
مبازل أعدت خصيصا للسياح الذين يرغبون في  
مشاهدة هذه التعاونيات .

إن المتبع للنشاط السياحي في إسرائيل في العامين  
الماضيين يلاحظ نشاطا متزايدا في هذا القطاع  
ومخططات لتوسع أكبر في المستقبل . ويبدو أن  
الحكومة الإسرائيلية مقتنعة بأن حالة اللأحرب  
واللأسلم ستستمر فترة طويلة وعلى هذا الأساس  
فإن تشجيع السياحة يصبح هدفا مهما ومرغوبا  
من حيث أنه يوفر مصدرا رئيسيا للعملات الصعبة .

**التجارة الخارجية :** تذل الأحصائيات التي نشرت  
مؤخرا عن حجم التجارة الخارجية أن حجم  
الصادرات الإسرائيلية خلال العام 1971 بلغ  
797 مليون دولار . وهذا الرقم أكبر من مثيله في  
السنة السابقة بـ 23.5% . أما أهم الصادرات  
فهي البوتاس وأنصوعات النسيجية وعصير  
البرتقال وآلات التسجيل وإطارات السيارات  
والإلبسة المطرزة . أما الصادرات التي سجلت  
هبوطا فهي النحاس والفوسفات والأساييب  
والبلاستيك . ويلاحظ من استقراء توزيع التجارة  
الخارجية أن حجم التبادل التجاري مع اليابان في  
ازدياد مستمر . وتتألف الصادرات الرئيسية من  
الأحجار الكريمة والفوسفات والنحاس . وتحاول

ارتفعت بنسبة ٢٩٪ عما كانت عليه في السابق  
١٩٧٠ .

**الدين العام :** لا يزال حجم الدين العام المطلق والنسبي يشكل مصدر ازعاج مستمر للسلطات المالية في اسرائيل . فقد ارتفع مجمل الدين العام الداخلي والخارجي من ١١٤٢ بليون ليرة اسرائيلية في اوائل العام ١٩٦٨ الى ٢٦٤٦ بليون ليرة في ديسمبر من العام ١٩٧١ ، غير ان الملاحظ بالنسبة لتركيب الدين العام ان معظم الزيادة جاءت نتيجة للقرض الداخلي التي حصلت عليها الحكومة الاسرائيلية عن طريق طرح سندات الخزينة .

**اسرائيليات متفرقة :** - اجلت الحكومة الاسرائيلية تنفيذ الخطة الائتمانية مدة ستة اشهر في محاولة لامتناس جزء من السيولة في الاقتصاد الاسرائيلي خوفا من ارتفاع كبير في مستوى الاسعار والاجور .  
- بدأت اسرائيل في تنشيط السياحة في منطقة سيناء خصوصا في المنطقة الحاذية لخليج العقبة والبحر الاحمر عن طريق بناء فنادق جديدة ومنشآت بحرية لاستقبال السياح

**الدكتور يوسف شبيل**

السلطات اليابانية التوفيق بين زيادة حجم تبادلها التجاري مع اسرائيل وبين محاولاتهما لزيادة صادراتهما الى الاسواق العربية . وقد نسبت مجلة «اسرائيل ايكونوميست» الى رئيس شركة «سوتي» الاليكترونية قوله انه « لا يجد اي تمازج بين ازدياد صادراتنا الى الاسواق العربية والسوق الاسرائيلي ذلك ان السلعة الرخيصة الجودة تتمتع بحصانة ضد اي ضغط سياسي » .

وتدل آخر الاحصائيات ان اسرائيل تعتبر الان المنتج الاول للماس في العالم كما انها تحتل المرتبة الثانية بعد بلجيكا كمركز لبيع الماس . فقد ارتفع حجم المبيعات من ٧٧ مليون جنيه استرليني في العام ١٩٧٠ الى ١٠٠ مليون جنيه في نهاية العام ١٩٧١ . ولم يطرأ أي تغيير أساسي على نمط توزيع التجارة الخارجية . فلا زالت السوق الاوروبية المشتركة خصوصا بعد انضمام بريطانيا تشكل المجال الحيوي والاكثر اهمية للسلع الاسرائيلية حيث تنص حوالي ٥١ ٪ من مجموع الصادرات الاسرائيلية . وتحاول السلطات الاسرائيلية تعويض الخسارة التي منيت بها بسبب اغلاق سوق اوغنده في وجهها . ويلاحظ ان العلاقات التجارية مع ألمانيا الغربية ازدادت توتنا ، فقد

## مقالات في الاقتصاد الاسرائيلي

تحرير

يوسف شبيل

من منشورات مركز الابحاث في م . ت . ق .

ص ١٦٩١ ، بيروت

٢٧٦ صفحة باللغة الانجليزية

٨ ل . ل . تمضاف اليها اجور البريد : ١٠٠٠ ق . ل . في العالم العربي ،  
٢٥٠ ق . ل . في اوروبسه ، ٥٠٠ ق . ل . في سائير الدول

جدول بالمبيعات المسكونة لآوات الثورة الفلسطينية من ١/١٣ - ١٩٧٢/١٠/٢

| تاريخه | المصدر | مستأجر القارعة | خسائر المور             | القيمة   | نوع السلاح   | المدينة | موقعها                   | تاريخ المبيعة | اليوم الساعة | الالتصنيف  | الرقم |
|--------|--------|----------------|-------------------------|----------|--------------|---------|--------------------------|---------------|--------------|------------|-------|
| ١/١٣   | ونا    | —              | الحاق اعزاز ببناء الياق | غير محدد | مبورات ناسعة | تلخبر   | حي ماكنكا/ تل ابيب       | ١/١٣          | —            | ٠ ق.ع.ق.ث. | ١     |
| ١/٢٠   | ونا    | —              | حرق مستودع الكغيب       | غير محدد | مبورات حارقة | تلخبر   | بناح كفا                 | ١/١٣          | —            | ٠ ق.ع.ق.ث. | ٢     |
| ١/٢٠   | ونا    | —              | تفكيك مستودع ١٣٠٠       | غير محدد | مبورات حارقة | كجوين   | قرب بتلخبر               | ١/١٤          | —            | ٠ ق.ع.ق.ث. | ٣     |
| ١/١٦   | ونا    | —              | تفتيش مستودع الكغيب (١) | غير محدد | مدمجة الهاون | تلخبر   | تل ابيب                  | ١/١٥          | ٨٠٠          | ٠ ق.ع.ق.ث. | ٤     |
| ١/١٦   | ونا    | —              | امطار كابة              | غير محدد | شبكة الغام   | تلخبر   | ابو خيط                  | ١/١٥          | ١٧٠٠         | ٠ ق.ع.ق.ث. | ٥     |
| ١/١٨   | ونا    | —              | بناقلة جنود نوع         | غير محدد | الغام        | تلخبر   | بين روضة الجوزاء وسبعينا | ١/١٥          | ٩٤٥          | ٠ ق.ع.ق.ث. | ٦     |
| ١/١٦   | ونا    | —              | غير محدد                | غير محدد | اسلحة مختلفة | مجموع   | الغابيل                  | ١/١٥          | —            | ٠ ق.ع.ق.ث. | ٧     |
| ١/١٣   | ونا    | —              | تفتيش عمدة بطاير        | غير محدد | مبورات ناسعة | تلخبر   | بناح كفا                 | ١/١٥          | —            | ٠ ق.ع.ق.ث. | ٨     |
| ١/١٧   | ونا    | —              | مبورات في شارع شغابير   | غير محدد | اسلحة مختلفة | مجموع   | جنوب لبنان               | ١٦-١٧/١٧      | —            | ٠ ق.ع.ق.ث. | ٩     |
| ١/١٧   | ونا    | —              | مبورات في شارع ١٧       | غير محدد | مدمجة الهاون | تلخبر   | تل ابيب                  | ١/١٦          | ٢٤٠٠         | ٠ ق.ع.ق.ث. | ١٠    |
| ١/١٩   | ونا    | —              | مبورات في شارع          | غير محدد | مبورات حارقة | تلخبر   | بناح كفا                 | ١/١٦          | ٢٠١٥         | ٠ ق.ع.ق.ث. | ١١    |
| ١/١٨   | ونا    | —              | حرق مستودع مبورات       | غير محدد | مبورات حارقة | تلخبر   | بين بناح كفا و تل ابيب   | ١/١٧          | —            | ٠ ق.ع.ق.ث. | ١٢    |
| ١/٢٠   | ونا    | —              | مبورات في شارع          | غير محدد | مبورات حارقة | تلخبر   | بناح كفا                 | ١/١٧          | —            | ٠ ق.ع.ق.ث. | ١٣    |
| ١/١٧   | ونا    | —              | مبورات في شارع          | غير محدد | مبورات حارقة | تلخبر   | بناح كفا                 | ١/١٧          | ١٣٠          | ٠ ق.ع.ق.ث. | ١٤    |
| ١/١٨   | ونا    | —              | مبورات في شارع          | غير محدد | مبورات حارقة | تلخبر   | بناح كفا                 | ١/١٨          | ٧٢٠          | ٠ ق.ع.ق.ث. | ١٥    |
| ١/١٨   | ونا    | —              | مبورات في شارع          | غير محدد | مبورات حارقة | تلخبر   | بناح كفا                 | ١/١٨          | ٢٤٠٠         | ٠ ق.ع.ق.ث. | ١٦    |

|       |     |   |                        |          |                |       |                 |      |             |    |
|-------|-----|---|------------------------|----------|----------------|-------|-----------------|------|-------------|----|
| ١٧/١  | وفا | — | تدعيم السلع العربي     | غير محدد | مبوبات ناسفة   | تجبر  | بين جيبو وهينا  | ١/١٨ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ١٧ |
| ١٧/١  | وفا | — | لرقاشات عوزي           | غير محدد | موانخ          | تصف   | مسعد/القبيلة    | ١/١٨ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ١٨ |
| ١٧/١٧ | وفا | — | امبارة عدد بن المصنفات | غير محدد | الفسام         | تجبر  | طل ابو الكعب    | ١/٢٠ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ١٩ |
| ١٧/١٨ | وفا | — | تدعيم الية             | غير محدد | تذائف صاروخية  | تصف   | الحوالين        | ١/٢٠ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٠ |
| ١٧/١٩ | وفا | — | غير محدد               | غير محدد | مبوبات ناسفة   | تجبر  | طل ابيب         | ١/٢٢ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢١ |
| ١٧/٢٠ | وفا | — | تدعيم امبارة واصابة    | ١        | التتال البورية | كهن   | فوق البلج/قرية  | ١/٢٥ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٢ |
| ١٧/٢١ | وفا | — | عدد من الملبى بالقرار  | غير محدد | الرشاشات       | كهن   | بمسك البرج/قرية | ١/٢٦ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٣ |
| ١٧/٢٢ | وفا | — | اعطاب سياره فمسكوية    | غير محدد | امسحة رشاشية   | كهن   | العجدين         | ١/٢١ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٤ |
| ١٧/٢٣ | وفا | — | تدعيم وامبارة الفسام   | غير محدد | مبوبات ناسفة   | تجبر  | طل ابيب         | ١/٢١ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٥ |
| ١٧/٢٤ | وفا | — | من السوبر حاركت        | غير محدد | مبوبات ناسفة   | تجبر  | طل ابيب         | ١/٢١ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٥ |
| ١٧/٢٥ | وفا | — | تدعيم احد مصانع (أ)    | غير محدد | مبوبات ناسفة   | تجبر  | طل ابيب         | ١/٢١ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٥ |
| ١٧/٢٦ | وفا | — | مكتبه الجديد           | غير محدد | تنبلة بورية    | الغاه | قرية            | ١/٢١ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٦ |
| ١٧/٢٧ | وفا | — | اعطاب سياره            | غير محدد | امسحة رشاشية   | مجوم  | طراكين          | ١/٢١ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٧ |
| ١٧/٢٨ | وفا | — | اعطاب سياره            | غير محدد | تنبلة بورية    | الغاه | قرية            | ١/٢٢ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٨ |
| ١٧/٢٩ | وفا | — | اعطاب سياره مسكوية     | غير محدد | مبوبات ناسفة   | تجبر  | العجدين         | ١/٢٢ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٩ |
| ١٧/٣٠ | وفا | — | تدعيم مصنع الكرتون     | غير محدد | مبوبات ناسفة   | تجبر  | العجدين         | ١/٢٢ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٩ |
| ١٧/٣١ | وفا | — | في حي برنسخم           | غير محدد | مبوبات ناسفة   | تجبر  | العجدين         | ١/٢٢ | ٠ ق.ع.ق.ش.٠ | ٢٩ |

١٩٧٢/١/١٨/٥

٢ — اعرف المصنفات بالحدود الفلسطينية بتاريخ ٧٧/٩/٢١ المصنفات  
١٧٢٠٠٠ تاريخ تحرير رعد الذامه اسرائيل ، عدد ٥٢٤٠٠٠ ص ٤

١ — كان هذا المبروع تدبيره قد تعرض للمصنف بتاريخ ٧٧/٩/٢١ الى ان  
تعمل المصل عليه حتى ١٩٧٢/٨/١٣ ١٩٧٢/٨/١٣  
٢ — حول تفاصيل المبروك يمكن مراجعة تقررة وكما بتاريخ ١٦ ، ١٧ ، ٤

| الرقم | التقديم  | اليوم | الساعة    | موقعها               | تاريخ الصلحة | نوع | الصلح         | المنتهى | تقبل جريح | البلدية | خسائر العدو        | خسائر العدو | خسائر الفلوجة | خسائر الغازية | المصدر               | تاريخه |
|-------|----------|-------|-----------|----------------------|--------------|-----|---------------|---------|-----------|---------|--------------------|-------------|---------------|---------------|----------------------|--------|
| ١     | ق.٥.ث.١٠ | ١/١٢  | —         | ماروق/ جبل الشيخ     | —            | تصف | غزاف واسعة    | —       | ١         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. (١) عدد ٣١ ص ١/١٤ | —      |
| ٢     | ق.٥.ث.١٠ | ١/١٥  | —         | ماروق/ جبل الشيخ     | —            | تصف | غزاف واسعة    | —       | ٢         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٤٠ ص ١/١٥     | —      |
| ٣     | ق.٥.ث.١٠ | ١/١٥  | —         | ناحال جولان          | —            | تصف | غزاف          | —       | —         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٤٠ ص ١/١٥     | —      |
| ٤     | ق.٥.ث.١٠ | ١/١٥  | ٧٣٠       | حصنين/ الجولان       | —            | تصف | غزاف          | —       | —         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٤١ ص ١/١٦     | —      |
| ٥     | ق.٥.ث.١٠ | ١/١٥  | ١٢٢٠      | رامات مجيبم الجولان  | —            | تصف | الغام         | —       | —         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٤١ ص ١/١٦     | —      |
| ٦     | ق.٥.ث.١٠ | ١/١٥  | —         | النجيل               | —            | تصف | رغابيات جبينة | —       | —         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٤١ ص ١/١٦     | —      |
| ٧     | ق.٥.ث.١٠ | ١/١٦  | ١/١٧-١/١٦ | جوب لبنان            | —            | تصف | اسلحة مختلفة  | —       | ٢         | —       | غير محدود          | —           | —             | —             | ن. عدد ٤٢ ص ١/١٧     | —      |
| ٨     | ق.٥.ث.١٠ | ١/١٧  | —         | التيطرة/ ناخال جولان | —            | تصف | غزاف          | —       | —         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٤٢ ص ١/١٧     | —      |
| ٩     | ق.٥.ث.١٠ | ١/١٦  | —         | ناحال جولان          | —            | تصف | غزاف          | —       | —         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٤٤ ص ١/٢٠     | —      |
| ١٠    | ق.٥.ث.١٠ | ١/٢١  | —         | بمسك البريع/عزرة     | —            | تصف | غزاف          | —       | —         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٥٠ ص ١/٢٧     | —      |
| ١١    | ق.٥.ث.١٠ | ١/٢١  | ١١٠٠      | العقدس               | —            | تصف | عوات ناسعة    | —       | ٢         | —       | اصابة بجنى «السوبر | —           | —             | —             | ن. عدد ٥٢ ص ١/٣٠     | —      |
| ١٢    | ق.٥.ث.١٠ | ١/٢١  | ١٨٤٥      | غزوة                 | —            | تصف | قبيلة يودية   | —       | —         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٥٢ ص ١/٣٠     | —      |
| ١٣    | ق.٥.ث.١٠ | ١/٢١  | ٢١٠٠      | بنارية/ طولكرم       | —            | تصف | اسلحة رشاشة   | —       | —         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٥٢ ص ١/٣٠     | —      |
| ١٤    | ق.٥.ث.١٠ | ١٠/٢  | ١٩٠٥      | غزوة                 | —            | تصف | قبيلة يودية   | —       | —         | —       | —                  | —           | —             | —             | ن. عدد ٥٥ ص ١٠/٢     | —      |

١ - ق.٥.ث.١٠ : عوات الثورة الفلسطينية .  
 ٢ - ن. : نفرة زعماء اذاعة امير اهل اليرموك ، التي تصدر من مركز الابحاث  
 في ٢٠.٥.١٠

### تعريف بالمصطلحات والنشرات الواردة ذكرها

- ١ - ق.٥.ث.١٠.ث. : العودة العامة لعوات الثورة الفلسطينية .
- ٢ - وما : نفرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام ، والتوجيه القومي ببنهاية
- ٣ - ق.٥.ث.١٠ : فلسطين الثورة ، مجلة اسبوعية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي ببنهاية التحرير الفلسطينية .
- ٤ - اسماء العلى : اللام اثني سمعون ، الجندى الاول بطيخ ونفسر ، الجندى دانيال وطر .

غازي خورشيد

## تقرير خاص حول انتخابات مجلس الاتحاد الوطني الأردني

من الضفتين ينتخبون ممثلهم بالمشاركة ، أي وان  
 أبناء الضفة الشرقية من أعضاء الاتحاد ينتخبون  
 بالإضافة الى مرشحهم شرق الاردنيين في المحافظة  
 التي يتنمونها ، ١٠٠ مرشح يمثلون الضفة  
 الغربية والقطاع وعرب الاراضي المحتلة لعام  
 ١٩٤٨ ، ( حيث هناك ٢٠ مرشحا عن رام الله  
 وبيت لحم غازوا بالتركية ) ، كما ينتخب أعضاء  
 الاتحاد الفلسطيني بالإضافة الى مرشحهم عن  
 الضفة الغربية والقطاع وعرب الاراضي المحتلة  
 لعام ١٩٤٨ ، مرشحهم شرق الاردنيين على مستوى  
 المحافظة . وعلى الرغم من ان عادة الاتحاد الوطني  
 يفسرون هذه الطريقة الانتخابية على انها تؤكد  
 وحدة الضفتين ، فانها في الواقع أدت الى ان  
 يتوجه أعضاء الاتحاد لانتخاب مرشحين لا يعرفونهم  
 والاهم من ذلك أدت هذه الطريقة الى حصول  
 مقايضات بين المرشحين من الضفتين لقبائل  
 الاصوات ، كانت تشبه الى حد كبير بيع وشراء  
 الاصوات بصورة علنية كما سير معنا بعد قليل  
 ان مجرى الانتخابات الأخيرة ، ونتائجها ، قسم  
 تعيينات الملك لذلك أعضاء مجلس الاتحاد تقسيم  
 جملة من الملاحظات حول طبيعة الاتحاد وآلية  
 تعديلات جرت عليه ، ومن هذه الملاحظات :

١ - بات الاتحاد حقيقة سياسية في نهج النظام  
 ولم يعد موضع جدل ما اذا كان الاتحاد يستحق  
 المؤسسة التي تنفخ امام فئات النظام والطوائف  
 ممارسة حياتها السياسية . الامر الذي يؤكد  
 سمي رؤوس النظام لتوسيع اطار الاتحاد ليشمل  
 فئات اجتماعية عليا يجري الان استقطابها ، وخاصة  
 الرموز الوجيهة والاسرية التقليدية والبرجوازية  
 الفلسطينية ، من لا زالت تحتفظ بنفوذها التقليدي  
 في الضفة الغربية او عرفت بارتباطها التاريخي  
 بالادارة الاردنية . ويرتبط هذا الاستقطاب الجاري  
 الان بمشروع الملك حسين ، وبالمساعي الحثيثة  
 للوصول مع اسرائيل الى اتفاقية سلام .

ويدون تناسي استقرار رهان النظام على  
 البيروقراطية ، وبقاء الجسم الاساسي للاتحاد  
 ممثلا للبرجوازية في الادارة والقطاعات المرتبطة  
 بها ، فان عملية الاستقطاب الجارية تحدث تحولا  
 ملحوسا ، يدخل زموذ فئات لم تكن يوما مقننة  
 بتوجهات الاتحاد الوطني وبرنامجه المعلن ، ان لم

في غضون الفترة الممتدة من آخر ايب وحتى منتصف  
 ايلول الماضي جرت انتخابات الاتحاد الوطني  
 الاردني ، حيث تم اختيار ثلثي أعضاء مجلس  
 الاتحاد الجديد ، وفي ٢٧ ايلول عين الملك حسين  
 الثلث الاخر من أعضاء المجلس ، وبذلك جرى  
 تكوين مجلس الاتحاد الجديد وهو الهيئة التمثيلية  
 لأعضاء الاتحاد الوطني ، ومن مهام هذا المجلس ،  
 كما تحددها اللائحة الداخلية ، اقرار السياسة  
 التفصيلية للاتحاد ، واقرار اللوائح والتنظيمات ،  
 ومتابعة نشاطات الاتحاد ، والاعداد للمؤتمر  
 العام . ومن حقوقه اجراء تعديلات على الميثاق  
 وعلى النظام الاساسي للاتحاد . ومن مجلس  
 الاتحاد يجري انتخاب ٢٤ عضوا للجنة التنفيذية ،  
 لمبا يعين الملك ١٢ عضوا آخر منها من أعضاء  
 المجلس نفسه . ويختار أعضاء اللجنة التنفيذية  
 الستة والثلاثون « مكتب قيادة الاتحاد » وهي  
 القيادة اليومية التي تصرف الامور المتصلة بالمالية  
 وسياسة الاتحاد والشؤون الاقتصادية والاجتماعية ،  
 والتومية والعلاقات العامة ، والدراسات . الخ ،  
 وهي مهام تضطلع بها مكاتب خاصة فرعية يشرف  
 عليها أعضاء « مكتب قيادة الاتحاد » . اما ادارة  
 اعمال ورئاسة جلسات مكتب قيادة الاتحاد فتكون  
 للامين العام الذي يعينه الملك بنفسه .

ووفقا للنظام الاساسي فان مجلس الاتحاد يتكون  
 من ٣٦٠ عضوا ، يجري انتخاب ٢٤٠ عضوا منهم  
 على اساس التوزيع الجغرافي ، وبراغى التوزيع  
 بين المحافظات نسبة عدد الاعضاء المنتسبين فيها .  
 وكما مر ، فان الملك يعين ١٢٠ عضوا آخر في  
 المجلس الذي يتقاسمه ابناء الضفتين بالتساوي  
 ويقول النظام الاساسي للاتحاد ان مبدأ التعيين  
 يظل قائما الى ان تزول اثار العدوان . ويعيد  
 طرح الملك حسين مشروعه حول « المملكة العربية  
 المتحدة » ، طرأت على النظام الاساسي بعض  
 التعديلات التي تتبع تبثيل عرب الاراضي المحتلة  
 لعام ١٩٤٨ ، ويبدو فلسطين وانباء قطاع غزة  
 المتبعين في الاردن بخصص متفاوتة من مقاعد مجلس  
 الاتحاد ، حسب نسبة تواجدهم في الضفة  
 الشرقية .

ومن الامور الملفتة للنظر ، الطريقة التي تمت بها  
 الانتخابات لمجلس الاتحاد . ذلك ان أعضاء الاتحاد

الظواهر ذاتها ، كالاقتخابات البلدية أو انتخابات مجلس النواب ، إذ جرى تسجيل المواطنين كأعضاء في الاتحاد الوطني وفقاً لاعتبارات شكلية ، وغايتها الأساسية كسب المرشحين مزيداً من الأصوات ، وتعزيز مراكز النفوذ في الاتحاد . وبسبب هذه المنافسة ارتفع عدد الناخبين من أعضاء الاتحاد الوطني الى ارقام خيالية ، وذلك كما اوردها الصحف الأردنية : محافظة اربد وبدو الشمال : ٢٣ الف ناخب ، محافظة عمان وبدو الوسط : ٥٧ الف ناخب ، محافظة البلقاء ١٧ الف ناخب ، محافظة الكرك : ٩٤٥٠٠ ناخب ، محافظة معان ٤٤٠٠٠ ناخب ، بدو الجنوب : ٥٤٠٠٠ ناخب . وبهذا يكون المجموع ١٢٥٤٥٠٠ ناخب . ان في الارقام المارة دلالة واضحة على الطابع التنظيمي الشكلي للاتحاد .

٤ - احييت الانتخابات في المحافظات والمناطق باجراءات امنية واسعة وساد جو من التخوف والحذر ، حيث وقعت صدامات بين انصار المرشحين ، كذلك التي شهدتها الانتخابات البلدية مؤخراً . لذلك باذر الحكام العسكريون باصدار اوامر دفاع تقضي بمنع نقل الاسلحة النارية اثناء الانتخابات وحتى اشعار اخر . كما جرى الاجتياح الى الاعيان والوجهاء ونواب المحافظات لحثهم على ضبط سير الانتخابات . ومن جهة اخرى احييت مراكز الاقتراع ومراكز الفرز باجراءات امنية وحراسة مشددة .

٥ - تحدثت بعض الصحف الأردنية عن الاجواء التي احاطت بانتخابات الاتحاد الوطني والاساليب التي استخدمت للحصول على الاصوات . فتحدثت جريدة « الصباح » الاسبوعية ( ١٩٧٢/٩/٤ ) فقالت : « حدثت مناجات مذهلة في المعركة الانتخابية الدائرة حالياً في محافظة العاصمة لانتخاب اعضاء مجلس الاتحاد الوطني ، فقد خرج مرشحون عديدين من القوائم التي التزموا بها اصلاً وخاضوا المعركة على اساس فردي او بكتل اخرى ... واسفرت هذه العملية - المدعة - عن حدوث انشقاقات كثيرة في اكثر من قائمة ظهر يوم امس : وقد شجعت هذه الانشقاقات حدوث انقسامات اخرى في جميع القوائم وهيئات الجوس لحدوث انقسامات في انتخابات المحافظات الاخرى . ويسود اوساط الناخبين شعور بالترقب والاشمئزاز لتصرفات بعض المرشحين الذين تكلموا بمهملتهم

تكن معادية له . ولذلك يلتمس من وصول رموز اجتماعية مغايرة لتكوين الاتحاد الوطني القديم ، واتح التعميد الذي جد على جسم الاتحاد ، والذي يقوده جناحه النسبي السابق ، ويحمل عيسى التكن يتنامي الصراعات بين البرجوازية في الدولة والبرجوازية التجارية والمتوسطة ( المهنيين ) ذات النشأ الفلسطيني على السلطة وعلى برنامج النظام . ان ابتعاد رموز الاتحاد الاساسية مثل مصطفى دودين وابراهيم الجباشنة عن البروز في الفترة الاخيرة يعكس بداية الصراع حول بنية الاتحاد الوطني ، كما ان تعيينات الملك لـ ١٢٠ عضواً في مجلس الاتحاد ، بالإضافة الى الاعضاء المنتخبين تشير الى وصول رموز اجتماعية وسياسية كانت موضع عداوة وصفي القل ، بل كان قد قام بعزلها من اجهزة الدولة . وعلى صعيد الضفة الشرقية فقد جرى تمثيل اكبر للمهنيين والتجار والصناعيين ولرموز عشائرية . بيد ان التمثيل الاكبر بقي لرموز لها صلاتها التاريخية بالادارة وزراء ووزراء سابقون ، موظفون كبار وتكوقراطيين ورؤساء بلديات وتربويون .. الخ .

٢ - ان رغبة النظام في توسيع اطار الاتحاد الوطني ، ورغبة الفئات والشرائح العليا الممثلة من الحكم منذ زمن ، في العودة الى مواعها السابقة ، عكست نفسها في المنافسة الشديدة التي شهدتها انتخابات مجلس الاتحاد الوطني .

وتبدأ عدا منطقتي رام الله وبيت لحم التي اوصلت مرشحيها العشرين بالتزكية ، وفيما عدا ٩ مقاعد متفرقة في محافظات الضفة الشرقية اجتهد المرشحون بالتزكية ، فقد شهدت جميع المحافظات والمناطق في الضفتين منافسة شديدة وصراعات حادة حول مقاعد مجلس الاتحاد ، وهو ما انعكس بمقارنة اعداد المرشحين باعداد المقاعد المخصصة لكل منطقة : ففي محافظة عمان تناس ١٦٤ مرشحا على ٢٤ مقعداً ، و ١٩ مرشحا من بدو الوسط على اربعة مقاعد ، و ٢٨ مرشحا في محافظة البلقاء على ١١ مقعداً ، و ٦٧ مرشحا في محافظة الكرك على ٢٠ مقعداً ، و ٢٧ مرشحا من بدو الجنوب على اربعة مقاعد . اما المرشحون الفلسطينيون ، فقد بلغ عددهم ٢١٨ مرشحا تنافسوا لاحتلال ١٢٠ مقعداً .

٣ - سادت انتخابات الاتحاد الوطني لاجو ذاتها الحيلة بآية عملية تمثيلية في البلاد ، ولازمتها

التي تقطعوها على أنفسهم لزملائهم مما يوحى بشان  
وعودهم التي منوا بها المواطنين لن تكون بأفضل  
من عهودهم لزملائهم ... »

« ولو حظ ان كل مرشح كون لجنة تسمى لجنة  
المبادلات هدفها عقد صفقات تبادل بين اصوات  
ناخبي الضفة الغربية والضفة الشرقية ( ... )  
كان صوت الناخب فيها هو السلعة التي يجري  
التفويض على اساسها ، وقد اشتدت المعركة  
الانتخابية في المخيمات عامة ، لا سيما في مخيم  
ناركا حيث استقطب المخيم عشرات السيارات  
القادمة من جميع أنحاء المحافظة لاجراء المبادلات  
بين اصوات الناخبين بالجملة ( ... ) ويتوقع حدوث  
مفاجآت مذهلة في نتائج الانتخابات ما دام صوت  
المواطن اصبح سلعة تباع وتشترى علنا وبدون  
اي حرج قانوني » .

وعادت الصحيفة ذاتها للحديث عن الظواهر التي  
رافقت الانتخابات فقالت في عددها الصادر في  
1972/9/11 : « أكثر من ظاهرة برزت في انتخابات  
مجلس الاتحاد الوطني العربي في محافظة العاصمة  
استرغبت انتباه المواطنين وكونت لديهم تناقضات  
ترسخت في اذهانهم وتجدرت بصماتها واصبح من  
الضعب ازالة اثارها . من هذه الظواهر الاسلوب  
الذي تميز بها المعركة الانتخابية والمساومات التي

شهدتها وتبادل الاصوات التي اتسمت بها التفتيح  
للمواطن ان المرشحين للاتحاد قد سلكوا مسلكا  
كثيرا في سبيل نجاحهم ، فمنهم من استغل مسيرات  
الدولة للدعاية الشخصية ، ومنهم من استغل  
العاملين بالمؤسسة التي يديرها أو يعمل ضمنها  
مما يوحى للمواطن بأن من لا يحرص على مصلحة  
الدولة ليس أهلا لتمثيله » .

٦ - قبل صدور تعيين الملك لعدنان ابو عودة وزير  
الاعلام السابق امينا عاما للاتحاد الوطني ، صدرت  
تكهنات صحفية عديدة شملته بالاضافة الى مرشحين  
آخريين مثل مضر بدران احد رجالات المخضاروات  
الاردنية-البارزين سابقا ، وفضل الدلتيموني نائب  
اريد والوزير السابق لاحتلال منصب الامين العام  
للاتحاد . ولم تشر هذه التكهنات الى مصطلحين  
دودين الامين العام السابق ، او الى ابراهيم  
الحباشنة ، وزير الداخلية السابق ، واحد اطراف  
الاتحاد الوطني البارزين ، الذي اعلن عن موته  
اثر نوبة قلبية وسط شائعات قوية عن صراعات  
بينه وبين رموز اخرى في السلطة يعززها التغطيات  
الاعلامية الضعيفة لانهاء تشبيح جنازته في جنس  
الاردن .



# اسرائيليات

## هل تكون المرأة نصف جبلي؟!

● لا تزال الاوساط الصحفية والفكرية الاسرائيلية تشغل نفسها ، في مناقشة حادة وطويلة ، حول تقييم الجانب « الاخلاقي » من الصهيونية . فما هي الدوافع التي قادت الاسرائيليين الى الانقسام حول هذا السؤال الذي يعتبر مجرد طرحه ، بالنسبة اليهم ، تشككا بقدر اقدس اقداسهم ؟ وان اكثر ما هو ملفت للنظر في هذا الموضوع هو ان المناقشة يدبرها اشخاص لا يدنو الشك من اخلاصهم العميق للصهيونية وحرصهم الشديد على توفير اكثر السبل ضمانا لتطبيقها الاسرائيلي . ولكن اختلافهم ينحصر في البحث عن هذه السبل .

ولقد رأى بعض الصهيونيين الاسرائيليين ان بعض الممارسات الحكومية في السنة الخامسة من الاحتلال الاسرائيلي الجديد تعتبر تجاوزا للقيم الصهيونية و « طهارة » هذه القيم . لانهم يرون في هذه الاجراءات « انحراف » اسرائيل عن الحلم الذي راود الصهيونية بان تكون « دولة يهودية مثالية » التي ميل من التطور تحولها الى « دولة كولونيتالية » . ومن هنا نشأ السؤال : هل يتعارض الاستيطان الاسرائيلي الاستعماري مع القيم الصهيونية ؟ ام ان هذا الاستيطان هو تسلسل منطقي وطبيعي لطبيعة نشوء الصهيونية ؟ . عند هذا السؤال ، اختلفت الآراء ، وانفجرت المناقشة بمدى التضييق ان السياسة الاسرائيلية الرسمية تجارس عمليات الضم التدريجي للأراضي الغربية المحتلة معتدة على مرور الزمن وغياب عوامل الضغط السياسي الدولي والمقاومة العنيفة المسلحة .

هذا من ناحية .. ومن الناحية الأخرى ، لعل بعض الأحداث التي جرت داخل الأراضي العربية المحتلة ، قديما وحديثا ، قد اعطت الاسرائيلي شرعية طرح السؤال حول طبيعة الصهيونية ، وهل التطبيق الاسرائيلي البالغ الظلم والعنف هو امتداد

وكانت العملية الثانية - مصادرة أراضي قرية عترة في منطقة نابلس ، حيث قام الجيش الاسرائيلي بترحيل البدو القاطنين هناك بعملية بالغة الوحشية ، وبقتل بيوتهم وتخريب آبارهم ، كمقدمة لإنشاء مدينة يهودية على أرض العرب وعلى انقاضهم .

وكانت العملية الثانية - مصادرة أراضي قرية عترة في منطقة نابلس ، حيث قام الجيش الاسرائيلي برش جثث القرية بالمواد السامة ، واقام مستوطنة يهودية على أرض العرب وعلى انقاضهم .

وكانت العملية الأخيرة ، الضجة التي فارت حول قضية تريتو كبربرعم واقرت ، حيث منعت الحكومة الاسرائيلية عودة اهالي القرية الى أراضيهم التي طردوا منها قبل ربع قرن ، بلا سبب !

ولقد اكنفى ، رد الفعل الاسرائيلي المعارض على العملية الأولى والثانية بالاعتراض الكلامي الخاضع لحسابات سياسية وحزبية . ولكن الاعتراض على العملية الأخرى تجاوز الحدود المتوقعة الى الاشتراك في تظاهرات احتجاج في قلب الشوارع اليهودية . وكان الكثيرون من المعارضين الاسرائيليين على الجريمة الصهيونية - الاسرائيلية المرتكبة ضد اهالي كبربرعم واقرت يرون ان عدم السماح لاهالي القرية بالعودة يعتبر انتهاكا للقيم والتعاليم التي نادى بها الصهيونية ، ويعتبر وصفا عار في جبين اسرائيل وتشويها لمسبتها . ومضى بعضهم الى القول بان القوة الاسرائيلية ستكون خالية من المعنى اذا ما انتهكت العدل وتخلت عن المضمون الإنساني . ومن هنا ، فلا بد « للضمير اليهودي » من أن يصحو ويتهم .

وكان المدافعون عن موقف الحكومة يضمنون دفاعهم

اسرائيلية . واضاف افنري : « يقولون ان يحدث الصهيونية هو الاستيطان في كل أنحاء البلاد ، باجلاء المواطنين العرب ، ويقولون ان الشعب كان وسيكون دائما جزء لا يتجزأ من العملية الصهيونية ، ويقولون ان الكلام الاخلاقي الذي قاله الاجداد لم يكن الا تغطية ضرورية ايام الضعف ، ولا تكفي له ايام القوة . ولم تنحصر الأمور في منطقة معينة ، ولا في مناطق ارض اسرائيل الغربية من ايام الانتداب . مثل الشعارات التي رمت هذه النظرية لتبرير الاستيطان واجلاء المواطنين في الجولان والضفة الغربية وسيناء قد تنطبق غذا على جنوب لبنان ووسط سوريا والضفة الشرقية ، اذا كانت المدفعة السياسية - العسكرية التي احتلها الجيش الإسرائيلي لهذه المناطق » . وعلق افنري على ذلك بقوله : « عليا ، كانت هذه هي النظرية التي وجهت للمستوطنين البيض في امريكا الشمالية حتى وصولهم الى شاطئ المحيط الهادئ » . النظرية التي وجدت تعبيرها الفطيع في المطالبة الالمانية بسجال حيوي » .

ويقول محرر هعولام هزه ان كثيرين في اسرائيل يقولون ان هذه الاعمال وهذه النظريات لانهم كانوا فيها « تجاوزا وتشويها للقيم المقدسة » . ويرون ان هذا التجاوز جاء بالصدفة . فان احتلال المناطق هو الذي حرف الصهيونية عن الطريق المنتقم . ويحدد افنري انه كان للصهيونية هدفان : الاول دولة يهودية يسيطر فيها اليهود . والثاني دولة استيطان يهودي في كل أنحاء البلاد . وعندما يتطور هذان الهدفان ، لم يتطور الى جانبها حل للقضية الرئيسية التي ينطوي عليها تحقيق الهدفين : وجود مواطنين عرب طيلة ثمانية ترون . فكيف تحل هذه القضية مع المحافظة على التفرّد اليهودي لدولة اسرائيل ؟ يقول افنري : كان من الممكن حل القضية لو هرب سكان المناطق في حرب الايام الستة كما اُجّلوا عن المناطق التي احتلتها اسرائيل عام ٤٨ . وكان من الممكن حلها بطرد السكان بعد الحرب . لقد بذلت مثل هذه المحاولات ، ولكنها فشلت . وعلى الرغم من ان اسرائيل لم تبسّم لمئات الالوف من لاجئي حرب الايام الستة بالعودة الى المناطق المحتلة ، فقد بقي تحت الحكم الاسرائيلي ١٤٤ مليون عربي يشكلون حوالي ٣٥٪ من السكان . الزيادة الطبيعية لهؤلاء السكان تزيد ضعفين من زيادة اليهود . والهجرة اليهودية تسد هذا الفارق ولكن بصعوبة . هذا الوضع يمكن

دفاعا عن الصهيونية . ويرون ان الدفاع عن « الحق اليهودي على فلسطين » يقتضي الدفاع عن اجراءات طرد العرب ومصادرة اراضيهم . ومن هنا ، يكون موقف السلطة الاسرائيلية في عمليات رفع وغربة وكفبرعم واقرت وغيرها من عمليات اجلاء العرب واقامة الاستيطان اليهودي موقفا متسجما مع الدعوة الصهيونية الى تحقيق الحق اليهودي المطلق على فلسطين . هكذا قامت اسرائيل التي كان من المستحيل ان تقوم لولا مثل هذه العمليات . وكتب كاتب سياسي في صحيفة «يديعوت احرونوت» (يهوشع بن فورات ٧/١٤) : « ان تقدير الابن باللغة الاسرائيلية ليس فقط في وضع مدافع في مكان ما للدفاع عنه ، بل وفي فترات معينة - وقد يكون ذلك الجوهري فيها - خلق امتداد اقليمي يهودي ، او خلق واقع صهيونسي واضح . وهذا يعني بلغة اخرى - تخلص البلاد عن طريق الاستيلاء على اراضيها بأساليب عسكرية وأمنية . وما جرى في مشارف رمح لا يختلف ، في ماهيته ، عما جرى في اماكن اخرى من ارض اسرائيل ودولة اسرائيل منذ بدأ تطبيق الصهيونية ، وذلك يشمل اجلاء مواطنين عرب من قراهم » . والخلاصة ، كما يراها الكاتب : « ليست هناك صهيونية ولا استيطان ، وليس هناك دولة يهودية بدون اخلاء العرب ومصادرة اراضيهم » .

وهكذا ، يعود المدافعون عن استمرار الظلم والسلب الاسرائيليين الى الطريقة التي قامت بها اسرائيل ، مما يجعل الاستمرار بها شرعية صهيونية ، والتوقف عن ممارستها تخليا عن اهم مقومات الوجود اليهودي في فلسطين .

وكتب اليعيزر ليبنه في ( هارتس ) ( ٨/٦ ) عن معادلة الصهيونية والسلب « ان مواطنين عربا تغلوا من اماكنهم كي تتمكن المستوطنات اليهودية من الطول مكاتهم ، فاذا وصفت هذه العملية بالسلب ، فان مجرد عودة اليهود الي بلدهم مزروجة بالسلب » .

وقد لاحظ اوري افنري ( هعولام هزه ٩/٦ ) ان السنة الاسرائيلية الاخيرة كانت سنة تحول في ميدان « الاستيطان الاستغلالي » ، اذ ادلى الجغرافيات والسياسيون والمعلقون ، بأقوال ما كانت تصدّر قبل الان الا عن اعداء اسرائيل والحكام العرب ، هذه الاقوال التي كانت توصف بأنها دعاية تحريضية عربية قد اتضح الان انها حقيقة

من ايجاد حلين عمليين -نقط : احادة المناطقت  
للمحافظة على الطابع اليهودي والديمقراطي  
لاسرائيل ، أو الاحتفاظ بالمناطق مع سلب السكان  
العرب حقوقهم القومية والمدنية . ان الحل الثاني  
يتطلب استيطاننا يهوديا بنطوي على سلب العرب ،  
وانتهاج حكم لا ديمقراطي تجاههم ، وتحويلهم الى  
خطابين وسقاة ماء . وهذا هو الحل الكولونيالي .  
وفي هذا العام تم حسم المسألة - لصالح هذا  
الحل الكولونيالي .

فهل تستطيع الصهيونية ان تقدم حلا غير الحل  
الكولونيالي ؟

سكنون المناقشة ، كما هي الان ، عقيدة ما دامت  
محصورة في اطار الحل الصهيوني . ويبدو بؤس  
المنطق جليا في دفاع بعض افراد الجيل الاسرائيلي  
الحالي عن التطبيق الصهيوني السابق لحرب الايام  
الستة كذريعة جوهرية للاعتراض على بعض  
التطبيقات الاسرائيلية التي تلت حرب الايام الستة .  
فالسلب الراهن لا يحدس بالسلب السابق . من  
هنا ، لا تكون وسائل البحث عن حل ذات نفع عملي  
ولا تفكري اذا حصرت نفسها في النطاق الصهيوني ،  
الا اذا كان السعي نحو الحل ضربا من ضروب  
تسجيل دقائق ضمير افاق في ساعة مزاج ليبرالي ،  
أو اذا كان السعي نحو الحل محاولة لاحاطة  
السلب باسماء جديدة ، والحرص على ممارسة  
الظلم بأقصى درجات اخفاء معالم الظلم .

لنأخذ على سبيل المثال المناقشة التي دارت في  
ندوة صحيفة « يديعوت احرونوت » ٩/٨ . قال  
عاموس كينان وهو كاتب من المعترضين على دعوة  
« أرض اسرائيل الكاملة » . زدا على سؤال : ما  
هي أرض اسرائيل ؟ . اجاب : « انني اوافق على  
ان كل من يدعي ان دير البلح أو الجولان ليست  
أرض اسرائيل - لا مكان له أيضا في تل ابيب » !!  
ومن هذا الجذا الصهيوني الاولى ، اقترح ان تتم  
مناقشة اخلاقية الصهيونية على أساس الانتطاع  
التاريخي ووضع الفواصل بين الممارسة الصهيونية  
قبل حرب ٦٧ وبعدها . أي - ان الصهيونية لستم  
تتحول الى حركة كولونيالية الا بعد حرب ٦٧ .  
وكانت ملاحظة الكاتب ابيعيزر غولان تكمية حين  
قال : ان صهيونية عام ١٩٧٢ لم تبدأ في هذا  
العام ، ولكنها تطور لما كان .

وإذا عدنا الى آباء الصهيونية في نظرتهم الى  
المسألة العربية نرى ان نقطة انطلاقتهم تبدأ من ان

فلسطين هي وطن الشعب اليهودي كله ، وان  
الحق اليهودي عليها لا يتزعزع على الرغم من  
الفاصل الزمني الذي يبلغ الالف عام . واذا  
اضطدم « الحق » اليهودي ، بأي حق اخر ، فان  
الاولوية تكون « للحق » اليهودي لضرورة ايجاد  
اكثرية يهودية في فلسطين ، تستولي على الارض  
العربية اما بالمال واما بالسلاح ، وكلا الاسلوبين  
سلب . ولم يتورع زئيف جابوتنسكي عن مساواة  
الصهيونيين بالمستوطنين البيض في الولايات المتحدة  
ومساواة العرب في فلسطين بالهنود الحمر  
والزنج . ونص دستور « هشومير » على الفترة  
التالية : « بالدم والنار سقطت يهودا . وبالدم  
والنار تقوم يهودا » .

ومن هنا ، سيكون من السخرية والسذاجة ان  
يجتهد المرء كثيرا في البرهنة على ان العنف والسلب  
الصهيونيين لم يكونا عملا طارئا بعد حرب ٦٧ .  
كما سيكون من السذاجة أيضا ان يقول اريه ليف  
وغیره ، في ندوة يديعوت احرونوت ، ان الممارسة  
الصهيونية في فلسطين لم تكن بالعنف والسلب حتى  
عام ١٩٤٨ بل .. بشراء الارض . وانه بعد هذا  
التاريخ طرا « التحول الكبير » : من شراء الارض  
بالمال الى شراء الارض بالدم . ويضع المسؤولية  
على العرب الذين حاولوا الحيلولة دون شياع  
ارضهم ! .. وقد اقرب عاموس كينان من الحقيقة  
حين تسائل : لا فارق بين الشراء والانتسلا .  
فان تشتري ارض وادي الحوارث مثلا هو عملية  
سلب من الدرجة الاولى تماما كما تغلي السكان من  
مشارف رفع . ان شراء ارض قاطلة هو عملية  
سلب وان شراء ارض مهجورة هو عملية سلب  
أيضا .

ويخرج الكاتب من هذه المعادلة الصعبة بقولسه :  
عندما نقولون اننا سلبنا وادي الحوارث ، فباتكلم  
تريدون ان تشرحوا لماذا نسلب غزة اليوم . وعندما  
تريدون الان تسلب غزة اليوم ، فاتكم تدعون اننا لم  
نسلب وادي الحوارث . وانا اقول : نعم . سلبنا  
وادي الحوارث ، ومع ذلك يجب الان تسلب غزة .  
لانني اريد ان اضع حدا .

معنى هذا الكلام الصريح هو ان اسرائيل تامت  
على السلب والعنف . وان هذه البداية لا تسير  
استمرار السلب والعنف في اتجاه المزيد من  
التوسع ، وذلك لكي يكون السلب السابق  
« شرعيا » . ان هذا الموقف هو الذي يميز ما

والشكك والخمراون كقصة الضمات في الزخرفة  
الساقية . فقد كتب العزير لفته في هاريس (١٨٧٤)  
« لقد حدث تغير في الاستيطان الصهيوني التوم في  
بالنسبة لاسبابها قبل حرب الأيام الستة » . ففي  
عهد الانتداب تركز الاستيطان اليهودي بالاحساس  
في المناطق المأهولة نسبيا . وتطلبت اقامة مستوطنه  
او مدينة يهودية او كيبوتس طرد قرية عربية سابقة  
وليس المتسود نمط المدن والقرى والكيبوتسات  
التي قامت مكان القرى العربية المهجورة . . . بل  
مستوطنات قامت على انقاض قرى عربية مهجورة .  
والآن بعد حرب الايام الستة يختلف الامر من  
اساسه . فالمناطق في سيناء وفي غور الاردن ، وفي  
المناطق الشرقية من الضفة الغربية ، وفي هضبة  
الجولان وجبل الشيخ خالية من السكان . والعرب  
في الامر ظهور الطلق الان من سلب العرب . السلب  
ليس في الارض ، بل في الشعور الذاتي : فكيف  
كانت تميز العناصر المعادية كليا للصهيونية ، اخذت  
تتغلغل في المعسكر الصهيوني » .

ولكن محاولة هذا الكاتب لتبرئة الصهيونية من  
السلب ، بحجة ان مسرح السلب خال من السكان ،  
تتعرثر عندما يفسر اهداف الصهيونية ، في حديثه  
بنذوة يديعوت ارونوت ، يقول : « اننا تعود الى  
هذه البلاد لترکز فيها الشعب اليهودي كله وحين  
يواجه بسؤال صعب : لمن هذه البلاد ؟ يجيب  
بسهولة شديدة : « ان ارض اسرائيل ، سواء  
كانت خالية ام مأهولة ، هي للشعب اليهودي » .  
وحين يجابه بسؤال اصعب آخر : وما هي حقوق  
العرب ؟ يجيب بسهولة شديدة : « للعرب حقوق  
شخصية ووطنية » ، ولكن البلاد لليهود . واذا كان  
من الممكن الاتفاق مع العرب ، فيجب ان يتم  
الاتفاق » . اي — يجب ان يتم الاتفاق مع العرب  
على اساس اعترافهم بانهم ملائون على فلسطين ،  
وان الحق اليهودي مطلق وغير قابل للمناقشة .

ويختتم النائب شموئيل تير المناقشة حول الصهيونية  
عام ١٩٧٢ بقوله : « انها في احسن احوالها منذ  
ولدت . في ايدنا الان اكبر منطقة ، واكوى جيش  
يهودي . والهجرة تأتي من الغرب ومن الشرق .  
والولايات المتحدة الامريكية تنظر اليك كطيف ،  
والسياسيون الامريكيون يهتمون بما يقال في القدس  
أكثر من اهتمامهم بما يقال في باريس عشية انتخابات  
الرئاسة » .

في مثل هذا المناخ تجري المناقشة حول « اخلاق »

تضمي بالارسطاط القزينة في السدائرة الصهيونية  
الاسرائيلية . الانقسام بين سلطنة اسرائيل في  
الماضي ، دون الخضوع لديالكريك . التطور الصهيوني  
كما ينادي به انصار التوسع الجشع الذي لا حدود  
له . « من هنا ، يكون الاسرائيلي العاقل صهيونيا  
على الرغم منه ، لان شرعية دعواه مهما اتسمت  
بالليبرالية قائمة في اساسها على سلب مر عليه  
الزمن نصار « شرعيا » يستحق الدفاع عنه أمام  
اصحاب الحق السابقين — وهم العرب . وامام  
من يهددون هذا الحق بالضياع — وهم الصهيونيون  
المطرئون . ومن هنا ، يكون هذا الاسرائيلي اسير  
بتناقضه الذي لا تسهل النجاة منه في اطار الحبل  
الصهيوني . انه يدعو الى كبح جماح الصهيونية  
والى وقف اندفاعها المتوسع عند تقاطعها من  
الاتصار ، لا الى الغائما . ومن هنا تستقط دعاوي  
المدافعين عن التوسع الجديد بذرائع التوسع  
القديم . وتستقط كذلك دعاوي الذين ينكرون وجود  
توسع قديم لكي يبرروا رفضهم لتوسع جديد .

وقال يشعياهو بن فورات ، في الندوة الصحفية  
ذاتها ، وهو يدحض النفاق الصهيوني الذي يفتي  
على الصهيونية اخلاقيات غريبة عنها : ان الحريات  
الصهيونية اللاعنيفة واللامسكية ، لم تتفتني على  
الصهيونية الاخلاقية التي تتحدثون عنها . فهنذ  
الصباغة من مهري تربية على العمل العسكري  
لاحتلال البلاد . لقد نبوت في التمساجع الاحساس  
بانته سيجيء يوم نحتل فيه البلاد بقوة السراخ .  
وعلموني على ان ارض اسرائيل لنا ، وان يوسع  
العرب المقيمين هناك ان يستمروا في العيش بشرط  
الا يزغوننا . واذا ازغوننا فسنطردهم . وعندما  
هاجرت الى البلاد وعشت في الكيبوتس لم يربوني  
على احترام العربي ، ولم يربوني على ان العرب  
واليهود سيعيشون معا . كان التفكير الخفي ،  
والواضح احيانا ، هو ان العرب سيذهبون ونحن  
نبقى . ومنذ عام ١٩٤٥ كان واضحا لنا جميعا ان  
حربنا ليست لطرد البريطانيين فقط . واننا لطيرد  
العرب . وكنا ، في الكيبوتسات ، ننظر الى القرى  
العربية المجاورة ونقسم اراضيها في ما بيننا » .

ومن المفارقات الغربية ، في هذه المناقشات حول  
اخلاقية الصهيونية ، ان تجد الاكثر تطرفا في اتجاه  
المزيد من التوسع يفتون عن مرحلة التطبيق  
الصهيوني بعد حرب حزيران ١٩٦٧ صفة السلب

الجهوية . ومن الواضح ، ان الصهيونية الاسرائيلية لم تعد ترى حاجة الى التظاهر بالخصائفة تجاه اتهامها بالعنف والسلب واللااخلاقية . وان ما كانت تسميه دماية عربية خدعا ، صارت تستخدمه ذرائع علمية لتواجه به

### ••• انهم يخافون

بعض ابتائها الذين يتسألون عن النهاية ، ويسعون بمشقة بالغة الى « تعقيم » الظلم وخصره في نطاق الاحتلال السابق ، لئلا يؤدي جشع الاحتلال اللاحق الى اصابة كل شيء .

وعلى هبتها ، وعلاقتها مع دول العالم من ناحية ، وعلى الدول العربية من ناحية اخرى .

يشعيا هو غيبش : يجب ان نتذكر ان الارهاب كان دائما جزء لا يتجزأ من حرب العرب ضد اسرائيل . ولكنه وجد تعبيره ، في الاساس ، منذ هزيمة الجيوش العربية . فعندئذ بقي « المخربون » وحيدون في ساحة القتال . وقد تبلور التحول نحو أوروبا بعدما فشلوا في اشعال نار التمرد داخل اسرائيل ، وبعدها ابعدوا عن قواعدهم على الحدود . وكان هناك دافعان لنقل الجبهة الى أوروبا ، فهناك يجدون انفسهم متحررين من الجيش الاسرائيلي ، ويملكون فرص نشاط غير محدودة .

وأعتقد ان لهم هدفين من وراء ذلك : ان يذكروا العالم بشكل مستمر بأن الحرب مستمرة ، وأن يلحقوا الاذى بدولة اسرائيل . وينبغي ان نتذكر انه من أجل تحقيق هذين الهدفين ، لا يجب ان يضربوا اهدافا اسرائيلية بالذات . فمن الممكن ان يصيبوا شركات اقتصادية غير اسرائيلية ، وحركة الطيران الدولي ، والحركة البحرية والسفارات .

ومن الممكن ان يخطفوا سفراء اجانب ويقولوا لاسرائيل : « أطلقوا سراح « مخربين » والا ... » . انه مجال نشاط بالغ الاتساع . ومن شأن مثل هذه الحرب ان تؤثر على المعنويات في اسرائيل . لقد بدأ الارهاب في تشكيل خطر على الاسرائيليين خارج البلاد وعلى المصالح الاسرائيلية هناك . ومثل هذه الاصابة يؤثر على المعنويات في اسرائيل . ولكن كيان دولة اسرائيل نفسها لا يتربص به خطر من جراء الارهاب . بالعكس ، فان الارهاب يزيد من عطف العالم علينا .

سؤال : الا نخشى ان يهت عطف العالم ، بمرور الوقت ، فيرى في اسرائيل مصدر قلق لا يتبع له العيش بهدوء بال ؟

جواب : لا ريب في ذلك . وما نحن نرى مثل هذا التوجه من جانب حكومة فرنسا التي تقول :

● ما هو التأثير الحقيقي الذي يتركه النشاط الفلسطيني المسلح على معنوية الاسرائيلي ؟ وما هو الحجم الحقيقي للقلق الاسرائيلي ، العادي والرسامي ، الناتج من هذا النشاط ؟ وكيف يقيم الخبراء العسكريون الاسرائيليون حجم وخطورة النشاط الفلسطيني المسلح على اسرائيل وعلى علاقاتها — باليهود في العالم ، وعلى الدول الاوروبية ؟ وكيف يقيم الاسرائيليون الانتصارات التي تحرزها القضية الفلسطينية نتيجة هذا النشاط المسلح ؟ واخيرا .. ما هي الخطة التي تعدها اسرائيل للرد على هذا النشاط على الصعيدين العربي والعالمي ، وهل تفكر اسرائيل بممارسة دور الرد ام المبادرة ؟

لقد اجمع الاسرائيليون ، هذه المرة ، على عدم الاستهانة والاستهتار بتطور النشاط الفلسطيني المسلح وانتقاله خارج حدود المنطقة الى المجال الدولي . وما زالت اجهزة الاعلام الرسمية ، منذ جادث ميونيخ ، مشغولة بتحليل ابعاد هذا النشاط وخطره على الاسرائيلي ، جسديا ومعنويا ، وبمراقبة دونه في عرقلة حلول الامر الواقع وفي افساد حس الايمان لدى الاسرائيلي رغم انتصاراته العسكرية المتلاحقة . وفيما يلي ننشر ملخصا لندوة بالغة الاهمية عقدها صحيفة « يديعوت احرونوت » (١٩/٦) حول هذا الموضوع ، باشتراك مجموعة من كبار الخبراء العسكريين الاسرائيليين هم : الجنرال يشعياهو غيبش الذي كان قائدا الجبهة الجنوبية في حرب الخامس من حزيران وبعدها ، والجنرال حاييم هرتسوغ الذي كان رئيس دائرة المخابرات الجيش الاسرائيلي ، وايفان ليبي الذي كان ضابط العمليات في ايتسل ، ويتسحاق شحير الذي كان قائدا ليجي .

سأل محررو « يديعوت احرونوت » عن الاتجاهات التي قد يتطور فيها « الارهاب » وماذا سيكون تأثيره على اسرائيل — على معنوياتها الداخلية

« القضية ليست فقط محاربة المخربين ، بل يجب حل النزاع الإسرائيلي العربي » . وفي اعقاب مثل هذا التوجه تأتي ضغوط سياسية :

ان الارهاب لا يهدد بالخطر كيان اسرائيل ، ولكن يشكل خطرا على الاسرائيليين ، ويجلب علينا ضغوطا سياسية ، ويمس المعنويات داخل الدولة . حتى اليوم كنا نتلقى الضربة لا نوجهها . وينبغي ان توجه الحرب بشكل تكون فيه موجهي الضربة . يتسحاق شيمر : الارهاب العربي هو ، علينا ، التمييز المتطرف لما يسمى حركة المقاومة الفلسطينية . وعلينا ان نأخذ بالحسبان خاصيتين جوهريتين لهذه الحركة . الاولى — من ناحية امكانية التسليم والتسوية ، فان المقاومة الفلسطينية هي اذ اعدائنا . يمكن ان نفترض ، نظريا ، قيام علاقات سلام وجوار مع دول عربية في الشرق الاوسط ذات يوم . ولكن لا يمكن الافتراض ، بأي شكل من الاشكال ، ان تسلم بحركة المقاومة . لان تحقيق اهدافها يتطلب اباده دولة اسرائيل . ان ميكركتنا معهم ليست على مواقع ولا على مناطق وحدود — بل على الوجود او العدم . انها حرب حياة او موت . نحن او هم . اذا كنا نريد العيش — فيجب ان نستحتم .

والخاصة الثانية — ليست في نشاطهم اي منهج سياسي ، اعتدنا ان نجد في حركات تحرير في العالم . ماذا كان التفكير السياسي الذي استرشدنا به في عملياتنا ضد البريطانيين ؟ لقد اعتدنا اننا بعمليات التخريب سندفع البريطانيين الى الاعتراف بان ثمن سيطرتهم في فلسطين سيكون غالبا . ولكن كان للبريطانيين مكان ينسحبون اليه . ولكن ليست هناك اية امكانية لان يترك الشعب اليهودي ارض اسرائيل تحت ضغط عملياته الارهابية ، سواء كانت داخل البلاد ام خارجها . من هنا ، فان حرب المخربين العرب ليس فيها تفكير سياسي ، ولانها كذلك فانها لا تنطوي على خطر ملموس على كياننا . ولانها كذلك ايضا فان هذه المنظمات خطيرة ، ويتوقع منها اشد الاعمال تطرفا وتسوة . ان هدفها هو ان تذهل العالم ، وتلسك احدى الصعوبات في مكافحتها .

ان نشاطهم في الخارج ، على الرغم من انه لا ينطوي على خطر عسكري على كيان اسرائيل ، يمس الدولة ببيئتها ومواطنيها . انني لا اوافق على الرأي القائل بان الارهاب يزيد العطف علينا .

ذلك انطباع شديد السطحية . كتب في اوروبا وقت قضية ميونيخ ، في اليوم الاول كانت صدمة ولكن احتل مكان الصدمة بعد ايام قليلة نوع من التقدير للمخربين على استعدادهم للتضحية بحياتهم وفي المقابل قل التقدير لاسرائيل وتحطبت خرافة جهاز المخابرات الاسرائيلية القادرة على كل شيء . لم يكن من الضروري ان نسمع تصريح بومبيدو لكي نعرف الى اين تهب الرياح . ان مثل هذه التصريحات انتصار ضخم للارهاب العربي . وبوسعك ان تسمع مثلها في شتى البلدان . يقول الناصر « نحن لا نقر الارهاب — ولكن يتحتم ايجاد حل » والحل معناه التسوية . ولكن اية تسوية يمكن ان تتم مع الفلسطينيين ؟

واريد ان اتوقف عند نقطة اخرى : لقد مضى الارهاب معنويات اليهود في الخارج بشكل بالغ الخطورة . لقد اهتز فيهم الايمان بان اسرائيل لا تغلب . فالامن في اسرائيل كان اساس حسهم بالامن هناك ، وقد اهتز هذا الاساس . ان يهود كثيرين في الخارج يتحاشون الاتصال بالاسرائيليين خوفا ، وفي تلك الايام تحاشوا الذهاب الى الكنيست والسبب واضح . انهم يخافون . فعندما اهتز الايمان بقوة اسرائيل صاروا يخافون على جلودهم .

سؤال : كيف نحارب الارهاب ؟

يشعياهو غيبش : ان ذلك يكلفنا مالا ، ويتطلب جهازا غير صغير وترتيبات — ولن يكون الايمن مطلقا . ولكن ذلك لا يعنينا من وسائل الدفاع وذلك يتضمن ايضا ارشاد الاسرائيليين لان يشعروا ويتصرفوا في الخارج كأنهم في جبهة ، واتباع دول العالم بان هذه القضية تضيقها . ولكن لكي نصل القضية في يوم من الايام ، يجب علينا ان نتنقل الى الهجوم في اتجاهين — مهاجمة « المخربين » في قواعدهم ، لا ردا او انتقاما ، بل حريصا مستترا . لقد كانت العملية في لبنان مفيدة ولكن في اللحظة التي تتوقف فيها ولا يتبعها استمرار — فانها تخلق انطباعا بانها عملية انتقامية ، يجب الاستمرار في محاربة « المخربين » في لبنان وسوريا وكل مكان يتواجدون فيه . معنى ذلك — عمليات خاصة وعمليات نظامية وعمليات غير مباشرة .

الاتجاه الاخر للهجوم يجب ان يكون في البلدان التي يعملون فيها ضدينا . قد تكون هذه حربا اضعف ، ولكن من الممكن شنّها بوحدة صغيرة وعدد غير كبير من الرجال . هدفها يجب ان يكون مزدوجا —

اتيان لبيني : يجب ان نضرب مراكز « المخربين » التي يتلقون منها الاوامر . لا اقصد بذلك جنوب لبنان ، فليس هناك مركز « ايلسول الاسود » او قنص . يجب ان نضرب المراكز ، ولا يدهشني اذا اقتضى الامر عملية في القاهرة او طرابلس او بنغازي او دمشق .

حاييم هرتسوغ : كلنا نوافق على ضرورة عدم الاكتفاء بالدفاع في هذه الحرب . ومن واجبتنا ان نبين لكل اسرائيلي انه يشكل حدود اسرائيل . وعلينا ان نعود الى ضرب « المخربين » عندما يعودون الى جنوب لبنان ، حتى عندما لا يقومون باستفزاز . يجب ان يكون العمل ضدهم عملا مستمرا ، والا نسمح لهم بالتنظيم ، ومن واجبتنا ان نعود الى أخذ زمام المبادرة ، وان نحولهم من مطاردين الى مجازدين غورا على طول الحدود ، وفي مراكزهم بالبلدان العربية وفي مناطق نشاطهم في الغرب .

**محمود درويش**

ضرب « المخربين » وايجاد وضع لا يمكنهم من حرية العمل والحركة هناك . وينبغي التعاون مع بلدان العالم ، ولكني اؤمن بالاعتماد على النفس . يجب ان تشكل هذه القوة بدون تاجيل .

ويجب ان يدخّل في وعي « المخربين » حس المخاطرة . فاذا ادركوا ان الخليل ضمت الى دولة اسرائيل نتيجة عمل معين قاموا به ، سيكون للامر تبعات بعيدة المدى على ما قد يحدث للشعب الفلسطيني نتيجة استمرار الارهاب .

لا أقول ان ضم الضفة وقطاع غزة هو السيف الوحيد الذي نستطيع التهديد به فوق رؤوسهم ، فهناك تهديدات سياسية اخرى . ولكن يجب ان نكون في وضع يمكننا من ان نقول لهم : « انكم بأعمالكم تعرضون الشرق الاوسط للخطر ، ومن يعرف كيف ستكون خارطة الشرق الاوسط بعد ٥ - ١٠ سنوات » . انهم يتكلمون اليوم عن تحرير المناطق وتحرير فلسطين . ويجب ان نوصلهم الى الحديث عن تحرير شيء لم يفقدوه حتى الان .

## اسرائيل الكبرى

دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني

بقلم

الدكتور أسعد زوق

ترسل الطلبات الى : مركز الابحاث ،

بالعربية ( ناقد )

قسم التوزيع ، ص.ب. ١٦٩١ ، بيروت

بالانجليزية ٢٢٦ صفحة

من الحجم الكبير

سعر النسخة : ١٠ ل.ل. تصاف اليها اجوز البريد : ١٥٠ ق.ل. في العالم العربي

٢٠٠ ق.ل. في اوروبا ، ٦٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

## وائل زعيتر قديس آخر يموت في روما

داود تلحيمي

كان وائل - على حد تعبير مناضلة في عقدها الثامن من أصدقائه - احدى شخصيات روما . الا أن هذا التعبير الكبير لا يعني وائل حقه ، لان وائل لم يكن يطمح لجمال اوصاف كهذه : كان متقشفا حتى الزهد ، نكاد نعرفه من بعيد من لون سترته التي لم تتغير منذ سنوات ، ويكاد لا يجد أحيانا في جيبه ثمن وجبسة . وكان متواضعا حتى الانسحاق ، فكانت حياته البوهيمية موضوع تندرته المفضل الذي يخلق حوله جوا من المرح الدائم . وكانه في تعففه هذا ، كان يريد ان يبقى قريبا - حتى في حياته الشخصية - من حياة غالبية شعبه ، الذي كرس في خدمته كل أوقاته ، منذ ان استعاد الشعب مرة اخرى سلاح التمرد . وكانت صداقات وائل متعددة وواسعة : من البرتو مورافيا الى بائع الخضار في حارته وسائقي التاكسي في روما مروراً بمسؤولي ومناضلي مختلف الاحزاب والقوى التقدمية الايطالية . وأوصل وائل من خلالها صوت شعبه الفائر ، بلهجته النابلسية التي دخلها ايقاع ايطالي . مات وائل كما عاش قديسا ( توريا ) برصاصات الوحيديين الذين يمكن ان يكرهوه ويحقدوا عليه : أعداء شعبه . وكان به وهو يواجه أعزل باسمها في ليلة سوداء أخرى من ليالي « المدينة الابدية » ، قنلة لا يرون فيه الا انعكاس بشاعة جرائمهم المستمرة منذ عشرات السنين والتي يريدون ان يبيدوا كل شاهد عليها ، صورة مثالية أخرى لصراع الخير والشر .

سنحبس دموعنا يا وائل ، رغم ما يحتشد به قلبنا من حزن وغضب ...

سنحمل ، مثلما حملت ، ابتسامة التحدي والثقة بمدالة النضال ...

وان يرهبونا ...

وستستمر يا وائل ،

حتى ترسم ابتسامات السعادة على وجود اطفالنا فوق ارض فلسطين الحرة .



## وائل زعيتر مناضلا وانسانا

منير شفيق

### وائل المناضل :

فجأة انتقل اسم الشهيد وائل زعيتر ليتصدر الصحف ونشرات الاخبار ، وراح يتردد على الألسن . ولا شك في أن الكثيرين داخل الثورة الفلسطينية وخارجها ، جعلوا يتساءلون من هو وائل زعيتر ؟ ولماذا اختارته أجهزة العدو الصهيوني الارهابية ليكون أول أهدافها في أوروبا ؟ وبدأت الاجوبة تنهال متفرقة من الذين عرفوا وائل . لقد انهالت الاجوبة متفرقة لان ما من فرد يعرف كل شيء عنه . وهذا ما يحدث عادة بالنسبة للكواثر الثورية التي تعمل بصمت حتى تكاد يدها اليمنى لا تعرف ما تفعله يدها اليسرى ، فهي ان قامت بعمل ، ومهما يكن مثمرا وهاما ، تنساه فورا ، فلا تتخذ منه اعلانا عن النفس ، وتباهيا أمام الآخرين ، او وسيلة للارتقاء والانتفاع . انها تنساه فورا لتبدأ رحلة جديدة مع عمل ثوري جديد . وهكذا تتصل الحلقات فيكون الاعداء اول من يشمر بهذا الكادر وخطورته . لانهم يلمسون اثر جهوده عليهم وعلى مخططاتهم . فالصهاينة الذين قرروا اغتيال وائل كانوا يعلمون انه لم يمارس عملا مسلحا ضدهم لا مباشرة ، ولا بصورة غير مباشرة ، لا تنفيذيا ولا تخطيطيا . حقا انه لم يمارس النضال المسلح المباشر عن هروب منه نجاة بجلده ، بل على العكس فقد كان وائل دائم الاصرار على قيادة حركة فتح ان تعفيه من مهامه الاعلامية والسياسية داخل ايطاليا ، وتاذن له بالعودة الى ارض الصراع المباشر ، في الأردن او تحت الاحتلال . ولكن الجواب كان يأتيه دائما ان يبقى حيث هو ، ولعل السبب الرئيسي في ذلك ان نتائج عمله الاعلامي ، وما حققه من نجاحات في اقامة اوثق العلاقات بين الثورة الفلسطينية وبين القوى الثورية والتقدمية والانسانية في ايطاليا كانت فوق ما يمكن ان ينجزه انسان بمفرده . لقد كان قبول انخراطه في الكفاح المسلح هنا يعني نشوء حاجة تتطلب ان يحل محله عشرة من الكواثر الجيدة والقديرة جدا ، حتى يكون بالامكان الاستمرار بالعمل الذي كان يقوم به وائل ، دون ان يطلب تطويره . ان هذه الاسباب نفسها هي التي دفعت الارهابيين الصهاينة لاغتيال هذا المناضل الثوري الرائع . فقد شعر الصهاينة في ايطاليا منذ اول يوم بدأ فيه بالعمل في حقل الاعلام والعلاقات الخارجية في الثورة الفلسطينية ، ان الارض في ايطاليا بدأت تهتز من تحتهم ، وكان باستطاعتهم ان يحضوا مخاسرهم بدقة متناهية ، وهم يرون مواقع لهم اخذوا يفقدونها الواحد بعد الآخر . ثم يرون جبهة عريضة تتألف في ايطاليا لمناصرة الثورة الفلسطينية وباهدافها الخاصة بتحرير فلسطين كلها واقامة دولة ديمقراطية ، وبقبول استراتيجيتها الثورية في حل التناقض العدائي بين جماهيرنا وبين العدو الصهيوني عن طريق حرب الشعب طويلة الامد . لقد اتسعت تلك الجبهة لتشمل الحزب الشيوعي الايطالي ، وحركة المانيفستو ( حركة ثورية ماوية ) ، وحزب اليسار ( الحزب

الثوري والليبرالي الاشتراكي الموحد) ، واتحاد العمال وعشرات من الحركات الطلابية والثورية ، فضلا عن اجنحة يسارية في الاحزاب الاشتراكية والحزب الديمقراطي المسيحي ، الى جانب شخصيات اديبية وفنية وسياسية وصحفية مرموقة على نطاق عالمي مثلا البيرتو مورافيا وجوليانا وغيرهما .

لقد استطاع وائل أن يبني في فترة قصيرة من الزمان علاقات حميمة بين الثورة الفلسطينية وبين القوى السياسية والعمالية والتقدمية في ايطاليا وكان السر في ذلك ، رغم أنه ابتداء في جو معاد ، يعود الى مثابرتة وصبره وثقافته ، وقدرتة على معرفة الناس والتأثير عليهم دون أن يشعروا ، فهو لم يكن من ذلك الطراز من الناس الذي يحاول فرض آرائه على الآخرين ، او تقديم اهداف الثورة بأسلوب تيشيزي خطابي ، كان أسلوبه بسيطاً متوازعا يعكس حقيقته البسيطة المتواضعة ، فهو يحاول أن يفهم الآخرين قبل أن يطلب منهم أن يفهموه ، ويعمد الى تقديم ما يمكن ان يقدمه لهم قبل ان يسألهم تقديم شيء للثورة الفلسطينية . انه أسلوب اعتمد على المعرفة السياسية الواسعة ، والثقافة الرحبة ، والعطاء الثوري وبعد ذلك كان يقدم الوثائق والحقائق بعد ان يلج الآخرون على طلبها ، ثم يترك لهم طلب التعاون مع الثورة الفلسطينية ، وعرض طاقاتهم لمساندتها . وهنا كان يتجلى وائل بظك الموهبة التي امتلكها ، وهي ايجاد عمل لكل انسان حسب امكاناته وفي المكان الذي يناسبه ، يمكن اعطاء صورة صغيرة على ديناميكيته مقتبسة من رسالة مؤرخة في ٧١/٥/١٠ كان قد بعثها الى مكتب اعلام حركة فتح في بيروت جاء فيها:-

« ... سبق وارسلت لك العدد الاول من الطبعة الايطالية لجلة فتح الانجليزية لقد طبعناها مرة أخرى اذ نفذت الطبعة الاولى وكانت حوالي ٦٠٠٠ نسخة والثانية كانت اربعة آلاف نسخة . المجلة نبيعها ١٠٠ ليرة ( ايطالية ) للنسخة الواحدة ، وتباع بواسطة الطلاب الايطاليين والفتيات والاولاد وطلاب المدارس المتوسطة وغيره ... الخ . لقد كلفنا عمل الكليشهات كثيرا ، كما ولقينا صعوبات أخرى . لذا فأمل أن تساعدنا بالنقاط التالية :

١ ) ارسال ما تختارونه من مقالات بالانجليزية اولا بأول حتى عندما تطلع الانجليزية ( يقصد مجلة فتح بالانجليزية ) تكون الترجمة عندنا حاضرة ، ولا نضيع وقتا عليها فتصبح out of date بعض الشيء .

٢ ) اذا أمكن أن ترسلوا لنا الكليشهات او الافلام اولا بأول — كما وعدتم ابو ... — فهذا يجعل الطبع افضل ويوفر علينا فلوس . اما بالنسبة للعدد الثاني — اي عدد ١٢ ابريل — فلقد ترجمناه ، وسنرسله غدا للطبعة . وادعتد اننا سنطبع منه عشرة آلاف نسخة ، فاذا ما أرسلت لنا الافلام بالاكسبيرس والبريد الجوي فسنوفر علينا كثيرا بالاضافة الى وضوح الصور . فهل لك ان تفعل ذلك فسنكون لك من الشاكرين ؟

— هذا ولقد حكم على عدد تيسان بأنه اغنى من عدد ١٢ ابريل بما فيه من documents ، على كل فسأخبركم بالتعليقات التي تصدر عندما تنظم انفسنا . ولقد اخذنا مكتبا مؤتقا وسننظم أمور الطبعة الايطالية ونعلمكم بذلك . »

وفي مقرة وردت في الرسالة الثانية المؤرخة في ٧١/٥/٢٥ يقول وائل :

« ما هي اخبار العدد القادم ؟ أرجو افادتنا بخصوصه .

« كنتم ترسلون لي بالسابق كمية وافية من الاعداد وهذا ما احتاجه لاجل توزيعه على المترجمين وعددهم حوالي ٢٠ ... »

تدل هذه الفقرات على الديناميكية التي كان يعمل بها المناضل الثوري وائل . واذا اخذنا

بعين الاعتبار ان كل الذين تعاون معهم كانوا من الايطاليين ( مثلا ٢٠ مناضلا عملوا بالترجمة فقط ) ، الذين يعملون تبرعا وعن قناعة ، يمكن ان ندرك قيمة هذه الطاقة الاستثنائية التي كانت تستطيع اعطاء عمل ثوري للعشرات ، وتستطيع ان تعمل بكفاءة وسرعة ، وتحقق نجاحات في ظروف كانت قاسية وصعبة ( الشهر الخامس من عام ١٩٧١ ) .

### وائل الانسان :

ولد وائل عام ١٩٣٤ في مدينة نابلس وتوجه الى العراق بعد اتمام دراسته الثانوية لدراسة الهندسة في جامعة بغداد . ولكنه سرعان ما اكتشف ان طريقه الى الحياة ليست طريق مهندس ، يوقف عمره سعيا وراء المال ، وفي خدمة الشركات واصحاب الاستثمارات . فترك مقاعد الدراسة ليعمل عاملا في مد طريق جنوبي العراق في منطقة صحراوية ، وكان هدفه ان يتعرف على ريف وطنه العربي ، وان يعيش مع عماله ويكدح معهم . . . . وهناك قضى سنتين يعيش في خيمة وتحت اقسى الظروف . . . . ولكنه عوض ذلك بمشاركته خلية من عمال الحزب الشيوعي العراقي نضالاتهم الطبقية والوطنية ضد حكم نوري السعيد . وكان معه الى جانب ذلك اصراره الذي رافقه منذ مطلع شبابه ، على دراسة التراث العربي مع اهتمام خاص بدراسة اللغة الايطالية ليتفهم الاوبرا من احدى منابعها ، وهو بهذا وحد في نفسه وحياته صفة المناضل البروليتاري الثوري ، والمثقف العربي الاصيل والذواق للموسيقى الكلاسيكية ، وبشكل خاص للاوبرا .

ثم راحت الاسفار تتقافه مشردا سياسيا ، بعد ان فر من العراق حوالي العام ١٩٥٦ ليتنقل الى الكويت ثم الى المانيا ، واخيرا لينتهي به المطاف في ايطاليا حيث كان يطمح في تطوير ثقافته الموسيقية ، والكلاسيكية الادبية ، ما دام لا يستطيع ان يعود الى ارض الوطن بسبب افكاره السياسية . الكثيرون لا يستطيعون ان يتصوروا ان وائل كان يحفظ آلاف ابيات الشعر العالمي — مثلا كان يتلو غيبا مقاطع برمتها من « الكوميديا الالهية » لدانتي ، واكثر منها لابي العلاء وابن الفارض .

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وجدت حركة فتح ان وائل اخذ يفرص نفسه ممثلا لها ، دون ان يدفع باسمه الى الشهرة ، او ان يطلب مساعدة ، فقد اعتبر ان الثورة ثورته وله الحق في ان يعطيها كل شيء . وراح يعمل ليل نهار بصمت ودون ضجة ويصرف كل ما في جيبه من اجل القضية ، ومنذ ذلك التاريخ اصبح وائل كادرا مسؤولا في حركة فتح بعد ان تأكدت الحركة بانها عثرت على كادر قيادي يشكل ثروة بحد ذاته .

وهنا يمكن ان نقف على جانب آخر من جوانب شخصيته الغضة ، وهو حياته البسيطة المتقشفة ، فقد كان يعمل مترجما في السفارة الليبية في روما ، ولا يصرف على نفسه من راتبه غير النزر اليسير اليسير ، في حين كان يدفع بالباقي كله للصرف على حاجات العمل النضالي . ولعل الكثيرين لا يصدقون انه كثيرا ما كان يقضي يومين او ثلاثة في الشهر جائعا دون ان يكون في جيبه ما يشتري به رغيف خبز ، وما كان لياكل في تلك الظروف الا اذا ساقته الصدفة الى بيت صديق بسط مائدة طعام . اما لباسه فكان مزريا وكذلك غرفته التي ينام فيها . انه لم يفكر قط في ان يفيد من مدخوله المادي في تحسين احواله ، ولو في الحدود الدنيا ، لقد كان هذا دينه حتى قبل الثورة . فمثلا كان يذهب بمثل هذا اللباس الى اوبرا روما حيث كان مشتركا مداوما لعدة سنوات — وهناك تعرف على الكاتب الايطالي الشهير البيروتو مورافيا اذ صدف ان كان جاره في المتعد المخصص له في قاعة اوبرا روما ، وقد لفت نظر الكاتب ثم حاز على اعجابه الشديد وصادقته الحميمة بعد ان تعرف على مزاياه النضالية الاخرى — عدا الموسيقى ، والثقافة .

كان وائل قبل الثورة متقشفا متصوفا يذهب براتبه في شراء الكتب والاسطوانات

الموسيقية وارتداد المسارح الثقافية ودور الاوبرا ، فضلا عن مقاسمته رغبته مع كل  
مشرد سياسي ثوري يلتقيه ويتعرف عليه ، اما عندما انضم للثورة الفلسطينية ، عمد  
تخلي عن كل شيء عدا بساطة حياته وتقسفه وتحويل معظم راتبه لخدمة القضية  
الثورية .

طلبت حركة فتح منه في اوائل ١٩٧٠ الاستقالة من عمله والتفرغ كليا لنشاطه الاعلامي  
- السياسي ، وظل كذلك حتى ما بعد ١٩٧١ ، عندما قرر ان يعود للعمل كمترجم بسيط  
في السفارة الليبية في روما ، اعتقادا منه ان من الضروري الاعتماد على نفسه ماديا  
واعفاء الثورة من اعبائه المادية رغم انها كانت ادنى من الحدود التي يعيشها طالب  
متقشف .

### وائل المفكر والاديب :

لم يكن وائل كادرا عمليا ينفذ المهام النضالية فحسب ، ولم يكن انسانا حقيقيا فحسب ،  
ولم يكن مثقفا واسع الثقافة فحسب ، وانما كان ايضا مفكرا واديبا شاعرا ( لم ينشر  
قصائده وهذا ما يحتم على الثورة الفلسطينية ، وعلى فتح بشكل خاص ، انقاذ كل  
الاوراق التي استولى عليها البوليس الايطالي في غرفته ) .

لقد اهتم في الونة الاخيرة بتأسيس مكتبة للثقافة العربية في روما ، وراح يسعى لتشكيل  
جمعية صداقة عربية - ايطالية تجمع عددا من الفنانين والادباء والشعراء والمثقفين  
الايطاليين والعرب . وعندما توجهت رصاصات الاجرام الصهيوني لتوقف قلبه الكبير عن  
الخفقان كان المشروع لا يحتاج الا للمسات اخيرة ليخرج الى النور بكل قوة ، وكان هذا  
هو السبب الذي حال دونه ودون حضوره مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الاخير  
الذي هو عضو فيه . عندما جاء الى لبنان قبل سبعة اشهر تقريبا صرفت له مخصصاته  
المتأخرة ، فما كان منه الا ان اشترى بها كلها كتبا عربية بعضها ذو طابع معاصر واغلبها  
من الكتب العربية الكلاسيكية مثل « مسالك العرب » والطبري . وعاد الى ايطاليا  
بجيوب حاوية الامن الكتب والتصميم على النضال .

اما مشروعه الاخر الذي لم يتمه فكان اشتراكه مع المستشرق الايطالي الكبير فرانسيسكو  
غابريلي في ترجمة « الف ليلة وليلة » الى الايطالية وكان هذا المشروع باكورة مشاريع  
مماثلة ، كان يخطط لها ، وكلها تهدف الى تمزيق ستار التعميم الفكري الذي يفرضه  
الغرب على الثقافة العربية التي يعتبرها واحدة من اعظم الثقافات العالمية الحضارية .  
وقد يعجب البعض حين يعلمون انه كان يتساءل دائما ماذا سيتمخص عن الثورة  
الفلسطينية من مساهمة في الثقافة العالمية ؟ لم يكن وائل يطرح هذا السؤال واشباهه  
الكثير من الاسئلة التي تتكشف عن مفكر متأمل فيلسوف ، انطلاقا من مواقع المثقف  
الاستعراضي ، وانما كان يفعل ذلك تاركا فيمن يستمع اليه الشعور بصدقه ، بل ان المرء  
ليستطيع ان يلمس عذابه الداخلي وهو يفكر بمثل هذه الاسئلة . لقد كان متحرقا فعلا  
لكي يرى الثورة الفلسطينية والثورة العربية تمخضان عن عطاء كبير للثقافة الانسانية  
والحضارة العالمية ، تواصلان به عطاء الماضي .

لقد كان فكر وائل بوتقة انصهرت فيها مجموعة من الثقافات توجت بما اخذ بيديه في  
السنين الاخيرة من اهتمام بالتجربة الصينية ، خاصة ، الثورة الثقافية . وربما كانت  
آخر احلامه رؤية ثورة ثقافية عميقة تحمل اصالة عربية بكل ما تحمل الكلمة من معنى  
تنتشر بين الجماهير الفلسطينية والعربية ضاربة الجذور بالتراث ، صاعدة من اعماق  
التعب ، محررة نفسها من تقليد الغرب ، وضياع الشخصية .

وبكلمة ،

كان وائل كادرا ثوريا قياديا موهوبا ، ولكنه كان يتصرف كعنصر عادي .

- وكان متقشفا متفانيا منكرا لذاته ، ولكنه كان يملا نفسه بغنى داخلي لا حدود له .
- وكان فنانا وشاعرا ومفكرا ، ولكنه ظل تلهيذا في بحثه عن المعرفة .
- وكان انسانا عاملا بسيطاً ، ولكنه كان يعاني عذابا داخليا وقلقا عميقا .
- وكان فتحاويا وماركسيا ، ولكنه كان في الوقت نفسه ناسكا صوفيا ،
- والاهم من هذا كله انه اعطى الثورة الفلسطينية كل هذا دفعة واحدة .

## CRIMES AND NO PUNISHMENT

Zionist - Israeli Terrorism 1939 - 1972

By

Sami Hadawi

Will be Published Soon by the Palestine Research Center

( P. O. Box 1691, Beirut )

## نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتباراً من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الإسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسئولة والمختصة في البلاد العربية ( العسكريون ، السياسيون ، الإعلاميون ، الصحفيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ... ) بإخبار العدو ومواقف قاداته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطمعون على حقيقة ما يجري ويقال في إسرائيل ، اتخاذ الإجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الأبحاث بأنها تتضمن تسجيلاً كاملاً ودقيقاً للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات وأقوال الصحف التي تبث من الإذاعة العبرية يومياً ، بالإضافة إلى تسجيل جميع نشرات الأخبار . وتطبع النشرة على « الأوفست » لضمان أخراجها بشكل جيد ومربح للقارئ .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يومياً على المشتركين في بيروت . أما المشتركون خارج بيروت فيتم إرسالهم النشرات بالبريد الجوي ، أو بآية وسائل أسرع .

يتوجه مركز الأبحاث اليكم على أمل أن تشتركوا بنسخة أو أكثر من هذه النشرة . وبالنظر إلى التكاليف الباهظة نسبياً للنشرة ( الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه ) فقد تقرر أن تكون قيمة الاشتراك خمسمائة ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثمائة ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، أو ما يعادل ذلك بالعملة الأخرى ، يضاف إليها اجور البريد في البلاد العربية ١١ ل. ل. ، في أوروبا ١٥ ل. ل. ، في الأمريكتين ٢٠ ل. ل. ، وفي آسيا وغريقتها ٢٥ ل. ل.

إن مساهمتكم بالاشتراك بتكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو ( خاصة وأننا ننوي أن نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الإذاعية الإسرائيلية التي تبث باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها إسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيبه إسرائيل بالعربية لواطنيها وما تذيبه بالعربية للعرب وما تذيبه بالإنكليزية والفرنسية للرأي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لأجهزة الإعلام العربية ) .

ترسل الاشتراكات إلى :

مركز الأبحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .



قسم الثقافة الفنية - دائرة الأعلام والتوجيه القومي  
منظمة التحرير الفلسطينية  
بيروت - كورنيش المزرعة - ص.ب. ٥٢٨٣

صدر عن

# موجز تاريخ فلسطين المصور

اعداد وتصميم : إسماعيل شموط

كتب مصور بالألوان يعرض تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا  
متوفر بأربع لغات : العربية ، الانكليزية ، الفرنسية ، الإسبانية  
شمن النسخة مع اجرة البريد الجوي :

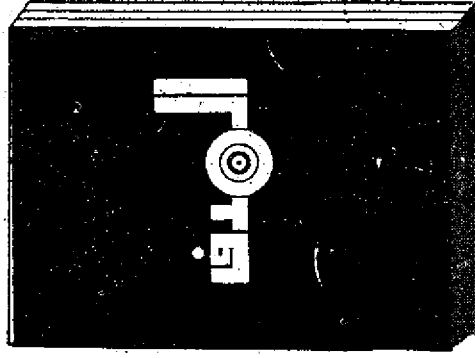
| دولار | ليرة لبنانية |                    |
|-------|--------------|--------------------|
| ١,٢٥  | ٤ -          | للبلاد العربية     |
| ١,٥٠  | ٤,٥٠         | للبلاد الأوروبية   |
| ٢ -   | ٦ -          | لباقى بلدان العالم |

يطلب من قسم الثقافة الفنية - منظمة التحرير الفلسطينية -

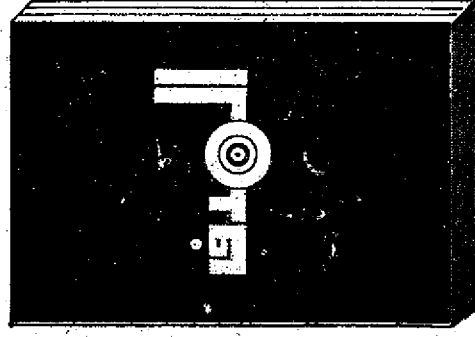
بيروت - ص.ب. ٥٢٨٣

يطلب من الادارة  
ص.ب ٢١٢  
بيروت - لبنان  
يضاف الى القيمة  
٥ ل.د. كأحد جبر  
بالبريد المضمون المعادي

العدد الثالث  
من العدد ١١٢ - ١١٤  
الاسم  
٢٠ ل.د. أو ما يعادلها



العدد الثالث  
من العدد ١١٢ - ١١٤  
الاسم  
٢٠ ل.د. أو ما يعادلها



( ملاحظة : العدد الاول من العدد ١ - ٢٥ نافذ )





استيراد وتصدير  
لجميع أنواع الورق والكرتون  
للمجلات والكتب

محمد خليل الداعوق

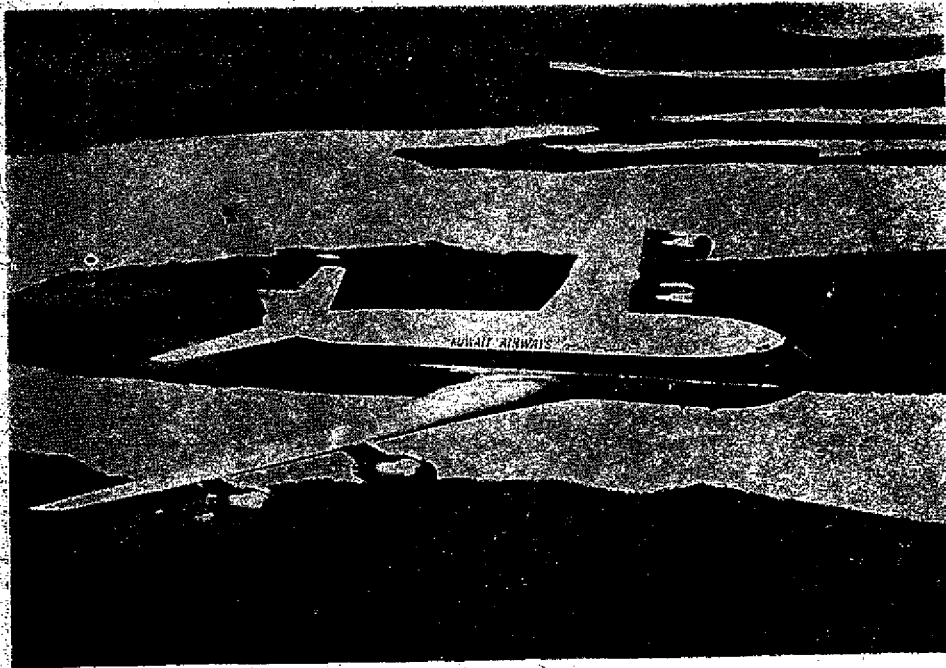
شارع المرض - بيروت - لبنان

مكتب تلفون : ٢٢٤٦٤٥ - ٢٢٨٠٤٢

مستودع تلفون : ٢٩٢٩٢٢

# المخطوط الجوية الكويتية

شبكة خطوط عالمية تغطي مختلف بقاع العالم العربي  
وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة

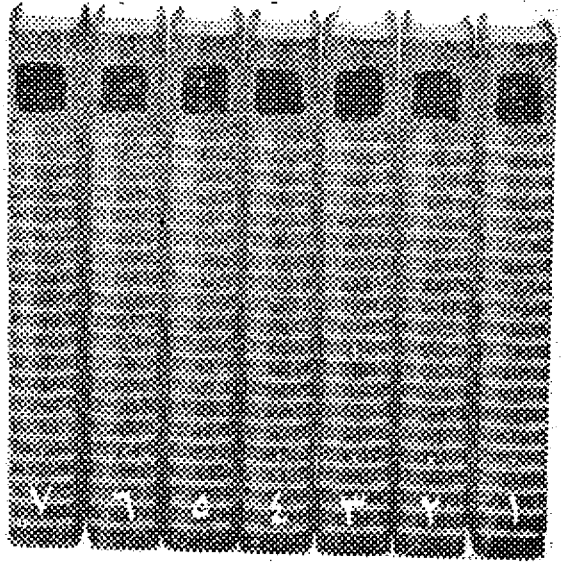


مكاتب رئيسية في كل من :

الكويت - البحرين - الدوحة - دبي - الظهران - عدن - عمان - دمشق - بيروت - القاهرة  
طهران - عبادان - أثينا - جنيف - فرانكفورت - باريس - روما - لندن - نيويورك - هيوستون  
شيكاغو - ديترويت - تورونتو .

صدر المجلد السنوي السابع من

# السياسة الدولية



- مرجع عامي للعاملين في الحقل السياسي والدبلوماسي والإعلامي .
- المجلد مزود بفهرس تحليلي وفهرس للمعاملات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشترايات بمؤسسة الأفرام ومكتبة الأفرام بشايع محمد فريد والمكتبات الكبرى في الوطن العربي
- يضم الأعداد ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

مدير التحرير

د. عبد الملك عودة

رئيس التحرير

د. بطرس بطرس غالي

AL - JAMHOUR

# الجمهور

اطلالة اسبوعية

على

قضايا المقاومة الفلسطينية

وشؤون الوطن العربي

ومشاكل العالم وشعوبه

معالجة موضوعية تعتمد الدقة

والوضوح والمصادر الصحيحة

صباح كل يوم اربعاء

تطل

الجمهور

على قرائنها الموزعين

في

١٦ دولة عربية وافريقية واوروبية

